# الأمثل

## في تفسير كتاب الله المنزل

العلامة الفقيه المفسر

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

٩

بسم الله الرحمن الرحیم

# الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل


کاتب:

آیت الله ناصرمکارم شیرازی



نشرت فی الطباعهٔ:

مدرسه الامام علی بن ابی طالب ( علیه السلام )

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

# الفهرس

# الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل المجلد ۹

## اشاره

سرشناسه : مکارم شیرازی، ناصر، - ۱۳۰۵

عنوان و نام پدیدآور : الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل/ تالیف ناصر مکارم شیرازی؛ [با همکاری جمعی از فضلا]

وضعیت ویراست : [ویرایش ]۲

مشخصات نشر : قم: مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)، ۱۴۲۱ق. = ۱۳۷۹.

مشخصات ظاهری : ج ۲۰

شابک : ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۳-X(دوره) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۹-۱(ج.۱) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۳-۲(ج.۲) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۸-۳(ج.۳) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۲-۴(ج.۴) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۷-۵(ج.۵) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۱-۶(ج.۶) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۶-۷(ج.۷) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۰-۸(ج.۸) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۵-۹(ج.۹) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۴-۰(ج.۱۰) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۲-۱(ج.۱۱) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۷-۲(ج.۱۲) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۱-۳(ج.۱۳) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۰-۵(ج.۱۵)

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : کتاب حاضر ترجمه و تلخیص "تفسیر نمونه" است

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است

یادداشت : کتابنامه

موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

شناسه افزوده : مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)

رده بندی کنگره : BP۹۸/م۷ت ۷۰۴۴۷ ۱۳۷۹

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۹-۱۰۳۹۱

ص :۱

## اشاره

## [تتمه سوره الاسراء]

### اشاره

## الآیات [سوره الإسراء (۱۷): الآیات ۴۱ الی ۴۴]

### اشاره

وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِی هٰذَا اَلْقُرْآنِ لِیَذَّکَّرُوا وَ ما یَزِیدُهُمْ إِلاّ نُفُوراً (۴۱) قُلْ لَوْ کانَ مَعَهُ آلِهَهٌ کَما یَقُولُونَ إِذاً لاَبْتَغَوْا إِلیٰ ذِی اَلْعَرْشِ سَبِیلاً (۴۲) سُبْحانَهُ وَ تَعالیٰ عَمّا یَقُولُونَ عُلُوًّا کَبِیراً (۴۳) تُسَبِّحُ لَهُ اَلسَّماوٰاتُ اَلسَّبْعُ وَ اَلْأَرْضُ وَ مَنْ فِیهِنَّ وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلاّ یُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لٰکِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِیحَهُمْ إِنَّهُ کانَ حَلِیماً غَفُوراً (۴۴)

## التّفسیر

### اشاره

### کیف یفرّون من الحق؟

کـان الحـدیث فی الآیات السابقه یتعلّق بقضـیتی التوحیـد و الشـرک،لـذا فإنّ هـذه الآیات تتابع هـذا الموضوع بوضوح و قاطعیه أکـبر.ففی البـدایه تتحـدث عن لجـاجه بعض المشـرکین و عنـادهم فی قبـال أدله التوحیـد فتقول: وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِی هٰذَا الْقُرْآنِ لِیَذَّکَّرُوا وَ ما یَزِیدُهُمْ إِلاّ نُفُوراً .

«صـرّف»مشـتقّه من«تصـریف»و هی تعنی التغییر و التحویـل،و کونها علی وزن«تفعیل»یؤکّـد معنی الکثره.و لأنّ القرآن یسـتخدم تعابیر متنوعه و فنونا کلامیه مختلفه من أجل تنبیه المشرکین،إذ یستخدم الاستدلال العقلی المنطقی

ص: ۵

و الفطری أو التهدید و الترغیب،لذا فإنّ کلمه«صرّفنا»تناسب هذا التنوّع فی هذا المقام.

القرآن الکریم یرید أن یقول:إنّنا سلکنا مختلف الطرق،و فتحنا مختلف الأبواب من أجل أن ننیر قلوب هؤلاء العمیان بضیاء التوحید،و لکن مجموعه من هؤلاء وصل بهم التعصب و العناد و اللجاجه إلی درجه أنّ کل هذه الوسائل لم تؤثر فی جذبهم إلی الحقیقه،بل إنّها زادت فی ابتعادهم و نفورهم.

و هنا قد یطرح هذا السؤال:إذا ما الفائده من ذکر کلّ ذلک،إذا کانت النتائج.

معکوسه؟ إنّ جواب هذا السؤال واضح،إذ أنّ القرآن لم ینزل لفرد أو لمجموعه خاصّه، و لکنّه للمجتمع کافّه،و طبیعی أن جمیع الناس لیسوا علی منوال المعاندین،إذ هناک الکثیر ممن یتبع طریق الحق إذا استبانت له أدلته من هذا النوع من الأدلّه القرآنیه،بالرغم من أنّها تؤدی بمجموعه أخری من فاقدی بصیره القلب إلی المزید من العناد.

إضافه إلی أنّ وجود هؤلاء المعاندین مفید للمجموعه الأخری التی تقبل الحق و تنصاع إلیه،إذ یستبیّن من ینصاع للحق طریقه من خلال النظر إلی سلوک المعاندین إذ أنّ تقابل الظّلمه و النّور یوضح قیمه النور أکثر(الأشیاء تعرف بأضدادها)کما أن تعلم الأخلاق و الآداب یمکن أن یتمّ-أحیانا-بتوسط عدیمی الأدب و الخلق.

و هذا فی الواقع درس مفید فی القضایا التربویه و التبلیغیه،إذ یمکن أن نستفید من هذه الآیه ضروره سلوک طرق مختلفه و وسائل متعدّده لتحقیق الأهداف التربویه المنشوده،حیث أنّ الاقتصار علی طریق واحد یخالف التنوع الکبیر فی أذواق الناس و مؤهلاتهم،و بالتالی یجافی الطریق الصحیح الذی ینبغی أن یتّبع.

ص :۶

### دليل التمانع:

الآيه التى بعدها تشير إلى واحد من أدله التوحيد و الذى يعرف بين العلماء و الفلاسفه بعنوان«دليل التمانع»إذ الآيه تقول للنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:قل لهم: قُلْ لَوْ كٰانَ مَعَهُ آلِهَهٌ كَمٰا يَقُولُونَ إِذاً لاَبْتَغَوْا إِلىٰ ذِى الْعَرْشِ سَبِيلاً .

و بالرغم من أنّ جمله إِذاً لاَبْتَغَوْا إِلىٰ ذِى الْعَرْشِ سَبِيلاً تفيد أنّهم لا بدّ أن يجدوا طريقا يؤدى بهم إلى صاحب العرش،و لكن طبيعه الكلام توضح بأنّ الهدف هو العثور على سبيل للانتصار عليه(على ذى العرش)خاصّه و أنّ كلمه ذِى الْعَرْشِ التى استخدمت بدلا من «اللّه»تشير إلى هذا الموضوع و تؤكّده.إذ تعنى أنّهم أرادوا أن يكونوا مالكى العرش و حكومه عالم الوجود،لذلك فإنّهم سيحاولون منازله ذى العرش.

و من الطبيعى هنا أنّ كل صاحب قدره يسعى لمدّ قدرته و تكميلها،لذا فإنّ وجود عدّه آلهه يؤدى إلى التنازع و التمانع فيما بينهم حول الحكم و السلطه فى عالم الوجود. (۱)

هنا قد يقال:إن من الممكن تصوّر وجود عدّه آلهه يحكمون العالم من خلال التعاون و التنسيق فيما بينهم،لذلك فليس ثمّه من سبب للتنازع بينهم؟! فى الإجابه على هذا السؤال نقول:بصرف النظر عن أنّ كل موجود يسعى نحو توسيع قدرته بشكل طبيعى،و بصرف النظر أيضا عن الآلهه التى يعتقد بها المشركون تحمل العديد من الصفات البشريه،و التى تعتبر أوضحها جميعا هى الرغبه فى السيطره و الحكم و توسيع نطاق القدره...بغض النظر عن كلّ ذلك نقول:إنّ اللازمه الضروريه لتعدّد الوجود هى الاختلاف،و حيث لا يوجد



---

۱- ۱) بعض المفسّرين قال:إنّ هذا الجزء من الآيه يعنى أنّ هناك آلهه أخرى تحاول أن تقرب نفسها إلى اللّه.و هذا يعنى أنّ هذه الآلهه(الأصنام و غيرها)الوهميه عند ما لا تستطيع أن تقرّب نفسها للّه فكيف تستطيع أن تقربكم أنتم؟ و لكن سياق هذه الآيه التى بعدها لا يتواءمان مع هذا التّفسير.

اختلاف بین وجودین إطلاقا،فلا معنی لوجود التعدّد!!(دقق جیدا).

و نظیر هذا البحث ورد فی الآیه(۲۲)من سوره الأنبیاء حیث قوله تعالی لَوْ كَانَ فِیهِمَا آلِهَهٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا . و منعا للالتباس ینبغی أن نقول:هناک اختلاف بین الدلیلین بالرغم من التشابه بینهما:

الأوّل یدلّ علی فساد العالم و نظام الوجود بسبب تعدّد الآلهه.

أمّا الثّانی فیتحدّث-بغض النظر عن النظم فی عالم الوجود-عن حاله التنازع و التمانع التی سوف تقوم بین الآلهه المتعدّده.(سوف نبحث هذه الأمور مفصلا أثناء تفسیر الآیه(۲۲)من سوره الأنبیاء).

و بما أنّ كلام المشرکین و عباراتهم توحی بأنّهم نزلوا فی إدراکهم للّه عزّ و جل إلی مستوی أن یکون طرفا للنزاع،لذا فإنّ الآیه تقول بعد ذلک مباشره: سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَی عَمَّا یَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِیراً .

فی الواقع إنّ هذا التعبیر القرآنی القصیر،یوضح-من خلال أربعه تعابیر- علو الکبریاء الإلهیه و نزاهتها عن مثل هذه التخیلات،إذ تقول:

۱-استخدام کلمه سُبْحَانَهُ بمعنی التنزیه للذات الإلهیه.

۲-ثمّ تعبیر وَ تَعَالَی عَمَّا یَقُولُونَ .

۳-ثمّ استخدام عُلُوًّا و هی مفعول مطلق یفید التأکید.

۴-أخیرا،جاءت کلمه كَبِیراً للتأکید مجددا علی معانی التنزیه و العلو.

و بعد ذلک فإنّ جمله عَمَّا یَقُولُونَ لها معنی واسع حیث أنّها تنفی کل أشکال التهم الباطله و لوازمها.

ثمّ لأجل إثبات عظمه الخالق و أنّه منزّه عن خیالات و اعتقادات و أوهام المشرکین،تتحدث الآیه التالیه عن تسبیح کائنات الوجود لذاته المقدسه إذ تقول: تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِیهِنَّ .ثمّ تتطرق الآیه إلی أنّ التسبیح لا یقتصر علی ما هو موجود فی السماوات و الأرض،و إنّما لیس هناک

موجود إلّا و يسبّح و يحمد اللّه،و لكن لا تدركون تسبيحهم: وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لٰكِنْ لاٰ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ .و مع ذلك: إِنَّهُ كٰانَ حَلِيماً غَفُوراً .

أى لا يؤاخذكم و لا يعاقبكم بسبب كفركم و شرككم مباشره،و لكن يمهلكم بالقدر الكافى،و يفتح لكم أبواب التوبه و يتركها مفتوحه لإتمام الحجه.

بتعبير آخر:إنّكم تملكون القدره على إدراك تسبيح ذرات الوجود و الكائنات جميعا للّه القادر المتعال،و تدركون وجوده عزّ و جلّ،و لكنّكم مع ذلك تقصّرون،و اللّه سبحانه و تعالى لا يؤاخذكم مباشره على هذا التقصير،و لا يجازيكم به فورا و لكن يعطيكم الفرصه الكافيه لمعرفه التوحيد و ترك الشرك.

### تسبيح الكائنات:

تذكر الآيات القرآنيه المختلفه تسبيح و حمد جميع موجودات عالم الوجود للّه تعالى،و إنّ أكثر الآيات صراحه بهذا الخصوص هى الآيه التى نبحثها و التى تذكر لنا-بدون استثناء-أنّ جميع الموجودات فى العالم،الأرض و السماء، النجوم و الفضاء،الأناس و الحيوانات و أوراق الشجر،و حتى الذرات الصغيره، تشترك جميعا فى هذا التسبيح و الحمد العام.

يبيّن القرآن الكريم أنّ عالم الوجود قطعه واحده من التسبيح و الحمد،و أنّ كل موجود يؤدى هذا التسبيح و يقوم به بشكل معين و يثنى على البارى عزّ و جلّ، و أنّ أزير هذا التسبيح و الحمد يملأ عالم الوجود المترامى الأطراف، و لكن الجهلاء لا يستطيعون سماع هذا الأزيز،بعكس المستبصرين المتأملين و العلماء الذين أضاء اللّه قلوبهم و أرواحهم بنور الإيمان،فإنّ هؤلاء يسمعون هذا الصوت من جميع الجهات بشكل جيّد.

هناك كلام كثير بين العلماء و المفسّرين و الفلاسفه حول تفسير حقيقه هذا الحمد و التسبيح،فبعضهم اعتبر الحمد و التسبيح(حالا)و البعض الآخر(قولا)،

أمّا خلاصه أقوالهم فهی:

۱-البعض یعتقد أنّ جمیع ذرات الوجود فی هذا العالم لها نوع من الإدراک و الشعور،سواء کانت هذه الموجودات عاقله أو غیر عاقله.و هی تقوم بالتسبیح و الحمد فی نطاق عالمها الخاص،بالرغم من أنّنا لا نستطیع إدراک ذلک أو الإحساس بهذا الحمد و التسبیح و سماعه.آیات کثیره تؤکّد هذا المعنی منها الآیه رقم(۷۴)من سوره البقره واصفه الحجاره أو نوع منها: وَ إِنَّ مِنْها لَما یَهْبِطُ مِنْ خَشْیَهِ اللّهِ .ثمّ قوله تعالی فی الآیه(۱۱)من سوره فصّلت: فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِیا طَوْعاً أَوْ کَرْهاً قالَتا أَتَیْنا طائِعِینَ .

۲-الکثیر یعتقد أنّ هذا التسبیح و الحمد هو علی شاکله ما نسمیه ب«لسان الحال»و هو حقیقی غیر مجازی إلاّ أنّه بلسان الحال و لیس بالقول.(تأمّل ذلک).

و لتوضیح ذلک تقول:قد یحدث أن نشاهد آثار عدم الارتیاح و الألم،و عدم النوم فی وجه أو عینی شخص ما و نقول له:بالرغم من أنّک لم تتحدث عن شیء من هذا القبیل،إلاّ أن عینیک تقولان بأنّک لم تنم اللیله الماضیه،و وجهک یؤکّد بأنّک غیر مرتاح و متألم!و قد یکون لسان الحال من الوضوح بدرجه بحیث أنّه یغطی علی لسان القول لو حاول التستر علیها قولا.

و هذا هو المعنی الذی صرّح به

أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السّلام بقوله:

«ما أضمر أحد شیئا إلاّ ظهر فی فلتات لسانه و صفحات وجهه» (۱) .

من جانب آخر هل یمکن التصدیق بأنّ لوحه فنیه جمیله للغایه تدل علی ذوق و مهاره رسامها،لا تمدحه أو تثنی علیه؟و هل یمکن انکار ثناء دواوین أشعار أساطین الشعر و الأدب و تمجیدها لقرائحهم و اذواقهم الرفیعه؟أو یمکن انکار أن بناء عظیما أو مصنعا کبیرا أو عقولا الکترونیه معقده أو أمثالها،أنّها تمدح صانعها و مبتکرها بلسان حالها غیر الناطق؟



---

۱- ۱) نهج البلاغه،الکلمات القصار،رقم ۲۶.

لـذا يجب التصـديق و التسـليم بأنّ عالم الوجود العجيب ذا الأسـرار المتعـدّده و العظمه الكبيره،و الجزئيات العديده المحيّره،يقوم بتسبيـح و حمـد الخالق عزّ و جلّ،و إلاّ فهل«التسبيـح»سوى التنزيه عن جميع العيوب؟فنظام عالم الوجود ناطق بأنّ خالقه ليس فيه أى نقص أو عيب:

ثمّ هـل«الحمـد»سوى بيـان الصـفات الكماليه؟فنظام الخلق و الوجود كلّه يتحـدث عن الصـفات الكماليه للخالق و علمه و قـدرته اللامتناهيه و حكمته الوسيعه.

خـاصّه و أنّ تقـدم العلوم البشـريه و كشف بعض أسـرار و خفايـا هـذا العالم الواسع،توضـح هـذا الحمـد و التسبيـح العام بصوره أجلى.فـاليوم مثلا ألّف علماء النبات المؤلفات العديـده عن أوراق الأشـجار،و خلايا هـذه الأوراق،و الطبقات السـبع الـداخله فى تكوينها،و الجهاز التنفسى لها،و طريقه التغذيه و سائر الأمور الأخرى التى تتصل بهذا العالم.

لـذلك،فـإنّ كـل ورقه توحـد اللّه ليلاـ و نهارا،و ينتشـر صوت تسبيحها فى البساتين و الغابات،و فوق الجبال و فى الوديان،إلاّ أنّ الجهلاء لا يفقهون ذلك، و يعتبرونها جامده لا تنطق.

إنّ هذا المعنى للتسبيح و الحمد السارى فى جميع الكائنات يمكن دركه تماما،و ليست هناك حاجه لأن نعتقد بوجود إدراك و شعور لكـل ذرات الوجود، لأـنّه لاـ يوجـد دليـل قـاطع على ذلك،و الآيات السابقه يحتمل أن يكون مقصودها التسبيـح و الحمد بلسان الحال.

### الجواب على سؤال:

يبقى سؤال واحـد،و هو إذا كان الغرض من الحمـد و التسبيـح هو تعبير نظام الكون عن نزاهه و عظمه و قدره الخالق عزّ و جلّ،و تبيان الصفات السلبيه

و الثبوتيه،فلما ذا يقول القرآن: لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ لأنّه إذا كان البعض لا يفقه،فإنّ العلماء يفقهون و يعلمون؟.

هناك جوابان على هذا السؤال هما:

الأوّل:إنّ الآيه توجّه خطابها إلى الأكثريه الجاهله من عموم الناس، خصوصا إلى المشركين،حيث أنّ العلماء المؤمنين قلّه و هم مستثنون من هذا التعميم،وفقا لقاعده ما من عام إلاّ و فيه استثناء.

الثّاني:هو أنّ ما نعلمه من أسرار و خفايا العالم فى مقابل ما لا نعلمه كالقطره فى قبال البحر،و كالذره فى قبال الجبل العظيم.و إذا فكرنا بشكل صحيح فلا نستطيع أن نسمّى الذى نعرفه بأنّه(علم).إنّنا فى الواقع لا نستطيع أن نسمع تسبيح و حمد هذه الموجودات الكونيه مهما أوتينا من العلم،لأنّ ما نسمعه هو كلمه واحده فقط من هذا الكتاب العظيم!! و على هذا الأساس تستطيع الآيه أن تخاطب العالم بأجمعه و تقول لهم:إنّكم لا تفقهون تسبيح و حمد الموجودات بلسان حالها،أمّا الشىء الذى تفقهوه فهو لا يساوى شيئا بالنسبه إلى ما تجهلون.

٣-بعض المفسّرين يحتمل أنّ الحمد و التسبيح هو تركيب من لسان:

«الحال»و«القول».و بعباره أخرى:يعتقدون بأنّه تسبيح تكوينى و تشريعى،لأنّ أكثر البشر و كل الملائكه يحمدون اللّه عن إدراك و شعور؛و كل ذرات الوجود نتحدّث عن عظمه الخالق بلسان حالها.و بالرغم من أنّ هذين النوعين من الحمد و التسبيح مختلفين،إلاّ أنّهما يشتركان فى المفهوم الواسع لكلمتى الحمد و التسبيح.

و لكن التّفسير الثّانى-حسب الظاهر-أكثر قبولا للنفس من التّفسيرين الآخرين.

ص:١٢

**جانب من روايات العتره الطاهره:**

هناك تعابير لطيفه فی هذا المجال وردت فی أحاديث الرّسول صلّی اللّه عليه و آله و سلّم أهل البيت عليهم السّلام،منها:

*

أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السّلام يقول: سألت الإمام عن تفسير قوله تعالی: وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلاّ یُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ فقال عليه السّلام:«كل شیء يسبّح بحمده و إنّا لنری أن ينقض الجدار و هو تسبيحها» (۱) .

*و

عن الإمام محمّد الباقر عليه السّلام قال: «نهی رسول اللّه أن توسم البهائم فی وجوهها،و أن تضرب وجوهها لأنّها تسبّح بحمد ربّها» (۲) .

*و

عن الإمام الصادق عليه السّلام قوله: «ما من طير يصاد فی بر و لا بحر،و لا شیء يصاد من الوحش إلاّ بتضييعه التسبيح» (۳) .

*أمّا الإمام الباقر عليه السّلام،فعند ما سمع يوما صوت عصفور،

فقال لأبی حمزه الثمالی-و كان من خاصّه أصحابه-: «يسبحن ربّهنّ عزّ و جلّ و يسألن قوت يومهن» (۴) .

*و

فی حديث آخر نقرأ أنّ رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم أتی إلی عائشه،و قال لها:

«اغسلی هذين الثوبين»فقالت:يا رسول اللّه،لقد غسلتهما أمس،فقال صلّی اللّه عليه و آله و سلّم:«أمّا علمت أنّ الثوب يسبّح فإذا اتسخ انقطع عن تسبيحه» (۵) .

*

فی حديث آخر عن الإمام الصادق نقرأ قوله عليه السّلام: «للدابه علی صاحبها سته حقوق:لا يحملها فوق طاقتها،و لا يتخذ ظهرها مجلسا يتحدث عليها،و يبدأ بعلفها إذا نزل،و لا يسمها فی وجهها،و لا يضربها فإنّها تسبح،و يعرض عليها الماء



---

۱- ۱) -نور الثقلين،المجلد الثّالث،صفحه(۱۶۸).

۲- ۲) -نور الثقلين،المجلد الثّالث،صفحه(۱۶۸).

۳- ۳) -المصدر السابق.

۴- ۴) -عن أبو نعيم الإصفهانى فى حليه الأولياء(نقلا عن تفسير الميزان).

۵- ۵) -المصدر السابق.

إذا مرّ بها» (۱) .

إنّ هـذه المجموعه من الأحـاديث و الرّوايات و التی لبعضـها معانی دقيقه، تظهر أنّ التسبيـح العام للموجودات يشـمل كل شـیء بدون استثناء،و كل هذا يتطابق مع ما ذكرناه فی التّفسير الثّانی(أی إن التسبيح هو تسبيح تكوينی أو تسبيح بلسان الحال).

أمّا مـا قرأنـاه فی هـذه الأحـاديث من أنّ اللبـاس إذا توسـخ ينقطع تسبيحه،فهو كنـايه عن أنّ المخلوقات إذا كانت محافظه على نظافتها الطبيعيه فسوف تذكّر الإنسان بخالقه،أمّا إذا فقدت نظافتها الطبيعيه فسوف لا تقوم بالتذكير.

ص: ۱۴

---

۱- ۱) -عن«الكافی»طبقا لما ذكره صاحب الميزان.

## الآیات [سوره الإسراء (١٧): الآیات ۴۵ الی ۴۸]

### اشاره

وَ إِذا قَرَأْتَ اَلْقُرْآنَ جَعَلْنا بَیْنَکَ وَ بَیْنَ اَلَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ حِجاباً مَسْتُوراً (۴۵) وَ جَعَلْنا عَلی قُلُوبِهِمْ أَکِنَّهً أَنْ یَفْقَهُوهُ وَ فِی آذانِهِمْ وَقْراً وَ إِذا ذَکَرْتَ رَبَّکَ فِی اَلْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلی أَدْبارِهِمْ نُفُوراً (۴۶) نَحْنُ أَعْلَمُ بِما یَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ یَسْتَمِعُونَ إِلَیْکَ وَ إِذْ هُمْ نَجْوی إِذْ یَقُولُ اَلظّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاّ رَجُلاً مَسْحُوراً (۴۷) اُنْظُرْ کَیْفَ ضَرَبُوا لَکَ اَلْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا یَسْتَطِیعُونَ سَبِیلاً (۴۸)

### سبب النّزول

تحدّث مجموعه من المفسّرین مثل الطبرسی فی«مجمع البیان»و الفخر الرازی فی«التّفسیر الکبیر»و آخرون،فی شأن نزول هذه الآیات،فقالوا:إنّها نزلت فی مجموعه من المشرکین کانوا یؤذون النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم باللیل إذا تلا القرآن و صلّی عند الکعبه،و کانوا یرمونه بالحجاره و یمنعونه عن دعوه الناس إلی الدین، فحال اللّه سبحانه بینه و بینهم حتی لا یؤذوه.

و قد احتمل الطبرسی أن یکون اللّه منع المشرکین عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عن طریق إلقاء الخوف و الرعب فی قلوبهم (۱) .

أمّا الرازی فیقول فی ذلک:«إنّ هذه الآیه نزلت فی قوم کانوا یؤذون رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إذا قرأ القرآن علی الناس.

روی أنّه علیه الصلاه و السّلام کان کلّما قرأ القرآن قام عن یمینه رجلان و عن یساره آخران من ولد قصی یصفقون و یصفرون و یخلطون علیه بالأشعار».

ثمّ أضاف:«و روی عن ابن عباس،أنّ أبا سفیان و النضر بن الحرث و أبا جهل و غیرهم کانوا یجالسون النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و یستمعون إلی حدیثه،فقال النضر یوما:ما أدری ما یقول محمّد غیر أنّی أری شفتیه تتحرکان بشیء. و قال أبو سفیان:إنّی لأری بعض ما یقوله حقّا،و قال أبو جهل:هو مجنون.و قال أبو لهب:هو کاهن.(!!!)و قال حویطب بن عبد العزی:هو شاعر،فنزلت الآیه أعلاه:

وَ إِذٰا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنٰا بَیْنَکَ وَ بَیْنَ الَّذِینَ...

(۲)

.

## التّفسیر

### اشاره

### المغرورون و موانع المعرفه:

بعد الآیات السابقه قد یطرح الکثیرون هذا السؤال:رغم وضوح قضیه التوحید بحیث أنّ جمیع مخلوقات العالم تشهد بذلک؛فلما ذا-اذن-لا یقبل المشرکون هذه الحقیقه و لا ینصاعون للآیات القرآنیه بالرغم من سماعهم لها؟ الآیات التی نبحثها یمکن أن تکون جوابا علی هذا السؤال،إذ تقول الآیه الأولی فیها: وَ إِذٰا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنٰا بَیْنَکَ وَ بَیْنَ الَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ حِجٰاباً مَسْتُوراً .و هذا الحجاب و الساتر هو نفسه التعصّب و اللجاجه و الغرور



---

۱- ۱) -مجمع البیان،المجلد الثّالث،صفحه ۴۱۸.

۲- ۲) -التّفسیر الکبیر،المجلد ۲۰،صفحه ۲۲۰-۲۲۱.

و الجهل،حیث تقوم هذه الصفات بصد حقائق القرآن عن أفکارهم و عقولهم و لا تسمح لهم بدرک الحقائق الواضحه مثل التوحید و المعاد و صدق الرّسول فی دعوته و غیر ذلک.

و فیما یخص کلمه«مستور»هل أنّها صفه للحجاب،أو لشخص الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أو للحقائق القرآنیه؟فإنّ البحث عن ذلک سنشیر إلیه فی البحوث.

و سنتناول فی البحوث-أیضا-کیفیه نسبه الحجاب للخالق جلّ و علا.

أمّا الآیه التی بعدها فتقول: وَ جَعَلْنا عَلیٰ قُلُوبِهِمْ أَکِنَّهً أَنْ یَفْقَهُوهُ وَ فِی آذانِهِمْ وَقْراً أی أنّنا غطّینا قلوبهم بأستار لکی لا یفهموا معناه،و جعلنا فی آذانهم ثقلا، لذلک فإنّهم إِذا ذَکَرْتَ رَبَّکَ فِی الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلیٰ أَدْبارِهِمْ نُفُوراً .

حقّا ما أعجب الهروب من الحق؛الهرب من السعاده و النجاه،من النصر و الفهم!إنّ شبیه هذا المعنی نجده-أیضا-فی الآیه(۵۰-۵۱)من سوره المدثر:

کَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَهٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَهٍ أی کالحمیر الهاربه من الأسد.

ثمّ یضیف اللّه تبارک و تعالی مرّه أخری: نَحْنُ أَعْلَمُ بِما یَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ یَسْتَمِعُونَ إِلَیْکَ أی أنّ اللّه تعالی یعلم الغرض من استماعهم لکلامک و حضورهم فی مجلسک و إِذْ هُمْ نَجْویٰ یتشاورون و یتناجون إِذْ یَقُولُ الظّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاّ رَجُلاً مَسْحُوراً .إذ-فی الحقیقه-إنّهم لا یأتون إلیک من أجل سماع کلامک بقلوبهم و أرواحهم،بل هدفهم هو التخریب،و تصیّد الأخطاء(بزعمهم و دعواهم)حتی یحرفوا المؤمنین عن طریقهم إذا استطاعوا.و عاده یکون مثل هؤلاء الأشخاص و بمثل نوایاهم،قلوبهم موصده،و فی آذانهم وقر،لذلک لا یجالسون رجال الحق إلاّ لتحقیق أهداف شیطانیه.

الآیه الأخیره خطاب للنّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و بالرغم من أنّ عباره الآیه قصیره،إلاّ أنّها کانت قاضیه بالنسبه لهذه المجموعه حیث قالت: اُنْظُرْ کَیْفَ ضَرَبُوا لَکَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا یَسْتَطِیعُونَ سَبِیلاً .و الآیه لا تعنی أنّ الطریق غیر واضح و الحق

خـاف،بـل على أبصـارهم غشـاوه،و قلـوبهم مغلقه دون الاسـتجابه للحـق،و عقولهم معطّله عن الهـدى بسـبب الجهـل و الحقـد و التعصب و العناد.

## بحوث

### اشاره

### ۱-خلاصه عامّه للآيات

الآيـات الآنفه ترسم لنا بـدقه أحوال الضالين و الموانع التى تحول دون معرفتهم للهـدى،و بشـكل عام تقول الآيات:إنّ ثمّه ثلاثه موانع لمعرفه هؤلاء للحق،بالرغم من سهوله رؤيه طريق الحق،هذه الموانع هى:

أ-وجود الحجاب بينك و بينهم،و هـذا الحجاب فى حقيقته إن هو إلاّ أحقادهم و حسـدهم و بغضـهم و العداوه التى يضـمرونها نحوك،فهـذا الحجاب بمكوناته هو الـذى يمنعهم من النظر إلى شخصـيتك الرساليه،أو أن يـدركوا كلامك،حتى أنّ الحسـنات تتحول فى نظرهم إلى سيئات.

ب-سيطره الجهل و التقليد الأعمى على قلوبهم بحيث أنّهم غير مستعدين لسماع كلمه الحق من أى شخص كان.

ج-إنّ حواس المعرفه لـدى هؤلاء، كالأذن-مثلا-تنفر من كلام الحق، و تكون كأنّها صـمّاء،أمّا الكلام الباطل فإنّهم يتـذوقونه و يفرحـون بـه،و ينفـذ إلى أعمـاقهم بسـرعه،خـاصّه و أن التجربـه أثبتـت أنّ الإنسـان إذا لم يكن راغبـا بشـىء فسـوف لا يسـمعه بسهوله.أمّا إذا كان راغبا فيه،فإنّه سيدركه بسرعه،و هذا يدل على أنّ الإحساسات الداخليه لها تأثيرها على الحواس الظاهره،بل و تستطيع أن تطبعها بالشكل الذى تريده.

أمّا نتيجه هذه الموانع الثلاثه فهى:

أوّلا:الهروب من سـماع الحق،خاص عنـد ما يكون الحـديث عن وحدانيه الخالق،لأنّ هذه الوحدانيه تتناقض مع أصول اعتقادات المشركين.

ثانیا:اللجوء إلی توجیهات خاطئه لتبریر انحرافهم،حیث کانوا یصفون الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بتهم مختلفه کالساحر و الشاعر و المجنون.و بذلک تکون عاقبه کل أعداء الحق أنّ أعمالهم الرذیله تکون حجابا لهم دون الحق و الهدی.

و هنا ینبغی القول بأنّ من یرید أن یسلک الصراط المستقیم و أن یأمن من الانحراف یجب علیه أوّلا و قبل کل شیء إصلاح نفسه.یجب تطهیر القلب من البغض و الحسد و العناد،و تطهیر الروح من التکبر و الغرور،و بشکل عام تطهیر النفس من جمیع الصفات الرذیله،لأنّ القلب إذا تطهّر من هذه الرذائل و أصبح نظیفا نقیّا،فسوف یدرک جمیع الحقائق.لهذا السبب نری أنّ الأمیین و أصحاب القلوب النقیه یدرکون الحقائق أسرع من العالم الذی لم یقم بتهذیب نفسه.

### ۲-لماذا تنسب الحجب للخالق؟

الآیات تنسب الحجب إلی الخالق،حیث قوله تعالی: وَ جَعَلْنا عَلی قُلُوبِهِمْ أَکِنَّهً أَنْ یَفْقَهُوهُ وَ فِی آذانِهِمْ وَقْراً .کذلک هناک آیات قرآنیه أخری بنفس المضمون.و هذه التعابیر قد یستشم منها رائحه«الجبر»فی حین أنّها لم تکن سوی صدی لأعمالهم.و لکن هذه الحجب-فی الواقع-هی بسبب الذنوب و الصفات الرّذیله لنفس الإنسان،و إن هی إلّا آثار الأعمال.و نسبه هذه الأمور إلی الخالق یعود إلی أنّه سبحانه و تعالی هو الذی خلق خواص الأمور،فإنّ تلک الأعمال الرّذیله و الصفات القبیحه لها هذه الخواص.و قد تحدّثنا عن هذه الفکره فی البحوث السابقه مستفیدین من الشواهد القرآنیه الکثیره.

### ۳-ما معنی الحجاب المستور؟!

هناک آراء کثیره للمفسّرین حول الحجاب المستور،منها:

أ-(مستور)صفه للحجاب،و نستفید من ظاهر التعبیر القرآنی أنّ هذا

الحجاب مخفی عن الأنظار.و فی الواقع إنّ حجاب الحقـد و العـداوه و الحسـد لا یمکن رؤیته بالعین،لأنّها فی نفس الوقت تضـع حجابا سمیکا بین الإنسان و الشخص الذی یقوم بحسده و الحقد علیه.

ب-البعض الآخر فسّر(مستور)بمعنی«الساتر»(لأنّ اسم المفعول قد یأتی بمعنی الفاعل کما فسّر بعض المفسّرین کلمه«مسحور»فی هذه الآیات بمعنی الساحر) (۱) .

ج-القسم الثّالث من المفسّرین اعتبر(مستور)وصفا مجازیا،أی أنّه لا یعنی أنّ الحجاب مستور،بل إنّ الحقائق الموجوده خلف هذا الحجاب هی المستوره(مثل شخصیه الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم)و صدق دعوته و عظمه أحادیثه).

و عند التدقیق فی هذه التفاسیر الثّلاثه یظهر أنّ التّفسیر الأوّل یتلائم أکثر مع ظاهر الآیه.

و فی بعض الرّوایـات نقرأ أنّ أعـداء الرّسول صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم کـانوا یأتونه و هو مع أصـحابه یتلو القرآن،إلاّ أنّهم لم یکونوا یرونه،و کأن عظمه الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم تمنعهم من رؤیته و معرفته،و بذلک یکون بعیدا عن أذاهم.

### ۴-«أکنّه»و«وقر»ماذا یعنیان؟

(أکنّه)جمع«کنـان»و هی علی وزن«لسان»و فی الأصل تعنی أی غطاء یمکن أن یستر شـیئا ما،أمّا«کن»علی وزن«جن»فتعنی الوعاء الـذی یمکـن أن نحفـظ فی داخلـه شـیئا ما.أمّـا جمـع«کـن»فهـو«أکنـان»و قـد توسـع هـذا المعنی لیشــمل أی شـیء یـؤدی إلی التستّر،کالأستار و البیت و الأجسام التی یتستر الإنسان خلفها.



---

۱- ۱) -نقـل عن الأـخفش،أنّ اسم المفعول قـد یـأتی فی بعض الأحیـان بمعنی اسم الفاعـل مثـل میمون بمعنی یامن، و مشـئوم بمعنی شائم.

أمّا«وقر»على وزن«جبر»فتعنى ثقل السمع،و«وقر»على وزن«رزق» تعنى الحمل الثقيل.

### ۵-تفسير جمله بِمٰا يَسْتَمِعُونَ بِهِ

فى معنى هذه الجمله ذكر تفسيرين:

الأوّل:الذى يذهب إليه العلاّمه الطبرسى فى مجمع البيان،و الرازى فى التّفسير الكبير،إذ قالا بأنّها تعنى«غرض الاستماع»يعنى نحن نعلم الغرض من استماعهم لك،فهو ليس لسماع الحق،بل للاستهزاء و إلصاق التهم و تضليل الآخرين.

أمّا الثّانى:(كما ذهب إليه العلاّمه الطباطبائى فى تفسير الميزان)فقد اعتبرها «وسيله الاستماع»بمعنى نحن نعلم بأى مسمع و أذن يستمعون إليك،و نعلم ما فى قلوبهم و نعلم نجواهم.(و يظهر أنّ التّفسير الأوّل أقرب).

### ۶-لماذا اتهموا النّبى بأنّه مسحور؟

إنّ اتّهام النّبى العظيم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من قبل المشركين بأنّه(مسحور)لأنّهم أرادوا رميه بالجنون،و أنّ السحره أثروا على عقله و فكره بحيث أصيب فى حواسه، و أخذ يظهر ما يظهر-العياذ باللّه!! بعض المفسّرين احتملوا أن تكون كلمه(مسحور)بمعنى الساحر(لأنّه- كما أشرنا قبلا-فإنّ اسم المفعول قد يأتى فى بعض الأحيان بمعنى اسم الفاعل) و بهذا الأسلوب أرادوا إعطاء صفه السحر لكلام الرّسول حتى يحولوا دون تأثيره فى النفوس و القلوب.و هذا الاتهام بحدّ ذاته يعتبر اعترافا ضمنيا على مدى تأثير دعوه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أقواله على الناس.

### ٧-تخوّف المشركين من نداء التوحيد

فى الآيات السابقه عرفنا كيف أنّ المشركين كانوا يتخوفون من نداء التوحيد و كانوا يفرون منه،لأنّ أساس حياتهم قائم على الشرك و عباده الأصنام، و كل النظم التى كانت تحكم مجتمعاتهم كانت تقوم على أساس قواعد الشرك و أصوله.

إذن،فالتوحيد لا ينسف عقائدهم المذهبيه و حسب،بل يهدم نظامهم الاجتماعى و الاقتصادى و السياسى و الثقافى الذى يقوم على أساس الشرك.

فالحكومه مثلا ستكون بيد المستضعفين،و ستسقط حكومه المستكبرين، و سينتهى التقسيم الطبقى،و الاستغلال و غيرها من الظواهر السلبيه التى تعتبر بأجمعها نتائج للأنظمه الكافره.لذا فإنّ زعماء الشرك كانوا يحاولون-بقوه-ألّا يصل صوت التوحيد إلى آذان الآخرين،و لكنّهم-كما تشير الآيات القرآنيه-كانوا يظلمون المستضعفين و كانوا يظلمون أنفسهم أيضا،لأنّ أى ظالم و منحرف إنّما يحفر قبره بيده.

و الطّريف أن القرآن يقول:إنّ هؤلاء المشركين،و لأجل تبرير فجورهم و استمرار كفرهم كانوا يسألون دوما عن موعد يوم القيامه متى تقوم: بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسٰانُ لِيَفْجُرَ أَمٰامَهُ يَسْئَلُ أَيّٰانَ يَوْمُ الْقِيٰامَهِ (١) و هذه إشاره إلى تهربهم من تحمّل المسؤوليه.



---

١- ١) -سوره القيامه،الآيتان ۶،۵.

## الآيات [سوره الإسراء (۱۷): الآيات ۴۹ الی ۵۲]

### اشاره

وَ قالُوا أَ إِذا كُنّا عِظاماً وَ رُفاتاً أَ إِنّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً (۴۹) قُلْ كُونُوا حِجارَةً أَوْ حَدِيداً (۵۰) أَوْ خَلْقاً مِمّا يَكْبُرُ فِی صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنا قُلِ الَّذِی فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ وَ يَقُولُونَ مَتى هُوَ قُلْ عَسى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً (۵۱) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَ تَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاّ قَلِيلاً (۵۲)

### التّفسير

#### اشاره

#### حتميه البعث و يوم الحساب

الآيات السابقه تحدّثت عن التوحيد و حاربت الشرك،أمّا الآيات التی نبحثها الآن فتتحدّث عن المعاد و الذی يعتبر مكملا للتوحيد.

لقد قلنا سابقا:إنّ أهم العقائد الإسلاميه تتمثل فی الاعتقاد بالمبدأ و المعاد، و الإعتقاد بهذين الأصلين يربيّان الإنسان عمليا و أخلاقيا،و يصدّانه عن الذنوب و يدعوانه لأداء مسئولياته و يرشدانه إلی طريق التكامل.

الآيات التی نحن بصددها أجابت علی ثلاثه أسئله-أو شكوك-يثيرها

ص :۲۳

منکر و المعاد،ففی البدایه تحکی الآیات علی لسان المنکرین استفهامهم: قٰالُوا أَ إِذٰا کُنّٰا عِظٰاماً وَ رُفٰاتاً أَ إِنّٰا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِیداً (۱) .یقول هؤلاء:هل یمکن أن تجتمع هـذه العظام المتلاشیه الـداثره المتناثره فی کل مکان؟و هل یمکن أن تعاد لها الحیاه مرّه أخری؟!.ثمّ أین هـذه العظام النخره المتناثره فی کل حـدب و صوب من هـذا الإنسان الحی القوی العاقل؟ إنّ التعبیر القرآنی فی هذه الآیه الکریمه یدلل علی أنّ الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کان یبیّن فی دعوته(المعاد الجسمانی)بعد موت الإنسان،إذ لو کان الکلام عن معاد الروح فقط، لم یکن ثمّه سبب لإیراد مثل هذه الإشکالات من قبل المعارضین و المنکرین.

القرآن فی إجابته علی هؤلاء یبیّن أنّ قضیه بعث عظام الإنسان سهله و ممکنه،بل و أکثر من ذلک،فحتی لو کنتم حجاره أو حدیدا: قُلْ کُونُوا حِجٰارَهً أَوْ حَدِیداً و حتی لو کنتم أشدّ من الحجر و الحدید و أبعد منهما من الحیاه: أَوْ خَلْقاً مِمّٰا یَکْبُرُ فِی صُدُورِکُمْ فإنّ البعث سیکون مصیرکم.

من الواضح أنّ العظام بعد أن تندثر و تتلاشی تتحول إلی تراب،و التراب فیه دائما آثار الحیاه،إذ النباتات تنمو فی التربه،و الأحیاء تنمو فی التراب،و أصل خلقه الإنسان هی من التراب،و هذا کلام مختصر علی أنّ التراب هو أساس الحیاه.

أمّا الحجاره أو الحدید أو ما هو أکبر منهما تحدّی به القرآن منکری المعاد، فإنّ کل هـذه أمور بینها و بین الحیاه بون شاسع،إذ لا یمکن للنبات مثلا أن ینبت فی الحدید أو الصخور أمّا القرآن فیبیّن أن لا فرق عند الخالق جلّ و علا،من أی ماده کنتم،إذ أنّ عودتکم إلی الحیاه بعد الموت تبقی ممکنه،بل و هی المصیر الذی لا بدّ و أن تنتهون إلیه.



---

۱- ۱) -«رفات»علی وزن«کرات»و هو معنی یطلق علی کلّ شیء قدیم و متلاش.

إنّ الأحجار تتلاشى و تتحول إلى تراب،و أصل الحياه ينبع من هذا التراب.

الحديد هو الآخر يتلاشى و يتفاعل مع باقى الموجودات على الكره الأرضيه ليدخل فى أصل مادتها و فى تركيبها الترابى الذى هو أيضا أصل الحياه الذى تنبع من داخله و من مادته الموجودات الحيّه.و هكذا تحتوى جميع موجودات الكره الأرضيه بما فيها الإنسان،فى بنائها و تركيبها على خليط من الفلزات و اللافلزات.و هذا التحوّل و التغيّر فى حركه الموجودات،دليل على أنّ جميع مخلوقات عالم الوجود لها قابليه التحوّل إلى موجود حيّ باختلاف واحد يقع فى الدرجه و المرحله،إذ بعضها يكون فى مرتبه أقرب إلى الحياه مثل التراب، بينما بعضها الآخر يكون فى مرتبه أبعد مثل الحجاره و الحديد.

السؤال التشكيكى الآخر الذى يثيره منكر و المعاد هو:إذا سلّمنا بأنّ هذه العظام المندثره المتلاشيه يمكن أن تعود إلى الحياه،فمن يستطيع أن يقوم بهذا الأمر؛و من الذى له قدره القيام بهذه العمليه المعقّده للغايه؟ هذا السؤال تصوغه الآيه بالقول على لسان المنكرين: فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنٰا القرآن يجيب على هذا السؤال حيث يقول: قُلِ الَّذِی فَطَرَکُمْ أَوَّلَ مَرَّهٍ .

إذا كان شككم فى(القابليه)فقد كنتم ترابا فى أوّل الأمر،فما المانع أن تصيرون ترابا،ثمّ يعيدكم مرّه أخرى إلى الحياه من نفس التراب؟! و إذا كان شككم فى(الفاعليه)فإنّ الخالق الذى خلقكم فى البدايه من تراب يستطيع مرّه أخرى أن يكرّر هذا العمل لأنّ:«حكم الأمثال فيما يجوز و فيما لا يجوز سواء».

بعد الانتهاء من الشك الأوّل و الثّانى الذى يطلقه المنكرون للمعاد،تنتقل الآيات إلى الشك الثّالث الذى تصوغه على لسانهم بهذا السؤال: فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْکَ رُؤُسَهُمْ وَ يَقُولُونَ مَتیٰ هُوَ .

«سينغضون»مشتقّه من ماده«انغاض»بمعنى مدّ الرأس نحو الطرف المقابل

بسبب التعجّب.

ما يقصده هؤلاء من سؤالهم-فى الواقع-هو قولهم:لو اعترفنا بقدره الخالق على إعاده بعث الإنسان من التراب من جديد،فإنّ هذا يبقى مجرّد وعد لا ـ ندرى متى يتحقق،إذا كان سيحصل هذا فى آلاف أو ملايين السنين القادمه فما تأثيره فى يومنا هذا...إنّ المهم أن نتحدّث عن الحاضر لا عن المستقبل!! و يجيب القرآن بقوله: قُلْ عَسىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيباً إن يوم المعاد-طبعا- قريب،لأنّ عمر العالم و الحياه على الأرض،مهما طالت،فإنّها فى قبال الحياه الأبديه تعتبر لا شىء،إذ هى مجرّد لحظات سريعه و عابره و سرعان ما تنتهى.

إضافه إلى ذلك،فإنّ القيامه إذا كانت فى تصوراتنا المحدوده بعيده فإنّ مقدمه القيامه و التى هى الموت،تعتبر قريبه منّا جميعا،لأنّ الموت هو القيامه الصغرى(إذا مات الإنسان قامت قيامته)،صحيح أنّ الموت لا يمثل القيامه الكبرى،و لكنّه علامه عليها و مذكّر بها.

كما إنّ استخدام كلمه«عسى»فى الآيه الشريفه هو إشاره إلى أنّ لا أحد يعرف-و بدقه-متى تقوم القيامه؟حتى شخص الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و هذا الأمر هو من أسرار الكون و الخليفه التى لا يعلمها سوى اللّه تبارك و تعالى.

فى الآيه التى بعدها إشاره إلى بعض خصوصيات القيامه فى قوله تعالى:

يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ

أى إن بعثكم يكون يوم يدعوكم من القبور فتمتثلون لأمره طوعا أو كرها،و الآيه-بالطبع-تتحدث عن خصوصيه يوم القيامه لا عن موعد القيامه.

فى ذلك اليوم ستظنون أنّكم لبثتم قليلا ـ فى عالم ما بعد الموت(البرزخ)و هو قوله تعالى: وَ تَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاّ ـ قَلِيلاً إنّ هذا الإحساس سيطغى على الإنسان فى يوم القيامه،و هو يظن أنّه لم يلبث فى عالم البرزخ إلّا قليلا،بالرغم من طول الفتره التى قضاها هناك،و هذه إشاره إلى أنّ حياه البرزخ لا تعتبر فى مدتها شيئا

ص :۲۶

فى قبال عالم الخلود الاخروى.

بعض المفسّـرين يحتمل أنّ الغرض من الآيه هو الإشاره إلى حياه الإنسان فى الدنيا،و المعنى أنّ الإنسان سيدرك فى يوم القيامه أنّ الحياه الدنيويه لم تكن إلّا وقفه،أو يوم،بل و ساعات قصار سريعه الزوال فى مقابل الحياه الآخر الأبديه.

ص: ۲۷

## الآیات [سوره الإسراء (١٧): الآيات ۵۳ الى ۵۷]

### اشاره

وَ قُـلْ لِعِبٰـادِی یَقُولُوا اَلَّتِی هِیَ أَحْسَنُ إِنَّ اَلشَّیْطٰانَ یَنْزَغُ بَیْنَهُمْ إِنَّ اَلشَّیْطٰانَ کٰانَ لِلْإِنْسٰانِ عَـدُوًّا مُبِیناً (۵۳) رَبُّکُمْ أَعْلَمُ بِکُمْ إِنْ یَشَـأْ یَرْحَمْکُمْ أَوْ إِنْ یَشَـأْ یُعَـذِّبْکُمْ وَ مٰا أَرْسَـلْنٰاکَ عَلَیْهِمْ وَکِیلاً (۵۴) وَ رَبُّکَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِی اَلسَّمٰـاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ لَقَـدْ فَضَّلْنٰا بَعْضَ اَلنَّبِیِّینَ عَلیٰ بَعْضٍ وَ آتَیْنٰا دٰاوُدَ زَبُوراً (۵۵) قُـلِ اُدْعُوا اَلَّذِینَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلاٰ یَمْلِکُونَ کَشْفَ اَلضُّرِّ عَنْکُمْ وَ لاٰ تَحْوِیلاً (۵۶) أُولٰئِکَ اَلَّذِینَ یَدْعُونَ یَبْتَغُونَ إِلیٰ رَبِّهِمُ اَلْوَسِیلَهَ أَیُّهُمْ أَقْرَبُ وَ یَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَ یَخٰافُونَ عَذٰابَهُ إِنَّ عَذٰابَ رَبِّکَ کٰانَ مَحْذُوراً (۵۷)

### التّفسير

#### اشاره

#### التعامل المنطقی مع المعارضین:

الآیـات السـابقه عرضت لقضـیه المبـدأ و المعـاد،أمّـا الآیات التی نحن بصـددها فهی توضـح أسـلوب المحادثه و الاسـتدلال مع المعارضین و خصوصا المشرکین،

ص :۲۸

لأنّه مهما كان المذهب عالى المستوى،و المنطق قويا،فإنّ ذلک لا تأثير له ما دام لا يتزامن مع أسلوب صحيح للبحث و المجادله مرفقا بالمحبّه بدلا من الخشونه.

لذا فإنّ أوّل آيه من هذه المجموعه تقول: وَ قُلْ لِعِبٰادِی یَقُولُوا الَّتِی هِیَ أَحْسَنُ .

الأحسن من حيث المحتوى و البيان،و الأحسن من حيث التلازم بين الدليل و مكارم الأخلاق و الأساليب الإنسانيه،و لكن لماذا يستعمل هذا الأسلوب مع المعارضين؟ الجواب:إذا ترك الناس القول الأحسن و اتبعوا الخشونه فى الكلام و المجادله ف إِنَّ الشَّیْطٰانَ یَنْزَغُ بَیْنَهُمْ و يثير بينهم الفتنه و الفساد،فلا تنسوا: إِنَّ الشَّیْطٰانَ کٰانَ لِلْإِنْسٰانِ عَدُوًّا مُبِیناً .

أمّا من هم(العباد)المقصودون فى هذه الآيه؟ فى صدد الجواب هناک رأيان مختلفان بين المفسّرين،و كل رأى مدعم بالقرآئن التى تؤيده؛هذان الرأيان هما:

أوّلا:المقصود من(عبادى)هم عبيده المشركون،إذ بالرغم من أنّهم سلكوا طريقا خاطئا،إلاّ أنّ اللّه تبارک و تعالى يناديهم(عبادى)و ذلک من أجل إثاره عواطفهم الإنسانيه،و يدعوهم إلى(القول الأحسن)و يعنى هنا كلمه التوحيد و ترک الشرک و مراقبه أنفسهم من وسواس الشيطان،و هكذا يكون الهدف من هذه الآيات-بعد ذكر أدله التوحيد و المعاد-هو النفوذ إلى قلوب المشركين حتى يستيقظ ذوى الاستعداد منهم.

الآيات التى تلى هذه الآيه-كما سيأتى-تناسب هذا المعنى،و كون هذه السوره مكّيه يرجح هذا الرأى،إذ لم يكن الجهاد قد فرض بعد و كانت الدعوه بالمنطق و الأسلوب الحسن فقط هى المأمور بها.

ثانيا:كلمه(عبادى)خطاب للمؤمنين،حيث تعلّمهم الآيه أسلوب النقاش مع الأعداء،فقد يحدث فى بعض الأحيان أن يتعامل المؤمنون الجدد بخشونه مع

معارضـی عقیـدتهم و یقولون لهم بـأنّهم من أهل النّار و العـذاب،و أنّهم ضالون، و یعتبرون أنفسـهم من الناجین،قـد یکون هـذا الموقف سببا فی أن یقف المعارضون موقفا سلبیا إزاء دعوه الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

اضافه لذلک،فإنّ الاتهامات التی یطلقها المشـرکون ضدّ شـخص رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و یتهمونه فیها بالسحر و الجنون و الکهانه و الشعر،قد تکون سببا فی أن یفقد المؤمنون السیطره علی أنفسهم و یبدأوا بالتشاجر مع المشرکین و یستخدموا الألفـاظ الخشـنه ضـدّهم...القرآن یمنع المؤمنین من هـذا العمـل و یـدعوهـم إلی التزام اللین و التلطّف بالکلام و اختیـار أفضـل الکلمات فی أسلوب التخاطب، حتی یأمنوا من إفساد الشیطان.

کلمه(بینهم)وفقـا لهـذا الرأی توضـح أنّ الشـیطان یحاول زرع الفساد بین المؤمنین و من یخالفهم؛أو أنّه یحاول النفوذ إلی قلوب المؤمنین لإفسادها «ینزغ»مشتقه من«نزغ»و تعنی الدخول إلی عمل بنیّه الإفساد.

بملاـحظه مجمـوع هـذه القرائـن یتـبیّن لنـا أنّ التّفسـیر الثّـانی ینطبـق مـع ظـاهر الآـیه الکریمـه أکـثر مـن التّفسـیر الأـوّل،لأـنّ کلمه(عبادی)فی القرآن تستخدم عاده لمخاطبه المؤمنین،إضافه إلی أنّ سبب نزول الآیه یؤید هذا المعنی و یدعم هذا التّفسیر،إذ ینقل بعض المفسّـرین أنّ المشـرکین کانوا یؤذون أصـحاب الرّسول صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی مکّه و یضیّقون علیهم،و فی أثناء ذلک کان بعضـهم یأتی إلی رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم یسـتأذنه و یلح علیه فی مواجهه المشرکین بالمثل(علی الأقـل الرد علیهم بألفـاظ شدیـده تناسب ألفاظ المشـرکین)و البعض یطلب الإذن بالجهاد،و لکن الرّسول صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم کان یبیّن لهم بأنّه لم یؤذن له بعـد القیام بهذه الأعمال.و فی هذه الأثناء نزلت الآیات أعلاه تؤکّد بأن التکلیف ما زال یتمثل فی استمرار الدعوه بالکلام،و المجادله باللطف و بالتی هی أحسن (1) .



---

۱- ۱) -إلی هذا الرأی یذهب الشّیخ الطبرسی فی مجمع البیان،و القرطبی فی تفسیره.یراجع تفسیرهما للآیه الکریمه.

الآیه التی بعدها تضیف: رَبُّکَمْ أَعْلَمُ بِکَمْ إِنْ یَشَأْ یَرْحَمْکَمْ أَوْ إِنْ یَشَأْ یُعَذِّبْکَمْ .بناء علی الرأیین السابقین فی تفسیر من المخاطب فی تعبیر(عبادی) فإنّ هذه الآیه أیضا-و تبعا لما سبق-تحتمل تفسیرین هما:

الأوّل:أیّها المشرکون؛إنّ ربّکم ذو رحمه واسعه، و ذو عقاب الیم، و سیشملکم منهما ما یلائم أعمالکم،و لکن الأفضل أن تتوسلوا برحمته الواسعه و تحذروا عذابه.

الثّانی:لا تظنوا أیّها المؤمنون بأنّکم وحدکم الناجون،و أن غیرکم سیکون مصیره النّار،فاللّه أعلم بأعمالکم و نوایاکم،و لو أراد عزّ و جلّ لأخذکم بذنوبکم، و لو شاء لشملکم برحمته،ففکروا قلیلا فی أنفسکم و لیکن حکمکم علی أنفسکم و الآخرین بالانصاف.

و فی آخر الآیه مواساه للرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الذی کان یتأذی و یتألم من عدم إیمان المشرکین،إذ یقول تعالی: وَ مٰا أَرْسَلْنٰاکَ عَلَیْهِمْ وَکِیلاً .إنّ مسئولیتک-یا رسول اللّه-هی الإبلاغ الواضح،و الدعوه الحثیثه نحو الحق،فإذ آمنوا فهو الأفضل،أمّا إن لم یؤمنوا فسوف لن یصیبک ضرر،لأنک أنجزت مسئولیتک و قمت بواجبک.

و بالرغم من أنّ المخاطب فی الآیه هو الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،إلاّ أنّ من غیر المستبعد أن یکون هدف الخطاب جمیع المؤمنین.و هذا دلیل آخر علی التّفسیر الثّانی للمعنی من خطاب(عبادی)،إذ یقول القرآن للمؤمنین:إنّ مسئولیتکم هی الدعوه سواء آمنوا أم لم یؤمنوا.لذا لا داعی لعدم ارتیاحکم الذی قد یؤدی بکم إلی اتباع الخشونه مع غیر المؤمنین،و الخروج بالتالی عن طریق التی هی أحسن،ممّا یؤدی إلی نزغ الشیطان.

الآیه التّالیه ذهبت أکثر من الآیه السابقه فی التعبیر عن إحاطه اللّه تبارک و تعالی و علمه بأعمال و نیّات عباده،فقالت: وَ رَبُّکَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِی السَّمٰاوٰاتِ

وَ الْأَرْضِ

. ثمّ أضافت: وَ لَقَدْ فَضَّلْنٰا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلىٰ بَعْضٍ وَ آتَيْنٰا دٰاوُدَ زَبُوراً .

هذا التعبير القرآنی جواب علی أحد أسئله المشركين و شكوكهم،حيث كانوا يقولون-بأسلوب استهزائی-لماذا انتخب اللّه للنّبوه محمّد اليتيم،ثمّ ما الذی حصل حتی أصبح هذا اليتيم ليس نبيّا و حسب،و إنّما خاتم الأنبياء؟ القرآن يقول لهؤلاء:لا تعجبوا من ذلك،لأنّ اللّه عليم بقيمه كل إنسان،و هو سبحانه و تعالی ينتخب أنبياءه من بين عامّه الناس،و يفضل بعضهم علی بعض،إذ جعل أحدهم(خليل اللّه)و الآخر(كليم اللّه)و الثّالث(روح اللّه)،أمّا نبيّنا فقد انتخبه بعنوان(حبيب اللّه).و باختصار:لقد فضل اللّه بعض النّبيين علی بعض لموازين يعلمها هو و تختص بها حكمته جلّ و علا.

أمّا لماذا اختار تبارك و تعالی(داود)من بين جميع الأنبياء،و ذكر(الزبور) من دون الكتب السماويه الأخری؟...قد يكون السبب ما يلی:

أوّلا:يختص زبور داود عليه السّلام من بين جميع كتب الأنبياء بأنّ جميعه علی شكل مناجاه و دعاء،و ذكره هنا يتلائم أكثر مع موقع هذه الآيات و حديثها عن القول الحسن و الكلام الجميل.

ثانيا:فی زبور داود إخبار عن حكومه الصالحين الذين هم ظاهرا أناس فقراء و يتامی. و هذا الإخبار يتناسب مع دعوه الرّسول صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و المؤمنين الذين يكونوا عاده فی زمره الفقراء،و هو رد علی إشكال المشركين و أسئلتهم و شكوكهم (۱) .

ثالثا:بالرّغم من أنّ داود عليه السّلام كان له حكم عظيم و دوله كبيره و ملك واسع،إلاّ



---

۱- ۱) -فی كتاب مزامير داود(الزّبور)و الذی بين أيدينا الآن،نقرأ فی الزبور(۲۷):«لأنّ الشريرين سوف ينقطعون، أمّا المتوكلون علی اللّه فسيرثون الأرض،و بعد مدّه سوف لا يكون هناك شريرين،أمّا الحكماء و الصالحون فسيرثون الأرض».و فی المزمور فی الجمله(۲۲)و(۲۹)نقرأ تعابير مشابهه.و هذا ينطبق مع ما جاء فی القرآن الكريم فی الآيه(۱۰۵)من سوره الأنبياء: وَ لَقَدْ كَتَبْنٰا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهٰا عِبٰادِيَ الصّٰالِحُونَ .

أنّ اللّه سبحانه لم يجعل هذه الأمور سببا لافتخاره،بل اعتبر كتاب الزّبور فخره، حتى يدرك المشركون أنّ عظمه الإنسان،ليس لها علاقه بالمال و الثروه و وجود الحكومه و السلطه،كما أنّ اليتم و الفقر ليس مدعاه للذل أو دليلا على الحقاره.

رابعا:بعض اليهود قالوا:لا يمكن نزول كتاب سماوى آخر بعد موسى عليه السّلام، و القرآن يقول لهم:إنّنا أعطينا داود زبورا،فلما ذا تتعجبون من نزول القرآن؟ (بالطبع كتاب داود كان كتابا للأخلاق و ليس للأحكام،و لكنّه نزل من اللّه سبحانه و تعالى بعد التّوراه).

فى كل الأحوال،ليس هناك من مانع أن تكون النقاط الأربع أعلاه سببا لانتخاب داود و زبوره من بين جميع الأنبياء،و جميع الكتب السماويه.

الآيه التى تليها تستمر فى اتجاه الآيات السابقه،إذ تقول للرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن يخاطب المشركين بقوله تعالى: قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلاٰ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَ لاٰ تَحْوِيلاً .

إنّ هذه الآيه-فى الحقيقه،كما فى آيات أخرى كثيره-تبطل منطق المشركين و تضرب،صميم عقيدتهم من هذا الطريق،و هو أنّ عباده الآلهه من دون اللّه،إمّا بسبب جلب المنفعه أو دفع الضرر،فى حين أنّ الآلهه التى يعبدونها ليس لها القدره على حل مشكله معينه أو حتى تحريكها؛أى نقل المشكله من مستوى معين إلى مستوى أقل.

لذا فإنّ ذكر جمله وَ لاٰ تَحْوِيلاً بعد قوله فَلاٰ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ إشاره إلى أنّ هؤلاء ليست لهم القدره للتأثير الكامل فى حل المشاكل بشكل نهائى،و لا القدره للتأثير الناقص فى تغيير هذه المشاكل و حلّها بشكل جزئى.

«زعمتم»مأخوذه من«زعم»و هى عاده ما تعنى المعنى الناقص،لذا نقل عن ابن عباس أنّه متى ما جاءت كلمه(زعم)فى القرآن فإنّها تعنى الكذب و العقائد الباطله.

ص :۳۳

أمّا الراغب الأصفهانى فى كتاب المفردات فيقول:«الزعم حكايه قول يكون مظنّه للكذب».لذا فإنّ هذه الكلمه وردت مذمومه فى جميع الموارد التى ذكرت فى القرآن الكريم.

أمّا كلمه(كشف)ففى الأصل تعنى إبعاد الستار أو اللباس أو ما شابهه عن شى معين.و إذا استخدمت فى تعبير(كشف الضر)فتعنى إبعاد الحزن و الغم و المرض؛و السبب فى ذلک أنّ هذه الأمور تعتبر كالستار التى يغطى وجه الإنسان و جسمه،إذ تغطى الوجه الحقيقى الذى هو عباره عن السلامه و الراحه و الهدوء، لذلک فإنّ إزاله هذا الغم و الحزن يعتبر(كشفا للضر).

من الضرورى أيضا الالتفات هنا إلى ملاحظه مهمّه هى أنّ استخدام تعبير «الذين»فى هذه الآيه لا يشمل جميع المعبودات التى يشركها الإنسان مع اللّه (كالأصنام و غيرها)بل يشمل الملائكه و المسيح و أمثالهم،لأنّ(الذين)فى اللغه العربيه هى اسم إشاره يستخدم عاده للعاقل.

بعد ذلک تؤكّد الآيه التاليه على ما ذكرناه فى الآيه السّابقه،فتقول:هل تعلمون لماذا لا يستطيع الذين تدعونهم من دون اللّه أن يحلّوا مشاكلكم،أو أن يجيبوا لكم طلباتكم بدون إذن اللّه سبحانه و تعالى؟ الآيه تجيب على ذلک بأنّ هؤلاء أنفسهم يذهبون إلى بيت اللّه،و يلجأون للتقرب من الذات الإلهيه المقدّسه لقضاء حوائجهم و حل مشاكلهم و تحقيق ما يريدونه: أُولٰئِکَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَهَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَ يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَ يَخٰافُونَ عَذٰابَهُ إِنَّ عَذٰابَ رَبِّکَ كٰانَ مَحْذُوراً .

فى تفسير قوله تعالى أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لمفسرى القرآن العظيم آراء مختلفه فى ذلک،نحاول استعراضها فيما يلى:

ذهب بعض كبار مفسرى الإسلام إلى:أنّ التعبير القرآنى يشير إلى أنّ أولياء اللّه يذهبون إلى الملائكه و الأنبياء(الذين يعبدهم المشركون من دون اللّه)،أيّهم

أقرب إلى اللّه فيقربون إليه أكثر.و هؤلاء لا يملكون شيئا من عندهم،بل كل ما يملكونه هو من اللّه،و كلما يرتفعون فى المقام تزداد طاعتهم و عبوديتهم (۱) .

البعض الآخر من المفسّرين يعتقد بأنّ مفهوم التعبير القرآنى هو أنّهم يحاولون التسابق فى التقرّب من الخالق،ففى طريق طاعه اللّه و التقرب من ذاته المقدّسه اشترك هؤلاء فى مسابقه معنويه،حيث يحاول كل واحد منهم أن يتقدم على الآخر فى الميدان.

و الآيه-بعد ذلك-تقول:الذين يتصفون بهذه الصفات هل يمكن عبادتهم من دون اللّه، و هل هم مستقلون (۲) ؟ أمّا التّفسير الذى يقول:إنّهم يسلكون أى وسيله تقربهم من اللّه،فاحتماله بعيد جدّا،لأنّ ضمير(هم)فى«أيّهم»و الذى يستخدم لجمع المذكر،لا يتلائم مع هذا المعنى،بل كان يجب أن يكون«أيّها»ليستقيم الرأى و بالإضافه إلى ذلك فإنّ جمله أَيُّهُمْ أَقْرَبُ تقع على شكل مبتدأ و خبر،فى حين أنّها وفقا لهذا المعنى يجب أن تكون على شكل مفعول أو بدلا عن المفعول.

## ما هى الوسيله؟

هذه الكلمه استخدمت فى موضعين فى القرآن الكريم،الموضع الأوّل فى هذه الآيه،و الآخر فى الآيه(۳۵)من سوره المائده فى قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَهَ وَ جاهِدُوا فِى سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ .و قد قلنا هناك:إنّ(الوسيله)تعنى(التقرب)أو الشيء الذى يبعث على التقرّب(أو النتيجه التى يمكن الحصول عليها من التقرّب).



۱- ۱) -وفقا لهذا التّفسير تكون«أيّهم»بدل من ضمير«يبتغون»،أو مبتدأ لخبر محذوف،و فى التقدير تكون الآيه: أَيُّهُمْ أَقْرَبُ أيّهم أكثر دعاء و ابتغاء للوسيله.

۲- ۲) -فى هذه الحاله«أيّهم»من حيث التركيب النحوى يمكن أن تكون-فقط-بدلا من ضمير(يبتغون).

على هـذا الأساس فإنّ هناك مفهوما واسعا جـدّا لكلمه(الوسـيله)يشـمل كل عمل جميل و لائق،و تدخل فى مفهومها كل صـفه بارزه أخرى،لأنّ كل هذه الأمور تكون سببا فى التقرب من اللّه.

و نقرأ

فى الكلمـات الحكيمـه للإمـام على عليـه السّـلام فى الخطبـه(١١٠)من نهـج البلاـغه قـوله عليه السّـلام: «إنّ أفضـل مـا توسـل به المتوسـلون إلى اللّه سـبحانه و تعالى، الإيمان به و برسوله،و الجهاد فى سبيله،و أقام الصـلاه،و إيتاء الزكاه،و صوم شهر رمضان،و حج البيت و اعتماره،وصله الرحم،و صدقه السّر،و صدقه العلانيه، و صنائع المعروف فإنّها تقى مصارع الهوان» (١) .

شفاعه الأنبياء و الصالحين و المقرّبين التى تكون مقبوله فى حضـره اللّه تبارك و تعالى،كما تصـرح بذلك الآيات القرآنيه،تعتبر أيضا من وسائل التقرّب.

و ينبغى هنـا عـدم التبـاس الأمور،إذ أنّ التوسّل بالمقربين من اللّه تعالى لا يعنى أنّ الإنسان يريـد شـيئا من النّبى أو الإمام بشـكل مسـتقل،أو أنّهم يقومون بحل مشاكله بشكل مستقل عن اللّه،بل الهدف هو أن يضع الإنسان نفسه فى خطّهم و يطبق برامجهم،ثمّ يطلب من اللّه بحقهم،حتى يعطى اللّه إذن الشفاعه لهم.(لمزيد من التفاصيل يراجع التّفسير الأمثل،الآيه(٣٥:من سوره المائده).



---

١- ١) -ملخص من الخطبه(١١٠)من نهج البلاغه.و قد شرحنا هذه الخطبه فى تفسيرنا هذا،ذيل الآيه(١٣)من سوره المائده.

## الآيات [سوره الإسراء (۱۷): الآيات ۵۸ الی ۶۰]

### اشاره

وَ إِنْ مِنْ قَرْيَهٍ إِلاّ نَحْنُ مُهْلِكُوها قَبْلَ يَوْمِ اَلْقِيامَهِ أَوْ مُعَذِّبُوها عَذاباً شَدِيداً كانَ ذٰلِكَ فِي اَلْكِتابِ مَسْطُوراً (۵۸) وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلاّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا اَلْأَوَّلُونَ وَ آتَيْنا ثَمُودَ اَلنّاقَهَ مُبْصِرَهً فَظَلَمُوا بِها وَ ما نُرْسِلُ بِالْآياتِ إِلاّ تَخْوِيفاً (۵۹) وَ إِذْ قُلْنا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنّاسِ وَ ما جَعَلْنَا اَلرُّؤْيَا اَلَّتِي أَرَيْناكَ إِلاّ فِتْنَهً لِلنّاسِ وَ اَلشَّجَرَهَ اَلْمَلْعُونَهَ فِي اَلْقُرْآنِ وَ نُخَوِّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ إِلاّ طُغْياناً كَبِيراً (۶۰)

### التّفسير

بعد أنّ تحدثت الآيات السابقه مع المشركين فی قضايا التوحيد و المعاد، تبدأ أوّل آيه من هذه الآيات بكلام على شكل نصيحه لتوعيتهم،حيث تجسّم هذه الآيه النهائيه الفانيه لهذه الدنيا أمام عقولهم حتى يعرفوا أنّ هذه الدنيا دار زوال و أنّ البقاء الأبدی فی مكان آخر،لذلك ما عليهم إلاّ تهيئه أنفسهم لمواجهه نتائج أعمالهم،حيث تقول الآيه: وَ إِنْ مِنْ قَرْيَهٍ إِلاّ نَحْنُ مُهْلِكُوها قَبْلَ يَوْمِ

الْقِیٰامَهِ أَوْ مُعَذِّبُوهٰا عَذٰاباً شَدِیداً

.

فالطغاه و الظالمون نبیدهم بواسطه العذاب،أمّا الآخرون فیهلکون بالموت أو الحوادث الطبیعیه.

و أخیرا،فإنّ هذه الدنیا زائله و الکل یسلک طریق الفناء کٰانَ ذٰلِکَ فِی الْکِتٰابِ مَسْطُوراً .و الکتاب هنا هو نفس اللوح المحفوظ و هو العلم اللامتناهی للخالق جلا و علا،و مجموعه القوانین الإلهیه التی لا یمکن التخلّف عنها فی عالم الوجود هذا.

و نظرا لهذا القانون الحتمی الذی لا یمکن تغییره یجب علی المشرکین و الظالمین و المنحرفین-من الآن-أن یحاسبوا أنفسهم لأنّهم حتی لو بقوا أحیاء حتی نهایه هذه الدنیا، فإنّ عاقبتهم ستکون الفناء ثمّ الحساب و الجزاء.

و هنا قد یقول المشرکون:نحن لا مانع لدینا من الإیمان و لکن بشرط أن یقوم الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بجمیع المعجزات التی نقترحها علیه،أی أن یستسلم لحججنا.

القرآن یجیب أمثال هؤلاء بقوله تعالی: وَ مٰا مَنَعَنٰا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآیٰاتِ إِلاّٰ أَنْ کَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ .

الآیه تشیر إلی أنّ اللّه تبارک أرسل معجزات کثیره و کافیه لدلاله علی صدق الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،أمّا ما تقترحونه من معجزات فهی غیر مقبوله،لأنّکم بعد وقوعها و مشاهدتها سوف لا تؤمنون،بدلیل أنّ الأمم السابقه و التی کانت أوضاعها و حالاتها مماثله لأوضاعکم و حالاتکم،اقترحت نفس الاقتراحات ثمّ لم تؤمن بعد ذلک.

تشیر الآیه بعد ذلک إلی نموذج واضح لهذه الحاله فتقول: وَ آتَیْنٰا ثَمُودَ النّٰاقَهَ مُبْصِرَهً لقد طلب قوم صالح الناقه فأخرجها اللّه لهم من الجبل،و أجیبت بذلک المعجزه التی طلبوها،و قد کانت معجزه واضحه و موضّحه! و لکن بالرغم من کل ذلک فَظَلَمُوا بِهٰا .

و عاده فإنّه ليس من مقتضيات البرنامج الإلهى أن يستجيب لأى معجزه يقترحها إنسان،أو أن ينصاع إلى تنفيذها الرّسول،و لكن الهدف هو: وَ مٰا نُرْسِلُ بِالْآيٰاتِ إِلاّٰ تَخْوِيفاً . إنّ أنبياء اللّه ليسوا أفرادا خارقى العاده حتى يجلسوا و ينفذوا أىّ اقتراح يقترح عليهم و إنّما مسئوليتهم إبلاغ دعوه اللّه و التعليم و التربيه و إقامه الحكومه العادله،إلاّ أنّهم يظهرون المعجزات من أجل إثبات علاقتهم بالخالق جلّ و علا،و بالقدر الذى يناسب هذا الإثبات ليس أكثر.

ثمّ يواسى اللّه تبارك و تعالى نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى مقابل عناد المشركين و إلحاحهم بالباطل،إذ يبيّن له أن ليس هذا بالشىء الجديد: وَ إِذْ قُلْنٰا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحٰاطَ بِالنّٰاسِ .ففى قبال دعوه الأنبياء عليهم السّلام هناك دائما مجموعه مؤمنه نظيفه القلب نقيه السريره،صافيه الفطره،فى مقابل مجموعه أخرى معانده مكابره لجوجه تتحجج و تجد لنفسها المعاذير فى معاداه الدعوات و إيذاء الأنبياء.و هكذا يتشابه الحال بين الأمس و اليوم.

ثمّ يضيف تعالى: وَ مٰا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنٰاكَ إِلاّٰ فِتْنَةً لِلنّٰاسِ و امتحانا لهم،و كذلك الشجره الملعونه هى أيضا امتحان و فتنه للناس: وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ .

فيما يخص المقصود من(الرؤيا)و(الشجره الملعونه)فسنبحث ذلك فى مجموعه الملاحظات التى ستأتى بعد قليل إن شاء اللّه.

و فى الختام يأتى قوله تعالى: وَ نُخَوِّفُهُمْ فَمٰا يَزِيدُهُمْ إِلاّٰ طُغْيٰاناً كَبِيراً .

لماذا؟لأنّه ما دام قلب الإنسان غير مستعد لقبول الحق و التسليم له،فإنّ الكلام ليس لا يؤثر فيه و حسب،بل إنّ له آثارا معكوسه،حيث يزيد فى ضلال هؤلاء و عنادهم بسبب تعصبهم و مقاومتهم السلبيه و انغلاق نفوسهم عن الحق.(تأمّل ذلك).

## بحوث

### اشاره

### ۱-رؤيا النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الشّجره الملعونه

كثر الكلام بين المفسّرين عن المقصود بالرؤيا و نجمل هذه الأقوال بما يلى:

أ:بعض المفسّرين قالوا:إنّ هذه الرؤيا لا تعنى رؤيا المنام،بل تعنى المشاهده الحيّه الحقيقيه للعين،و يعتبرونها(أى الرؤيا)إشاره إلى قصّه المعراج التى ورد ذكرها فى بدايه هذه السوره.

فالقرآن و وفقا لهذا التّفسير يقول:إنّ حادثه المعراج هى بمثابه اختبار للناس،لأنّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما إن شرع بذكر قصّه المعراج و الإخبار عنها،حتى ارتفعت أصوات الناس،بآراء مختلفه حولها،فالأعداء استهزؤا بها،و ضعيفو الإيمان نظروا إليها بشىء من التردّد و الشك،أمّا المؤمنون الحقيقيون فقد صدّقوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيما أخبر،و اعتقدوا بالمعراج بشكل كامل،لأنّ مثل هذه الأمور تعتبر بسيطه فى مقابل القدره المطلقه للخالق جلّ و علا.

الملاحظه الوحيده التى يمكن درجها على هذا التّفسير،هى أنّ الرؤيا عاده ما تطلق على رؤيا المنام،لا الرؤيا فى اليقظه.

ب:نقل عن ابن عباس،أنّ المقصود بالرؤيا،هى الرؤيا التى رآها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى السنّه السّادسه من الهجره المباركه(أى عام الحديبيه)فى المدينه،و بشرّ بها الناس أنّهم سينتصرون على قريش قريبا و سيدخلون المسجد الحرام آمنين.

و من المعلوم أنّ هذه الرؤيا لم تتحقق فى تلك السنه،بل تحققت بعد سنتين أى فى عام فتح مكّه.و هذا المقدار من التأخير جعل أصحاب الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقعون فى بوتقه الاختبار،إذ أصيب ضعيفو الإيمان بالشك و الريبه من رؤيا الرّسول و قوله،فى حين أنّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بيّن لهم-بصراحه-بأنّنى لم أقل لكم

بأنّنا سنذهب إلى مكّه هذا العام،بل فى المستقبل القريب.(و هذا ما حصل بالفعل).

الاعتراض الذى يمكن أن يرد على هذا التّفسير،هو أنّ سوره بنى إسرائيل من السور المكّيه،بينما حادثه الحديبيه وقعت فى العام السّادس للهجره المباركه!! ج:مجموعه من المفسّرين الشيعه و السنه،نقلوا أنّ هذه الرؤيا إشاره للحادثه المعروفه و التى رأى فيها النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى المنام أن عددا من القرود تصعد منبره و تنزل منه(تنزو على منبره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم)،و قد حزن صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كثيرا لهذا الأمر بحيث لم ير ضاحكا من بعدها إلاّ قليلا(و قد تمّ تفسير هذه القرود التى تنزو على منبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ببنى أميه الذين جلسوا مكان النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الواحد تلو الآخر،يقلّد بعضهم بعضا،و كانوا ممسوخى الشخصيه،و قد جلبوا الفساد للحكومه الإسلاميه،و خلافه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم).

و نقل هذه الرّوايه(الفخر الرازى)فى التّفسير الكبير،و(القرطبى)فى تفسيره الجامع و(الطبرسى)فى مجمع البيان،و غيرهم.

و يقول الفيض الكاشانى فى تفسير الصافى،بأنّ هذه الرّوايه من الرّوايات المعروفه فى أوساط العامّه و الخاصّه.

ثمه إشاره نلاحظ فيها،إنّ التفاسير الثلاثه هذه فى«الرؤيا»من الممكن أن تشترك جميعا فى تفسير الآيه،و لكن التّفسير الثّانى كما أشرنا-لا ينطبق مع مكّيه السوره.و بالنسبه للمقصود من الشجره الملعونه فقد واجهتنا أيضا مجموعه من التفاسير التى يمكن أن نجمل القول بها فى الآراء الآتيه:

أ:الشجره الملعونه التى ورد ذكرها فى القرآن هى(شجره الزقوم)و هى الشّجره التى تنمو فى الجحيم طبقا للآيه(۶۴)من سوره الصافات فى قوله تعالى إِنَّهٰا شَجَرَهٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ و لهذه الشجره طعم مج و مؤذ،و ثمارها طعام

للمذنبين طبقا للآيات ۴۳-۴۶ من سوره الدخان إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ، طَعَامُ الْأَثِيمِ، كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ، كَغَلْيِ الْحَمِيمِ و طعامها ليس كطعام الدنيا بل يشبه المعدن المذاب بالحراره و الذى يغلى فى الأحشاء.و سيرد تفسيرها بشكل كامل فى تفسير الآيات من سوره الدخان إن شاء اللّه.

إنّ شجره الزقوم-بدون شك-لا تشبه أشجار الدنيا أبدا،و لهذا السبب فإنّها تنمو فى النار،و طبيعى أنّنا لا ندرك هذه الأمور المتعلقه بالعالم الآخر إلاّ على شكل أشباح و تصورات ذهنيه.

لقد استهزأ المشركون بهذه التعابير و الأوصاف القرآنيه بسبب من جهلهم و عدم معرفتهم و عنادهم،فأبو جهل-مثلا-كان يقول:إنّ محمّدا يهددكم بنار تحرق الأحجار،ثمّ يقول بعد ذلك بأنّ فى النار أشجارا تنمو! و ينقل عن أبى جهل-أيضا-أنّه كان يهيئ التمر و السمن و يأكل منه ثمّ يقول لأصحابه:كلوا من هذا فإنّه الزقوم.(نقلا عن روح المعانى فى تفسير الآيه).

لهذا السبب فإنّ القرآن يعتبر الشجره الملعونه فى الآيات التى نبحثها،وسيله لاختبار الناس،إذ كان المشركون يستهزئون بها،بينما استيقنها المؤمنون الحقيقيون الذين كانوا يؤمنون بها.

و يمكن أن يطرح على هذا التّفسير السؤال الآتى:إنّ شجره الزقوم لم تطرح فى القرآن بعنوان الشجره المعلونه؟ فى الإجابه على ذلك نقول:يمكن أن يكون المقصود هو اللعن آكليها.

بالإضافه إلى ذلك إنّه ما من شيء بعد رحمه اللّه سوى اللعن،و طبيعى جدا أنّ مثل هذه الشجره بعيده جدّا عن رحمه اللّه.

ب:الشجره الملعونه،هم اليهود البغاه،إذ أنّهم يشبهون الشجره ذات الفروع و الأوراق الكثيره،و لكنّهم مطرودون من مقام الرحمه الإلهيه.

ج:جاء فى الكثير من تفاسير الشيعه و السنه أنّ الشجره الملعونه هم بنو

أميه.

ينقل الفخر الرازی فی تفسیره روایه فی هذا المجال عن ابن عباس الذی أدرک الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و اشتهر فی التاریخ الإسلامی بکونه مفسرا للقرآن الکریم.

هذا التّفسیر یتلاءم من جهه مع الرّوایه التی ذکرناها أعلاه بخصوص رؤیا الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و هو أیضا یتلاءم مع الحدیث المنقول عن عائشه و التی التفتت فیه إلی مروان و قالت له:«لعن اللّه أباک و أنت فی صلبه،فأنت بعض من لعنه اللّه» . (1)

و لکن مرّه أخری یطرح هذا السؤال:فی أی مکان من القرآن تمّ لعن بنی أمیه باعتبارهم الشجره الخبیثه؟ فی الجواب نقول:لقد تمّ ذلک فی الآیه(26)من سوره إبراهیم عند الحدیث عن الشجره الخبیثه وَ مَثَلُ کَلِمَهٍ خَبِیثَهٍ کَشَجَرَهٍ خَبِیثَهٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مٰا لَهٰا مِنْ قَرٰارٍ .و ذلک للمفهوم الواسع للشجره الخبیثه،و لما ورد من روایات فی تفسیرها بأنّ المقصود منها هم بنو أمیّه،ثمّ إنّ(الخبیثه)تقترن من حیث المعنی ب(الملعونه) (2) .

و جدیر بالذکر هنا،أنّ الکثیر من هذه التّفاسیر أو کلّها لا تتعارض فیما بینها، و من الممکن أن تکون(الشجره الملعونه)فی القرآن إشاره إلی أی مجموعه منافقه و خبیثه و مطروده من رحمه اللّه تعالی و مقام الربوبیه،خصوصا تلک المجامیع مثل بنی أمیه و الیهود قساه القلب،و المعاندین و کل الذین یسیرون علی خطاهم.و شجره الزقوم فی القیامه تمثل الأشجار الخبیثه فی العالم الآخر،و کل هذه الأشجار الخبیثه(المجامیع المعنیه)هی لاختبار و تمحیص المؤمنین الصادقین فی الحیاه الدنیا.

إنّ الیهود الذین سیطروا الیوم-زورا و غصبا-علی المقدسات الإسلامیه



---

1- 1) -تفسیر القرطبی،المجلد السّادس،ص 3902؛و تفسیر الفخر الرازی،المجلد 20،ص 237.

2- 2) -یراجع تفسیر نور الثقلین،المجلد الثانی،ص 538.

و الذين يشعلون نار الفتنه و الحرب فی كل زاويه من زوايا العالم،و يفتعلون العديد من الجرائم و المظالم بحق الشعوب، إضافه إلى المنافقين الذين يتعاملون معهم تعاملا سياسيا و غير سياسی،و كذلك كل المتسلطين الذين يسيرون على خطى بنی أميه فی البلاد الإسلاميه،و يقفون ضدّ الإسلام،و يبعدون المخلصين و المؤمنين من حركه المجتمع،و يقومون بتسليط المجرمين و الخبثاء على رقاب الناس،و يقتلون أهل الحق و المجاهدين،و يفتحون المجال لبقايا الجاهليه فی استلام الأمور و التحكّم بالمقدرات...إنّ هؤلاء جميعا هم فروع و أغصان و أوراق هذه الشجره الخبيثه المعلونه،و هم علامات اختبار و مواقع امتحان للمؤمنين و لعامّه الناس فی هذه الحياه الدنيا.

## ٢-أعذار منكری الإعجاز

إنّ بعض الجهله و الغافلين فی عصرنا الحاضر،يقولون:إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم تكن لديه من معجزه سوى القرآن الكريم،و يقدمون مختلف الحجج من أجل إثبات أقوالهم و دعاواهم،و ممّا يحتجون به قوله تعالى: وَ مٰا مَنَعَنٰا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيٰاتِ إِلاّٰ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ حيث يعتبرونها دليلا على أنّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم يأت بمعجزه،بخلاف باقی الأنبياء السابقين.

و لكن العجيب فی أمر هؤلاء أنّهم التزموا بأوّل الآيه و تركوا آخرها،حيث تقول نهايه الآيه وَ مٰا نُرْسِلُ بِالْآيٰاتِ إِلاّٰ تَخْوِيفاً هذا التعبير القرآنی يوضح أنّ المعجزات تقع على نوعين:

القسم الأوّل:المعجزات التی لها ضروره لإثبات صدق دعوه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تشوق المؤمنين،و تخوّف المنكرين للنّبوه.

القسم الثّانی:المعجزات التی لها جانب اقتراحی،أی إنّها تصدر من اقتراحات المعاندين و تنطلق من أمزجه ذوی الأعذار،و فی تأريخ الأنبياء

نماذج عديده لهذه المعجزات،التی وقع بعضها فعلا-إلاّ- أنّ المنكرين و الذين سبق لهم اقتراح هذه المعجزات كشرط لإيمانهم،بقوا على إنكارهم و لم يؤمنوا بعد وقوع المعجزه،لذلك أصيبوا بالبلاء و العذاب الإلهی.(لأنّه وقعت المعجزه المقترحه و لم يؤمن بها من اقترحها و طلبها فإنّه سيستحق العقاب الإلهی السريع).

بناء على ذلك،فما نشاهده فی الآيه أعلاه و التی تخص الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنّما هی نفی للنوع الثّانی من المعجزات،و ليس للنوع الأوّل،الذی يعتبر ملازما للنّبوه و ضروريا لها.

صحيح أنّ القرآن يعتبر لوحده معجزه خالده،و يمكنه لوحده اثبات دعوى الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم(إذا لم تكن معه معجزه أخرى)،و لكن-بدون شك-فإنّ القرآن يعتبر معجزه معنويه،و هو أفضل شاهد بالنسبه لأهل الفكر،و لكن لا يمكن إنكار أهميه أن تكون مع هذه المعجزه،معجزات ماديه محسوسه بالنسبه للأفراد العاديين و عموم الناس،خاصّه و أن القرآن يتحدث مرارا عن مثل هذه المعجزات التی وقعت للأنبياء السابقين،و هذا الحديث يعتبر-بحدّ ذاته-سببا فی أن يطالب الناس رسول الإسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بتقديم المعجزات التی تقع على منوال معجزات الأنبياء السابقين،خصوصا و أنّ الناس كانوا يقولون لرسول الإسلام:كيف تدعی بأنّك أفضل الأنبياء و خاتمهم و لا تستطيع أن تقدّم لنا أصغر معجزه من معجزاتهم.(!!!)؟ إنّ أفضل جواب لهذا التساؤل هو مجیء رسول الإسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بنماذج من معجزات الأنبياء السابقين،و التواريخ الإسلاميه المتواتره تؤكّد بأنّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد جاء بمثل هذه المعجزات.

ففی القرآن تواجهنا نماذج لهذه المعجزات،مثل التنبؤ بحوادث مختلفه،أو نصره الملائكه لجيش الإسلام على الأعداء،و أمور خارقه أخرى لا سيما ما كان يقع فی الحروب الإسلاميه.

### ۳-ما العلاقه بین المنکرین سابقا و المنکرین لا حقا؟

قد یطرح أحیانا هذا السؤال حیث یبیّن القرآن-فی الآیات أعلاه-أنّ السابقین اقترحوا معجزات معیّنه ثمّ لم یؤمنوا بعد وقوعها،بل استمروا فی تکذیبهم و إنکارهم و عنادهم،لذا فقد أصبح هذا سببا لعدم إجابه مقترحاتکم.

و السؤال هنا:هل أنّ تکذیب السابقین یکون سببا لحرمان الأجیال اللاحقه، أی کیف یؤخذ هؤلاء بجریره أولئک؟ الجواب علی هذا السؤال واضح من خلال ما ذکرناه أعلاه،حیث یسود هذا التعبیر و یروج فی أوساطنا،إذ نقول-مثلا-لأحدهم:لا نستطیع أن نسلّم بحججک،فإذا سأل الطرف الآخر:لماذا؟فإنّنا نقول له:إنّ هناک سوابق کثیره لهذا العمل،فهناک من قدّم اقتراحات إلاّ أنّهم لم یستسلموا للحق لما جاءهم،لذا فإنّ وضعکم و ظروفکم تشابه أولئک.إضافه لذلک،فإنّکم توافقون أولئک الأقوام علی أسالیبهم،بل و تدعمونها،و أثبتم عملیا أنّکم لا ترغبون فی البحث عن الحق و الحقیقه،بل إنّ هدفکم هو مجرّد العناد و التحجج و البقاء فی طور المعاذیر،ثمّ تتبعون ذلک کلّه بالعناد و المکابره و الإنکار،لذا فإنّ الرضوخ إلی مقترحاتکم و إجابتها لا معنی له.

فهؤلاء القوم-مثلا-عند ما أخبرهم الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بأنّ أهل النّار یأکلون من شجره تسمّی(زقوم)و تخرج فی أصل الجحیم و لها أوصاف معینه،بدأوا بالسخریه و الاستهزاء-کما ذکرنا سابقا-فالبعض منهم کان یقول:إنّ الزقوم هو التمر و السمن،و بعض کان یقول:کیف تنمو الأشجار فی الجحیم المستعر من الحجاره؟فی حین أن المعنی واضح و لا یحتاج إلی مثل هذه المکابره و العناد،إذ أنّ الشجره المقصوده لا تشبه أشجار هذه الدنیا.

## الآيات [سوره الإسراء (۱۷): الآيات ۶۱ الی ۶۵]

### اشاره

وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِکَهِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِیسَ قالَ أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِیناً (۶۱) قالَ أَ رَأَیْتَکَ هذَا الَّذِی کَرَّمْتَ عَلَیَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلی یَوْمِ الْقِیامَهِ لَأَحْتَنِکَنَّ ذُرِّیَّتَهُ إِلاّ قَلِیلاً (۶۲) قالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَکَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزاؤُکُمْ جَزاءً مَوْفُوراً (۶۳) وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِکَ وَ أَجْلِبْ عَلَیْهِمْ بِخَیْلِکَ وَ رَجِلِکَ وَ شارِکْهُمْ فِی الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ وَ عِدْهُمْ وَ ما یَعِدُهُمُ الشَّیْطانُ إِلاّ غُرُوراً (۶۴) إِنَّ عِبادِی لَیْسَ لَکَ عَلَیْهِمْ سُلْطانٌ وَ کَفی بِرَبِّکَ وَکِیلاً (۶۵)

### التّفسیر

### اشاره

### مکر إبلیس:

هذه الآیات تشیر إلی قضیه امتناع إبلیس عن إطاعه أمر اللّه فی السجود لآدم علیه السّلام،و العاقبه السیئه التی انتهی إلیها.

إنّ طرح هذه القضیه بعد ما ذکر عن المشرکین المعاندین هو إشاره-فی

الواقع-إلى أنّ الشيطان يعتبر نموذجا كاملا للاستكبار و الكفر و العصيان.ثمّ انظروا إلى أين وصلت عاقبته،لذا فإنّ من يتبعه سيصير إلى نفس العاقبه.

إضافه إلى ذلك،فإنّ إصرار الضالين عميان القلوب على مخالفه الحق، لا يعتبر مدعاه للعجب و الدهشه،لأنّ الشيطان استطاع-وفقا لما يستفاد من هذه الآيات-أن يغويهم بواسطه عدّه طرق،و فى الواقع حقق فيهم قولته لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاّ عِبادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ .

الآيه تقول: وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِکَهِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ .لقد قلنا سابقا فى نهايه الآيات الخاصّه بخلق آدم عليه السّلام:إنّ هذه السجده التى أمر اللّه تعالى بها هى فى الحقيقه نوع من الخضوع و التواضع بسبب عظمه خلق آدم عليه السّلام و تميزه عن سائر الموجودات،أو هى سجود للخالق جلّ و علا فى قبال خلقه لهذا المخلوق المتميز.

و قلنا هناک أيضا:إنّ إبليس و برغم ذکره هنا-استثناء-مع الملائکه،إلاّ أنّه- بشهاده القرآن-لم يکن من الملائکه،بل کان مخلوقا ماديا و من الجن،و قد أصبح فى صف الملائکه بسبب عبادته للّه.

على کل حال،فقد سيطر الکبر و الغرور على إبليس و تحکّمت الأنانيه فى عقله،ظنا منه بأنّ التراب و الطين اللذان يعتبران مصدرا لکل الخيرات و منبعا للحياه أقل شأنا و أهميه عن النّار،لذا اعترض على الخالق جلّ و علا و قال: قالَ أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً .

و لکنّه عند ما طرد-إلى الأبد-من حضره الساحه الإلهيه بسبب استکباره و طغيانه فى مقابل أمر اللّه له،قال: قالَ أَ رَأَيْتَکَ هذَا الَّذِي کَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلى يَوْمِ الْقِيامَهِ لَأَحْتَنِکَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاّ قَلِيلاً . (۱)



---

۱- ۱) -ذهب المفسّرين إلى إنّ حرف الکاف فى کلمه(أ رأيتک)زائد،أو هو حرف للخطاب و قد جاء للتأکيد،و جمله

«أحتنكن»مشتقّه من«احتناک»و هی تعنی قطع جذور شیء ما،لذا فعند ما یأکل الجراد المزروعات تقول العرب:احتنک الجراد الزرع،لذا فإنّ هذا القول یشیر إلی أن إبلیس سیحرف کل بنی آدم عن طریق اللّه و طاعته،إلاّ القلیل منهم.

و یحتمل أن تکون کلمه(احتنکن)مشتقه من(حنک)و هی المنطقه التی تحت البلعوم،فعند ما یوضع الحبل فی رقبه الحیوان تقول العرب(احتنک الدابه)،و فی الواقع،فإنّ الشیطان یرید أن یقول بأنّه سیضع حبل الوسوسه فی أعناق الناس و یجرهم إلی طریق الغوایه و الضلال.

و هکذا کان،فقد أعطی الشیطان إمکانیه البقاء و الفعالیه حتی یتحقق الاختبار للجمیع،و یکون وجوده سببا لتمحیص و اختبار المؤمنین الحقیقیین لأنّ الإنسان یشتدّ عزمه عند ما تهاجمه الحوادث و یقوی عوده فی مواجهه الأعداء، لذلک قالت الآیه: قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَکَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزٰاؤُکُمْ جَزٰاءً مَوْفُوراً . و بهذه الوسیله للاختبار ینکشف الفاشل من الناجح فی الامتحان الإلهی الکبیر.

ثمّ ذکرت الآیات بعد ذلک-بأسلوب جمیل-الطرق التی ینفذ منها الشیطان و الأسالیب التی یستخدمها فی الوسوسه و الإغواء فقالت:

وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِکَ...

وَ أَجْلِبْ عَلَیْهِمْ بِخَیْلِکَ وَ رَجِلِکَ...

وَ شٰارِکْهُمْ فِی الْأَمْوٰالِ وَ الْأَوْلاٰدِ..

وَ عِدْهُمْ...

ثمّ یجیء التحذیر الإلهی: وَ مٰا یَعِدُهُمُ الشَّیْطٰانُ إِلاّٰ غُرُوراً...

(۱)

(أ رأیتک)بمعنی(أخبرنی)جوابها محذوف و تقدیرها(أخبرنی عن هذا الذی کرمته علیّ،لم کرمته علیّ و قد خلقتنی من نار؟).و لکن هناک احتمال آخر،و هو أنّ(أ رأیت)هی فی نفس معناها الأصلی و لا یوجد محذوف فی الجمله،و بشکل عام تعطی هذا المعنی:هل لاحظت هذا الموجود الذی فضلته علیّ،فإذا أبقیتنی علی قید الحیاه ستری بأنّی سأضل أکثر أبنائه.(احتمال الثّانی أوفق فی ترکیب الآیه و معناها).

ثمّ اعلم أيّها الشيطان: إِنَّ عِبٰادِی لَیْسَ لَکَ عَلَیْهِمْ سُلْطٰانٌ... وَ کَفیٰ بِرَبِّکَ وَکِیلاً .

## بحوث

### اشاره

#### ۱-فی معانی الکلمات

«استفزز»مشتقه من«استفزاز»و هی تعنی الإثاره؛الإثاره السریعه و العادیه،و لکنّ الکلمه فی الأصل تعنی قطع شیء ما،فالعرب تقول«تفزّز الثوب»إذا تقطّع أو انفصلت منه قطعه.

و استعمال هذه الکلمه هنا للدلاله علی تحریک الشخص و إثارته لینقطع عن الحق یتوجه نحو الباطل.

«اجلب»مأخوذ من«إجلاب»و فی الأصل من«جلبه»و هی تعنی الصرخه الشدیده،و الإجلاب تعنی الطرد مع الأصوات و الصرخات.و أمّا النهی عن «الجلب»الوارد فی الرّوایات فهو إمّا أن یعنی أنّ الذی یذهب إلی المزارع لجمع الزکاه یجب علیه أن لا یصیح و یصرخ بحیث یخیف الأحیاء،أو أنّه یعنی أنّ علی المتسابقین عند سباق الخیل أن لا یصرخوا فی وجوه الخیل الأخری لتکون لهم الأسبقیه.

«خیل»لها معنیان،فهی تعنی«الخیول»و أیضا تعنی(الخیاله)،أمّا فی هذه الآیه فقد وردت للتدلیل علی المعنی الثّانی.

أمّا«رجل»فهی تعنی معکوس(الخیاله)أی(جیش الرجّاله و المشاه)و بهذا یتکون جیش الشیطان من(الخیاله و الرجّاله)من جنسه أو من غیر جنسه،و هذا یعنی أنّ البعض یتأثر بسرعه بغوایه الشیطان و یصبح من أعوانه و مساعدیه

فهؤلاء كالخيّاله.أمّا البعض الآخر فيتأثر ببطء و على مهل كالمشاه و الرجّاله (۱) !

## ۲-وسائل الشيطان المختلفه فی الوسوسه و الإغواء

بالرغم من أنّ المخاطب فی الآیات أعلاه هو الشیطان،و أنّ اللّه جلّ جلاله یتوعده و یقول له:افعل کل ما تریده فی سبیل غوایه الناس،و استخدم کل طرقک فی ذلک،إلاّ أنّ هذا الوعید-فی الواقع-هو تهدید و تنبیه لنا نحن بنی الإنسان حتی نعرف الطرق التی ینفذ منها الشیطان و الوسائل التی یستخدمها فی وساوسه و إغوائه.

الطریف فی الأمر أنّ الآیات القرآنیه أعلاه تشیر إلی أربعه طرق و أسالیب مهمّه و أساسیه من أسالیب الشیطان،و تقول للإنسان:علیک بمراقبه نفسک من خلال الجوانب الأربعه هذه:

أ:البرامج التبلیغیه التی تجد دلالتها فی التعبیر القرآنی وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِکَ حیث اعتبر بعض المفسّرین أنّها تعنی-فقط-أنغام الموسیقی الشهوانیه المثیره،و الأغانی المبتذله،و لکن هذا المعنی یتسع حتی یشمل جمیع البرامج الدعائیه التی تقود للانحراف و التی تستخدم-عاده- الأجهزه الصوتیه و السمعیه.

لهذا فإنّ أوّل برامج الشیطان هو الاستفاده من هذه الأجهزه.هذه القضیه تتوضح فی زماننا هذا أکثر،لأنّ عالمنا الیوم هو عالم الأمواج الرادیویه،و عالم الدعایه و التبلیغ الواسع،سواء کان علی الصعید السمعی أو البصری.حیث أنّ الشیاطین و أحزابهم فی الشرق و الغرب یعتمدون علی هذه الأجهزه و یخصصون قسما کبیرا من میزانیتهم للصرف فی هذا الطریق حتی یستعمروا عبید اللّه، و یحرفوهم عن طریق الحق و الاستقلال،و یزیغوا بهم عن طریق الهدایه و الإیمان

ص: ۵۱

---

۱- ۱) -فی معانی المفردات تراجع مفردات الراغب،و مجمع البیان.

و التقوى،و يجعلون منهم عبيدا تابعين لا حول لهم و لا قوه.

ب:الاستفاده من القوه العسكريه:و هذا لا يخص زماننا حيث أنّ الشياطين يستخدمون القوّه العسكريه لأجل الحصول على مناطق للنفوذ.إنّ الأداه العسكريه تعتبر أداه خطره لكل الظالمين و المستكبرين فى العالم.فهؤلاء و فى لحظه واحده يصرخون فى قواتهم العسكريه و يرسلونها إلى المناطق التى تحاول الحصول على حريتها و استقلالها و تسعى إلى الاعتماد بقوات على قدراتها الخاصّه.

و فى عصرنا الحاضر نرى أنّهم نظّموا ما يسمونه بقوات(التدخل السريع) و الذى هو نفس مفهوم(الإجلاب)القرآنى،و هذا يعنى أنّهم جعلوا جزءا من قواتهم العسكريه على شكل قوات خاصّه كى يستطيعوا إرسالها فى أسرع وقت إلى أى منطقه من مناطق العالم تتعرض فيها مصالحهم غير المشروعه للخطر، لكى يقضوا بواسطه هذه القوات على أى حركه تطالب بالحق و تنادى بالاستقلال.

و قبل أن تصل القوات السريعه الخاصّه هذه،يكون هؤلاء قد هيأوا الأرضيه بواسطه جواسيسهم الماهرين،و الذين هم فى الواقع كنايه عن جيش المشاه (الرجّاله).

إنّ هؤلاء فى مخططاتهم هذه قد غفلوا عن أنّ اللّه سبحانه و تعالى قد وعد أولياءه الحقيقيين-فى نفس هذه الآيات-بأنّ الشيطان و جيشه لا يستطيع أن يسيطر عليهم.

ج:البرامج الاقتصاديه ذات الظاهر الإنسانى:من أساليب الشيطان الأخرى المؤثره فى النفوذ و الغوايه،هى المشاركه فى الأموال و الأنفس،و هنا نرى أيضا:

أنّ بعض المفسّرين يخصص هذه المشاركه ب(الربا).أمّا المشاركه فى الأولاد فيحصر معناها ب«الأولاد غير الشرعين» (۱) .

ص:۵۲

---

۱ – ۱) -وردت روايات متعدّده فى أنّ مشاركه الشيطان فى الأولاد تعنى الأبناء غير الشرعيين،أو المنعقده نطفتهم من مال حرام،أو انعقاد النطفه فى لحظه غفله الوالدين عن الخالق،و لكن-كما قلنا مرّات-إنّ هذه التفاسير تبيّن جانبا من المصداق الواضح و هى ليست دليلا على حصر المعنى.(راجع تفسير نور الثقلين،المجلد الثّالث،صفحه ۱۸۴).

فی حین أنّ هـاتین الکلمتین لهمـا معـانی أوسع،إذ تشـمل جمیع الأـموال المستحصـله عن طریق الحرام،و الأبناء غیر الشـرعیین و غیرهم.فمثلا فی زماننا الحاضـر نشاهـد أنّ الشـیاطین المسـتکبرین یقترحون دائما اسـتثمار و تأسیس الشـرکات،و إیجاد مختلف المصانع و المصالح الاقتصادیه فی الدول الضـعیفه، و تحت غطاء هذه الشـرکات تتم مختلف أشکال النشاطات الخطره و الضارّه بالبلد المستضعف،حیث یرسل الشیاطین جواسیسهم تحت عنوان خبراء فنیین أو مستشارین اقتصادیین أو مهندسین تقنیین،و یقوم هؤلاـء جمیعـا بامتصـاص خیرات البلـد الـذین هم فیه بـأبرع الحیـل و أظرفهـا،و یقفـون حائلاـ بین البلـد و بین تحقیقه لاسـتقلاله الاقتصادی علی بنیه اقتصادیه تحتیه حقیقیه.

و عن طریق تأسـیس المدارس و الجامعات و المکتبات و المستشـفیات و المراکز السـیاحیه،فإنّهم یشارکون هذه الدول الضـعیفه فی أبنائها حیث یحاولون أن یسـتمیلوا هؤلاء نحوهم،و أحیانا عن طریق توفیر(المنح الدراسیه)لشباب، فإنّهم یقومون(بجلبهم)نحو ثقافتهم و یشارکونهم فی أفکارهم،و ما یترتب علی ذلک من فساد العقیده.

و من الأسـالیب الرائجه و المخربه لهؤلاـء الشـیاطین إیجـاد مراکز الفسـاد تحت غطاء الفنادق العالمیه و إیجاد المناطق الترفیهیه و دور السـینما و الافلام المبتـذله و أمثال ذلک،حیث لا تکون هـذه الوسائل أدوات لترویج الفحشاء و زیاده أولاد الزنا فحسب،بل تؤدی إلی انحراف جیـل الشـباب و تمیّعهم و تغرّبهم،و تصـنع منهم أشـخاصا فاقـدین للإراده.و کلما أمعنا النظر فی دسائسـهم و مکرهم تکشفت لنا الأخطار الکبیره الکامنه فی هذه الوساوس الشیطانیه.

د:برامج التخریب النفسی:من البرامج الأخری التی یتبعها الشیاطین،

ص :۵۳

الاستفاده من الوعود و الأمنيات الكاذبه التی يطلقونها بمختلف الحيل،فهؤلاء الشياطين يعدّون مجموعه ماهره و متمكنه من علماء النفس لغوايه الناس البسطاء منهم و الأذكياء،كلا بما يناسب وضعه،ففی بعض الأحيان يصورون لهم حالهم بأنّهم سيصبحون قريبا من الدول المتمدنه و الكبيره،أو أنّ شبابهم لا مثيل له،و يستطيع الشباب فی بلدانهم أن يصل من خلال إتباعه برامجهم إلی أوج العظمه،و هكذا فی بلدانهم يغرقوهم فی هذه الخيالات الواهيه التی تتلخّص فی جمله وَ عِدْهُمْ .

فی أحيان أخری يسلك الشياطين طريقا معكوسه،إذ يصوّرون للبلد بأنّه لا يستطيع مطلقا مواجهه القوی الكبری،و أنّهم متأخرون عن هذه القوی بمائه عام أو أكثر،و بهذا الأسلوب تزرع المبررات النفسيه لاستمرار التخلف و عدم انطلاق جهود البلد الضعيف نحو العمل و البناء الحقيقی.

بالطبع هذه القصّه لها بدايات بعيده،و طرق نفوذ الشيطان فيها لا تنحصر بواحد أو اثنتين.

و لكنّ(عباد اللّه)الحقيقيين و المخلصين،و بالاتكاء علی الوعد القرآنی القاطع بالنصر،و الذی تضمنته هذه الآيات،سيقومون بمحاربه الشياطين و لا يسمحون بالتردد يساور أنفسهم،و هم يعلمون-برغم الأصوات الكثيره للشياطين-أنّهم سينتصرون،و إنّهم بصبرهم و صمودهم و بإيمانهم و توكلهم علی اللّه سوف يفشلون الخطط الشيطانيه،و ذلك قوله تعالی: وَ كَفیٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً .

۳-أمّا لماذا خلق اللّه الشيطان؟فقد بحثنا ذلك فی الآيه(۳۹)من سوره البقره.و فيما يخص وساوس الشيطان و أشكالها و لبوساتها،و معنی الشيطان فی القرآن،فقد بحثنا كل ذلك فی ذيل الآيه(۱۳)من سوره الأعراف.و الآيه(۳۹) من سوره البقره من هذا التّفسير.

## الآیات [سوره الإسراء (١٧): الآیات ۶۶ الی ۶۹]

### اشاره

رَبُّکُمُ اَلَّذِی یُزْجِی لَکُمُ اَلْفُلْکَ فِی اَلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ کٰانَ بِکُمْ رَحِیماً (۶۶) وَ إِذٰا مَسَّکُمُ اَلضُّرُّ فِی اَلْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاّٰ إِیّٰاهُ فَلَمّٰا نَجّٰاکُمْ إِلَی اَلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَ کٰانَ اَلْإِنْسٰانُ کَفُوراً (۶۷) أَ فَأَمِنْتُمْ أَنْ یَخْسِفَ بِکُمْ جٰانِبَ اَلْبَرِّ أَوْ یُرْسِلَ عَلَیْکُمْ حٰاصِباً ثُمَّ لاٰ تَجِدُوا لَکُمْ وَکِیلاً (۶۸) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ یُعِیدَکُمْ فِیهِ تٰارَهً أُخْریٰ فَیُرْسِلَ عَلَیْکُمْ قٰاصِفاً مِنَ اَلرِّیحِ فَیُغْرِقَکُمْ بِمٰا کَفَرْتُمْ ثُمَّ لاٰ تَجِدُوا لَکُمْ عَلَیْنٰا بِهِ تَبِیعاً (۶۹)

### التّفسیر

### اشاره

### لماذا الکفران مع کلّ هذه النعم؟

هذه الآیات تابعت البحوث السابقه فی مجال التوحید و محاربه الشرک، و دخلت فی البحث من خلال طریقین مختلفین،هما:طریق الاستدلال و البرهان،و طریق الوجدان و مخاطبه الإنسان من الداخل.

ففی البدایه تشیر الآیه إلی التوحید الاستدلالی فتقول: رَبُّکُمُ الَّذِی یُزْجِی

لَكُمُ الْفُلْكَ فِی الْبَحْرِ

.

طبعا هناک أنظمه لأجل حرکه الفلک فی البحار،فمن جانب ینبغی وجود الماء بشکل یصلح لمسیر السفن،و من جانب آخر لا بدّ من توفر بعض الأشیاء التی تکون أخف من الماء کی یمکن لها أن تطفو علی سطحه،و إذا کانت أثقل فیمکن صناعتها بشکل بحیث تکون أخف من الماء و تستطیع أن تتحمّل وزن الأحمال الثقیله و الأعداد الکثیره من البشر.و من جانب ثالث یلزم وجود القوّه المحرّکه و الّتی کان الهواء یمثلها فی السابق،حیث کان البحّاره یستفیدون من حرکه التیارات الهوائیه فوق المحیطات و البحار لتحدید أوقات و سرعه و اتجاه السفن،و الیوم یستفاد من طاقه البخار و أشکال الطاقه الأخری فی حرکه السفن.

من جانب آخر ینبغی وجود أسلوب لتحدید الطرق،و هذا الأسلوب کان سابقا یعتمد علی الشمس و النجوم فی السماء،أمّا الیوم فإنّ السفن تستفید من البوصلات و الخرائط و الإحداثیات الدقیقه.علی أی حال،إذا لم تتوافر هذه الشروط الأربعه و لم یکن ثمّه تنسیق بینها فإنّ حرکه السفن تصبح أمرا مستحیلا،و لا یکون الإنسان قادرا علی الاستفاده من هذه الوسیله المهمّه.

تعلمون-طبعا-بأنّ السفن تعتبر أضخم وسیله لحمل الإنسان،و الیوم فإنّ هناک من السفن العملاقه ما یکون بعضها بمساحه مدینه صغیره.

ثمّ یضیف تعالی: لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ .حتی تساعدکم فی أسفارکم و نقل أموالکم و تجارتکم و تعینکم فی کل ما یخص أمور دنیاکم و دینکم.أمّا لماذا؟ فلأنّ اللّه تبارک و تعالی إِنَّهُ کٰانَ بِکُمْ رَحِیماً .

من هذا التوحید الاستدلالی و الذی یعکس جانبا صغیرا من نظام الخلق، و علم و قدره و حکمه الخالق جلّ و علا،تنتقل الآیه إلی أسلوب الاستدلال الفطری فتقول:لا تنسوا وَ إِذٰا مَسَّکُمُ الضُّرُّ فِی الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاّٰ إِیّٰاهُ .

أن یضل أی شیء من دون اللّه،لأنّ ضرر البحر إذا وقع،کالطوفان و غیره

یذهب بکل الحواجز و أستار التقلید و التعصّب اللاصقه علی صفاء الفطره الإنسانیه،لینکشف نور الفطره الذی هو نور التوحید و الإیمان و العبودیه للّه دون غیره.

نعم فی هذه اللحظات،فی لحظات الضرّ ینقطع الإنسان عن جمیع المعبودات التصوریه و الوهمیه و الخیالیه التی سبق و أن أعطاها قوّه بسبب أوهامه،و تمحی من ذهنه فاعلیتها و وجودها و تتلاشی و تذوب تماما کما یذوب الجلید فی شمس الصیف و لا یبقی حین ذاک سوی نور الأنوار...نور اللّه جلّ جلاله.

إنّ الآیه تعبّر عن قانون عام،عرفه کلّ من جرّب ذلک،حیث تؤدی المشاکل و الصعوبات الحاده التی یمرّ بها الإنسان-و یصل السکین العظم-إلی الغاء کل الأسباب الظاهریه التی کان یتعلق بها الإنسان،و تنعدم فاعلیه العلل المادیه التی کان یتشبث بها،و تنقطع کل الأسباب،إلاّ السبب الذی یصل الإنسان بمصدر العلم و القدره المطلقتین،و الذی هو-لوحده سبحانه و تعالی-قادر علی حال أعقد المشکلات...لیس مهمّا هنا ما الذی نسمّی فیه هذه الحاله،و إنّما المهم أنّ نعلم أن قلب الإنسان فی هذه الحاله ینفتح علی الأمل بالخلاص،و تغمر القلب بنور خاص لطیف.و هذه المنعطفات هی واحده من أقرب الطرق إلی اللّه،إنّها طریق ینبع من داخل الروح و من سویداء القلب. (۱)

ثمّ تضیف الآیه: فَلَمّٰا نَجّٰاکُمْ إِلَی الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَ کٰانَ الْإِنْسٰانُ کَفُوراً .

مرّه أخری تغطی حجب الغرور و الغفله و التعصب هذا النور الإلهی،و یغطی غبار العصیان و الذنوب و ملاهی الحیاه المادیه فطره الإنسان و وجدانه.

و لکن هل تظنون أنّ اللّه لا یستطیع أن ینزل بکم عقابه الشدید و أنتم علی

ص :57

۱- ۱) طالع الشّرح الکامل للتوحید الفطری فی کتاب(خالق العالم)،و لا حظه أیضا فی نهایه الآیه(۱۴)من سوره النحل حیث أشرنا إلی هذه المسأله.

الیابسه و فی قلب الحصاری و البراری؟ لذلک تقول الآیه أ فَأَمِنْتُمْ أَنْ یَخْسِفَ بِکَمْ جانِبَ الْبَرِّ ثمّ أضافت: أَوْ یُرْسِلَ عَلَیْکَمْ حاصِباً ثُمَّ لاٰ تَجِدُوا لَکُمْ وَکِیلاً ،حیث تغشیکم عاصفه محمّله بالحصی و الحجاره و تدفنکم تحتها و لا تجدون من ینقذکم منها(و فی ذلک من العذاب ما هو أشدّ من الغرق فی البحر).

إنّ المتجولین فی الصحاری و أهل البوادی یدرکون أکثر من غیرهم رهبه هذا التهدید الرّبانی و الوعید القرآنی،إذ یعرفون کیف تؤدی ثوره الکثبان الرملیه فی الصحراء إلی دفع الرمال و الأحجار إلی غیر مواقعها لتشکّل تلالا تدفن فی ثنایاها و بطونها قوافل الجمال و من علیها.

بعد ذلک تضیف الآیه مذکّره أمثال هؤلاء بأنّکم هل تظنون أنّ هذه هی المرّه الأخیره التی تحتاجون فیها إلی السفر فی البحر: أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ یُعِیدَکُمْ فِیهِ تٰارَهً أُخْریٰ فَیُرْسِلَ عَلَیْکُمْ قٰاصِفاً مِنَ الرِّیحِ فَیُغْرِقَکُمْ بِمٰا کَفَرْتُمْ ثُمَّ لاٰ تَجِدُوا لَکُمْ عَلَیْنٰا بِهِ تَبِیعاً ،أی لا أحد حینئذ یطالب بدمکم و یثأر لکم منّا.

## بحوث

## اشاره

### ۱-الشّخصیه المتقلّبه

إنّ الکثیر من الناس لا یذکرون اللّه إلاّ عند بروز المشاکل.و ینسونه فی الرخاء،إنّ نسیان اللّه فی حیاه هؤلاء هو القاعده و الأصل،أی أنّه صار طبیعه، ثانیه لهؤلاء،لذا فإنّ ذکر اللّه بالنسبه لهؤلاء و الالتفات إلی وقائع الحیاه الحقّه تعتبر حاله استثنائیه فی وجودهم،تحتاج فی حضورها إلی عوامل إضافیه،فما دامت هذه العوامل الإضافیه موجوده فهم یذکرون اللّه،أمّا إذا زالت فسوف یرجعون إلی طبیعتهم المنحرفه و ینسون اللّه.

و الخلاصه،أنّنا لا نجد من الناس بصوره عامّه من لا يلجأ إلى اللّه و لا يخضع له عند ما تضغطه المشاكل الحادّه و الصعبه،و لكن ينبغى أن نعرف أن الوعى و ذكر اللّه تعالى فى مثل هذه الظروف فى مثل هذه و الذى نستطيع أن نصفه بالوعى الإجبارى،هو وعى عديم الفائده.

إنّ المؤمنين و المسلمين الحقيقيين،يذكرون اللّه فى الراحه و البلاء و السلامه و المرض و الفقر و الغنى،فى السجن و على كرسى الحكم،و فى أى وضع كان.إنّ تغيير الأوضاع و تبدّل الحالات لا يغيّر هؤلاء.إنّ أرواحهم كبيره بحيث تستوعب كل هذه الأمور،مثلهم فى ذلك على بن أبى طالب عليه السّلام،حيث كانت عبادته و زهده و متابعته لأمور الفقراء لا تختلف عند وجوده فى السلطه،أو عند ما كان جليس بيته.

أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام-يقول فى وصف المتقين: «نزلت أنفسهم منهم فى البلاء كالتى نزلت فى الرخاء» (1).

و خلاصه القول:إنّ الإيمان و الارتباط باللّه و عبادته و التوسل به و التوبه إليه و التسليم له سبحانه و تعالى،كل هذه الأمور تكون مهمّه و ثمينه و ذات أثر عند ما تكون دائميه و ثابته،أمّا الإيمان الموسمى و التوبه و العبادات الموسميه،و التى تفرضها حالات خاصّه يمرّ بها الإنسان و يبغى من خلالها جلب بعض المنافع له، فليس لها أثر و لا قيمه.و الآيات القرآنيه توبخ أمثال هؤلاء الأشخاص دائما.

### ۲-لا يمكن الهروب من حكومه اللّه

البعض يتوجه إلى اللّه(مثل عبده الأصنام فى الجاهليه)عند ما يكون فى وسط البحر أو عند ما يكون على هاويه السقوط و الخطر أو فى حال مرض



---

۱- ۱) نهج البلاغه،الخطبه رقم ۱۹۳.

شدید،فی حین أنّنا إذا فكّرنا بشكل صحیح نری أنّ الإنسان معرض للخطر و الضرر فی كل الأزمنه و الحالات و الأوقات،فالبحر و البر و الصحراء و المرض و الهاویه و غیرها،هی فی الواقع متساویه الخطوره.إنّ هزه أرضیه واحده یمكنها أن تدمّر بیتنا الآمن الهادیء،و إنّ تخثرا بسیطا فی الدم یمكنه أن یغلق مسیر الدم فی الشریان الأبهر فیؤثر علی القلب أو علی الدماغ فتحدث السكته القلبیه أو الدماغیه،و بعد ثانیه واحده یكون الموت هو المصیر المحتوم.مع وجود كل هذه الأمور نعلم أنّ الغفله عن اللّه تعالی كم هی مجانبه للصواب!! قد یقوم هنا أنصار نظریه تعلیل الإیمان-و الدین بشكل عام-علی أساس الخوف،بتبریر هذه الحاله بقولهم:طالما أنّ الخوف فی الإنسان غریزی و فطری، فإنّ خوفه من العوامل الطبیعیه یجعل الإنسان یتوجه نحو الخالق.و مثل هذه الحالات و الأوضاع التی تحدثت عنها الآیات تدعم هذا التصوّر و تعضده.

الآیات القرآنیه أجابت علی هذه الأوهام،إذ أبانت أنّ القرآن لم یجعل-أبدا -معرفه الخالق قائمه علی هذه الأمور،بل إنّ الأساس هو قراءه فی نظام الكون و الوجود و معرفه اللّه تعالی من خلال هذا الخلق.و حتی فی الآیات أعلاه نری أنّها ذكرت أوّلا الإیمان الاستدلالی قبل ذكر التوحید و الإیمان الفطری،و فی الواقع فإنّها تعتبر هذه الحوادث بمثابه تذكیر بالخالق لا من أجل معرفته،إذ أن معرفته لطلاب الحق تتوضح من خلال أسلوب الاستدلال و عن طریق الفطره.

**ثالثا:معانی الكلمات**

«یزجی»مأخوذه من«إزجاء»و هی تعنی تحریک شیء ما بشكل مستمر.

«حاصب»تعنی الهواء الذی یحرّک معه الأحجار الصغیره ثمّ تضرب الواحده بعد الأخری مكانا معینا،و هی مشتقّه أصلا من(حصباء)التی تعنی الأحجار

ص:۶۰

الصغیره(الحصی).

«قاصف»بمعنی المحطّم،و هی هنا تشیر إلی العاصفه الشدیده التی تقلع کل شیء من مکانه.

«تبیع»بمعنی تابع،و هی تشیر هنا إلی الشخص الذی ینهض للمطالبه بالدم، و ثمن الدم و الثأر و یستمر فی ذلک.

## الآيات [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٧٠ الى ٧٢]

### اشاره

وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بَنِی آدَمَ وَ حَمَلْناهُمْ فِی اَلْبَرِّ وَ اَلْبَحْرِ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ اَلطَّیِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلی کَثِیرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِیلاً (٧٠) یَوْمَ نَدْعُوا کُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوتِیَ کِتابَهُ بِیَمِینِهِ فَأُولٰئِکَ یَقْرَؤُنَ کِتابَهُمْ وَ لاٰ یُظْلَمُونَ فَتِیلاً (٧١) وَ مَنْ کٰانَ فِی هٰذِهِ أَعْمیٰ فَهُوَ فِی اَلْآخِرَهِ أَعْمیٰ وَ أَضَلُّ سَبِیلاً (٧٢)

### التّفسیر

### اشاره

### الإنسان سیّد الموجودات:

إنّ واحده من أبرز طرق الهدایه و التربیه،هی التنویه بشخصیه الإنسان و مکانته و مواهبه،لذا فإنّ القرآن الکریم و بعد بحوثه عن المشرکین و المنحرفین فی الآیات السابقه، یقوم هنا بتبیان الشخصیه الممتازه للإنسان و المواهب التی منحها إیّاها ربّ العالمین،لکی لا یلوّث الإنسان جوهره الثمین،و لا یبیع نفسه بثمن بخس،حیث یقول تعالی وَ لَقَدْ کَرَّمْنا بَنِی آدَمَ .

ثمّ تشیر الآیات القرآنیه إلی ثلاثه أقسام من المواهب الإلهیه التی حباها اللّه لبنی البشر،هذه المواهب هی أوّلا: وَ حَمَلْناهُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ

ثمّ قوله تعالى: وَ رَزَقْنٰاهُمْ مِنَ الطَّيِّبٰاتِ و مع الالتفات إلى سعه مفهوم (الطيب)الذى يشمل كل موجود طيب و طاهر تتّضح عظمه و شموليه هذه النعمه الإلهيه الكبيره.

أمّا القسم الثّالث من المواهب فينص عليه قوله تعالى: وَ فَضَّلْنٰاهُمْ عَلىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنٰا تَفْضِيلاً .

### بحوث

### اشاره

### أوّلا:وسيله النقل أوّل نعمه للإنسان

الملاحظه التى تلفت النظر هنا،هى:لماذا اختار اللّه قضيه الحركه على اليابسه و فى البحار،و أشار إليها أوّلا-من بين جميع المواهب الأخرى التى وهبها للإنسان؟ قد يكون ذلك بسبب أنّ الاستفاده من الطيبات و أنواع الأرزاق لا-يحدث بدون الحركه،حيث أنّ حركه الإنسان على سطح الكره الأرضيه تحتاج إلى وسيله نقل،إذ أنّ الحركه هى مقدمه لأى بركه.

أو أنّ السبب قد يكون لإظهار سلطه الإنسان على الكره الأرضيه الواسعه بما فى ذلك البحار و الصحارى.إذ أنّ لكل نوع من أنواع الموجودات سلطه على جزء محدود من الأرض،أمّا الإنسان فإنّه يحكم الكره الأرضيه ببحارها و صحاريها و هوائها.

### ثانيا،تكريم الإنسان من قبل الخالق

بأى شىء كرّم اللّه الإنسان؟الآيه تقول بشكل مجمل وَ لَقَدْ كَرَّمْنٰا بَنِى آدَمَ .

بين المفسّرين كلام كثير عن مصداق هذا التكريم،فالبعض يعز و السبب لقوّه

ص:۶۳

العقـل و المنطق و الاسـتعدادات المختلفه و حريه الإراده.أمّا البعض الآخر فيعز و ذلک إلی الجسم المتزن و الجسـد العمودی،و البعض يربط ذلک بالأصابع التی يستطيع الإنسان القيام بواسطتها بمختلف الأعمال الدقيقه،و أيضا تمنحه القدره علی الکتابه.

و البعض يعتقد أنّ التکريم يعود إلی أنّ الإنسان هو الکائن الوحيد الذی يأکل طعامه بيده.

و هناک من يقول:إنّ السبب يعود إلی سلطه الإنسان علی جميع الکائنات الأرضيه.

و هناک من المفسّرين من يعزو التکريم إلی قدره الإنسان علی معرفه اللّه، و القدره أيضا علی إطاعه أوامره.

لکن من الواضـح أنّ جميع هذه المواهب موجوده فی الإنسان و لا يوجد تضاد بينها،لذا فإنّ تکريم الخالق لهذا المخلوق الکريم يتجلّی من خلال جميع هذه المواهب و غيرها.

خلاصه القول:إنّ الإنسان له امتيازات کثيره علی باقی المخلوقات،و هـذه الامتيازات الواحـده منها أعظم من الأخری،فمضافا إلی الامتيازات الجسـميه، فإنّ روح الإنسان لها مجموعه واسـعه من الاسـتعدادات و القـدرات الکبيره التی توهله لطی مسـيره التکامل بشکل غير محدود.

### ثالثا:الفرق بين(کرّمنا)و(فضّلنا)

هنـاک آراء کـثيره حول التفـاوت بين(کرّمنـا)و(فضّـلنا)فـالبعض يقول:إنّ (کرّمنـا)هی إشـاره إلی المواهب التی أعطاهـا اللّه ذاتا للإنسان،بينما(فضّلنا) إشاره إلی الفضائل التی اکتسبها الإنسان بسبب توفيق اللّه.

هناک احتمال قوی بأنّ(کرّمنا)إشاره إلی الجوانب الماديه،أمّا(فضّلنا)فهی

إشاره إلى المواهب المعنويه،لأنّ كلمه(فضّلنا)غالبا ما تأتى فى القرآن بهذا المعنى.

### رابعا:ما معنى كلمه(كثير)فى الآيه؟

بعض المفسّرين يعتبرون الآيه الآنفه دليلا على أفضليه الملائكه على بنى الإنسان،فالقرآن يقول بأنّ الإنسان مفضّل على أكثر المخلوقات،و تبقى مجموعه لا يكون الإنسان أفضل منها،و هذه المجموعه ليست سوى الملائكه.

و لكن بملاحظه آيات خلق آدم و سجود الملائكه و تعليمهم(الأسماء)من قبل آدم،لا يبقى شك فى أنّ الإنسان أفضل من الملائكه.

لذا فإنّ كلمه(كثير)تعنى هنا(جميع).و كما يقول المفسّر الكبير الشّيخ الطبرسى فى مجمع البيان،فإنّ استخدام كلمه(كثير)بمعنى(جميع)يعتبر عاديا و واردا فى القرآن الكريم و فى لغه العرب.

و هكذا يكون معنى الجمله حسب تفسير الطبرسى لها هو:«إنّا فضلناهم على من خلقناهم،و هم كثير».

فالقرآن يقول عن الشياطين فى الآيه(٢٢٣)من سوره الشعراء: وَ أَكْثَرُهُمْ كٰاذِبُونَ بينما من البديهى أنّ كل الشياطين كاذبين و ليس أكثرهم،و إنّما استخدمت الآيه(كثير)بمعنى(الجميع).

على أي حال،إذا اعتبرنا المعنى خلافا للظاهر،فإنّ آيات خلق الإنسان ستكون قرينه واضحه لذلك.

### خامسا:لماذا كان الإنسان أفضل المخلوقات؟

لا يعد الجواب على هذا السؤال معقدا،إذ أنّنا نعلم أنّ الإنسان هو الكائن الوحيد الذى يتكون من قوى مختلفه،ماديه و معنويه،جسميه و روحيه، و ينمو

وسط المتضادات،و له استعدادات غير محدوده للتكامل و التقدّم.

و هناك حديث معروف للإمام على عليه السّلام و هو شاهد على ما نقول،إذ

يقول فيه عليه السّلام: «إنّ اللّه عزّ و جلّ ركّب فى الملائكه عقلا بلا شهوه،و ركّب فى البهائم شهوه بلا عقل،و ركّب فى بنى آدم كلتيهما،فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكه، و من غلبت شهوته عقله فهو شرّ من البهائم» (۱) .

و هنا يبقى سؤال واحد:هل أنّ جميع البشر أفضل من الملائكه،فى حين يوجد بين البشر الكفار و المجرمون و الظالمون،و هؤلاء يعتبرون من أسوأ خلق اللّه...بعباره أخرى:هل أنّ كلمه(بنى آدم)فى الآيه تنطبق على جميع البشر أم على قسم منهم؟ يمكن تلخيص الإجابه على هذا السؤال فى جمله واحده هى:نعم جميع البشر أفضل،و لكن بالقوه و الاستعداد،يعنى أنّ الجميع يملك الأرضيه ليكون أفضل،و لكنّهم إذا لم يستفيدوا من هذه الأرضيه و القابليه المودعه فيهم،و سقطوا فى الهاويه،فإنّ ذلك يكون بسببهم و يعود عليهم فقط.

و بالرغم من أنّ أفضليه الإنسان هى فى المجالات المعنويه و الإنسانيه، و لكن بعض العلماء ذكر أنّ الإنسان قد يكون أقوى من سائر الإحياء حتى من جهه القوّه الجسميه بالرغم من أنّه يعتبر ضعيفا فى مناحى أخرى.

«الكسيس كاريل»مؤلف كتاب(الإنسان ذلك المجهول)يقول فى كتابه واصفا قدرات الإنسان:«انّ جسم الإنسان من المتانه و الإحكام و الدّقه بحيث أنّه يقاوم كل أشكال التعب و العقبات التى يتعرض لها الوجود الإنسانى من قلّه غذاء،و سهر و تعب،و هموم زائده،و أشكال المرض و الألم و المعاناه،و هو فى ثباته و مقاومته للأشكال الآنفه يبدى استعدادا استثنائيا يبعث على الحيره و العجب،حتى أنّنا نستطيع أن نقول:إنّ الوجود الإنسانى فى تكوينه الروحى



۱- ۱) نور الثقلين،المجلد الثّالث،صفحه ۱۸۸.

و الجسدی هو أثبت الموجودات من ذوی الأرواح و أكثرها نشاطا و استعدادا فی مضمار الفاعلیه الفكریه و الجسدیه التی یتضمّنها و التی أدّت إلی تشیید المدنیه الراهنه بكل مظاهرها» (۱) .

الآیه التی بعدها تشیر إلی موهبه أخری من المواهب الإلهیه التی حباها اللّه للإنسان،و رتّبت علیه المسؤولیات الثقیله بسبب هذه المواهب.

ففی البدایه تشیر الآیه إلی قضیه القیاده و دورها فی مستقبل البشر فتقول:

یَوْمَ نَدْعُوا کُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ

یعنی أنّ الذین اعتقدوا بقیاده الأنبیاء و أوصیائهم و من ینوب عنهم فی كل زمان و عصر،سوف یكونون مع قادتهم و یحشرون معهم،أمّا الذین انتخبوا الشیطان و أئمّه الضلال و الظالمین و المستكبرین قاده لهم،فإنّهم سیكونون معهم و یحشرون معهم.

خلاصه القول:إنّ الارتباط بین القیاده و الأتباع فی هذا العالم سوف ینعكس بشكل كامل فی العالم الآخر،و طبقا لهذا الأمر سیتم تحدید الفرق الناجیه، و الأخری التی تستحق العذاب.

بالرغم من أنّ بعض المفسّرین قد حصر كلمه(إمام)ب(الأنبیاء)و البعض الآخر حصرها بمعنی(الكتب السماویه)و البعض الثّالث ب(العلماء)،إلاّ أنّ من الواضع أنّ كلمه(إمام)فی هذا المكان لها معنی أوسع،و تشمل أیه قیاده سواء تمثّلت بالأنبیاء أو أئمّه الهدی أو العلماء أو الكتاب و السنه.و یدخل فی معنی الكلمه أیضا أئمّه الكفر و الضلال،و بهذا الترتیب فإنّ كل إنسان سیسلك فی الاخره مسار القائد الذی انتخبه لنفسه فی الدنیا اماما و قائدا.

هذا التعبیر و الإشاره إلی دور الإمامه و كونها من أسباب تكامل الإنسان، یعتبر فی نفس الوقت تحذیرا لكل البشریه كی تدقق فی انتخاب القیاده، و لا تعطی أزمّه وجودها الفكری و الحیاتی بید أی شخص كان.

ص :۶۷

---

۱- ۱) -الإنسان ذلک المجهول،الكسیس كارل،ص ۷۳-۷۴.

ثمّ تقسم الآیه الناس یوم القیامه إلی قسمین: فَمَنْ أُوتِیَ کِتٰابَهُ بِیَمِینِهِ فَأُولٰئِکَ یَقْرَؤُنَ کِتٰابَهُمْ وَ لاٰ یُظْلَمُونَ فَتِیلًا (۱) . أمّا القسم الآخر فهو:من کان فی الدنیا أعمی القلب: وَ مَنْ کٰانَ فِی هٰذِهِ أَعْمیٰ فَهُوَ فِی الْآخِرَهِ أَعْمیٰ .و طبیعی أن یکون هؤلاء العمیان القلب أضل من جمیع المخلوقات وَ أَضَلُّ سَبِیلًا فهؤلاء لا یوفقون فی هذه الدنیا لسلوک طریق الهدایه،و لا هم فی الآخره من أصحاب الجنّه و السعاده،لأنّهم أغمضوا عیونهم عن جمیع الحقائق و حرّموا أنفسهم من رؤیه الحق و آیات اللّه و کل ما یؤدی إلی هدایتهم،و یقود إلی خلاصهم من المواهب العظیمه التی أعطاهم اللّه إیّاها،و لأنّ الآخره هی صوره منعکسه لوجود الإنسان فی هذه الدنیا،إذن لیس ثمّه من عجب فی أن یحشر هؤلاء العمیان بنفس الصوره فی یوم الحشر و القیامه.

## بحوث

### اشاره

### ۱-دور القیاده فی حیاه البشر

الحیاه الاجتماعیه للبشر فی الدنیا لا یمکن أن تنفصل عن القیاده أو أن تستغنی عنها،لأنّ تحدید مسیر مجموعه معینه یحتاج دائما إلی قیاده،و عاده لا یمکن سلوک طریق التکامل بدون وجود قیاده،و هذا هو سر إرسال الأنبیاء و انتخاب الأوصیاء لهم.

و فی علوم العقائد و الکلام،یستفاد أیضا من(قاعده اللطف)فی إثبات لزوم بعث الأنبیاء و لزوم وجود الإمام فی کل زمان،و ذلک لأهمیه دور القائد فی تنظیم المجتمع،و منع الانحرافات،و بنفس المقدار الذی یقوم به القائد الإلهی و العالم



---

۱ – ۱) -(فتیل)تعنی الخیط الرقیق الموجود فی شق نوی التمر،و فی المقابل فإن(نقیر)تعنی مؤخره نوی التمر،بینما تعنی(قطمیر)الطبقه الرقیقه التی تغطی نوی التمر.و کل هذه التعابیر کنایه عن الشیء الصغیر جدّا و الحقیر.

و الصالح بإيصال الإنسان إلى هدفه النهائى بشكل سهل و سريع،فإنّ التسليم لقياده أئمّه الكفر و الضلال و الانقياد لهم يؤديان بالإنسان إلى الهاويه و الشقاء.

و فى تفسير هذه الآيه تتضمّن المصادر الإسلاميه أحاديث متعدّده توضح مفهومها و تبيّن الغرض من الإمامه.

ففى حديث تنقله الشيعه و السنه عن الإمام على بن موسى الرّضا عليه السّلام بأسناد صحيحه أنّه نقل عن آبائه عن جدّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،حول تفسير هذه الآيه قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«يدعى كل أناس بإمام زمانهم و كتاب ربّهم و سنه نبيّهم». (۱)

و نقرأ

عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام قوله: «ألا تحمدون اللّه!إذا كان يوم القيامه فدعى كل قوم إلى من يتولونه و دعينا إلى رسول اللّه و فزعتم إلينا فإلى أين ترون يذهب بكم؟إلى الجنّه و ربّ الكعبه-قالها ثلاثا». (۲)

### ۲-تكريم بنى آدم

(بنى آدم)وردت فى القرآن الكريم كعنوان للإنسان مقرونه بالمدح و الاحترام،فى حين أنّ كلمه(إنسان)ذكرت مع صفات مثل:ظلوم،جهول، هلوع،ضعيف،طاغى،و ما شابهها من الأوصاف.و هذا يدل على أن بنى آدم صفه للإنسان المتربى،أو على الأقل الذى له استعدادات إيجابيه(إن افتخار آدم و تفضيله على الملائكه يؤيد هذا المعنى لبنى آدم).فى حين أنّ كلمه(إنسان) وردت بشكل مطلق،و أحيانا تشير إلى الصفات السلبيه.

لذا فإنّ الآيات التى نبحثها استخدمت كلمه(بنى آدم)لأنّ الحديث فيها هو عن الكرامه و أفضليه الإنسان.(هناك بحث مفصل حول معنى الإنسان فى القرآن الكريم يمكن مراجعته فى تفسيرنا هذا ذيل الآيه ۱۱ من سوره يونس).



---

۱- ۱) -مجمع البيان عند تفسير الآيه.

۲- ۲) -المصدر السّابق.

### ۳-دور القیاده فی الإسلام

فی الحدیث المعروف عن الإمام محمّد بن علی الباقر علیهما السّلام ینقل أنّه عند ما کان یتحدث عن الأرکان الأساسیه فی الإسلام ذکر(الولایه)کخامس و أهم رکن،فی حین الصلاه التی توضح العلاقه بین الخالق و الخلق،و الصیام الذی هو رمز محاربه الشهوات،و الزکاه التی تحدّد العلاقه بین الخلق و الخالق،و الحج الذی یکشف الجانب الاجتماعی فی الإسلام،اعتبرت الأرکان الأربعه الأساسیه الأخری.ثمّ یضیف

الإمام الباقر علیه السّلام «و لم یناد بشیء کما نودی بالولایه» لماذا؟ لأنّ تنفید الأرکان الأخری لن یتحقق إلاّ فی ظل هذا الأصل،أی فی ظل الولایه (۱) .

و لهذا السبب بالذات روی عن الرّسول الأعظم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قوله«من مات بغیر إمام مات میته الجاهلیه» (۲) .

التأریخ یشهد أنّ بعض الأمم تکون فی الصف الأوّل بین دول العالم و أممه بسبب قیادتها العظیمه و الکفوءه،و لکن نفس الأمّه تنهار و تسقط فی الهاویه، برغم امتلاکها لنفس القوی البشریه و المصادر الأخری،إذا کانت قیادتها ضعیفه و غیر کفوءه.

ثمّ ألم یکن عرب الجاهلیه غارقین فی جهلهم و فسادهم و ذلتهم و انحطاطهم،و کانوا نهشه الآکل،بسبب عدم امتلاکهم لقائد کفوء،و لکن ما إن ظهرت القیاده الإلهیه الرّبانیه المتمثله بالهادی محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حتی سلک نفس القوم طریق العظمه و التکامل بسرعه کبیره بحیث أدهش العالم،و هذا یکشف عن دور القائد فی ذلک الزمان و هذا الزمان و فی کل زمان.



---

۱- ۱) - قال الباقر علیه السّلام «بنی الإسلام علی خمس،علی الصلاه،و الزکاه،و الصوم،و الحج،و الولایه،و لم یناد بشیء کما نودی بالولایه» عن أصول الکافی،ج ۲،ص ۱۵.

۲- ۲) -عن نور الثقلین،المجلد الثّالث،صفحه ۱۹۴،و کذلک مصادر أخری.

طبعا لقد جعل اللّه للبشريه قائدا لإنقاذ و هدايه البشر فى كل عصر و زمان، حيث تقتضى حكمته أن لا تطبّق السعاده إلّا مع وجود ضامن تنفيذى لها.و المهم أن تتعرف المجتمعات على قيادتها و أن لا يقعوا فى شباك القاده الضالين و الفاسدين،حيث تكون النجاه من مخالبهم أمرا صعبا للغايه.

و هذه هى فلسفه عقيده الشيعه بضروره وجود إمام معصوم فى كل زمان، كما

يقول الإمام على عليه السّلام: «اللّهم بلى لا تخلوا الأرض من قائم للّه بحجّه، إمّا ظاهرا مشهورا و إمّا خائفا مغمورا،لئلا تبطل حجج اللّه و بيناته» (۱) .

و هناك بحث فى نهايه الآيه(۱۲۴)من سوره البقره،حول معنى الإمامه و أهميتها فى دنيا الإنسان.

### ۴-عميان القلوب

فى القرآن الكريم تعابير لطيفه فى وصف المشركين و الظالمين،حيث يصفهم هنا ب(الأعمى)و هذا الوصف كنايه عن الحقيقه التى تقول بأنّ الحق يكون واضحا دوما و فى متناول البصر إذا كانت هناك عين بصيره تنظر،العين التى تشاهد آيات اللّه فى هذا العالم الواسع،العين التى تعتبر الدروس المكتوبه على صفحات التأريخ؛العين التى تشاهد عاقبه الظالمين و المستكبرين،العين التى تنظر الحق دون غيره.

أمّا عند ما تكون هناك ستائر و حجب الجهل و الغرور و التعصّب و العناد و الشهوه أمام هذه العين،فإنّها لا تستطيع مشاهده جمال الحق بالرغم من أنّه غير محجوب بستار.

و

فى حديث عن الإمام الباقر عليه السّلام فى تفسير الآيه نقرأ:«من لم يدله خلق السماوات و الأرض،و اختلاف الليل و النهار،و دوران الفلك و الشمس و القمر



---

۱- ۱) -نهج البلاغه،الكلمات القصار ۱۴۷.

و الآيات العجيبات،على أن وراء ذلك أمر أعظم منه،فهو فی الآخره أعمی و أضل سبیلا» (۱) .

و جاء فی روایات مختلفه فی تفسیر هـذه الآیه أنّها تعنی الشـخص الـذی یکون مسـتطیعا للحج و لکنّه لا یؤدیه حتی نهایه عمره (۲) .

و بـدون شک فإنّ هـذا المعنی هو أحـد مصادیق الآیه و لیس کلّها.و قـد یکون ذکر هـذا المصداق و التأکید علیه من زاویه دفع المسـلمین للمشـارکه فیه لمشاهـده هـذا الاجتمـاع الإسـلامی العظیم،بما یحویه من أسـرار عبادیه و مصالـح سیاسـیه تتجلی لعین الإنسان یحضر الموسم،و یتعلم الحقائق الکثیره و المتعدّده منه.

و

فی روایات أخری ورد أنّ«شرّ العمی عمی القلب» (۳) .

علی أی حـال-کمـا قلنا سابقا-فإنّ عالم القیامه،هو انعکاس لهـذا العالم فی کل ما یحویه وجودنا من أفکار و مواقف و مشاعر و أعمال.لـذلک نقرأ فی الآیات ۱۲۴-۱۲۶ من سوره طه،قوله تعـالی: وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِکْرِی فَإِنَّ لَهُ مَعِیشَهً ضَنْکاً وَ نَحْشُرُهُ یَوْمَ الْقِیامَهِ أَعْمی قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِی أَعْمی وَ قَدْ کُنْتُ بَصِیراً.

قالَ کَذلِکَ أَتَتْکَ آیاتُنا فَنَسِیتَها وَ کَذلِکَ الْیَوْمَ تُنْسی .

ص: ۷۲

---

۱- ۱) -تفسیر نور الثقلین،ج ۳،ص ۱۹۶.

۲- ۲) -تفسیر نور الثقلین،ج ۳،ص ۱۹۶-۱۹۷.

۳- ۳) -المصدر السابق.

## الآیات [سوره الإسراء (۱۷): الآیات ۷۳ الی ۷۵]

### اشاره

وَ إِنْ کٰادُوا لَیَفْتِنُونَکَ عَنِ اَلَّذِی أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ لِتَفْتَرِیَ عَلَیْنٰا غَیْرَهُ وَ إِذاً لاَتَّخَذُوکَ خَلِیلاً (۷۳) وَ لَوْ لاٰ أَنْ ثَبَّتْنٰاکَ لَقَدْ کِدْتَ تَرْکَنُ إِلَیْهِمْ شَیْئاً قَلِیلاً (۷۴) إِذاً لَأَذَقْنٰاکَ ضِعْفَ اَلْحَیٰاهِ وَ ضِعْفَ اَلْمَمٰاتِ ثُمَّ لاٰ تَجِدُ لَکَ عَلَیْنٰا نَصِیراً (۷۵)

### سبب النّزول

لقد ذکرت أسباب مختلفه لنزول هذه الآیات،إلّا أنّ بعض هذه الأسباب لا یتلائم مع تأریخ النّزول،و بما أن أسباب النّزول هذه قد أفاد منها بعض المنحرفین لأغراض خاصّه،لذلک سوف نقوم هنا بذکرها جمیعا:

ذکر العلاّمه الطبرسی فی(مجمع البیان)خمسه آراء فی هذا المجال،و هی:

الرأی الأوّل:قالت قریش للرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:لا ندعک تلمس الحجر الأسود حتی تحترم آلهتنا،و قال الرّسول فی قلبه:إنّ اللّه یعلم نفرتی من أصنامهم و إنکاری لها، فما المانع من أن أنظر إلی هذه الآله باحترام ظاهرا حتی یسمحوا لی باستلام الحجر الأسود.و هنا أنزل اللّه تبارک و تعالی الآیات أعلاه التی نهت الرّسول عن هذا الأمر.

ص: ۷۳

الرأی الثّانی:اقترحت قریش علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن یترک الاستهانه بآلهتهم و الاستخفاف بعقولهم،و أن یبعد عنه العبید من أصحابه و ذوی الأصول المتواضعه،و الرائحه الکریهه،لکی تحضر قریش مجلسه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و یستمعون إلیه، فطمع الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی إسلامهم،فنزلت الآیات أعلاه تحذّر من هذا الأمر.

الرأی الثّالث:عند ما حطّم الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الأصنام التی کانت موجوده فی المسجد الحرام،اقترحت قریش علیه أن یبقی الصنم الموضوع علی جبل المروه قرب بیت اللّه،فوافق الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی البدایه علی هذه الاقتراح لکی یحقق من خلاله بعض مصالح الدعوه،إلاّ أنّه بعد ذلک عدل عن هذا الأمر و أعطی أوامره صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بتحطیم هذا الصنم،و عند ما نزلت الآیات أعلاه.

الرأی الرّابع:إنّ مجموعه من قبیله(ثقیف)و فدت علی النّبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و عرضت علیه ثلاثه شروط لمبایعته،و کان شرطهم،الأوّل:أن لا یرکعوا و لا یسجدوا عند الصلاه،و ثانیا:أن لا یحطموا أصنامهم بأیدیهم بل یقوم الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بذلک.أمّا الشرط الثّالث:فقد طلبوا فیه من رسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن یسمح لهم ببقاء صنم(اللات)بینهم لمدّه سنه.

و قد أجابهم الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بأن لا فائده فی دین لا رکوع و لا سجود فیه،و أمّا تحطیم الأصنام فإذا کنتم ترغبون فی القیام بذلک فافعلوا،و إلاّ فنحن نقوم به،أمّا الاستمرار فی عباده اللات لسنه أخری،فلا أسمح بذلک.

بعد ذلک قام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و توضأ،فالتفت عمر بن الخطاب و قال:ما بالکم آذیتم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إنّه لا یدع الأصنام فی أرض العرب.إلاّ أنّ ثقیف أصرّت علی مطالبها،حتی نزلت الآیات الآنفه.

الرأی الخامس:إنّ وفد ثقیف طلب من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن یمهلهم سنه حتی یستلموا الهدایا المرسله إلی الأصنام،و بعد ذلک یکسرون الأصنام و یسلمون، فهمّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بإمهالهم و إجابتهم إلی ما أرادوا لو لا نزول الآیات أعلاه التی نهت عن إجابه طلبهم بشدّه.

ص:٧۴

و هناك أسباب أخرى للنزول تشبه الآراء التى ذكرناها.

أقول:لا حاجه لبيان ضعف هذه الآراء إذ أنّ بطلان أكثر هذه الآراء كامن فيها،لأنّ مجىء وفود القبائل إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و طلباتهم و تحطيم الأصنام،كل هذه الأمور إنّما تمّت بعد فتح مكّه فى العام الثّامن للهجره،فى حين أنّ هذه السوره نزلت قبل هجره الرّسول،و فى وقت لم يكن فيه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يمتلك القدره الظاهريه التى تفرض على المشركين التواضع لمقامه،و سوف نقوم بتوضيح أكثر لا حقّا.

## التّفسير

بما أنّ الآيات السابقه كانت تبحث حول الشرك و المشركين،لذا فإنّ الآيات التى نبحثها تحذّر الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من وساوس و إغواءات هذه المجموعه،حيث لا يجوز أن يبدى أدنى ضعف فى محاربه الشرك و عباده الأصنام،بل يجب الاستمرار بصلابه أكبر.

فى البدايه تقول الآيه أنّ وساوس المشركين كادت أن تؤثر فيك: وَ إِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَکَ عَنِ الَّذِی أَوْحَيْنا إِلَيْکَ لِتَفْتَرِیَ عَلَيْنا غَيْرَهُ وَ إِذاً لاَتَّخَذُوکَ خَلِيلاً .

ثمّ بعد ذلك تضيف أنّه لو لا نور العصمه و أنّ اللّه تعالى ثبّتك على الحق:

وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناکَ لَقَدْ کِدْتَ تَرْکَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً

.

و أخيرا لو أنّك ركنت إليهم فسوف يكون جزاءك ضعف عذاب المشركين فى الحياه الدنيا،و ضعف عذابهم فى الآخره: إِذاً لَأَذَقْناکَ ضِعْفَ الْحَياهِ وَ ضِعْفَ الْمَماتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَکَ عَلَيْنا نَصِيراً .

بحوث

اشاره

### ۱-هل أبدى الرّسول ليونه إزاء المشركين؟

بالرغم من أنّ بعض السطحيين أرادوا الاستفاده من هذه الآيات لنفى العصمه عن الأنبياء،و قالوا أنّه طبقا للآيات أعلاه و أسباب النّزول المرتبطه بها إنّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد أبدى ليونه إزاء عبده الأصنام،و أنّ اللّه عاتبه على ذلك.إلاّ أنّ هذه الآيات صريحه فى افهام مقصودها بحيث لا تحتاج إلى شواهد أخرى على بطلان هذا النوع من التفكير،لأنّ الآيه الثّانيه تقول و بصراحه: وَ لَوْ لاٰ أَنْ ثَبَّتْنٰاکَ لَقَدْ کِدْتَ تَرْکَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً .و مفهوم التثبيت الإلهى(و الذى نعتبره بأنّه العصمه) أنّه منع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من التوجه إلى مزالق عبده الأصنام،و لا يعنى ظاهر الآيه-فى حال-أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مال إلى المشركين،ثمّ نهى عن ذلک بوحى من اللّه تعالى.

و توضيح ذلک،إن الآيه الأولى و الثّانيه هما فى الحقيقه إشاره إلى حالتين مختلفتين للرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،الحاله الأولى هى الحاله البشريه و الإنسانيه و التى تجلّت بشكل واضح فى الآيه الأولى،و بمقتضى هذه الحاله يمكن تأثير وساوس الأعداء فى الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خاصّه إذا كانت ثمّه مرجحات فى إظهار الليونه و التوجّه إليهم،من قبيل رغبته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى أن يسلم زعماء الشرک بعد إظهار الليونه، أو أن يمنع بذلک سفک الدماء،و الآيه تكشف عن احتمال وقوع الإنسان العادى و مهما كان قويا تحت تأثير الأعداء.

أمّا الآيه الثّانيه فهى ذات طبيعه معنويه،إذ هى تبيّن العصمه الإلهيه و لطفه الخاص سبحانه و تعالى الذى يشمل به الأنبياء خصوصا نبى الإسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حينما يمر بمنعطفات و مزالق دقيقه.

و النتيجه أنّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالطبع البشرى قد وصل إلى حافه القبول ببعض وساوس الأعداء،إلاّ أن التأييد الإلهى(العصمه)ثبته و حفظه و أنقذه من الانزلاق.

ص: ۷۶

و هـذا التعبير نفسه نقرأه فی سوره یوسف حيث جـاء البرهان الإلهی فی أدق اللحظات و أخطرها،فی مقابل الإغواء الخطير و غير الاعتيـادی لاـمرأه العزيز، حيث قـوله تعـالی فی الآـيه(۲۴)مـن سـوره يوسـف: وَ لَقَـدْ هَمَّتْ بِـهِ وَ هَـمَّ بِهـا لَوْ لاـ أَنْ رَأی بُرْهـانَ رَبِّهِ،كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ .

و فی اعتقادنـا أنّ الآيـات أعلاه ليست لا تصـلح أن تكون دليلا علی نفی العصـمه و حسب،بل هی واحـده من الآيات التی تـدل علی العصـمه،لأنّ التثبيت الإلهی هذا(و الذی هو كنايه عن العصمه أو التثبيت أو التثبيت الفكری و العاطفی و السلوكی)لا يخص فقط هذه الحاله،و هذا الموقف،بل هو يشمل الحالات المشابهه الأخری،و علی هذا الأساس تعتبر الآيه شاهدا علی عصمه الأنبياء و القاده الإلهيين.

أمّا الآيه الثالثه التی نبحثها و التی تقول: إِذاً لَأَذَقْناكَ ضِـعْفَ الْحَياهِ وَ ضِـعْفَ الْمَماتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنا نَصِـيراً فهی دليل علی صحه البحوث الخـاصّه بعصـمه الأنبياء،حيث أنّ العصـمه ليست حاله جبريه يلتزم فيها النّبی بلا اراده منه أو وعی،و إنّما هی توأم مع نوع من الوعی الذاتی و التی تنفذ مع الحريه،لذا فإنّ ارتكاب ذنب فی مثل هذه الحالات ليس محالا عقلا،و لكن هذا الإيمان و الوعی الخاص سوف يمنعان صدور الذنب،فلا تتحقق المعصيه عملا،و لو فرضنا تحققها فی الخارج فإنّه سينال عقوبات الجزاء الإلهی(دقق فی ذلك) (۱) .

### ۲-لماذا العذاب المضاعف؟

من الواضح أنّه كلما زاد مقام الإنسان من حيث العلم و الوعی و المعرفه و الإيمان،ازدادت قيمه و عمق الأعمال الخيره التی يقوم بها،و بدرجه نسبه



---

۱- ۱) -يمكن ملاحظه المزيد من التفاصيل عن الموضوع فی كتاب(القاده الكبار).

الوعی العلم و المعرفه،و طبعا سیکون ثوابها أکثر،لذا فإنّنا نقرأ فی بعض الرّوایات:(إنّ الثواب علی قدر العقل) (۱) .

أمّا الثواب و العقاب فسوف یزداد تبعا لهذه النسبه،فإذا ارتکب إنسان أمّی و ضعیف الإیمان ذنبا کبیرا،فهذا لیس بالأمر العجیب،و لهذا السبب سیکون جزاؤه أخف،أمّا إذا قام عالم مؤمن بارتکاب ذنب صغیر فإنّ جزاءه فی مقابل ذلک سیکون أشد من جزاء الأمی فی قبال ذنبه الکبیر.

لهذا السبب بالذات نقرأ فی الآیتین(۳۰-۳۱)من سوره الأحزاب خطابا بهذا المضمون إلی نساء النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حیث یقول تعالی: یٰا نِسٰاءَ النَّبِیِّ مَنْ یَأْتِ مِنْکُنَّ بِفٰاحِشَهٍ مُبَیِّنَهٍ یُضٰاعَفْ لَهَا الْعَذٰابُ ضِعْفَیْنِ وَ کٰانَ ذٰلِکَ عَلَی اللّٰهِ یَسِیراً وَ مَنْ یَقْنُتْ مِنْکُنَّ لِلّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صٰالِحاً نُؤْتِهٰا أَجْرَهٰا مَرَّتَیْنِ وَ أَعْتَدْنٰا لَهٰا رِزْقاً کَرِیماً .

و

فی الرّوایات نقرأ هذا المفهوم: «یغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن یغفر للعالم ذنب واحد» (۲) .

هذه الآیات تشیر إلی هذه الحقیقه،فهی تقول للرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:إذا أظهرت میلا(و حاشاه)نحو الشرک و المشرکین فإنّ عقابک سیتضاعف فی هذه الدنیا و فی الآخره.

### ۳-معنی(الضعف)

یجب الانتباه إلی هذه الملاحظه،و هی أن کلمه(ضعف)فی اللغه العربیه لیس المقصود بها مرّتین فقط،بل مرّتان و عدّه مرّات أیضا.

یقول الفیروزآبادی،(العالم اللغوی المعروف فی القرن الثّامن الهجری)فی



---

۱- ۱) -أصول الکافی،ج ۱،کتاب العقل و الجهل،ص ۹،حدیث ۸.

۲- ۲) -أصول الکافی،ج ۱،ص ۳۷.

القـاموس:يقـال فی بعض الأحيـان«ضـعف شـیء معين»و هی تعنی المرّتين و الثلاـث مرّات و مـا شابهها،لأـنّ هـذه الكلمه تعنی الإضافه غير المحدوده.

الدليل علی هذا القول،أنّ الآيات القرآنيه-و فی خصوص الحسـنات- تقول: إِنْ تَكُ حَسَـنَهً يُضاعِفْها (۱) و فی موقع آخر تقول: مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها (۲) .

و

فی الرّوايات الإسـلاميه ورد عن الإمام جعفر الصّادق عليه السّلام قوله فی تفسير الآيه(۲۶۱)من سـوره البقره:«إذا أحسن المؤمن عمله ضاعف اللّه عمله بكل حسنه سبعمائه ضعف،و ذلك قول اللّه وَ اللّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ (۳) .

و لكن هـذا الكلام لا يمنع من أن تطلق هـذه الكلمه علی«التثنيه»بمعنی الضـعفين.أو عنـد ما تذكر علی شـكل مضاف فإنّها تعنی ثلاثه أضعاف مثلا نقول:

ضعف الواحد.

### ۴-تفسير جمله إِذاً لاَتَّخَذُوكَ خَلِيلاً

المشـهور بين المفسّرين أنّ القرآن يعنی بالآيه هـذه أنّك إذا أظهرت توجهـا للمشـركين فسوف يعتبرونك صـديقا لهم.إلاّ أنّ بعض المفسّرين يعتبر أنّ معنی الجمله،أن المشـركين سـيعتبرونك-يـا رسـول اللّه-فقيرا لهـم و محتاجـا إليهـم.إذ فی المعنی الأوّل(خليل)مأخوذه من(خلّه)علی وزن(قلّه)و تعنی الصـداقه.أمّا فی المعنی الثّانی فإنّ(خلّه)علی وزن(غلّه)و تعنی العوز و الفقر و الحاجه.لكن من الواضح أنّ الصحيح هو المعنی الأوّل.



---

۱- ۱) -النساء،۴۰.

۲- ۲) -الأنعام،۱۶۰.

۳- ۳) -تفسير العياشی وفقا لما نقله صاحب الميزان،ج ۲،ص ۴۲۴.

### ۵-إلهى لا تكلنى إلى نفسى

فى المصادر الإسلاميه نقرأ

أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عند ما نزلت هذه الآيات قرأ هذا الدعاء«اللّهم لا تكلنى إلى نفسى طرفه عين أبدا».

و هذا الدعاء المهم لرسول الهدى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يعطينا درسا مهمّا،و هو أنّه يجب أن نذكر اللّه دائما و نلتجئ إليه،و نعتمد على لطفه،حيث أنّ الأنبياء المعصومين لم يسلموا من المزالق بدون نصره اللّه و تثبيته لهم،إذن فكيف بنا نحن مع كل ما يحيطنا من أشكال الوسوسه و الإغواء الشيطانى!!

ص:٨٠

## الآیتان [سوره الإسراء (۱۷): الآیات ۷۶ الی ۷۷]

### اشاره

وَ إِنْ کٰادُوا لَیَسْتَفِزُّونَکَ مِنَ اَلْأَرْضِ لِیُخْرِجُوکَ مِنْهٰا وَ إِذاً لاٰ یَلْبَثُونَ خِلاٰفَکَ إِلاّٰ قَلِیلاً (۷۶) سُنَّهَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنٰا قَبْلَکَ مِنْ رُسُلِنٰا وَ لاٰ تَجِدُ لِسُنَّتِنٰا تَحْوِیلاً (۷۷)

### أسباب النّزول

المشهور أنّ هذه الآیات نزلت فی أهل مکّه بعد أن قرروا إخراج النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم منها.ثمّ بدّلوا رأیهم بعد ذلک و قرروا قتله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،فحاصروا بیته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و لکنّ اللّه أنجاه من هذه المکیده بشکل إعجازی و استطاع أن یهاجر إلی المدینه المنوّره.

البعض یری أنّ هذه الآیات نزلت بشأن اقتراح یهود المدینه علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی أن یخرج منها إلی بلاد الشام باعتبار أنّ المدینه لیست أرض الأنبیاء،بل إنّ أرض الأنبیاء هی الشام،لذلک قال الیهود لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:إذا کنت ترغب بانتشار دعوتک فهاجر إلی هناک،إلی بلاد الشام.

و لکن لمّا کانت هذه السوره مکّیه فیتّضح عدم صحّه هذا السبب للنزول، فضلا عن أنّنا سوف نری أثناء الحدیث عن الآیات أنّها-أیضا-لا تتوافق مع السبب المذکور.

ص:۸۱

## اشاره

### مؤامره خبيثه أخرى:

فى الآيات السابقه رأينا كيف أنّ المشركين أرادوا من خلال مكائدهم المختلفه أن يحرفوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن الطريق المستقيم،لكن اللّه أنجاه بلطفه له و رعايته إيّاه،و بذلك فشلت خطط المشركين.

بعد تلك الأحداث،و طبقا للآيات التى بين أيدينا،وضع المشركون خطّه أخرى للقضاء على دعوه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و هذه الخطّه تقضى بإبعاد الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن مسقط رأسه(مكّه)إلى مكان آخر قد يكون مجهولا و بعيدا عن الأنظار.إلاّ أنّ هذه الخطّه فشلت أيضا بلطف اللّه أيضا.

الآيه الأولى تقول: وَ إِنْ كٰادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهٰا بخطه دقيقه.

و بما أنّ كلمه«يستفزونك»مشتقه من«استفزاز»التى تأتى فى بعض الأحيان بمعنى قطع الجذور،و فى أحيان أخرى بمعنى الإثاره مع السرعه و المهاره،فإنّنا نفهم من ذلك أنّ المشركين وضعوا خطّه محكمه تجعل الوسط المحيط بالرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم غير مناسب له،و تثير عامّه الناس ضدّه كى يخرجوه بسهوله من مكّه.لكن هؤلاء لا يعرفون أنّ هناك قوّه أعظم من قوّتهم،و هى قوّه الخالق الكبير حيث تتلاشى إرادتهم دون إرادته عزّ و جلّ.

ثمّ يحذّرهم القرآن بعد ذلك بقوله: وَ إِذاً لاٰ يَلْبَثُونَ خِلاٰفَكَ إِلاّٰ قَلِيلاً فهؤلاء سيبادون بسرعه بسبب ذنبهم العظيم فى إخراج القائد الكفوء-الذى تذهب نفسه حسرات على العباد-من البلد،إذ يعتبر ذلك أوضح مداليل كفران النعمه،و مثل هؤلاء القوم لا يستحقون الحياه و يستحقون العذاب الإلهى.

إنّ هذا الأمر لا يخص مشركى العرب و حسب،بل هو سُنَّهَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنٰا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنٰا وَ لاٰ تَجِدُ لِسُنَّتِنٰا تَحْوِيلاً .و هذه السنه تنبع من منطق واضح،

حيث أنّ هؤلاء القوم لا يشكرون النعم،و يحطمون مصباح هدايتهم و منبع النور إليهم بأيديهم،إنّ مثل هؤلاء الأقوام لا يستحقون رحمه الخالق،و إنّ العقاب سيشملهم.و نعلم هنا أنّ اللّه تبارک و تعالی لا يفرق بين عباده،و بذلک فإنّ الأعمال المتشابهه فی الظروف المتشابهه لها عقاب متشابه،و هذا هو معنی عدم اختلاف سنن الخالق جلّ و علا.

إنّ السنن الإلهيه هی عكس السنن و القوانين التی يضعها البشر حيث تقتضی مصالحهم فی يوم أن تكون هناک سنه أو قانون معين،و فی يوم آخر يمكن أن تنقلب هذه السنّه أو القانون إلی عكسه تماما.

و نعرف هنا أنّ اختلاف السنن و القوانين البشريه إمّا أن يعود إلی عدم وضوح الأمور،و التی عاده ما تتوضح بمرور الزمن،و تنكشف للإنسان اشتباهاته و أخطاؤه،أو أنّ السبب فی ذلک يعود إلی مقتضيات المصالح الخاصّه و شروط الحياه التی تتحوّل و تتغيّر فی كل وقت.و لمّا كانت هذه الأمور لا تؤثّر علی الإراده الإلهيه،فإنّ ما يصدر عن الحكمه الإلهيه من سنن تكون ثابته فی جميع الحالات و الشرائط.

ص :٨٣

## الآیات [سوره الإسراء (١٧): الآیات ٧٨ الی ٨١]

### اشاره

أَقِمِ اَلصَّلاٰهَ لِدُلُوکِ اَلشَّمْسِ إِلیٰ غَسَقِ اَللَّیْلِ وَ قُرْآنَ اَلْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ اَلْفَجْرِ کٰانَ مَشْهُوداً (٧٨) وَ مِنَ اَللَّیْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نٰافِلَهً لَکَ عَسیٰ أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقٰاماً مَحْمُوداً (٧٩) وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِی مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِی مُخْرَجَ صِدْقٍ وَ اِجْعَلْ لِی مِنْ لَدُنْکَ سُلْطٰاناً نَصِیراً (٨٠) وَ قُلْ جٰاءَ اَلْحَقُّ وَ زَهَقَ اَلْبٰاطِلُ إِنَّ اَلْبٰاطِلَ کٰانَ زَهُوقاً (٨١)

## التّفسیر

### اشاره

### الفناء نهایه الباطل:

بعد سلسله الآیات التی تحدثت عن التوحید و الشرک و عن مکائد المشرکین و مؤامراتهم،تبحث هذه الآیات عن الصلاه و الدعاء و الارتباط باللّه و التی تعتبر عوامل مؤثّره فی مجاهده الشرک،و وسیله لطرد إغواءات الشیطان من قلب و روح الإنسان،إذ تقول الآیات فی البدایه أَقِمِ الصَّلاٰهَ لِدُلُوکِ الشَّمْسِ إِلیٰ غَسَقِ اللَّیْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ کٰانَ مَشْهُوداً .

«دلوک الشمس»یعنی زوال الشمس من دائره نصف النهار و التی یتحدّد معها

وقت الظهر.و فی الأصل فإنّ(دلوک)مأخوذه من(دلک)حیث أنّ الإنسان یقوم بدلک عینیه فی ذلک الوقت لشدّه ضوء لشمس.أو أنّ کلمه(دلک)تعنی(المیل) حیث أنّ الشمس تمیل من دائره نصف النهار من طرف المغرب.أو أنّها تعنی أنّ الإنسان یضع یده فی قبال الشمس حیث یقال بأنّ الشخص یمنع النور عن عینیه و یمیله عنه.

علی أی حال،فی الرّوایه التی وصلتنا عن أهل البیت علیهم السّلام توضح لنا أنّ معنی(دلوک)هو زوال الشمس.

فقد روی العاملی فی(وسائل الشیعه) أنّ عبید بن زراره سأل الإمام الصادق علیه السّلام عن تفسیر الآیه فقال علیه السّلام:«إنّ اللّه افترض أربع صلوات أوّل وقتها زوال الشمس إلی انتصاف اللیل،منها صلاتان أوّل وقتهما من عند زوال الشمس إلی غروب الشمس،إلاّ أنّ هذه قبل هذه،و منها صلاتان أوّل وقتهما من غروب الشمس إلی انتصاف اللیل إلاّ أنّ هذه قبل هذه» (1) .

و

فی روایه أخری رواها المحدّث الکبیر(زراره بن أعین)عن الإمام الباقر علیه السّلام،فی تفسیر الآیه قال علیه السّلام: «دلوکها زوالها،و غسق اللیل إلی نصف اللیل، ذلک أربع صلوات وضعهنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و وقتهنّ للناس،و قرآن الفجر صلاه الغداه» (2) .

لکن وضع بعض المفسّرین احتمالات أخری لمعنی(دلوک)إلاّ أنّا آثرنا ترکها لأنّها لا تستحق الذکر.

و أمّا(غسق اللیل)فإنّها تعنی منتصف اللیل،حیث أنّ(غسق)تعنی الظلمه الشدیده،و أکثر ما یکون اللیل ظلمه فی منتصفه.

أمّا(قرآن)فهی تعنی کلاما یقرأ.و(قرآن الفجر)هنا تعنی صلاه الفجر.

و بهذا الدلیل تعتبر هذه الآیه من الآیات التی تشیر بشکل إجمالی إلی أوقات



---

۱- ۱) -وسائل الشیعه،ج ۳،ص ۱۱۵.

۲- ۲) -نور الثقلین،ج ۳،ص ۲۰۵.

الصلوات الخمس.و مع أخذ الآيات القرآنيه الأخرى بنظر الإعتبار فى مجال وقت الصلوات و الرّوايات الكثيره الوارده فى هذا الشأن،يمكن تحديد أوقات الصلوات الخمس بشكل دقيق.

و يجب الانتباه هنا إلى أنّ بعض الآيات تشير إلى صلاه واحده فقط،كقوله تعالى: حٰافِظُوا عَلَى الصَّلَوٰاتِ وَ الصَّلاٰهِ الْوُسْطىٰ (1) . حيث(الصلاه الوسطى) وفقا لأصح التفاسير هى صلاه الظهر.

و فى بعض الأحيان تشير الآيه إلى ثلاث صلوات من الصلوات الخمس كما فى الآيه(114)من سوره هود،فى قوله تعالى: وَ أَقِمِ الصَّلاٰهَ طَرَفَيِ النَّهٰارِ وَ زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ .حيث يشير تعبير طَرَفَيِ النَّهٰارِ إلى صلاتى الصبح و المغرب، و أمّا زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ فهى إشاره إلى صلاه العشاء.

و فى بعض الأحيان تشير الآيه إلى الصلوات الخمس بشكل إجمالى،كما فى الآيه التى نبحثها(راجع للمزيد من التوضيح نهايه تفسير الآيه(114)من سوره هود).

على أى حال،لا يوجد ثمّه شك فى أنّ هذه الآيات لم توّضح جزئيات أوقات الصلاه،بل تشير إلى الكليات و الخطوط العامّه،مثلها مثل الكثير من الأحكام الإسلاميه الأخرى،أمّا التفاصيل فإنّها وردت فى سنه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الأئمّه الصادقين من أهل بيته عليهم السّلام.

الآيه بعد ذلك تقول: إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كٰانَ مَشْهُوداً و هنا يطرح سؤال حول هويه الذى يقوم بالمشاهده،من هو يا ترى؟الرّوايات الوارده فى تفسير هذه الآيه تقول إنّ ملائكه الليل و النهار هى التى تشاهد،لأنّه فى بدايه الصباح تأتى ملائكه النهار لتحل محل ملائكه الليل التى كانت تراقب العباد،و حيث أنّ صلاه الصبح هى فى أوّل وقت الطلوع،لذلك فإنّ المجموعتين من الملائكه تشاهدها



---

1- 1) -روح المعانى،ج 15،ص 126.

و تشهد عليها.

و الرّوايات فى هذه المجال نقلها علماء الشيعه و السنّه.

فمثلا ينقل أحمد و النسائى و ابن ماجه و الترمذى و الحاكم عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، وفقا لما نقله عنهم صاحب تفسير(روح المعانى)أثناء تفسير الآيه قولهم

عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «تشهده ملائكه الليل و ملائكه النهار» (١) .

أمّا البخارى و مسلم فقد نقلا نفس هذا المعنى فى صحيحيهما وفقا لما نقله عنهم صاحب تفسير(روح المعانى)فى المجلد الخامس عشر،صفحه(١٢۶) من تفسيره.

و لمزيد الاطلاع على الأحاديث المرويه عن أهل البيت عليهم السّلام فى هذا المورد يمكن مراجعه المجلد الثّالث من تفسير(نور الثقلين)فى نهايه حديثه عن الآيه الكريمه.

و من هنا يتّضح أنّ أفضل وقت لأداء صلاه الصبح هى اللحظات الأولى لطلوع الفجر.

و بعد أن تذكر الآيه أوقات الصلوات الخمس تنتقل الآيه التى بعدها إلى قوله تعالى: وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ (٢) المفسّرون الإسلاميون المعروفون يعتبرون هذا التعبير إشاره إلى نافله الليل التى وردت روايات عديده فى فضيلتها،و بالرغم من أنّ الآيه لا تصرّح بهذا الأمر،إلاّ أن هناك قرائن مختلفه ترجح هذا التّفسير.

ثمّ تقول الآيه نافِلَةً لَكَ أى برنامج إضافى علاوه على الفرائض اليوميه.

و هذا التعبير اعتبره الكثير بأنّه دليل على وجوب صلاه الليل على الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،حيث أنّ هذه(النافله)و التى هى بمعنى(زياده فى الفريضه)



---

١- ١) -روح المعانى،ج ١۵،ص ١٢۶.

٢- ٢) -«تهجّد»مأخوذه من(هجود)و هى تعنى فى الأصل:النوم،حسبما يقول الراغب فى المفردات.و لكن عند ما تكون على وزن(تفعل)«فإنّها تعنى إزاله النوم و الانتقال إلى حاله اليقظه.أمّا الضمير فى كلمه«تهجّد به»فإنّه يدل على القرآن.و لكن هذه الكلمه استخدمت عند أهل الشرع بمعنى صلاه الليل.و يقال للذى يصلّى الليل(المتهجّد).

تخصک أنت دون غیرک یا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

أمّا البعض الآخر فیعتقد بأنّ صلاه اللیل کانت بالأصل واجبه علی الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بقرینه آیات سوره المزمّل،إلاّ أنّ هذه الآیه نسخت الوجوب و أبدلته بالاستحباب.

و لکن هذا التّفسیر ضعیف،لأنّ النافله لم تکن تعنی(الصلاه المستحبّه)کما نسمیها الیوم،بل تعنی الزیاده و الإضافه،و نعلم أنّ صلاه اللیل کانت واجبه علی الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،لذلک فهی إضافیه علی الفرائض الیومیه.

علی أیه حال فی ختام الآیه تتوضح نتیجه هذا البرنامج الإلهی الروحانی الرفیع حیث تقول: عَسیٰ أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقٰاماً مَحْمُوداً .

و لا ریب فإنّ المقام المحمود هو مقام مرتفع جدّا یستثیر الحمد،حیث أن (محمود)مأخوذه من(الحمد).و بما أنّ هذه الکلمه وردت بشکل مطلق،لذا فقد تکون إشاره إلی أنّ حمد الأوّلین و الآخرین یشملک.

الرّوایات الإسلامیه الوارده عن طریق أهل البیت علیهم السّلام أو عن طریق أهل السنه،تشیر إلی أنّ المقام المحمود هو مقام الشفاعه الکبری.فالنّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم هو أکبر الشفعاء فی ذلک العالم،و شفاعته تشمل الذین یستحقونها.

أمّا الآیه التی بعدها فإنّها تشیر إلی أحد التعالیم الإسلامیه الأساسیه و الذی ینبع من روح التوحید و الإیمان: وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِی مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِی مُخْرَجَ صِدْقٍ (1) .فأی عمل فردی أو اجتماعی لا أبدؤه إلاّ بالصدق و لا أنهیه إلاّ بالصدق،فالصدق و الإخلاص و الأمانه هی الخط الأساس لبدایه و نهایه مسیرتی.

بعض المفسّرین أراد تحدید المعنی الواسع لهذه الآیه فی مصداق أو مصادیق معنیه،فمثلا قال بعضهم:إنّ الآیه تعنی الدخول إلی المدینه و الخروج



---

1- 1) -(مدخل)و(مخرج)هی تعنی الإدخال و الإخراج،تؤدی هنا المعنی المصدری.

منهـا إلى مکّه المکرّمه،أو الـدخول إلى القـبر و الخروج منه یوم البعث،و أمثـال هـذه الأـمور،و لکن من الواضـح جـدا أنّ التعبیر القرآنی الجامع فی الآیه الکریمه لا یمکن تحدیـده،فهو طلب فی الدخول و الخروج الصادق من جمیع الأمور و فی کل الأعمال و المواقف و البرامج.

و فی الحقیقه فإنّ سر الإنتصار یکمن هنا،و هذا هو طریق الأنبیاء و الأولیاء الرّبانیین حیث کانوا یتجنّبون کل غش و خداع و حیله فی أفکارهم و أقوالهم و أعمالهم و کل ما یتعارض مع الصدق.

و عاده فإنّ المصائب التی نشاهدها الیوم و التی تصـیب الأفراد و المجتمعات و الأقوام و الشـعوب،إنّما هی بسبب الانحرافات عن هـذا الأساس،ففی بعض الأحیان یکون أساس علمهم قائما علی الکـذب و الغش و الحیله،و فی بعض الأحیان یدخلون إلی عمل معین بصدق و لکنهم لا یستمرون علی صدقهم حتی النهایه.و هذا هو سبب الفشل و الهزیمه.

أمّا الأصل الثّانی الذی یعتبر من ناحیه ثمره لشـجره التوحید،و من ناحیه أخری نتیجه للدخول و الخروج الصادق فی الأعمال،فهو ما ذکرته الآیه فی نهایتها: وَ اجْعَلْ لِی مِنْ لَدُنْکَ سُـلْطاناً نَصِیراً لماذا؟لأنّنی وحید،و الإنسان الوحید لا یستطیع أن ینجز عملا،و لا یسـتطیع أن ینتصـر فی مقابـل جمیع هـذه المشاکـل فیما إذا اعتمـد علی قوته وحـدها،لـذلک فسؤاله من اللّه تبارک و تعالی،هو انصرنی و اجعل لی نصیرا.

أعطنی یـا إلهی،لسانـا ناطقـا،و أدله قویه فی مقابـل الأعـداء،و أتباعا یضـحّون بأنفسـهم،و إراده قویه،و فکرا وضّاء،و عقلا واسـعا بحیث تقوم کل هذه الأمور بنصرتی، فغیرک لا یستطیع إعطائی هذه الأشیاء کلها.

و بعـد أن ذکرت الآیات(الصدق)و(التوکل)جاء بعدها الأمل بالنصـر النهائی،و الذی یعتبر بحدّ ذاته عاملا للتوفیق فی الأعمال،إذ خاطبت الآیه

الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بوعد اللّه تعالى: وَ قُلْ جٰاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبٰاطِلُ (۱) ،لأنّ طبيعه الباطل الفناء و الدمار: إِنَّ الْبٰاطِلَ كٰانَ زَهُوقاً .فللباطل جوله،إلاّ أنّه لا يدوم و العاقبه تكون لانتصار الحق و أصحابه و أنصاره.

### بحوث

### اشاره

### ۱-صلاه اللّيل عباده روحيه عظيمه

إنّ التأثيرات المختلفه لضوضاء الحياه اليوميه تؤثر على الإنسان و على أفكاره و تجرّه إلى وديان مختلفه بحيث يصعب معها تهدئه الخاطر،و صفاء الذهن،و الحضور الكامل للقلب فى مثل هذا الوضع.أمّا فى منتصف الليل و عند السحر عند ما تهدأ هذه ضوضاء حياتيه الماديه،و يرتاح جسم الإنسان،و تهدأ روحه بعد فتره من النوم،فإنّ حاله من التوّجه و النشاط الخاص تخالج الإنسان، فى مثل هذا المحيط الهادىء و البعيد عن كل أنواع الرياء،مع حضور القلب، يعيش الإنسان حاله خاصّه قادره على تربيته و تكامل روحه.

لهذا السبب نرى أن عباد اللّه و محبيه يتوقون إلى التعبّد منتصف الليل،لأنّه يزكّى أرواحهم،و يحيى قلوبهم،و يقوى إرادتهم،و يكمل إخلاصهم.

و فى بدايه عصر الإسلام كان الرّسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يستفيد من هذا البرنامج الروحى فى تربيه المسلمين،و كانت يبنى شخصياتهم بحيث كانوا يتغيّرون تماما عمّا كانوا عليه فى السابق،يعنى أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يجعل منهم شخصيات جديده ذات إراده قويه و شجاعه،و مؤمنين ذوى إخلاص و نقاء.

و قد يكون(المقام المحمود)الذى ورد ذكره فى الآيات أعلاه نتيجه لصلاه

ص: ۹۰

---

۱ – ۱) -(زهق)من ماده«زهوق»بمعنى الاضمحلال و الهلاك و الإباده،و(زهوق)على وزن«قبول»صيغه مبالغه و هى تعنى الشىء الذى تمت إبادته بالكامل.

اللیل،إشاره لهذه الحقیقه.

و عند ما نبحث الرّوایات الوارده فی المصادر الإسلامیه عن فضیله صلاه اللیل،نری أنّها توضح هذه الحقیقه.و علی سبیل المثال یمکن أن نقف مع هذه النماذج:

-١

عن الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «خیرکم من أطاب الکلام و أطعم الطعام و صلّی باللیل و الناس نیام» (١) .

٢-و

عن أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب،أنّه علیه السّلام قال: «قیام اللیل مصحه للبدن،و مرضاه للرّب عزّ و جلّ،و تعرّض للرحمه،و تمسک بأخلاق النّبیین» (٢) .

٣-و

عن الإمام الصادق علیه السّلام أنّه أوصی أحد أصحابه بقوله:«لا تدع قیام اللیل فإنّ المغبون من حرم قیام اللیل» (٣) .

۴-و

عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «من صلّی باللیل حسن وجهه بالنهار» (۴) .

و نقرأ فی بعض الرّوایات أنّ هذه العباده(صلاه اللیل)علی قدر من الأهمیه بحیث أنّ غیر الطاهرین و المحسنین لا یوفقون إلیها.

-۵

جاء رجل إلی أمیر المؤمنین علی علیه السّلام و قال له:إنّی محروم من صلاه اللیل،فأجابه علیه السّلام:«أنت رجل قد قیدتک ذنوبک» (۵) .

-۶

فی حدیث آخر عن الإمام الصادق علیه السّلام قال: «إنّ الرجل لیکذب الکذبه و یحرم بها صلاه اللیل،فإذا حرم بها صلاه اللیل حرم بها الرّزق» (۶) .

٧-و بالرغم من أننا نعلم أن شخصا مثل علی بن أبی طالب لا یترک صلاه

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۸۷،ص ۱۴۲-۱۴۸.

۲- ۲) -المصدر السّابق.

۳- ۳) -المصدر السّابق.

۴- ۴) -المصدر السّابق.

۵- ۵) -بحار الأنوار،ج ۸۷،ص ۱۴۲-۱۴۸.

۶- ۶) -المصدر السّابق.

اللیل أبدا،و نظرا لأهمیه هذه الصلاه نری رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أوصاه بها فی جمله من وصایاه له،إذ

قال له صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «أوصیک فی نفسک بخصال فاحفظها،ثمّ قال:اللهم أعنه...و علیک بصلاه اللیل،و علیک بصلاه اللیل،و علیک بصلاه اللیل!» (۱) .

۸-و

عن الرّسول الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قال لجبرئیل علیه السّلام:عظنی،فقال جبرائیل لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:یا محمّد،عش ما شئت فإنّک میت،و أحبب ما شئت فإنّک مفارقه، و اعمل ما شئت فإنّک ملاقیه،و اعلم أنّ شرف المؤمن صلاته باللیل،و عزّه کفّه عن أعراض النّاس» (۲) .

إنّ هذه الوصایا الملکوتیه لجبرائیل تدل علی أنّ صلاه اللیل تضفی علی الإنسان من الإیمان و الروحانیه و قوه الشخصیه ما یکون سببا فی شرفه کما أن کفّه الأذی عن الآخرین یکون سببا فی عزته.

-۹

عن الإمام الصّادق علیه السّلام قال: «ثلاثه هنّ فخر المؤمن و زینه فی الدنیا و الآخره،الصّلاه فی آخر اللیل و یأسه ممّا فی ایدی الناس و و الآیه الإمام من آل محمّد».

-۱۰

عن الإمام الصادق علیه السّلام قوله: «ما من عمل حسن یعمله العبد إلاّ و له ثواب فی القرآن إلاّ صلاه اللیل،فإنّ اللّه لم یبیّن ثوابها لعظیم خطرها عنده فقال:

تتجافی جنوبهم عن المضاجع یدعون ربّهم خوفا و طمعا وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ یُنْفِقُونَ* فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِیَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْیُنٍ جَزاءً بِما کانُوا یَعْمَلُونَ (۳) .

و لصلاه اللّیل-بالطبع-آداب کثیره،و لکن لا بأس أن نذکر هنا أبسط شکل لها،حتی یستطیع عشاق و محبّو هذه العباده الروحیه بها و الاستفاده منها:

و إنّ صلاه اللیل تتکون بأبسط صورها من(۸۵)رکعه،و هی مقسمه إلی ثلاثه أقسام هی:

أ-أربع صلوات،ذات رکعتین،یکون مجموعها ثمانی رکعات و تسمّی



---

۱- ۱) -وسائل الشیعه،ج ۵،ص ۲۶۸.

۲- ۲) -وسائل الشیعه،ج ۵،ص ۲۶۹.

۳- ۳) -بحار الأنوار،ج ۸۷،ص ۱۴۰.

(نافله اللیل).

ب-صلاه واحده ذات رکعتین،و تسمّی ب(الشفع).

ج-صلاه واحده ذات رکعه واحده،و تسمّی ب(الوتر).

أمّا طریقه أداء هذه الصلاه فهی لا تختلف عن صلاه الصبح،إلّا أنّها لا تحتوی علی الأذان و الإقامه،و الأفضل إطاله قنوت رکعه الوتر (۱) .

### ۲-ما هو المقام المحمود؟

المقام المحمود-کما هو واضح من اسمه-له معنی واسع بحیث یشمل کل مقام یستحق الحمد،و لکن من المسلّم بأن المقصود به هنا،هو الإشاره إلی المقام الممتاز و الخاص الذی اختص به رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و بسبب عباداته اللیلیه و دعائه فی وقت السحر.

و المعروف بین المفسّرین-کما قلنا سابقا-أنّ هذا المقام هو مقام الشفاعه الکبری للرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.و هذا التّفسیر ورد فی روایات متعدّده،ففی تفسیر العیاشی عن الإمام الصادق أو الباقر علیهما السّلام،نقرأ فی تفسیر قوله تعالی: عَسیٰ أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقٰاماً مَحْمُوداً أنّه قال:«هی الشّفاعه».

و قد حاول بعض المفسّرین الوصول إلی هذه الحقیقه من مفهوم الآیه نفسها، فهم یعتقدون أنّ جمله عَسیٰ أَنْ یَبْعَثَکَ دلیل علی أنّ اللّه سوف یعطیک هذا المقام فی المستقبل.المقام الذی سوف یحمده الجمیع،لأنّ فائدته سوف تنال الجمیع(لأنّ محمود فی الجمله أعلاه جاءت مطلقه غیر مقیده بشرط).إضافه إلی ذلک فإنّ الحمد فی مقابل عمل معین هو أمر اختیاری،و الشیء الذی یحتوی علی جمیع هذه الصفات لا یمکن أن یکون سوی الشفاعه الکبری و العامّه



---

۱- ۱) -بعض الفقهاء یحتاطون بعدم قراءه القنوت فی رکعتی الشفع أو قراءتها بأمل الرجاء.

لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (۱) .

و هناك احتمال أن يكون المقام المحمود هو أقصى القرب من الخالق عزّ و جلّ،و الذى تكون إحدى آثاره هى الشفاعه الكبرى.(فتأمل ذلك).

و بالرغم من أنّ المخاطب فى هذه الآيه-ظاهرا-هو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،إلاّ أنّه يمكن تعميم الحكم و القول بأنّ جميع الأشخاص المؤمنين الذين يقومون ببرنامج التلاوه و صلاه الليل لهم نصيب فى هذا المقام المحمود،و سوف يقتربون من الساحه الإلهيه بمقدار إيمانهم و عملهم،و بنفس المقدار سوف يقيمون بالشفاعه للآخرين.

إنّنا نعلم أنّ أى مؤمن و بمقدار إيمانه له نصيب من مقام الشفاعه،إلاّ أنّ المصداق الأتم و الأكمل لهذه الآيه هو شخص الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

### ۳-العوامل الثّلاثه للانتصار

فى ميادين الصراع بين الحق و الباطل يكون جيش الباطل-عاده-ذا عدّه و عدد أكثر،إلاّ أن جيش الحق-بالرغم من قلّه أفراده و وسائله الظاهريه- يحصل على انتصارات عظيمه.و يمكن مشاهده نماذج من ذلك فى غزوات بدر و الأحزاب و حنين،و فى عصرنا الحاضر يمكن مشاهده ذلك فى الثورات المنتصره للأمم المستضعفه فى مقابل الدول المستكبره.

و هذا الأمر يكون سبب تحلّى أنصار الحق بقوّه معنويه خاصّه بحيث تصنع من(الإنسان)أمّه.و فى الآيات أعلاه تمت الإشاره إلى ثلاثه عوامل للانتصار، العوامل التى ابتعد عنها مسلمو اليوم،و لهذا السبب نرى هزائمهم المتكرّره فى مقابل الأعداء و المستكبرين.

و العوامل الثلاثه هى:الدخول الصادق و الخالص فى الأعمال،و الاستمرار



---

۱- ۱) -الميزان،ج ۱،ص ۱۷۸.

على هـذه الحاله الصادقه حتى النهايه رَبِّ أَدْخِلْنِی مُـدْخَلَ صِـدْقٍ وَ أَخْرِجْنِی مُخْرَجَ صِـدْق .ثمّ الاعتماد على قدره الخالق جلّ و علا،و الاعتماد على النفس، و ترک أی اعتماد أو تبعیه للأجانب وَ اجْعَلْ لِی مِنْ لَدُنْکَ سُلْطاناً نَصِیراً .

و بهـذا الشـکل فلیست هنـاک أیه سیاسـیه تؤثر فی الإنتصـار کمـا فی الصـدق و الإخلاـص،لیس هنـاک أی اعتمـاد أفضـل من الاعتماد على الخالق و الاستقلال و عدم التبعیه.

کیف یرید المسـلمون أن ینتصروا على الأعداء الذین قاموا بغصب أراضیهم و صادروا مصادرهم الحیاتیه فی حین أنّهم مرتبطون بأعدائهم فی المجالات السیاسیه و العسکریه و الاقتصادیه؟هل نستطیع أن ننتصر على العدو بواسطه السلاح الذی نشتریه منه؟

### ۴-حتمیه انتصار الحق و هزیمه الباطل

نواجه فی الآیـات أعلاه أصـلا تاما،و أساسا آخر،و سـنه إلهیه خالـده تزرع الأمل فی قلوب أنصار الحق،هـذا الأصل هو أنّ عاقبه الحق الإنتصار،و عاقبه الباطل الانـدحار،و أنّ للباطل صوله و برق و رعد،و له کر و فر،إلّا أن عمره قصـیر، و فی النهایه یکون مآله السقوط و الزوال..الباطل کما یقول القرآن: فَأَمَّا الزَّبَدُ فَیَذْهَبُ جُفاءً وَ أَمّا ما یَنْفَعُ النّاسَ فَیَمْکُثُ فِی الْأَرْضِ (۱) .

و الـدلیل على هـذا الموضوع کـامن فی بـاطن کلمه الباطل،حیث أنّه لا یتفق مع القوانین العامّه للوجود،و لیس له من رصـید من الواقعیه و الحقیقه.

إنّ الباطل شیء مصنوع و مزوّر،لیست له جذور،أجوف،و الأشیاء التی لها صفات کهذه-عاده-لا یمکنها البقاء طویلا.

أمّا الحق فله أبعاد و جذور متناسقه مع قوانین الخلق و الوجود،و مثله ینبغی



---

۱- ۱) الرعد،۱۷.

أن یبقی.

أنصار الحق یعتمدون سلاح الإیمان،منطقهم الوفاء بالعهد،و صدق الکلام، و التضحیه،و هم مستعدون أن یضحوا بأنفسهم و الاستشهاد فی سبیل اللّه،قلوبهم منوّره بنور المعرفه،لا یخافون أحدا سوی اللّه،و لا یعتمدون إلاّ علیه،و هذا هو سر انتصارهم.

### ۵-آیه جاء الحق...و قیام المهدی علیه السّلام

فی بعض الرّوایات تمّ تفسیر قوله جٰاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبٰاطِلُ بقیام دوله المهدی علیه السّلام،فالإمام الباقر یبیّن أنّ مفهوم الکلام الإلهی هو:

«إذا قام القائم ذهبت دوله الباطل» (۱) .

و فی روایه أخری نقرأ أنّه حینما ولد المهدی علیه السّلام کان مکتوبا علی عضده قوله تعالی جٰاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبٰاطِلُ إِنَّ الْبٰاطِلَ کٰانَ زَهُوقاً (۲) .

إنّ مفهوم هذه الأحادیث لا یحصر المعنی الواسع للآیه بهذا المصداق،بل إنّ ثوره المهدی علیه السّلام و نهضته هی من أوضح المصادیق حیث تکون نتیجتها الإنتصار النهائی للحق علی الباطل فی کل العالم.

و بالنسبه للرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم نقرأ أنّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم دخل فی یوم فتح مکّه،المسجد الحرام و حطم(۳۶۰)صنما کانت لقبائل العرب،و کانت موضوعه حول فناء الکعبه،و کان صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یحطمها الواحد تلو الآخر بعصاه،و هو یقول: جٰاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبٰاطِلُ إِنَّ الْبٰاطِلَ کٰانَ زَهُوقاً .

و خلاصه القول:إنّ حقیقه انتصار الحق و انهزام الباطل هی تعبیر عن قانون عام یجری فی مختلف العصور،و انتصار الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علی الشرک و الأصنام،



---

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۳،ص ۲۱۲ و ۲۱۳.

۲- ۲) -المصدر السّابق.

و نهضه المهدی علیه السّلام الموعوده و انتصاره علی الظالمین فی العالم،هما من أوضح المصادیق لهذا القانون العام.

و هذا القانون یبعث الأمل فی نفوس أهل الحق،و یعطیهم القوه علی مواجهه مشاکل الطریق فی عملهم و مسیرهم الإسلامی.

ص :97

## الآیه [سوره الإسراء (١٧): آیه ٨٢]

### اشاره

وَ نُنَزِّلُ مِنَ اَلْقُرْآنِ مٰا هُوَ شِفٰاءٌ وَ رَحْمَهٌ لِلْمُؤْمِنِینَ وَ لاٰ یَزِیدُ اَلظّٰالِمِینَ إِلاّٰ خَسٰاراً (٨٢)

### التّفسیر

#### اشاره

#### القرآن و صفه للشفاء

الآیه التی نبحثها الآن تشیر إلی التأثیر الکبیر للقرآن الکریم و دوره البنّاء فی هذا المجال حیث تقول: وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مٰا هُوَ شِفٰاءٌ وَ رَحْمَهٌ لِلْمُؤْمِنِینَ أمّا الظالمون فإنّهم بدلا من أن یستفیدوا من هذا الکتاب العظیم،فإنّهم یتمسکون بما لا ینتج لهم سوی الذل و الهوان وَ لاٰ یَزِیدُ الظّٰالِمِینَ إِلاّٰ خَسٰاراً .

### بحوث

#### اشاره

#### ١-مفهوم کلمه(من)فی مِنَ الْقُرْآنِ

نعرف أنّ کلمه(من)فی مثل هذه الموارد تأتی للتبعیض،إلاّ أنّ الشفاء و الرحمه لا تخص قسما من القرآن،بل هی صفه لکل آیاته،لذا فإنّ کبار المفسّرین یمیلون إلی اعتبار(من)هنا بیانیه.و لکن البعض احتمل أن تکون

ص: ٩٨

تبعیضیه کذلک،و هی بذلک تشیر إلی النزول التدریجی للقرآن-خاصّه و أنّ (ننزل)فعل مضارع-لذا فإنّ معنی الجمله یکون: (إنّنا ننزل القرآن و کل قسم ینزل منه،هو بحدّ ذاته و لوحده یعتبر شفاء و رحمه)(فتدبرّ جیدا).

### ۲-الفرق بین الشّفاء و الرّحمه

إنّ(الشفاء)هو فی مقابل الأمراض و العیوب و النواقص،لذا فإنّ أوّل عمل یقوم به القرآن فی وجود الإنسان هو تطهیره من أنواع الأمراض الفکریه و الأخلاقیه الفردیه منها و الجماعیه.

ثمّ تأتی بعدها مرحله(الرحمه)و هی مرحله التخلّق بأخلاق اللّه،و تفتّح براعم الفضائل الإنسانیه فی أعماق الأفراد الذین یخضعون للتربیه القرآنیه.

بعباره أخری:إنّ الشفاء إشاره إلی(التطهیر)و(الرحمه)إشاره إلی(البناء الجدید).أو بتعبیر الفلاسفه و العارفین،فإنّ الأولی تشیر إلی مقام(التخلیه)بینما الثّانیه تشیر إلی مقام(التحلیه).

### ۳-الظّالمون و نصیبهم من القرآن

لیس فی هذه الآیه القرآنیه و حسب،بل فی الکثیر من الآیات الأخری،نقرأ أنّ الظالمین یزداد جهلهم و بؤس حالهم،بدل الاستفاده من نور الآیات الإلهیه!! إنّ ذلک یعود إلی أنّ وجودهم قائم بالأساس علی قواعد الکفر و الظلم و النفاق،لذلک فإنّهم أین ما یجدون الحق یحاربونه،و هذه الحرب للحق و أهله تزید فی بؤسهم و تقوی روح الطغیان و التمرّد عندهم.

فإذا أعطینا-مثلا-وجبه طعام متکامله لعالم مجاهد،فإنّه سیستفید من تلک الطاقه لأجل التربیه و التعلیم و الجهاد فی طریق الحق،أمّا إذا أعطینا نفس وجبه الطعام هذه إلی شخص ظالم،فأنّه سیستفید من هذه الطاقه فی تموین قدره الظلم

لـديه أكثر،و هـذا المثال يكشف عن أنّه لا يوجـد اختلاف فى الماده الإلهيه نفسـها (المعنى هنا القرآن الكريم)بل الاختلاف فى أمزجه و أفكار و استعداد الإنسان المتلقى.

فالآيـات القرآنيه طبقـا للمثـال،هى كقطرات الماء التى تكون سـببا فى إنبات الورود فى البساتين،بينما تنبت الأشواك فى الأرض السبخه.

و لهذا السـبب ينبغى أن تتهيأ مسبقا الأرضيه حتى تتم الاستفاده من القرآن، إضافه إلى أنّ فاعليه الفاعل يشترط فيها قابليه المحل كما يصطلح.

و هنا تتّضـح الإجابه على السؤال الذى يقول:كيف لا يهدى القرآن أمثال هؤلاء الأشـخاص فى حين أنّه كتاب هدايه؟إذ لا ريب أنّ القرآن قـادر على هـدايه الضـالين،و لكن بشـرط أن يبحث هؤلاـء عن الحق،و يكونوا فى مستوى قبوله و الإذعان له.أمّا واقع المعانـدين و أعـداء الحق فـإنّه يكشف عن تعامـل هؤلاء سـلبيا مع القرآن،و لـذلك لا يسـتفيدون من القرآن،بل يزداد عنادهم و كفرهم،لأنّ تكرار الذنب يكرس فى روح الإنسان حاله الكفر و العناد.

### ۴-القرآن دواء ناجع لكل الأمراض الاجتماعيه و الأخلاقيه

إنّ الأمراض الروحيه و الأخلاقيه لها شـبه كبير بالأمراض الجسميه للإنسان، فالإثنان يقتلان،و الاثنان يحتاجان إلى طبيب و علاج و وقايه،و الاثنان قد يسريان للآخرين،و يجب فى كل منهما معرفه الأسباب الرئيسه ثمّ معالجتها.

و فى كـل منهمـا قـد يصـل الحـال بالمصـاب الى عـدم امكانيه العلاج،و لكن فى أكثر الأحيان يتم علاجها و الشـفاء منها،إلاّ أنّ العلاج قد لا ينفع فى أحيان أخرى.

إنّه شـبه جميـل و ذو معـانى متعـدّده؛فـالقرآن يعتـبر و صـفه شـفاء للـذين يريـدون محـاربه الجهـل و الكبر و الغرور و الحسـد و النفاق...القرآن و صفه شفاء لمعالجه الضعف و الذّله و الخوف و الاختلاف و الفرقه.و كتاب اللّه الأعظم و صفه شفاء

للذين یئنّون من مرض حبّ الدنیا و الارتباط بالماده و الشهوه.و القرآن و صفه شفاء لهذه الدنیا التی تشتعل فیها النیران فی کل زاویه،و تئن من وطأه السباق فی تطویر الأسحله المدمره و خزنها،حیث وضعت رأس مالها الاقتصادی و الإنسانی فی خدمه الحرب و تجاره السلاح.

و أخیرا فإنّ کتاب اللّه و صفه شفاء لإزاله حجب الشهوات المظلمه التی تمنع من التقرب نحو الخالق عزّ و جلّ.

نقرأ فی الآیه(۵۷)من سوره یونس قوله تعالی: قَدْ جٰاءَتْکُمْ مَوْعِظَهٌ مِنْ رَبِّکُمْ وَ شِفٰاءٌ لِمٰا فِی الصُّدُورِ .

و فی الآیه(۴۴)من سوره فصّلت نقرأ قوله تعالی: قُلْ هُوَ لِلَّذِینَ آمَنُوا هُدیً وَ شِفٰاءٌ .

و لإمام المتقین علی بن أبی طالب علیه السّلام قول جامع فی هذا المجال،حیث

یقول علیه السّلام فی نهج البلاغه: «فاستشفوه من أدوائکم و استعینوا به علی لأوائکم،فإنّ فیه شفاء من أکبر الداء،و هو الکفر و النفاق و الغی و الضلال» (۱) .

و

فی مکان آخر نقرأ لإمام المتقین علی علیه السّلام قوله واصفا کتاب اللّه: «ألا إنّ فیه علم ما یأتی و الحدیث عن الماضی و دواء دائکم و نظم ما بینکم». (۲)

و فی مقطع آخر یضمّه نهج علی علیه السّلام،نقرأ وصفا لکتاب اللّه

یقول فیه علیه السّلام:

«و علیکم بکتاب اللّه فإنّه الحبل المتین،و النور المبین،و الشفاء النافع،و الری الناقع،و العصمه للمتمسک،و النجاه للمتعلق،لا یعوج فیقام،و لا یزیغ فیستعتب، و لا تخلقه کثره الرد و ولوج السمع،من قال به صدق،و من عمل به سبق» (۳) .

هذه التعابیر العظیمه و البلیغه،و التی نجد لها أشباها کثیره فی أقوال النّبی الأعظم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و فی کلمات الإمام علی علیه السّلام الأخری و الأئمّه الصادقین علیهم السّلام،هی دلیل یثبت بدقه و وضوح أنّ القرآن و صفه لمعالجه کل المشاکل و الصعوبات



---

۱- ۱) -نهج البلاغه،الخطبه ۱۷۶.

۲- ۲) -نهج البلاغه،الخطبه رقم ۱۵۸.

۳- ۳) -نهج البلاغه،الخطبه رقم ۱۵۸.

و الأمراض،و لشفاء الفرد و المجتمع من أشكال الأمراض الأخلاقيه و الاجتماعيه.

إنّ أفضل دليل لإثبات هذه الحقيقه هی مقايسه وضع العرب فی الجاهليه مع وضع الذين تربوا فی مدرسه الرّسول صلّی اللّه عليه و آله و سلّم فی مطلع الإسلام.إنّ المقايسه بين الوضعين ترينا كيف أنّ أولئك القوم المتعطشون للدماء،و المصابون بأنواع الأمراض الاجتماعيه و الأخلاقيه،قد تمّ شفاؤهم ممّا هم فيه بالهدايه القرآنيه، و أصبحوا برحمه كتاب اللّه من القوّه و العظمه بحيث أنّ القوی السياسيه المستكبره آنذاک خضعت لهم أعنّتها،و ذلت لهم رقابها.

و هذه هی نفس الحقيقه التی تناساها مسلمو اليوم،و أصبحوا علی ما هم عليه من واقع بائس مرير غارق بالأمراض و المشاكل...إنّ الفرقه قد اشتدت بينهم،و الناهبين سيطروا علی مقدراتهم و ثرواتهم،مستقبلهم أصبح رهينه بيد الآخرين بعد أن أصيبوا بالضعف و الهوان بسبب الارتباط بالقوی الدوليه و التبعيه الذليله لها.

و هذه هی عاقبه من يستجدی دواء علّته من الآخرين الذين هم اسوأ حالا منه،فی حين أن الآخرين،ليأخذ منهم علاج الدواء حاضر بين يديه و موجود فی منزله! القرآن لا يشفی من الأمراض و حسب،بل إنّه يساعد المرضی علی تجاوز دور النقاهه إلی مرحله القوّه و النشاط و الانطلاق،حيث تكون(الرحمه)مرحله لا حقه لمرحله(الشفاء).

الظريف فی الأمر أنّ الأدويه التی تستخدم لشفاء الإنسان لها نتائج و تأثيرات عرضيه حتميه لا يمكن توقيها أو الفرار منها،حتی

أنّ الحديث المأثور يقول: «ما من دواء إلاّ و يهيج داء» (۱) .



---

۱- ۱) -سفينه البحار.

أمّا هذا الدواء الشافی،کتاب اللّه الأعظم،فلیست له أی آثار عرضیه علی الروح و الأفکار الإنسانیه،بل علی عکس ذلک کله خیر و برکه و رحمه.

و فی واحده من عبارات نهج البلاغه نقرأ فی وصف هذا المعنی

قول علی علیه السّلام: «شفاء لا تخشی أسقامه» واصفا بذلک القرآن الکریم (۱) .

یکفی أن نتعهد باتباع هذه الوصفه لمدّه شهر،نطیع الأوامر فی مجالات العلم و الوعی و العدل و التقوی و الصدق و بذل النفس و الجهاد...عندها سنری کیف ستحل مشاکلنا بسرعه.

و أخیرا ینبغی القول:إنّ الوصفه القرآنیه حالها حال الوصفات الأخری، لا یمکن أن تعطی ثمارها و أکلها من دون أن نعمل بها و نلتزمها بدقه،و إلاّ فإنّ قراءه و صفه الدواء مائه مرّه لا تغنی عن العمل بها شیئا!!



---

۱- ۱) نهج البلاغه،الخطبه رقم ۱۹۸.

## الآيتان [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٨٣ الى ٨٤]

### اشاره

وَ إِذا أَنْعَمْنا عَلَى اَلْإِنْسانِ أَعْرَضَ وَ نَأى بِجانِبِهِ وَ إِذا مَسَّهُ اَلشَّرُّ كانَ يَؤُساً (٨٣) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدى سَبِيلاً (٨۴)

### التّفسير

### اشاره

### كل يتصرف وفق فطرته:

بعد أن تحدّثت الآيه السابقه عن شفاء القرآن،تشير الآيه التى بين أيدينا إلى أحد أكثر الأمراض تجذرا فتقول: وَ إِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ أَعْرَضَ وَ نَأى بِجانِبِهِ .و لكن عند ما نسلب منه النعمه و يتضرر من ذلك و لو قليلا: وَ إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ كانَ يَؤُساً .

(أعرض)مشتقه من(إعراض)و هى تعنى عدم الالتفات،و المقصود منها هنا هو عدم الالتفات للخالق عزّ و جلّ،و إعراض الوجه عنه و عن الحق.

(نأى)مشتقّه من(نأى)و هى على وزن(رأى)و هى بمعنى الابتعاد،و عند إضافه كلمه(بجانبه)إليها يكون المعنى التكبر و الغرور و التزام المواقف المعاديه.

و يمكن الاستفاده من مجموع هذه الجمله الأشخاص الدنيويين يصابون بالغرور

عنـد مجیء النعم،بحیث أنّهم ینسون واهب و معطی هـذه النعم،و لاـ یقتصـر الأمر علی النسـیان و حسب،بل ینتقل إلی الاعتراض التکبر و عدم الالتفات للخالق.

جمله مَسَّهُ الشَّرُّ تشـیر إلی أدنی سوء یصـیب الإنسان.و المعنی أنّ هؤلاء من الضعف و عدم التحمّل بحیث أنّهم ینسون أنفسهم و یغرقون فی دوّامه الیأس بمجرّد أن تصیبهم أبسط مشکله.

الآیه الثّانیه تخاطب الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فتقول: قُلْ کُلٌّ یَعْمَلُ عَلیٰ شاکِلَتِهِ .

فـالمؤمنون یطلبون الرحمه و الشـفاء من آیـات القرآن الکریم،و الظالمون لا یسـتفیدون من القرآن سوی مزیـد من الخسـران،أمّا الأـفراد الضـعفاء فیصـابون بـالغرور فی حـال النعمـه.و یصـابون بالیـأس فی حـال ظهـور المشاکل...هؤلاـء جمیعـا یتصـرفون وفق أمزجتهم،هذه الأمزجه التی تتغیّر وفق التربیه و التعلیم و الأعمال المتکرره للإنسان نفسه.

و فی هـذه الأـحوال جمیعـا فـإنّ هناک علم اللّه الشاهـد و المحیط بالجمیع و خاصّه بالأشـخاص المهتـدین: فَرَبُّکُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدیٰ سَبِیلاً .

## بحوث

### اشاره

### ۱-الغرور و الیأس

یتداول علی ألسـنتنا أنّ فلانا أصـبح بعیدا عن اللّه،أو أنّه نسی اللّه بعد أن تحسنت أموره.و رأینا أنّ أمثال هؤلاء الأشخاص الذین نسوا اللّه کیف یصابون بالیأس الذله و الهلع عند ما تنزل بهم أبسط الشدائد،بحیث لا نکاد نصدّق بأنّهم سبق و أن کانوا علی غیر هذه الحال! أجل،هکذا حال هؤلاء الجماعه من ضـیقی التفکیر و ضـعیفی الإیمان،و علی العکس من ذلک حال أولیاء اللّه،حیث تکون نفوسهم واسعه و أرواحهم وضاءه

نيّره إزاء المؤثرات التى تحيط بهم و لو بلغت فى عتوها و ضغطها مبلغا شديدا، إنّهم كالجبال فى مقابل الصعوبات و الشدائد،إذا وهبتهم الدنيا فلا يؤثر ذلك فيهم، و إذا أخذت منهم العالم أجمع لا يتأثرون.

و العجيب فى الأمر أنّ هؤلاء القوم الذى يخسرون أنفسهم و الذين تذكرهم السور القرآنيه فى آيات متعدّده(مثل يونس-آيه ۱۲،لقمان-آيه ۳۲،الفجر- آيه ۱۵،۱۴،فصلت-الآيه ۴۸،۴۹)هم أنفسهم يعودون إلى اللّه،و يستجيبون لنداء الفطره عند ما تنزل بهم النوازل و تقع بساحتهم الشدائد،و لكنّهم عند ما تهدأ أمواج الحوادث و الضواغط يتغيرون،أو فى الواقع يعودون إلى ما كانوا عليه سابقا و يكون مثلهم كمن لم يسمع باللّه الذى خلقه و أنقذه! إنّ العلاج الوحيد لهذا المرض هو رفع مستوى الفكر فى ظل العلم و الإيمان، و ترك العبوديه لما هو دون اللّه و سواه،و فك الارتباط مع الشهوه و الماده،و العيش فى إطار من القناعه و الزهد البنّاء.

و ممّا ذكرنا تظهر الإجابه على سؤال،و هو:إنّ الآيات التى نبحثها تصف حال مثل هؤلاء الأشخاص عند الصعوبات و الشدائد ب«يؤوس»فى حين أنّ آيات أخرى مثل الآيه(۶۵)من سوره العنكبوت تصفهم بأنّهم مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ و هى دلاله على غايه التوّجه نحو الخالق عزّ و جلّ؟ فى الواقع ليس ثمّه من تضاد بين هاتين الحالتين،بل إنّ إحداهما هى بمثابه مقدمه للأخرى،فهؤلاء الأشخاص عند ما تصادفهم المشكلات ييأسون من الحياه،و هذا اليأس يكون سببا لأنّ تزول الحجب عن فطرتهم و يلتفتون لخالقهم العظيم.

إنّ هذا التوّجه الاضطرارى إلى الخالق عزّ و جلّ-طبعا-ليس فخرا لأمثال هؤلاء و ليس دليلا على يقظتهم،لأنّهم بمجرّد انصراف المشاكل عنهم يعودون إلى حالتهم السابقه.

أمّا أولياء الحق و عباد اللّه المخلصون الحقيقيون فلا ييأسون عند ما يقعون فى المشاكل و المحن،بل تزيدهم الصعوبات استقامه و صلابه على طريق الهدى، و بسبب اعتمادهم على اللّه و على أنفسهم فإنّهم يتمتعون بقوّه لمواجهه المشاكل و لا معنى لليأس فى وجودهم.

إنّ هؤلاء ليسوا على صله بالخالق فى أوقات المشكلات و حسب،و إنّما فى اتصال دائم معه فى كل الحالات إذ يستمدون العون منه تعالى،و تكون قلوبهم منيره برحمته و هدايته.

### ٢-ما معنى(شاكله)؟

«شاكله»فى الأصل مشتقه من(شكل)و هى تعنى وضع الزمام و الرباط للحيوان.و(شكال)تقال لنفس الزمام؛و بما أنّ طبائع و عادات كل إنسان تقيّده بصفات معينه لذا يقال لذلك«شاكله».أمّا كلمه«إشكال»فتقال للاستفسار و السؤال و سائر الأمور التى تحدّد الإنسان نوعا ما (۱) .

لهذا فإنّ مفهوم الشاكله لا يختص بالطبيعه الإنسانيه،لذلك ذكر العلاّمه الطبرسى فى مجمع البيان لهذه الكلمه معنيين،هما:الطبيعه و الخلقه،ثمّ الطريقه و المذهب و السنّه،على اعتبار أنّ كل واحده من هذه الأمور تحدّد الإنسان من حيث العمل.

و من هنا يتّضح خطأ أولئك الذين اعتبروا الآيه أعلاه دليلا على إلزاميه الصفات الذاتيه للإنسان بشكل يخرج عن إرادته،و هو دليلهم على عقيده الجبر، و إذ أنكروا قيمه التربيه و التزكيه.

هذا النوع من التفكير الذى يخضع فى أسبابه إلى عوامل سياسيه و اجتماعيه و نفسيه-و التى ذكرناها فى بحوثنا عن الجبر و الإختيار-له هيمنه على ثقافه



---

۱- ۱) -مفردات الراغب ماده«شكل».

و أدب الكثير من المجتمعات و النظم،حيث تستخدم هذه الثقافه لتبرير النواقص.

إنّ هذه الثقافه تعتبر من أخطر الإعتقادات التى يمكن أن تجر المجتمع سنين بل قرون إلى الذله و التأخّر.

بناء على ما ذكرنا نعتقد أن عقيده الجبر هى دوما ذريعه للتسلط الاستعمارى،لكى تبقى القوّه المسيطره فى ظل ثقافه الجبر بمنأى عن ردود الفعل المقاومه للسيطره و التى يمكن أن تنطلق من صفوف المسحوقين المستضعفين.

و التعبير المشهور هنا،يوضح هذه الحقيقه بشكل دقيق،إذ يقول:«الجبر و التشبيه أمويان و العدل و التوحيد علويان».

و خلاصه القول هنا:إنّ الشاكله لا تعنى أبدا الطبيعه الذاتيه،بل هى تطلق على كلّ عاده و طريقه و مذهب و أسلوب يعطى للإنسان اتجاها معينا.

لذا فإنّ العادات و الصفات التى يكتسبها الإنسان بتكرار الأعمال اختياريا و إراديا،و كذلك الإعتقادات التى يقتنع بها و يعتمدها بسبب الاستدلال أو التعصب لرأى معين يطلق عليها كلّها كلمه«شاكله».

و عاده ما تكون الملكات الإنسانيه لها صفه اختياريه،لأنّ الإنسان عند ما يكرّر عملا ما ففى البدايه يقال له(حاله)ثمّ تتحوّل الحاله إلى(عاده)و العاده إلى (ملكه)و هذه الملكات نفسها تعطى شكلا معينا لأعمال الإنسان و تحدّد خطّه فى الحياه،و هى عاده ما تظهر بفعل العوامل الاختياريه و الإراديه.

و فى بعض الرّوايات تمّ تفسير«الشاكله»بأنّها النّيه،

فقد ورد فى أصول الكافى عن الإمام الصّادق عليه السّلام،قوله: «النّيه أفضل من العمل،ألا و إنّ النّيه هى العمل،ثمّ تلا قوله عزّ و جلّ: قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلىٰ شٰاكِلَتِهِ ،يعنى على نيّته» (1) .

هذا التّفسير ينطوى على ملاحظه لطيفه،و هى أنّ الإنسان و التى تنبع من



---

١- ١) -نور الثقلين،ج ٣،ص ٢١۴.

اعتقاداته تغطى شكلا لعمله،و عاده فإنّ النيّه هى نوع من الشاكله،بمعنى الأمر المقيّد.لذا تفسّر النيّه أحيانا بأنّها نفس العمل.و فى أحيان أخرى بأنّها أفضل من العمل،لأنّه-فى كل الأحوال-يكون خط العمل و اتجاهه ناتجا عن خط النيّه و اتجاهها.

و

فى روايه«من لا يحضره الفقيه»عن صالح بن الحكم،قال: سئل الصّادق عليه السّلام عن الصلاه فى البيع و الكنائس،فقال عليه السّلام:«صلّ فيها»قلت:أصلى فيها و إن كانوا يصلون فيها؟قال:«نعم.أمّا تقرأ القرآن»: قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلىٰ شٰاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدىٰ سَبِيلاً صلّ على القبله و دعهم» (1) .



---

١- ١) -نور الثقلين،ج ٣،ص ٢١۴.

## الآیه [سوره الإسراء (١٧): آیه ٨۵]

### اشاره

وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ اَلرُّوحِ قُلِ اَلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی وَ مٰا أُوتِیتُمْ مِنَ اَلْعِلْمِ إِلاّٰ قَلِیلاً (٨۵)

### التّفسیر

### اشاره

### ما هی الرّوح؟

تبدأ هذه الآیه فی الإجابه علی بعض الأسئله المهمّه للمشرکین و لأهل الکتاب،إذ تقول: وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی وَ مٰا أُوتِیتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّٰ قَلِیلاً .

مفسّر و الإسلام الکبار-السابقون منهم و اللاحقون-لهم کلام کثیر عن الروح و معناها،و نحن فی البدایه سنشیر إلی معنی کلمه(روح)فی اللغه،ثمّ موارد استعمالها فی القرآن،و أخیرا تفسیر الآیه و الرّوایات الوارده فی هذا المجال.

و فی هذا الصدد یمکن ملاحظه النقاط الآتیه:

١-(الرّوح)فی الأصل اللغوی تعنی(النفس)و البعض یری بأنّ(الروح) و(الرّیح)مشتقّتان من معنی واحد،و إذ تمّ تسمیه روح الإنسان-التی هی جوهره مستقله-بهذا الاسم فذلک لأنّها تشبه النفس و الریح من حیث الحرکه و الحیاه،

و كونها غير مرئيه مثل النفس و الريح.

۲-استخدمت كلمه(الرّوح)فی القرآن الكريم فی موارد و معانی متعدّده، فهی فی بعض الأحيان تعنی الروح المقدّسه التی تساعد الأنبياء علی أداء رسالتهم كما فی الآيه(۲۵۳)من سوره البقره و التی تقول: وَ آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ .

و فی بعض الأحيان تطلق علی القوّه الإلهيه المعنويه التی تقوی المؤمنين و تدفعهم،كما فی قوله تعالی فی الآيه(۲۲)من سوره المجادله: أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ .

و فی موارد أخری تأتی للدلاله علی(الملك الخاص بالوحی)و يوصف ب(الأمين)،كما فی الآيه(۱۹۳)من سوره الشعراء: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ .

و فی مكان آخر وردت بمعنی(الملك الكبير)من ملائكه اللّه الخاصين،أو مخلوق أفضل من الملائكه كما فی الآيه(۴)من سوره القدر: تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ .و فی الآيه(۳۸)من سوره النباء: يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلائِكَةُ صَفًّا .

و وردت-أيضا-بمعنی القرآن أو الوحی السماوی،كما فی الآيه(۵۲)من سوره الشوری فی قوله تعالی: وَ كَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا .

و أخيرا وردت الروح فی القرآن الكريم بمعنی الروح الإنسانيه،كما فی آيات خلق آدم: ثُمَّ سَوّاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ (۱) .و كذلك قوله تعالی فی الآيه (۲۹)من سوره الحجر: فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ (۲) .



---

۱- ۱) -السجده،۹.

۲- ۲) -قلنا سابقا:إنّ إضافه(روح)إلی اللّه هی إضافه تشريفيه،و الهدف هو الروح الكبيره التی و هبها اللّه تبارك و تعالی

۳-و الآن لنر من خلال هذه النقطه ما هو المقصود بالروح فی الآیه التی نبحثها؟ ما هی الرّوح التی سأل عنها جماعه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فأجابهم بقوله تعالی:

وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی وَ مٰا أُوتِیتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّٰ قَلِیلاً

؟ یمکن أن نستفید من مجموع القرائن الموجوده فی الآیه أنّ المستفسرین سألوا عن حقیقه الروح الإنسانیه،هذه الروح العظیمه التی تمیّز الإنسان عن الحیوان،و قد شرفتنا بأفضل الشرف،حیث تنبع کل نشاطاتنا و فعالیاتنا منها، و بمساعدتها نجول فی الأرض و نتأمّل السماء،نکتشف أسرار العلوم،و نتوغل فی أعماق الموجودات إنّهم أرادوا معرفه حقیقه أعجوبه عالم الخلق!! و لأنّ الروح لها بناء یختلف عن بناء الماده،و لها أصول تحکمها تختلف عن الأصول التی تحکم الماده فی خواصها الفیزیائیه و الکیمیائیه،لذا فقد صدر الأمر إلی الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن یقول لهؤلاء فی جمله قصیره قاطعه: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی .و لکی لا یتعجب هؤلاء أو یندهشوا من هذا الجواب فقد أضافت الآیه:

وَ مٰا أُوتِیتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّٰ قَلِیلاً

حیث لا مجال للعجب بسبب عدم معرفتکم بأسرار الروح بالرغم من أنّها أقرب شیء إلیکم.

و

فی تفسیر العیاشی نقل الإمام الباقر و الصّادق علیهما السّلام أنّهما قالا فی تفسیر آیه یَسْئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ ما نصّه:«إنّما الروح خلق من خلقه،له بصر و قوّه و تأیید، یجعله فی قلوب الرسل و المؤمنین» (۱) .

و

فی حدیث آخر عن الإمامین الباقر و الصادق أنّهما علیهما السّلام قالا: «هی من الملکوت،من القدره» (۲) .

۲)

للآدمیین.



---

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۳،ص ۲۱۶.

۲- ۲) -المصدر السّابق.

و فی الرّوایات المتعدّده التی بین أیدینا من طرق الشیعه و أهل السنّه نقرأ أنّ هذا السؤال عن الروح أخذه المشرکون من علماء أهل الکتاب الذین یعیشون مع قریش،کی یختبروا به رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،إذ قالوا لهم:إذا أعطاکم الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم معلومات کثیره عن الروح فهذا دلیل علی عدم صدقه،لذلک نراهم قد تعجبوا من إجابه الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الملیئه بالمعانی رغم قصرها و قلّه کلماتها.

و لکن نقرأ فی بعض الرّوایات الوارده عن أهل البیت علیهم السّلام،فی تفسیر هذه الآیه،أنّ الروح مخلوق أفضل من جبرائیل و میکائیل،و کان هذا المخلوق برفقه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و برفقه الأئمّه الصادقین علیهم السّلام من أهل بیته من بعده،حیث کان یعصمهم من أی انحراف أو زلل خلال مسیرتهم (۱) .

إنّ هذه الرّوایات لا تعارض التّفسیر الذی قلناه،بل هی متناسقه معه و داعمه له،لأنّ الروح الإنسانیه لها مراتب و درجات،فتلک المرتبه من الروح الموجوده عند الأنبیاء و الأئمه علیهم السّلام،هی فی مرتبه و درجه عالیه جدّا،و من آثارها العصمه من الخطأ و الذنب و کذلک یترتب علیها العلم الخارق.و بالطبع فإنّ روحا مثل هذه هی أفضل من الملائکه بما فی ذلک جبرئیل و میکائیل.(فتدبّر)

### أصاله و استقلال الرّوح:

یظهر تأریخ العلم و المعرفه الإنسانیه أنّ قضیه الروح و أسرارها الخاصّه کانت محط توجّه العلماء،حیث حاول کل عالم الوصول إلی محیط الروح السری.و لهذا السبب ذکر العلماء آراء مختلفه و کثیره حول الروح.

و من الممکن أن تکون علومنا و معارفنا الیوم-و کذلک فی المستقبل-قاصره عن التعرف علی جمیع أسرار الروح و الإحاطه بتفصیلاتها،بالرغم من أنّ روحنا هی أقرب شیء لدینا من جمیع ما حولنا.و بسبب الفوارق التی تفصل بین



---

۱- ۱) -تفسیر نور الثقلین،ج ۳،ص ۲۱۵.

جوهره الروح و بين ما نأنس به من عوالم الماده،فإنّنا لن نحيط بأسرار و كنه الروح،أعجوبه الخلق،و المخلوق الذى يتسامى على الماده.

و لكن كل هذا لا يمنعنا من رؤيه أبعاد الروح بعين العقل،و أن نتعرف على النظم و الأصول العامّه الحاكمه عليها.

إنّ أهم أصل يجب أن نعرفه هو قضيه أصاله و استقلال الروح،فى مقابل آراء المذاهب الوضعيه التى تذهب إلى ماديه الروح،و أنّها من افرازات الذهن و الخلايا العصبيه و لا شىء غير ذلك! و سنبحث هذا الموضوع هنا و نتوسع فيه،لأنّ مسأله(بقاء الروح)و قضيه (التجرد المطلق أو عالم البرزخ)يعتمدان على هذا الأمر.

و لكن قبل الورود فى البحث لا بدّ من ذكر ملاحظه هامّه،و هى أن تعلق الروح بجسم الإنسان ليست-و كما يظن البعض-من نوع الحلول،و إنّما هى نوع من الارتباط و العلاقه القائمه على أساس حاكميه الروح على الجسم و تصرفها و تحكمها به،حيث يشبهها البعض بعلاقه تعلق المعنى و ارتباطه باللفظ.

هذه المسأله-طبعا-ستتوضح أكثر ضمن حديثنا عن استقلال الروح.

و الآن لنرجع إلى أصل الموضوع.

لا يشك أحد فى أنّ الإنسان يختلف عن الحجاره و الخشب،لأنّنا نشعر- بشكل جيّد-بأنّنا نختلف عن الجمادات،بل و حتى عن النباتات،فنحن نفهم و نتصوّر و نصمّم،و نريد،و نحب،و نكره،و...الخ.

إلاّ أنّ الجمادات و النباتات ليس لها أىّ من هذه الإحساسات،لذلك فثمّه فرق أساسى بيننا و بينها و يتمثل فى امتلاكنا للروح الإنسانيه.

ثمّ إنّه لا الماديون و لا أى مجموعه فكريه مذهبيه أخرى تنكر أصل وجود الروح،و لذلك يعتبرون علوما مثل علم النفس(سيكولوجيا)،و علم العلاج النفسى(بسيكاناليزم)من العلوم المفيده و الواقعيه،و هذين العلمين بالرغم من

أنّهما یعیشان مراحل طفولتهما بلحاظ بعض العوامل و القضایا،و لکنّهما مع ذلک یدخلان الیوم ضمن المناهج الدراسیه فی الجامعات،حیث یقوم أساتذه کبار بالبحث و التحقیق فیهما،و کما سنلاحظ،فإنّ النفس و الروح لیستا حقیقتین منفصلتین،بل هما مراحل مختلفه لحقیقه واحده.

و إنّنا هنا سنطلق کلمه(النفس)عند ما یتعلق الحدیث بالارتباط بین الروح و الجسم و التأثیر المتبادل لکل منهما علی الآخر.أمّا عند ما یکون الحدیث عن الظواهر الروحیه مع غض النظر عن البدن فإنّنا سنطلق علیها کلمه(الروح).

و خلاصه القول:أنّه أحد یستطیع أن ینکر حقیقه وجود الروح و النفس عندنا.

و الآن ینبغی أن نتفحّص مجالات السجال و الحرب بین المذاهب المادیه من جهه،و بین مجموع هذه المذاهب و تیارات و مذاهب الفلاسفه الروحیین و المیتافیزیقیین من جهه أخری.

إنّ العلماء الإلهیین و الفلاسفه الروحیین یعتقدون بأنّ الإنسان و بالإضافه إلی المواد التی تدخل فی تشکیل جسمه،ینطوی وجوده علی حقیقه جوهریه أخری لا تتجلی فیها صفات الماده،و إن جسم الإنسان یخضع لتأثیرها بشکل مباشر و فاعل.

و بعباره أخری،فإنّ الروح هی حقیقه من حقائق ما وراء الطبیعه(أی میتافیزیقیه)حیث أنّ ترکیبها و فعالیتها تختلف عن ترکیب و فاعلیه عالم الماده؛ صحیح أنّها مرتبطه مع عالم الماده،إلاّ أنّها لیست ماده و لا تملک خواص الماده.

فی المقابل هناک الفلاسفه المادیون الذین یقولون:إنّنا لا نعرف موجودا مستقلا عن الماده یسمی بالروح،أو أی اسم آخر،و إنّ کل ما موجود هو هذه الماده الجسمیه و آثارها الفیزیائیه أو الکیمیائیه.

إنّنا نملک جهازا یسمّی(الذهن و الأعصاب)و هو یقوم بقسم مهم من أعمالنا

الحياتیه،و هو مثل باقی الأجهزه المادیه حیث یخضع فی نشاطه لقوانین الماده.

إنّنا نملک غددا تحت اللسان تسمّی الغدد اللعابیه و التی تقوم بفاعلیه فیزیائیه و کیمیائیه،فعند ما یدخل الطعام إلی الفم تقوم هذه الغدد بالعمل بشکل أوتوماتیکی حیث تقوم بإفراز السائل بالمقدار الذی یحتاجه الطعام حتی یلین و یمضغ بشکل جیّد،فهناک-أطعمه تحتوی علی سوائل و هناک أطعمه قلیله السوائل أو جافّه،و کل نوع من هذه الأطعمه یحتاج إلی مقدار معین من هذه السوائل(اللعاب).

المواد الحامضیه تزید من عمل هذه الغدد،خاصّه عند ما تکون کثافه الطعام کبیره،حتی یحصل الطعام علی کمیّه أکبر من السوائل لیلین،و من ثمّ لا تصاب جدران المعده بضرر.

عند ما نبلع الطعام ینتهی عمل هذه الغدد و القنوات.و خلاصه القول:إنّ هناک نظاما عجیبا یتحکم بهذه الغدد و القنوات بحیث أنّها إذا فقدت تعادلها لمدّه ساعه،فإمّا أن یسیل اللعاب بشکل دائم عبر الشفتین،أو أن یکون الفم جافا بحیث لا یمکن ابتلاع الطعام.هذا هو العمل الفیزیائی للعاب،إلاّ أنّنا نعلم أنّ العمل الأهم للعاب هو عمله الکیمیاوی،فهناک مواد متنوعه متداخله معه حیث تتفاعل مع الطعام و تقلل من تعب المعده.

المادیون یقولون:إن عقلنا و أعصابنا یشبهان عمل الغدد اللعابیه و ما شابهها من أجهزه الجسم من حیث العمل الفیزیائی و الکیمیائی(حیث یسمّی المجموع فیزیوکیمیائی)و هذا العمل الفیزیوکیمیائی نحن نسمّیه ب«الظواهر الرّوحیه أو «الرّوح».

المادیون یقولون:عند ما نفکّر تصدر سلسله من الأمواج الکهربائیه من عقلنا،هذه الأمواج یمکن التقاطها الیوم بواسطه أجهزه خاصّه و تدوینها علی الأوراق و دراستها،خاصّه فی مستشفیات الأعصاب،حیث یتمّ تشخیص

الأمراض العصبيه و معالجتها،و هذه هی الفعالیه الفیزیائیه لعقلنا.

إضافه إلی هذا،فإنّ خلایا العقل عند التفکیر،و کذلک عند النشاطات العصبیه المختلفه،تقوم بمجموعه من الأفعال و الانفعالات الکیمیاویه.

لذلک فإنّ الروح و الصفات الروحیه لیست سوی الخواص الفیزیائیه و الأفعال الکیمیائیه للخلایا العقلیه و العصبیه.

إنّ المادیین یستفیدون من کل هذا العرض لبلوره النتائج التالیه:

۱-بما أنّ نشاط الغدد اللعابیه و آثارها المختلفه لم تکن موجوده قبل وجود جسم الإنسان،بل إنّها وجدت بعد وجوده،لذا فإنّ النشاطات الروحیه تظهر بعد ظهور الدماغ و الجهاز العصبی،و تموت هذه الفعالیات بموت الإنسان.

۲-الروح من خواص الجسم،إذن فهی مادیه و لیس لها أی صفات میتافیزیقیه.

۳-الروح خاضعه لجمیع القوانین التی تحکم جسم الإنسان.

۴-لیس هناک وجود مستقل للروح بدون جسم،و لا یمکن أن یکون ذلک.

### دلائل المادیین علی عدم استقلال الروح

لقد أورد المادیون شواهد لإثبات دعواهم بأنّ الروح و الفکر و سائر الظواهر الروحیه هی قضایا مادیه،أی تکون انعکاسا للخواص الفیزیائیه و الکیمیائیه للخلایا العصبیه و الدماغیه،و نستطیع أن نشیر هنا إلی هذه الشواهد من خلال هذه النقاط:

۱-«یمکن الإشاره و بسهوله إلی تعطّل قسم من الأغراض الروحیه عند عطل أو إصابه قسم من المراکز العصبیه أو سلسله من الأعصاب» (۱) .

فمثلا تمّ اختبار حاله رفع فیها قسم من دماغ الطیر،و لم یؤد ذلک إلی موته،



---

۱- ۱) -پیسیکولوجی دکتور آرانی،ص ۲۳.

بل إنّه فقد قسما كبيرا من معلوماته،مثلا يفقد شهيته للطعام فإذا أعطيناه طعاما فإنّه يأكله و يهضمه،و لكنّا إذا لم نعطه و وضعنا الحب أمامه فإنّه لا يأكل و سيموت من الجوع.

كما شوهد أنّ إصابه دماغ الإنسان نتيجه للحوادث أو الأمراض ببعض الضربات أو الصدمات،يؤدى إلى فقدان الدماغ لجزء كبير من نشاطه،حيث ينسى الإنسان جانبا من معلوماته.

و قد قرأنا قبل فتره فى الصحف أنّ شابا مثقفا من مدينه(الأهواز)الايرانيه تعرض لضربه على دماغه فى حادثه،فنسى جميع أحداث حياته الماضيه حتى أنّه نسى أمّه و أخته و نسى نفسه و عند ما جاؤوا به إلى بيته و المكان الذى ولد و ترعرع فيه،فإنّه لم يعرف هذا المكان و بدا فيه غريبا.

إنّ هذه الأمور و ما شابهها تثبت وجود علاقه قريبه بين نشاطات الخلايا الدماغيه و الظواهر الروحيه.

۲-«عند ما نفكر تكثر التغييرات الماديه على سطح الدماغ..الدماغ يحتاج إلى طعام أكثر،و يطرح مواد فسفوريه أكثر.و لكن عند النوم فإنّ الدماغ لا يقوم بالتفكير،لذا فإنّه يحتاج إلى طعام قليل،و هذا يعتبر دليلا على أنّ الآثار الفكريه للإنسان تترشح من فعاليات ماديه» (۱) .

۳-تظهر التجارب أن وزن أدمغه المفكرين هى أكثر من الحد المتوسط (الحد المتوسط لدماغ الرجل فى حدود(۱۴۰۰)غرام،و الحد المتوسط لدماغ المرأه أقل من هذا بقليل)،و هذا دليل آخر-بزعم الماديين-على ماديه الروح.

۴-إذا كانت قوه التفكير و الظواهر الروحيه دليلا على الوجود المستقل للروح،فيجب أن نقبل ذلك أيضا فى الحيوانات،لأنّها تملك قدره الإدراك.

و الخلاصه:إنّ الماديين فى أدلتهم بأننا ندرك و نحس بأنّ روحنا ليست



---

۱- ۱) -البشر فى النظره الماديه،دكتور آرانى،ص ۲.

موجودا مستقلا،و التطورات المتعلقه بمعرفه الإنسان و دراسته تؤيد هذه الحقيقه.

و من مجموع هذه الاستدلالات،يستنتج هؤلاء أنّ التقدم الفيزيولوجی الإنسانی و الحيوانی يوضحان يوما بعد آخر حقيقه وجود العلاقه القريبه بين الظواهر الروحيه و الخلايا الدماغيه.

**نقد هذه النظريه:**

الخطأ الكبير الذی وقع فيه الماديون فی أدلتهم و استنتاجاتهم،أنّهم خلطوا بين(وسائل العمل)و(القائم بالعمل).

و لأجل معرفه هذا الخلط نذكر هنا مثالا للتوضيح نرجو أن يدقق فيه القارئ الكريم جيدا:

منذ زمان غاليلو و حتی يومنا الحاضر،حصل تحوّل كبير فی دراسه حركه الأفلاك و الأجرام السماويه،فغاليلو الإيطالی استطاع و بمعونه أحد صانعی العوينات الزجاجيه من صناعه مجهر صغير،فطار غاليلو به فرحا،بحيث أنّه شرع عند المساء بدراسه نجوم السماء بواسطه مجهره الذی أظهر له أوضاعا عجيبه إذ أنّه شاهد عالم لم يستطيع أی إنسان مشاهدته حتی ذلك اليوم.لقد فهم غاليلو أنّه توصّل إلی اكتشاف مهم،و منذ ذلك اليوم أصبحت دراسه أسرار العالم الأعلی فی متناول الإنسان.

لقد كان الإنسان حتی ذلك اليوم مثل الفراشه التی لم تكن تری من حولها سوی بعض سيقان الشجر،أمّا عند ما صنع الإنسان التلسكوب فإنّه استطاع أن يشاهد من حوله مقدارا من أشجار الغابه الكبيره.

لقد تطور العمل فی التلسكوب حتی وصل إلی وضعه الراهن حيث بنيت مختبرات كبيره و مراصد جباره يبلغ قطر عدساتها عدّه امتار لقد نصبت هذه

المراصد فی أعالی الجبال المرتفعه حیث یتمیز الأفق بصفاء خاص ممّا یسهل علی الفلکیین دراسه النجوم،و بواسطه هذه المراصد الجباره استطاع الإنسان أن یشاهد عوالم أخری کان عاجزا عن مشاهدتها بالعین المجرّده قبل ذلک.

و الآن لنتصوّر أن الإنسان یکون بمقدوره مستقبلا أن یتوصل إلی صناعه مرصد بقطر(۱۰۰)متر بحیث یکون حجم الأجهزه المستخدمه فیه بحجم مدینه بکاملها،فما هی یا تری العوالم التی سوف تنکشف له بواسطه ذلک؟ و الآن نطرح هذا السؤال:لو أخذت منّا هذه المجاهر و العدسات،أ فلا یتعطّل قسم من معلوماتنا و معارفنا حول السماوات...و هل الناظر الأصلی نحن أم التلسکوب و المجهر؟ هل المجهر و التلسکوب وسیله نستطیع بواسطتها الرؤیا و المشاهده،أم أنّها هی التی تقوم بالعمل و النظر الحقیقی؟ و فیما یخص الدماغ لا یستطیع أی شخص أن ینکر أنّه بدون الخلایا الدماغیه لا یمکن أن تتمّ عملیه التفکیر،و لکن هل الدماغ هو وسیله عمل للروح،أم أنّه هو الروح؟ و خلاصه القول:إنّ جمیع الأدله التی ذکرها المادیون تثبت وجود الارتباط بین خلایا العقل و الدّماغ و بین إدراکاتنا،إلاّ أنّ أیا منها لا یثبت أنّ الدماغ یقوم بالإدراک،بل أنّه مجرّد وسیله لذلک.

و هنا یتّضح لماذا لا یفهم الموتی شیئا،إذ أنّهم و بسبب عدم وجود الارتباط بین الروح و البدن یعجزون عن ذلک،و بالتالی فإنّ الموت لا یعنی فناء الروح و انعدامها،و مثل المیت مثل السفینه أو الطائره التی عطّل فیها جهاز اتصالها (اللاسلکی)فالسفینه و الطائره بمن فیهما موجودون إلاّ أنّ اتصالهم مع الساحل أو المطار مقطوع بسبب فقدانهم لوسیله الارتباط و الاتصال.

## أدله استقلال الروح

### اشاره

كان الكلام حتى الآن عن الماديين الذين يصرّون على أنّ الظواهر الروحيه هى افرازات لخلايا الدماغ،و يعتبرون الفكر و الإبداع و الحب و التنفر و الغضب و جميع العلوم،مثل القضايا الماديه التى تخضع لأسلوب العمل المختبرى و تشملها قوانين الماده،إلّا أنّ الفلاسفه الذى يعتقدون باستقلاليه الروح ذكروا أدله قاطعه على نفى هذه العقيده،منها:

### أوّلا:ادراک الواقع الخارجى

إنّ أوّل سؤال يمكن أن نطرحه على الماديين،هو أنّه إذا كانت الأفكار و الظواهر الروحيه هى نفسها الخواص(الفيزيكيميائيه)للدماغ،ففى مثل هذه الحاله ينبغى أن تنعدم الخلافات و الفروق بين عمل الدماغ و بين عمل المعده أو الكليه أو الكبد،حيث أنّ عمل المعده هو التركيب الأساس و مجموعه من الفعاليات الفيزيائيه و الكيميائيه،إذ بواسطه نشاط معين و إفرازات حامضيه تتم عمليه هضم الطعام و يصبح جاهزا للامتصاص من قبل الجسم.و إذا كان إفراز اللعاب عملا فيزيائيا و كيميائيا فى آن واحد،فإنّنا نرى أنّ العمل الروحى يختلف عن هذه الأعمال.

إن كل أعمال أجهزه الجسم لها تشابه بدرجه معينه مع بعضها البعض،ما عدا (الدماغ)الذى له وضع استثنائى،إنّ أجهزه الجسم مرتبطه جميعا بجوانب داخليه،فى حين أنّ الظواهر الروحيه لها جهه خارجيه و تخبرنا عن الواقع الخارجى المحيط بنا.

و لأجل توضيح هذا الكلام يجب ذكر بعض الملاحظات:

الملاحظه الأولى:هل هناك عالم خارج وجودنا؟ من البديهى وجود مثل هذا العالم،أمّا المثاليين الذين ينكرون وجود العالم

الخـارجى و يقولون بـأنّ كـل مـا وجود هو(نحن)و(تصوراتنـا)و يعتبرون العـالم الخارجى مجموعه من التصورات و الأحلام التى تشاهـد فى النوم،فهؤلاء على خطأ،و قـد أثبتنا خطأهم هذا فى أحد الأبحاث،و أثبتنا أنّه كيف يتحول هؤلاء المثاليون إلى واقعيين فى العمل،إذ أن ما يفكرون به فى محيط مكتباتهم ينسونه عند ما يتجولون فى الشارع و يتنقلون من مكان إلى آخر.

الملاحظه الثّانيه:هل نـدرك و نعلم بوجود العالم الخارجى،أم لا؟ بالطبع الجواب على هـذا السؤال بالإيجاب،لأنّنا نملك معرفه كبيره عن العالم الخارجى،و عندنا معلومات كثيره عن الموجودات المحيطه بنا.

و الآن نصل إلى هـذا السؤال:هل هناك وجود للعالم الخارجى فى داخل وجودنا؟طبعا لا،و لكن ارتساماته و صورته منعكسه فى أذهاننا حيث نستفيد من خاصيه(انعكاس الواقع الخارجى)لإدراك العالم الخارجى.

هـذا الإدراك الـذهنى للعالم الخارجى-فى الحقيقه-ليس من الخواص الفيزيكيميائيه للـدماغ لوحدها،إذ أنّ هذه الخواص وليده إحساسنا و تأثرنا بالعالم الخارجى،و فى الاصطلاح:فإنّها معلوله لها.و نفس الشىء يقال بالنسبه لتأثير الطعام على معدتنا،فهل تأثير الطعام على معـدتنا و النشاطات الفيزيائيه و الكيميائيه تكون سـببا لمعرفه المعـده بالأطعمه؟ إذن كيف يستطيع الدماغ أن يتعرف على عـالمه الخـارجى؟ بعبـاره أخرى نقول:فى التعرف على الموجودات الخـارجيه هناك حاجه إلى نوع من الإحاطه بها،و هـذه الإحـاطه ليست من عمـل الخلايا الـدماغيه،إذ الخلايا الـدماغيه تتأثر بالخارج فقط،و هـذا التأثر مثله كمثل سائر أجهزه الجسم، و هذا الموضوع ندركه نحن بشكل جيد.

و إذا كـان مجرّد التـأثّر بالخـارج دليلا على إدراكنا و معرفتنا بالواقع الموضوعى الخارجى،فيجب أن تتساوى فى ذلك معـدتنا و لساننا و أن يكون لها

نفس قابليه الفهم،فى حين أنّنا نعرف أنّ واقع الحال ليس كذلك.و خلاصه القول:

إنّ الوضع الاستثنائى لإدراكنا دليل على أنّ هناك حقيقه أخرى كامنه فيها،بحيث أنّ نظامها و القوانين المتحكمه فيه تختلف عن القوانين و النظم الفيزيائيه و الكيميائيه.(فتدبّر ذلك).

## ثانيا:وحده الشخصيه

الدليل الآخر على استقلال الروح و تمايزها هو مسأله وحده الشخصيه فى طول عمر الإنسان.

إذا أردنا نشك فى كل شيء،فإنّنا لا نستطيع أن نشك فى موضوع وجودنا (أى مقوله:أنا موجود)و ليس ثمّه شك فى وجودى و فى علمى بوجودى أو ما يصطلح عليه ب«العلم الحضورى»و ليس«العلم الحصولى»أى أنّنى موجود عند نفسى و غير منفصل عنها.

على أى حال إنّ معرفتنا بأنفسنا من أوضح معلوماتنا،و لا تحتاج إلى استدلال و إثبات.

أمّا بالنسبه للاستدلال المشهور الذى استدلّ به الفيلسوف الفرنسى ديكارت حول وجوده،و الذى يقول فيه(بما أنّنى أفكر فإذن أنا موجود)فهو استدلال زائد و غير صحيح،لأنّه قبل أن يثبت وجوده اعترف مرّتين بوجوده (المرّه الأولى عند ما يقول:إنّنى،و الثّانيه عند ما يقول:أنا)هذا من جانب.

و من جانب ثان فإنّ(إنّنى)هذه منذ بدايه العمر حتى نهايته واحده ف(إنّنى اليوم)هى نفسها(إنّنى بالأمس)و هى نفسها(إنّنى منذ عشرين عاما)ف(أنا)منذ الطفوله و حتى الآن تعبير عن شخص واحد لا أكثر،إنّنى نفس ذلك الشخص الذى كنت و سأبقى إلى آخر عمرى نفس ذلك الشخص،و ليس شخصا آخر، طبعا خلال هذه الفتره يكون الإنسان قد درس و تعلم و وصل إلى مراحل عاليه

فی العلم،و لکن فی جمیع الأحوال یبقی هو هو،و لا یصبح إنسانا آخر،و هکذا فی تعامل الآخرین معه حیث یعتبره الآخرون شخصیه واحده منذ أوّل حیاته و إلی آخر لحظه فیها باسم واحد و جنسیه معینه.

و الآن لنری ما هو هذا الکائن المتوغّل فی اعماقنا؟فهل هو ذرات و خلایا جسدنا و مجموعه الخلایا الدماغیه و تأثیراتها؟إنّ کل هذه الأمور قد تغیّرت علی مدی عمرنا عدّه مرّات،تقریبا فی کل سبع سنوات مرّه واحده،حیث نعرف أنّه فی کل یوم تموت ملایین الخلایا فی جسدنا لتحل محلها ملایین أخری جدیده،و مثلها فی ذلک مثل البناء الذی یتمّ إخراج الطابوق القدیم منه و وضع طابوق جدید فی مکانه فلو استمر التعمیر فی هذا البناء فإنّ البنیه الأساسیه لن تتغیر،و لکن یبقی البیت هو نفس ذاک البیت برغم أنّ الناس السطحیین لا یلتفتون لذلک.و مثل خلایا الجسم التی تموت و تحیا کمثل المسبح الکبیر الذی یدخله الماء ببطء و یخرج من طرف آخر.طبیعی أنّ ماء هذا المسبح سیتغیر بعد مدّه بشکل کامل بالرغم من عدم التفات الناس إلی ذلک،إذ یظنون أنّ ماء المسبح ما زال علی حاله لم یتغیّر.

و بشکل عام،إنّ کل موجود یحصل علی الطعام و من جانب ثان یستهلک هذا الطعام،فإنّه فی الواقع یتجدّد و یتغّیر بالتدریج.

لذا فإنّ إنسانا فی السبعین من عمره لا یبعد أن یکون جسمه قد تغّیر عشر مرات،و إذا کان الأمر کما یقول المادیون،من أنّ الإنسان هو نفس جسمه و أجهزته الدماغیه و العصبیه و خواصه الفیزیائیه و الکیمیائیه،ففی هذه الحاله یجب أن یکون ال(أنا)قد تغیّر عشر مرات خلال هذه السنوات السبعین!و لهذا یکون هذا الإنسان لیس الإنسان السابق،إلاّ أنّ هذا الکلام لا یقبله أی وجدان.

و من هنا یتّضح أن ثمّه حقیقه واحده ثابته علی طول العمر،هی غیر الأجزاء المادیه،هذه الحقیقه لا تتغّیر کالأجزاء المادیه،و هی أساس وجودنا و تتحکم فی حیاتنا و هی سبب وحده شخصیتنا.

### الحذر من هذا الاشتباه!

البعض يتصوّر أن الخلايا الدماغيه لا تتغّير،و يقولون:لقد قرأنا فی الكتب الفسيولوجيه أنّ عدد الخلايا الدماغيه واحد و ثابت منذ البدايه و حتی نهايه العمر،و هی لا تزيد و لا تنقص و إنّما تكبر.لذلك إذا أصيبت بخلل فلن تكون قابله للعلاج.و علی هذا الأساس فإنّنا نملك وحده ثابته فی مجموع بدننا،هذه الوحده هی الخلايا الدماغيه التی تحفظ لنا وحده شخصيتنا.

إنّ هذا الكلام-فی الواقع-يمثل اشتباها كبيرا،فهو خلط بين مسألتين،إذ أن ما أثبته العلم من ثبات عدد الخلايا الدماغيه منذ البدايه حتی النهايه و أنّها غير قابله للزياده و النقصان،لا يعنی أنّ الذرات المكوّنه لهذه الخلايا لا تتغيّر،فكما قلنا:إنّ خلايا الجسم التی تأخذ الطعام و تطرد الذرات القديمه بالتدريج تكون خاضعه للتغيير،مثلها فی ذلك مثل ذلك الشخص الذی يأخذ المال من طرف و ينفقه من طرف آخر،فهذا الشخص سيتغير رأس ماله بالتدريج،بالرغم من أن مقدار رأس المال لم يتغيّر.و كذلك يمكن أن نذكّر بمثال ماء المسبح.

لذلك،يتبيّن أنّ الخلايا الدماغيه ليست ثابته،بل متغيّره مثل سائر خلايا الجسم.

### ثالثا:عدم تطابق الكبير مع الصغير

افترضوا أنّنا جلسنا علی ساحل البحر،و شاهدنا أمامنا عددا من الزوارق مع باخره كبيره،ثمّ نظرنا إلی جانب الشمس فرأيناها تميل للغروب،بينما القمر بدأ يبزغ من الجانب الآخر.و علی الشاطئ هناك صفوف من طيور الماء الجميله و قد اقترب بعضها نحو الماء.و نشاهد علی الطرف الآخر جبلا عظيما تناطح قمته السماء علوا.و الآن،إزاء هذا المنظر،لنغمض عيوننا برهه من الزمن و نتخيل ما شاهدناه:جبل عظيم،بحر واسع،سفينه كبيره،كل هذه الأمور ترتسم فی مخيلتنا

كاللوحه الكبيره للغايه فى مقابل روحنا،أو فى داخل روحنا.

و السؤال هنا:أين مكان هـذا المخطط فى وجودنا...هل تستطيع الخلايا الـدماغيه الصـغيره و المحدوده للغايه أن تستوعب حجم اللوحه الكبيره و المخطـط الكبير؟الإجـابه-طبعـا-هى النفى،و لـذلك لا بـدّ أنّنا نمتلك قسـما آخر فى وجودنا يكون فوق الماده الجسميه،و هو من السعه بمقدار بحيث يستوعب كل هذه المناظر و المخططات و اللوحات.

و إلاّ فهل نستطيع تنفيـذ مخطط لبنايه ذات مساحه(٥٠٠)متر على قطعه أرض ذات مسـاحه بضـعه ميلى مترات؟ الجواب-طبعـا-سيكون بـالنفى،لأنّ موجودا أكبر لا يمكنه الانطباق على موجود أصـغر مع احتفاظه بكبره وسعته،إذ من ضـرورات الانطباق أن يكونا متساويين،أو أن يكون أحدهما أصغر من الثّانى،فيمكن حينذاك تنفيذ الصغير على الكبير.

مع هـذا الوضع كيف يمكن لخلايـا دماغنا الصـغيره استيعاب الصور الـذهنيه الكبيره؟ إنّنا نسـتطيع تصوّر الكره الأرضـيه بحزامها الذى يبلغ أربعين مليون متر فى أذهاننا،و نستطيع أن نتصوّر ذهنيا كره الشمس التى تكبر الأرض بمقدار مليون و مائتى ألف مرّه، و كـذلك يمكننا تصوّر المجرات و التى هى أكبر من الشـمس بملايين المرّات.و لكن كل هـذه الصور لا يمكن ارتسامها عمليا فى خلايا الدماغ الصغيره،و ذلك وفقا لقاعده عدم انطباق الكبير على الصغير.

إذن يجب أن نعترف و نقرّ بوجـود كـامن فينـا هـو أكـبر مـن جســمنا فى قـدره استيعـابه و إحـاطته بالأشـياء و المخطوطـات و الموجودات الكبيره:

ص :١٢٦

**سؤال مهم:**

يمكن أن يقول البعض:إن تصوراتنا الذهنيه هى مثل المايكرو فيلم أو الخرائط الجغرافيه التى تحتوى على مقياس للرسم مثل ۱۰۰۰۰۰۰/(۱)أو ۱۰۰۰۰۰۰۰۰/(۱)حيث يرمز هذا المقياس إلى مقدار التصغير و كذلك كثيرا ما يحدث لادراك عظمه باخره كبيره جدا و تصوير حجمها أن أحد الأشخاص يقف على عرشتها و يؤخذ لهما صوره لكى يعرف الناظر لها عظمه حجمها من خلال رويه الشخص الواقف عليها.

و تصوراتنا الذهنيه على منوال الصور المصغّره و ذات مقايس رسم معينه، و عند ما نكبّرها بنفس المقدار فإنّنا نحصل على المخطط أو الحجم الصحيح و الواقعى.و بالطبع فإنّ المخططات و الأحجام الصغيره يمكن أن تستوعبها الخلايا الدماغيه.

فى الجواب نقول:إنّ المايكرو فيلم يتمّ تكبيره بواسطه(البرجكتر و الشاشه الكبيره التى تنعكس عليها الصور)كما أنّ الخرائط الجغرافيه نستطيع التعرّف على ما تطويه من أحجام حقيقيه بواسطه الأرقام الموجوده تحت الخرائط، فعند ما نضرب المساحات بهذا الرقم نحصل على الخريطه الكبيره الواقعيه مجسمه فى أذهاننا.

و الآن نطرح هذا السؤال:أين هى هذه الشاشه أو الصفحه العظيمه التى ينعكس عليها مايكروفيلم الذهن؟هل تمثل الخلايا الدماغيه الصفحه أو الشاشه المعنيه؟ بالطبع لا،لأنّ الخريطه الجغرافيه الصغيره التى نضربها بمقياس الرسم لتتحوّل إلى حجمها الحقيقى،لا يمكن أن يكون مكانها الخلايا الدماغيه الصغيره فى حجمها.

و بعباره أوضح نقول:بالنسبه إلى المايكرو فيلم و الخارطه الجغرافيه،فإنّنا

نرى أنّ الشىء الموجود فى الخارج هو الفيلم و الخارطه الصغيره،إلاّ أنّه فى صورنا و إدراكاتنا الذهنيه تكون الصور بمقدار وجودها الخارجى،و لا بدّ بالتالى من مكان يستوعبها،فهل يمكن للخلايا الدماغيه و هى بمساحتها و حجمها المعروف أن تستوعب كل هذه الأحجام العظيمه؟ و خلاصه القول:إنّنا نتصوّر الصور الذهنيه للأشياء بنفس أحجامها وسعتها فى موضوعاتها الخارجيه،و هذا التصوّر العظيم لا يمكن أن ينعكس فى الخلايا الدماغيه،لذلك فهى تحتاج إلى مكان و محل خاص،و هكذا ندرك أن فينا وجودا حقيقيا أكبر من هذه الخلايا و فوقها جميعا.

### رابعا:عدم تشابه الظواهر الروحيه مع الأوضاع الماديه

هناك دليل آخر على استقلال الروح و عدم ماديتها،ففى الظواهر الروحيه نشاهد خواصا و أوضاعا معينه تختلف عن الخواص و الأوضاع الماديه،و ليس ثمّه تشابه بينهما.و مثال ذلك ما يلى:

۱-الموجودات الماديه تحتاج إلى الزمان و لها بعد تدريجى.

۲-بمرور الزمن تبلى هذه الموجودات الماديه.

۳-من صفاتها أنّها قابله للتقسيم إلى أجزاء متعدّده.

و لكن الظواهر الذهنيه ليست لها هذه الآثار و الخواص،حيث أنّنا نستطيع أن نتصوّر عالما كعالمنا الحالى فى ذهننا دون الحاجه إلى مرور الزمن و التدرّج.

و إضافه إلى ذلك،فإنّ اللقطات الموجوده فى الذهن منذ عهد الطفوله لا تصبح قديمه و لا تستهلك أو تبلى بمرور الزمن،بل تحتفظ بنفس شكلها،و يمكن أن يستهلك دماغ الإنسان،إلّا أنّ صوره البيت المتجسّده فى الدماغ منذ عشرين عامّا ثابته فيه لا تتغيّر و لا تستهلك و لها نوع من الثبات الذى هو صفه عالم ما وراء الطبيعه.

إنّ روحنا تظهر خلاقيه عجيبه اتجاه الصور،و فی لحظه واحده و بدون أی مقدمه یمکن رسم صور معینه فی أذهاننا کالکرات السماویه و المجرات و الکائنات الأرضیه و الجبال و ما شابهها.إنّ هذه الخاصیه لیست لکائن مادی،بل هی دلیل لکائن ما فوق الماده.

إضافه إلی ذلک فإنّنا لا نشک فی أن(۲+۲ ۴)حیث یمکن تجزئه طرفی المعادله،مثلا- تجزئه الرقم(۲)أو الرقم(۴)إلاّ أنّ هذا مفهوم التساوی هذا لا- یمکن تجزئته،فنقول مثلا-:إنّ التساوی له نصفان و کل نصف هو غیر النصف الآخر،فالتساوی مفهوم لا یقبل التجزئه،فإمّا أن یکون موجود أو غیر موجود، إذ لا یمکن تنصیفه أبدا.

لذا فإنّ هذا النوع من المفاهیم الذهنیه غیر قابل للتقسیم،و لهذا السبب فهی لیست مادیه،إذ لو کانت مادیه لکان یمکن تجزئتها،و لهذا السبب فإنّ روحنا التی هی مرکز للمفاهیم غیر المادیه لا یمکن أن تکون مادیه،لذا فإنّها فوق الماده.

(فدقق فی ذلک) (۱)

ص:۱۲۹

---

۱- ۱) -عرض و تلخیص عن کتاب:المعاد و عالم ما بعد الموت،الفصل المتعلق باستقلال الروح.

## الآيتان [سوره الإسراء (۱۷): الآيات ۸۶ الى ۸۷]

### اشاره

وَ لَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَکَ بِهِ عَلَیْنا وَکِیلاً (۸۶) إِلاّ رَحْمَهً مِنْ رَبِّکَ إِنَّ فَضْلَهُ کانَ عَلَیْکَ کَبِیراً (۸۷)

### التّفسير

### اشاره

#### ما عندک هو من رحمته و برکته:

تحدثت الآيات السابقه عن القرآن،أمّا الآيتان اللتان نبحثهما الآن فهما أيضا ينصبان في نفس الاتجاه.

ففي البدايه تقول الآيه: وَ لَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ .و بعد ذلك:

ثُمَّ لا تَجِدُ لَکَ بِهِ عَلَیْنا وَکِیلاً

إنّنا نحن الـذين أعطيناك هـذه العلوم حتى تكون قائـدا و هاديا للناس،و نحن الـذين إذا شـئنا استرجعناها منك،و ليس لأحد أن يعترض على ذلك.

و عنـد ربط هـذه الآيات بالآيه السابقه التي كانت تقول: وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّ قَلِيلاً فإنّنا نعرف أنّ اللّه إذا شاء يأخـذ حتى هذا العلم الذي أعطاه لرسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

الآيه التي بعدها جاءت لتستثني،فهي تبيّن أنّنا إذا لم نأخذ ما أعطيناك، فليس ذلك سوى رحمه من عندنا،حيث يقول تعالى: إِلاّ رَحْمَهً مِنْ رَبِّکَ و هذه

الرحمه لأجل هدايتک و إنقاذک،و کذلک لهدایه و إنقاذ العالم البشری،و هذه الرحمه-فی الواقع-مکمّله لرحمه الخلق.

إنّ اللّه الـذی خلق البشـر بمقتضـی رحمته الخاصّه و العامّه،و ألبسـهم لباس الوجود الـذی هو أفضل الألبسه،هو نفسه الـذی بعث إلیهم قـاده و أعین معصومین و حریصـین رؤوفین..ذوی اسـتقامه و قـدره لهـدایه الناس،لأنّ من مقتضـیات رحمه اللّه أن لا تخلو الأرض من حجّه له عزّ و جلّ.

و فی نهایه الآیه و لأجل تأکید المعنی السابق جاء قوله تعالی: إِنَّ فَضْلَهُ کانَ عَلَیْکَ کَبِیراً .

إنّ وجود القـابلیه لهـذا الفضـل فی قلبـک الکـبیر بجهـادک و عبادتـک مـن جهـه، و حـاجه العبـاد إلی مثـل قیادتـک من جهه أخری،جعلاـ فضـل اللّه علیـک کبیرا للغـایه فقـد فتـح اللّه أمامـک أبواب العلم،و أنبـأک بأسـرار هـدایه الإنسان،و عصـمک من الخطأ،حتی تکون أسوه و قدره لجمیع الناس إلی نهایه هذا العالم.

کمـا أنّه ینبغی أن نشـیر إلی أنّ الجمله الاسـتثنائیه الـوارده هنـا ترتبـط مـع الآـیه السـابقه،و مفهـوم المسـتثنی و المسـتثنی منه هو هکـذا:إذا أردنا فإنّنا نسـتطیع أن نمنع عنک هذا الوحی الذی أرسـلناه لک،إلاّ أنّنا لا نفعل،لأنّ الرحمه الإلهیه شـملتک و تشـمل جمیع الناس (1) .

و من الواضح أنّ هذا الاسـتثناء لا یعنی أنّ اللّه یحجب فی یوم من الأیّام رحمته عن نبیّه صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم،بل هو دلیل علی أنّ الرّسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم لا یملک شـیئا من عنده،فعلمه و وحیه السـماوی هو من اللّه و مرتبط بمشـیئته و إرادته.

ص :131

1- 1) -فی الحقیقه إنّ مفهوم الجمله هو هکذا:«و لکن لا نشاء أن نذهب بالذی أوحینا إلیک رحمه من ربّک».

## الآیتان [سوره الإسراء (۱۷): الآیات ۸۸ الی ۸۹]

### اشاره

قُلْ لَئِنِ اِجْتَمَعَتِ اَلْإِنْسُ وَ اَلْجِنُّ عَلیٰ أَنْ یَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا اَلْقُرْآنِ لاٰ یَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ کٰانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِیراً (۸۸) وَ لَقَدْ صَرَّفْنٰا لِلنّٰاسِ فِی هٰذَا اَلْقُرْآنِ مِنْ کُلِّ مَثَلٍ فَأَبیٰ أَکْثَرُ اَلنّٰاسِ إِلاّٰ کُفُوراً (۸۹)

### التّفسیر

### اشاره

### معجزه القرآن:

الآیات التی بین أیدینا تتحدث عن إعجاز القرآن،و لأنّ الآیات اللاحقه تتحدّث عن حجج المشرکین فی مجال المعجزات،فإنّ الآیه التی بین أیدینا-فی الحقیقه-مقدمه للبحث القادم حول المعجزات.

إنّ أهم و أقوی دلیل و معجزه لرسول الإسلام صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و التی هی معجزته الدائمه علی طول التأریخ،هو القرآن الکریم الذی بوجوده تبطل حجج المشرکین.

بعض المفسّرین أراد أن یؤکّد ارتباط هذه الآیه بالآیات السابقه من خلال

مجهوليه الروح و أسرارها و قياسها بمجهوليه القرآن و أسراره.و لكن العلاقه التی أشرنا إليها آنفا تبدو أكثر من هذا الربط (۱) .

علی أيه حال فإنّ اللّه يخاطب رسوله صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و يقول له: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلیٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لاٰ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كٰانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً .

إنّ هذه الآيه دعت-بصراحه-العالمين جميعهم،صغارا و كبارا،عربا و غير عرب،الإنسان أو أی كائن عاقل آخر،العلماء و الفلاسفه و الأدباء و المؤرخين و النوابغ و غيرهم...لقد دعتهم جميعا لمواجهه القرآن،و تحدّيه الكبير لهم، و قالت لهم:إذا كنتم تظنون أنّ هذا الكلام ليس من الخالق و أنّه من صنع الإنسان، فأنتم أيضا بشر،فأتوا إذا بمثله،و إذا لم تستطيعوا ذلك بأجمعكم،فهذا العجز أفضل دليل علی إعجاز القرآن.

إنّ هذه الدّعوه للمقابله و التی يصطلح عليها علماء العقائد ب«التحدّی»هی أحد أركان المعجزه،و عند ما يرد هذا التعبير فی أی مكان،نفهم بوضوح أنّ هذا الموضوع هو من المعجزات.

**و نلاحظ فی هذه الآيه عدّه نقاط ملفته للنظر:**

۱-عموميه دعوه التحدّی و التی تشمل كل البشر و الموجودات العاقله الأخری.

۲-خلود دعوه التحدّی و استمرارها،إذ هی غير مقيّده بزمان،و علی هذا الأساس فإنّ هذا التحدّی اليوم جار مثلما كان فی أيّام النّبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم،و سيبقی كذلك



---

۱- ۱) -يراجع فی ظلال القرآن،ج ۵،ص ۳۵۸.

فی المستقبل.

٣-استخدام کلمه«اجتمعت»إشاره لأشکال التعاون و التعاضد و التساند الفکری و العملی،الذی یضاعف حتما من نتائج أعمال الأفراد مئات،بل آلاف المّرات.

۴-إنّ تعبیر وَ لَوْ کانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِیراً تأکید مجدّد علی قضیه التعاون و التعاضد،و هی أیضا إشاره ضمنیه إلی قیمه هذا العمل و تأثیره علی صعید تحقق الأهداف و تنجزها.

۵-إنّ تعبیر بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ دلاله علی الشمول و العموم،و هو یعنی (المثل)فی جمیع النواحی و الأمور،من حیث الفصاحه و البلاغه و المحتوی، و من حیث تربیه الإنسان،و البحوث العلمیه و القوانین الاجتماعیه،و عرض التأریخ،و التنبؤات الغیبیه المرتبطه بالمستقبل...إلی آخر ما فی القرآن من أمور.

۶-إنّ دعوه جمیع الناس للتحدّی دلیل علی أنّ الإعجاز لا ینحصر فی ألفاظ القرآن و فصاحته و بلاغته و حسب،و إلاّ لو کان کذلک،لکانت دعوه غیر العرب عدیمه الفائده.

٧-المعجزه تکون قویه عند ما یقوم صاحب المعجزه بإثاره و تحدّی أعدائه و مخالفیه،و بتعبیرنا تقول:یستفزهم،ثمّ تظهر عظمه الإعجاز عند ما یظهر عجز أولئک و فشلهم.

و فی الآیه التی نبحثها یتجلی هذا الأمر واضحا،فمن جانب دعت جمیع الناس،و من جانب آخر تستفزهم بصراحه فی قولها لاٰ یَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ثمّ تحرضهم و تدفعهم للتحدی بالقول وَ لَوْ کانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِیراً .

الآیه التی بعدها-فی الواقع-توضیح لجانب من جوانب الإعجاز القرآنی، متمثلا فی شمولیته و إحاطته بکل شیء، إذ یقول تعالی: وَ لَقَدْ صَرَّفْنٰا لِلنّٰاسِ فِی

هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ

.و لكن بالرغم من ذلك: فَأَبىٰ أَكْثَرُ النّٰاسِ إِلاّٰ كُفُوراً .

«صرّفنا»من«تصريف»بمعنى التغيير أو التبديل.

أمّا«كفورا»فتعنى إنكار الحق.

حقّا إنّ التنوع الذى يتضمّنه القرآن الكريم تنوع عجيب،خاصّه و أنّه صدر من شخص لا يعرف القراءه و الكتابه،ففى هذا الكتاب وردت الأدله العقليه بجزئياتها الخاصّه حول قضايا العقائد،و ذكرت-أيضا-الأحكام المتعلقه بحاجات البشر فى المجالات كافه.و تعرّض القرآن-أيضا-إلى قضايا و أحداث تأريخيه تعتبر فريده فى نوعها و مثيره فى بابها،و خاليه من الخرافات.

و تعرض إلى البحوث الأخلاقيه التى تؤثّر فى القلوب المستعدّه كتأثير المطر فى الأرض الميته.

القضايا العلميه ورد ذكرها فى القرآن الكريم،إذ ذكرت بعض الحقائق التى لم تكن تعرف فى ذلك الزمان من قبل أى عالم.

و الخلاصه:إنّ القرآن سلك كل واد و تناول فى آياته أفضل النماذج.

و إذا توجهنا إلى حقيقه محدوديه معلومات الإنسان كائنا من كان(كما تشير إلى ذلك أيضا الآيات القرآنيه)و أنّ رسول الإسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد ترعرع فى بيئه محدوده فى القضايا العلميه و المعرفيه حتى أنّها لم تبلغ من معلومات و معارف الإنسان فى زمانها إلاّ مبلغا يكاد لا يذكر...وسط كل ذلك،ألا يعتبر التنوع فى القرآن فى قضايا التوحيد و الأخلاق و الاجتماع و السياسه و الأمور العسكريه و غيرها،دليلا على أنّ هذا القرآن ليس من صنع عقل بشرى،بل من الخالق جلّ و علا؟ و لهذا السبب إذا اجتمعت الجن و الإنس على أن يأتوا بمثله فلا يستطيعون و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

ص :۱۳۵

لنفترض أنّ جميع العلماء و المتخصصين يجتمعون اليوم لتأليف دائره معارف،و ينظموها بأفضل ما لديهم من خبرات فنيه و معرفيه،فإنّ النتيجه ستكون عملا يلقى صداه الحسن فى مجتمع اليوم،أمّا بعد خمسين عاما فسيعتبر هذا العمل ناقصا و قديما.

أمّا القرآن ففى أى عصر و زمان يقرأ،و خاصّه فى زماننا الحاضر،فإنّه يبدو كأنّه نزل ليومنا هذا،و لا يوجد فيه أى أثر يدل على أنّه قديم.

ص :۱۳۶

## الآیات [سوره الإسراء (١٧): الآیات ٩٠ الی ٩٣]

### اشاره

وَ قٰالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتّٰی تَفْجُرَ لَنٰا مِنَ اَلْأَرْضِ یَنْبُوعاً (٩٠) أَوْ تَکُونَ لَکَ جَنَّهٌ مِنْ نَخِیلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ اَلْأَنْهٰارَ خِلاٰلَهٰا تَفْجِیراً (٩١) أَوْ تُسْقِطَ اَلسَّمٰاءَ کَمٰا زَعَمْتَ عَلَیْنٰا کِسَفاً أَوْ تَأْتِیَ بِاللّٰهِ وَ اَلْمَلاٰئِکَهِ قَبِیلاً (٩٢) أَوْ یَکُونَ لَکَ بَیْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقیٰ فِی اَلسَّمٰاءِ وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِیِّکَ حَتّٰی تُنَزِّلَ عَلَیْنٰا کِتٰاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحٰانَ رَبِّی هَلْ کُنْتُ إِلاّٰ بَشَراً رَسُولاً (٩٣)

### سبب النّزول

لقد ذکر المفسّرون استنادا للروایات الوارده أسبابا عدیده لنزول هذه الآیات،و فیما یلی سنتعرض بشکل موجز إلی هذه الأسباب معتمدین بشکل مباشر علی تفسیر مجمع البیان الذی قال:

إنّ جماعه من وجهاء قریش-و فیهم الولید بن المغیره و أبو جهل-اجتمعوا عند الکعبه،و قال بعضهم لبعض:ابعثوا إلی محمّد فکلّموه و خاصموه.فبعثوا إلیه:

إنّ أشراف قومک قد اجتمعوا لک.فبادر صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إلیهم ظنّا منه،أنّهم بدا لهم فی أمره، و کان حریصا علی رشدهم،فجلس إلیهم،فقالوا:یا محمّد إنا دعوناک لنعذر إلیک،

ص: ١٣٧

فلا نعلم أحدا أدخل على قومه ما أدخلت على قومک،شتمت الآلهه،و عبت الدين و سفهت الأحكام،و فرقت الجماعه،فإن كنت جئت بهذا لتطلب مالا أعطيناک،و إن كنت تطلب الشرف سوّدناک علينا،و إن كانت علّه غلبت عليک طلبنا لک الأطباء.

فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «ليس شيء من ذلک،بل بعثنى اللّه إليكم رسولا، و أنزل كتابا،فإن قبلتم ما جئت به فهو حظكم فى الدنيا و الآخره،و إن تردّوه أصبر حتى يحكم اللّه بيننا».

قالوا:فإذن ليس أحد أضيق بلدا منّا فاسأل ربّک أن يسيّر هذه الجبال، و يجرى لنا أنهارا كأنهار الشام و العراق،و أن يبعث لنا من مضى و ليكن فيهم قصيّ فإنّه شيخ صدوق لنسألهم عمّا تقول أحق أم باطل.

فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «ما بهذا بعثت».

قالوا:فإن لم تفعل ذلک فاسأل ربّک أن يبعث ملكا يصدقک و يجعل لنا جنات و كنوزا و قصورا من ذهب.

فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «ما بهذا بعثت،و قد جئتكم بما بعثنى اللّه به،فإن قبلتم و إلاّ فهو يحكم بينى و بينكم».

قالوا:فأسقط علينا السماء كما زعمت،إن ربّک إن شاء فعل ذلک.

قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «ذاک إلى اللّه إن شاء فعل».

و قال قائل منهم:لا نؤمن حتى تأتى باللّه و الملائكه قبيلا.

فقام النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قام معه عبد اللّه بن أبى أميه المخزومى ابن عمته عاتكه بنت عبد المطلب،فقال:يا محمّد عرض عليک قومک ما عرضوا فلم تقبله،ثمّ سألوک لأنفسهم أمورا فلم تفعل،ثمّ سألوک أن تعجّل ما تخوفهم به فلم تفعل، فو اللّه لا أؤمن بک أبدا حتى تتخذ سلّما إلى السماء ثمّ ترقى فيه و أنا أنظر،و يأتى معک نفر من الملائكه يشهدون لک،و كتاب يشهد لک.

و قال أبو جهل:إنّه أبى إلاّ سبّ الآلهه و شتم الآباء،و أنا أعاهد اللّه لأحملن حجرا فإذا سجد ضربت به رأسه.

فانصرف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حزينا لما رأى من قوله،فأنزل اللّه سبحانه الآيات أعلاه (۱) .

## التّفسير

### اشاره

### أعذار و ذرائع مختلفه:

بعد الآيات السابقه التى تحدثت عن عظمه و إعجاز القرآن،جاءت هذه الآيات تشير إلى ذرائع المشركين،هذه الذرائع تثبت أنّ مواقف هؤلاء المشركين إزاء دعوه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم التى جاءت أصلا لإحيائهم،لم تكن إلاّ للعناد و المكابره، حيث أنّهم كانوا يطالبون بأشياء غير معقوله فى مقابل اقتراح الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المنطقى و إعجاز القوى.

هذه الطلبات وردت على سته أقسام هى:

۱-فى البدايه يقولون: وَ قٰالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتّٰى تَفْجُرَ لَنٰا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً .

«فجور و تفجير»بمعنى الشق.و هى عامّه،سواء كان شق الأرض بواسطه العيون أو شق الأفق بواسطه نور الصباح(مع الأخذ بنظر الإعتبار أن تفجير هى صيغه مبالغه لفجور).

«ينبوع»مأخوذه من«نبع»و هو محل فوران الماء،و البعض قالوا بأنّ الينبوع هى عين الماء التى لا تنتهى أبدا.



---

۱- ۱) -يراجع تفسير مجمع البيان أثناء تفسير الآيات.و كذلك جاء مثله مع تفاوت فى الدر المنثور للسيوطى أثناء تفسير الآيات.

۲-قولهم کما فی الآیه: أَوْ تَکونَ لَکَ جَنَّهٌ مِنْ نَخِیلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهٰارَ خِلاٰلَهٰا تَفْجِیراً .

۳- أَوْ تُسْقِطَ السَّمٰاءَ کَمٰا زَعَمْتَ عَلَیْنٰا کِسَفاً .

۴- أَوْ تَأْتِیَ بِاللّٰهِ وَ الْمَلاٰئِکَهِ قَبِیلاً .

«قبیل»تعنی فی بعض الأحیان«الکفیل و الضامن»و تعنی-فی أحیان أخری-الشیء الذی یوضع قبال الإنسان و فی مواجهته،و قال بعضهم بأنّها جمع (قبیله)أی الجماعه من الناس.

و طبقا للمعنی الأوّل یکون معنی الآیه أن تأتی باللّه و الملائکه کضامنین علی صدقک! و أمّا طبقا للمعنی الثّانی فیکون المعنی أن تأتی باللّه و الملائکه و تضعهما فی مقابلنا! و أمّا طبقا للمعنی الثّالث فیکون معنی الآیه أن تأتی باللّه و الملائکه علی شکل مجموعه مجموعه! و یجب الانتباه إلی أنّ هذه المفاهیم الثلاثه لا تتعارض فیما بینها،و یمکن أن تکون مجتمعه فی مفهوم الآیه،لأنّ استخدام کلمه واحده لأکثر من معنی ممکن عندنا.

۵- أَوْ یَکُونَ لَکَ بَیْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ .

«زخرف»فی الأصل تعنی(الزینه)،و یقال للذهب«زخرف»لأنّه من الفلزات المعروفه و المستخدمه لأغراض الزینه،و یقال للبیوت المزیّنه و الملونه أنّها(مزخرفه)،کما یقال للکلام المزوّق و المخادع بأنّه«کلام مزخرف».

۶- أَوْ تَرْقیٰ فِی السَّمٰاءِ وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِیِّکَ حَتّٰی تُنَزِّلَ عَلَیْنٰا کِتٰاباً نَقْرَؤُهُ .

ثمّ یصدر الأمر من الخالق جلّ و علا لرسوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن یقول لهؤلاء فی مقابل اقتراحاتهم هذه: قُلْ سُبْحٰانَ رَبِّی هَلْ کُنْتُ إِلاّٰ بَشَراً رَسُولاً .

بحوث

اشاره

### ۱-جواب الرّسول للمتذرعين

لقد تبيّن من خلال الآيات أعلاه و الحديث الوارد فی أسباب النّزول،أنّ طلبات المشركين العجيبه و الغريبه لم تكن تنع من روح نشدان الحقيقه،بل كان هدفهم البقاء على الشرك و عباده الأصنام لأنّه كان يمثل الدعامه الأساسيه و القوّه الماديه لزعماء مكّه،و كذلك منع النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من الاستمرار فی طريق الدعوه الی التوحيد بأی صوره ممكنه.

إلّا أنّ الرّسول الهادی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أجابهم بجوابين منطقيين و فی جمله واحده و قصيره:

الجواب الأوّل:إنّ الخالق جلّ و علا منزّه عن هذه الأمور،منزّه التأثّر بهذا و ذاك،و منزّه من أن يستسلم للاقتراحات الباطله و الواهيه لأصحاب العقول السخيفه: سُبْحٰانَ رَبِّی .

الجواب الثّانی:بغض النظر عمّا مضى فإنّ الإتيان بالمعجزات ليس من عملی،فأنا بشر مثلكم،إلّا أنّنی رسول اللّه،و القيام بالمعاجز من عمل الخالق و بإرادته تتمّ،و بأمره تنجز،فأنا لا أستطيع أن أطلب مثل هذه الأمور من الخالق و لا يحق لی أن أتدخل فی مثل الأمور،فمتى شاء سبحانه فسيبعث بالمعجزات الإثبات صدق دعوه رسوله: هَلْ كُنْتُ إِلاّٰ بَشَراً رَسُولاً .

صحيح أنّ هناك ترابط بين هذين الجوابين،إلاّ أنّهما يعتبران جوابين منفصلين،فأحدهما يثبت ضعف البشر فی مقابل هذه الأمور،و الثّانی تنزيه ربّ البشر عن القبول بهذه المعجزات المقترحه.

و عاده فإنّ الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ليس إنسانا استثنائيا يجلس فی مكان معين، و يأتی الأشخاص يقترحون عليه المعجزات كيفما يشاءون،و يتلاعبون بقوانين و سنن الخلق و الوجود،و إذا لم تعجبهم معجزه معينه يطلبون غيرها...و هكذا.

إنّ مسئوليه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هى إثبات ارتباطه بالخالق عن طريق المعجزه، و عند ما يأتى بالقدر الكافى من المعاجز،فليست عليه أيه مسئوليه أخرى.

إنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد لا يعرف بزمان نزول المعجزات،و قد يطلب المعجزه من ربّه عند ما يعلم بأنّ الإتيان بها يرضى اللّه تعالى.

### ٢-الأفكار المحدوده و الطلبات غير المعقوله

كل إنسان يتكلم بحدود فكره،و لهذا السبب فإنّ حديث أى شخص هو دليل على مقدار عمق أفكاره.

الأفراد الذى لا يفكرون إلا بالمال و الجاه يتصورون أنّ كل من يتحدث عن شيء إنّما يقصد هذا المجال.

لهذا السبب كان مشركو مكّه يقترحون-بسبب قصور تفكيرهم-على رسول اللّه اقتراحات تتصل بالمال و قضاياه،يطلبون منه أن يترك دعوته مقابل المال،إنّهم يقيسون الروح الواسعه لرسول الهدى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بضيق أفكارهم.

إنّ هؤلاء كانوا يعتقدون بأنّ من لا يجاهد فى سبيل المال أو المقام مجنون حتما،و مثلهم كمثل المسجون فى غرفه صغيره لا يرى السماء الواسعه و الشمس العظيمه و الجبال الشامخه و البحار الواسعه و لا يحس بعظمه عالم الوجود.لقد أرادوا مقايسه الروح السمحه العظيمه لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بمقاييسهم.

إضافه لذلك،لنر ما هى الأشياء التى أرادوها من الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لم تكن موجوده فى الإسلام،لقد أرادوا الأراضى المزروعه و العيون المتفجّره،و بساتين النخيل و الأعناب،و البيوت المزخرفه.و نحن نعلم أنّ الإسلام قد فتح أبواب التقدّم و التكنولوجيا بحيث يمكن فى ظل التقدم الاقتصادى تحقيق الكثير من هذه الأمور،بل و نلاحظ بأنّ المسلمين فى ظل البرامج القرآنيه و صلوا إلى تحقيق تقدّم أكثر ممّا كان يدور فى عقول المشركين ذوى الأفق الضيق.

فهؤلاء لو كانوا ينظرون بعين الحقيقه لكانوا قد شاهدوا هذا التطوّر المعنوى العظيم فى هذا الدين،و كذلك الانتصارات الماديه المنظوره حيث يضمن القرآن سعاده الإنسان فى المجالين الدنيوى و الأخروى.

بالإضافه إلى ذلك،فإنّ اقتراحاتهم السفيهه الأخرى تدل على مدى التكبّر و الغرور و الجهل المسيطر على عقولهم..كقولهم:أو تسقط السماء علينا..

و قولهم:أن تضع سلما و تصعد الى السماء.

و قولهم:أن تحضر أمّامنا اللّه و الملائكه!!حتى أنّهم لم يطلبوا منه أن يأخذهم الى اللّه تعالى..فما اشدّ هذا الجهل و الغرور و التكبر!!

### ۳-ذريعه أخرى لنفى الإعجاز

بالرغم من وضوح الآيات أعلاه،و أنّها غير معقّده،و أنّ طلبات المشركين من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم واضحه،و كذلك سبب تعامل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم السلبى مع هؤلاء معلوم أيضا،إلاّ أنّ الآيات أصبحت ذريعه بيد بعض المتذرعين فى عصرنا الذين يصرّون على نفى أى معجزه لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و هؤلاء يعتبرون هذه الآيات من أوضح الأدله على نفى الإعجاز عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث طلب المشركون منه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن يأتى سته أنواع من المعاجز سواء من الأرض أو السماء و سواء كانت مفيده لهم أو قاضيه بموتهم،إلاّ أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم يستطيع تنفيذ أىّ منها،جوابه الوحيد لهم كان سُبْحانَ رَبِّى هَلْ كُنْتُ إِلاّ بَشَراً رَسُولاً .

نحن نقول:إذا لم يكن متذرعو اليوم كأسلافهم،فإنّ ما ورد فى الآيات يكفيهم جوابا على ما أوردوا،إذ ينبغى أن نلاحظ ما يلى:

۱-البعض من الطلبات الهزيله، كمثل طلبهم إحضار الخالق جلّ و علا و الملائكه،أو المجىء برساله من السماء فيها أسماؤهم و عناوينهم!البعض

الآخر مما طلبوا،فيها أجابهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إليه،سوف لن يبقى أثر لهم، و بالتالى لن تكون قضيه المعجزه ذات أثر فى إيمانهم أو عدمه،مثل قولهم أن يسقط عليهم كسفا من السماء،أى أن تنزل عليهم صخور من السماء.

أمّا بقيه الطالبات المقترحه فتشمل الحصول على المزيد من وسائل الحياه المرفّهه و الأموال و الثروات الكبيره،فى حين أنّ الأنبياء لم يأتوا لتحقيق هذه الأمور.

و إذا افترضنا خلو ما اقترحه المشركون من المآخذ،فإنّنا نعلم-كما تخبر بذلك الآيات-أنّ ما طلبوه كان من نمط التحجّج و التذرّع أمام دعوه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليس من مسئوليه رسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن يجيبهم إلى ذرائعهم و تحجّجاتهم هذه،بل إنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقدّم المعجزه بمقدار ما يثبت صدق دعوته،و لا شىء أكثر من ذلك.

٢-بعض تعابير هذه الآيات توضح بنفسها-بصراحه شديده-مدى عناد و تذرّع هؤلاء بمثل هذه الطلبات،فمثلا هم يقترحون على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الصعود الى السماء،و لكنّهم يقولون له،بأنّنا لا نصدّق صعودك إن لم تأتنا برساله من السماء.

إذا كان هؤلاء طلاّب معجزه-فقط-فلما ذا لا يكفيهم صعود الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم السماء،ثمّ هل هناك دليل أوضح من هذا على عدم واقعيه هؤلاء القوم و عدم منطقيه عروضاتهم؟ ٣-إضافه إلى كلّ ما مر،فإنّنا نعلم أنّ المعجزه من عمل الخالق جلّ و علا و ليست من عمل الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،فى حين يظهر واضحا من كلامهم أنّهم كانوا يعتبرون المعجزه من فعله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،لذا كانوا ينسبون جميع الأعمال إليه مثل قولهم:

تَفْجُرَ لَنٰا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً...

أَوْ تُسْقِطَ السَّمٰاءَ كَمٰا زَعَمْتَ عَلَيْنٰا كِسَفاً،أَوْ تَأْتِيَ بِاللّٰهِ وَ الْمَلاٰئِكَهِ

و ما إلى ذلك من طلبات.

الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يعتقد بأنّ عليه أن يزيل هذه الأوهام من عقولهم،و يثبت

لهم بأنّه ليس هو اللّه و لا هو شريكه،و المعجزه من اللّه دون سواه،فأنا بشر مثلكم، و الفارق أنّ الوحی ينزل علیّ،و بمقدار ما يلزم الأمر فإنّ اللّه ينزل المعاجز علی يدی،و لا أستطيع أن أفعل أكثر من هذا،و قوله سُبْحٰانَ رَبِّی شاهد علی هذا المعنی،إذا أنّ الخالق منزّه عن أی شريک و شبيه.

و بالرغم من أنّ القرآن ذكر معاجز متعدّده لعيسی عليه السّلام مثل إحياء الموتی و شفاء المرضی و غير ذلک،إلاّ أنّ هذه المعجزات جميعا كانت ملحقه بكلمه «بإذنی»أو«بإذن اللّه»أی إنّها تتم-فقط-بإذن الخالق،و أجريت علی يد المسيح عليه السّلام .(۱)

۴-أیّ إنسان يصدّق بأنّ إنسانا يدّعی النّبوه،بل يعتبر نفسه خاتم النّبيين، و يذكر فی كتابه المعاجز الكثيره للأنبياء السابقين،إلاّ أنّه نفسه لا يستطيع أن يأتی بمعجزه؟! ثمّ إنّ الناس علی هذا الفرض،ألا يعترضون علی مثل هذا النّبی و يقولون له:

كيف تكون نبيّا فی حين أنّک تعجز عن القيام بمعاجز مثل معاجز الأنبياء الآخرين...فإن كنت تدّعی أنّک أفضل منهم جميعا و خاتمهم،فكيف إذن تستقيم الدعوه مع عدم الإتيان بالمعجزات؟ إنّ هذا الواقع-بحدّ ذاته-دليل علی أنّ رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم قد جاء-عند الضروره و اللزوم-بالمعجزات،و من هنا يتّضح أن عدم استسلام رسول الهدی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم لطلبات المشركين الآنفه إنّما يعود لعلمه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم بعدم جدواها فی إثبات ما يلزم من نبوته،و أنّها انطلقت-فقط-علی سبيل التحجج و التذرّع من قبل عتاه قريش و كبرائها،لذلک أهمل صلّی اللّه عليه و آله و سلّم هذا الكلام و لم يستجب لاقتراحاتهم غير المنطقيه و غير المعقوله.



---

۱- ۱) -يمكن فی هذا الصدد مراجعه الآيات(۱۱۰)من سوره المائده،و(۴۹)من سوره آل عمران.

## الآيتان [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٩۴ الى ٩۵]

### اشاره

وَ مٰا مَنَعَ اَلنّٰاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جٰاءَهُمُ اَلْهُدىٰ إِلاّٰ أَنْ قٰالُوا أَ بَعَثَ اَللّٰهُ بَشَراً رَسُولاً (٩۴) قُلْ لَوْ كٰانَ فِي اَلْأَرْضِ مَلاٰئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنٰا عَلَيْهِمْ مِنَ اَلسَّمٰاءِ مَلَكاً رَسُولاً (٩۵)

### التّفسير

### اشاره

### ذريعه عامّه:

الآيات السابقه تحدّثت عن تذرّع المشركين-أو قسم منهم-فى قضيه التوحيد،أمّا الآيات التى نبحثها فإنّها تشير إلى ذريعه عامّه فى مقابل دعوه الأنبياء،حيث تقول: وَ مٰا مَنَعَ النّٰاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جٰاءَهُمُ الْهُدىٰ إِلاّٰ أَنْ قٰالُوا أَ بَعَثَ اللّٰهُ بَشَراً رَسُولاً .

هل يمكن التصديق بأنّ هذه المهمّه و المنزله الرفيعه تقع على عاتق الإنسان ...ثمّ و الكلام للمشركين-ألم يكن الأولى و الأجدر أن تقع هذه المهمّه-و هذه المسؤوليه-على عاتق مخلوق أفضل كالملائكه-مثلا-كى يستطيعوا أداء هذه المهمّه بجداره...إذ أين الإنسان الترابى و الرساله الإلهيه؟! إنّ هذا المنطق الواهى الذى تحكيه الآيه على لسان المشركين لا يخص

مجموعه أو مجموعتين من الناس،بل إنّ أكثر الناس و فى امتداد تأريخ النّبوات قد تذرّعوا به فى مقابل الأنبياء و الرّسل.

قوم نوح عليه السّلام-مثلا-كانوا يعارضون نبيّهم بمثل هذا المنطق و يصّرحون: مٰا هٰذٰا إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ كما حكت ذلك الآيه(۲۴)من سوره المؤمنون.

أمّا قوم هود فقد كانوا يواجهون نبيّهم بالقول: مٰا هٰذٰا إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمّٰا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَ يَشْرَبُ مِمّٰا تَشْرَبُونَ كما ورد فى الآيه(۳۳)من سوره المؤمنون.ثمّ أضافت الآيه(۳۴)من نفس السوره قولهم: وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخٰاسِرُونَ .

نفس هذه الذريعه تمسّك بها المشركون ضد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أمام دعوه الإسلام التى جاء بها،إذ قالوا: مٰا لِهٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعٰامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْوٰاقِ لَوْ لاٰ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً (۱) .

القرآن الكريم أجاب هؤلاء جميعا فى جمله قصيره واحده مليئه بالمعانى و الدلالات،قال تعالى: قُلْ لَوْ كٰانَ فِي الْأَرْضِ مَلاٰئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنٰا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمٰاءِ مَلَكاً رَسُولاً .

يعنى أنّ القائد يجب أن يكون من سنخ من بعث إليه،و من جنس أتباعه، فالإنسان لجماعه البشر،و الملك لجماعه الملائكه.

و دليل هذا التجانس و التطابق بين القائد و أتباعه واضح؛فمن جانب يعتبر التبليغ العملى أهم وظيفه فى عمل القائد من خلال كونه قدوه و أسوه،و هذا لا يتمّ إلاّ أن يكون القائد من جنسهم،يمتلك نفس الغرائز و الأحاسيس،و نفس مكونات البناء الجسمى و الروحى الذى يملكه كل فرد من أفراد جماعته،فلو كان الرّسول إلى البشر من جنس الملائكه الذين لا يملكون الشهوه و لا يحتاجون إلى الطعام و المسكن و الملبس،فلا يستطيع أن يتمثل معنى الأسوه و القدوه لمن



---

۱- ۱) -الفرقان،۷.

بعث إليهم،بل إنّ الناس سوف يقولون:إنّ هذا النّبى المرسل لا يعرف ما فى قلوبنا و ضـمائرنا،و لا يدرك ما تنطوى عليه أرواحنا من عوامـل الشـهوه و الغضب و مـا إلى ذلـك،إنّ مثـل هـذا الرّسول سوف يتحـدث إلى نفسه فقـط،إذ لو كان مثلنا يملك نفس أحاسيسنا و مشاعرنا لكان مثل حالنا أو أسوأ،لذا لا اعتبار لكلامه.

أمّا عند ما يكون القائد مثل

أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام الذى يقول:

«إنّما هى نفسى أروضها بالتقوى لتأتى أمنه يوم الخوف الأكبر» (۱) . فإنّ مثله يصلح أن يكون الأسوه و القدوه لمن يقودهم.

مـن جـانب آخر ينبغى للقائـد أن يـدرك جميع احتياجـات و مشاكـل أتبـاعه كى يكـون قـادرا على علاـجهم،و الإجـابه على أسـئلتهم،لهـذا السـبب نرى أنّ الأنبيـاء برزوا من بين عـامّه النـاس، و عـانوا فى حيـاتهم كمـا يعـانى النـاس،و ذاقوا جميع مرارات الحياه،و لمسوا الحقائق المؤلمه بأنفسهم و هيأوا أنفسهم لمعالجتها و مصابره مشكلات الحياه.

### ملاحظات

۱-قوله تعـالى: وَ مٰا مَنَعَ النّٰاسَ... يعنى إن سـبب عـدم إيمانهم هو هـذا التـذرّع،إلاّ أنّ هـذا التعبير ليس دليلا على الحصـر،بل هو للتأكيد و بيان أهميه الموضوع.

۲-عبـاره: مَلاٰئِكَهٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ موضع اختلاـف فى أقوال و آراء المفسّـرين،فـالبعض يعتبرهـا إشـاره إلى قول عرب الجاهليه الـذين كانوا يقولون بأنّنا كنّا نعيش فى هـذه الجزيره حياه هادئه،و قـد جاء محمّد ليجلب الفوضـى و القلق،إلاّ أنّهم جوبهوا بقول القرآن لهم بأنّه حتى لو كانت الملائكه تسكن



---

۱- ۱) -نهج البلاغه،الرساله رقم ۴۵.

الأرض و كانوا يعيشون حياه هادئه-كما تدّعون-فإنّنا كنّا سنرسل لهم رسولا من جنسهم و صنفهم.

البعض الآخر من المفسّرين فسّرها بأنّها«اطمئنان إلى الدنيا و لذاتها و الابتعاد عن أى مذهب و دين».

و أخيرا فسّرها بعضهم بمعنى(السكن و التوطّن)فى الأرض.

لكن الاحتمال الأقوى هو أن يكون هدف الآيه:لو كانت الملائكه ساكنه فى الأرض،و كانوا يعيشون حياه هادئه و خاليه من الصراع و النزاع،فرغم ذلك كانوا سيشعرون بالحاجه إلى قائد من جنسهم،حيث أنّ الهدف من إرسال الأنبياء و بعثهم ليس لإنهاء الصراع و النزاع و إيجاد أسباب الحياه الماديه الهادئه و حسب، بل إنّ هذه الأمور هى مقدمه لطى سبيل التكامل و التربيه فى المجالات المعنويه و الإنسانيه،و مثل هذا الهدف يحتاج إلى قائد إلهى.

۳-يستفيد العلاّمه الطباطبائى فى تفسير الميزان من كلمه«أرض»فى الآيه أعلاه،أنّ طبيعه الحياه الماديه على الأرض تحتاج إلى نبى،و بدونه لا يمكن الحياه.

إضافه الى ذلك فإنّه يرى أنّ هذه الكلمه إشاره لطيفه إلى جاذبيه الأرض حيث أنّ التحرّك بهدوء و اطمئنان بدون وجود الجاذبيه يعتبر أمرا محالا.

ص :۱۴۹

## الآیتان [سوره الإسراء (۱۷): الآیات ۹۶ الی ۹۷]

### اشاره

قُلْ کَفیٰ بِاللّٰهِ شَهِیداً بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ إِنَّهُ کٰانَ بِعِبٰادِهِ خَبِیراً بَصِیراً (۹۶) وَ مَنْ یَهْدِ اَللّٰهُ فَهُوَ اَلْمُهْتَدِ وَ مَنْ یُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِیٰاءَ مِنْ دُونِهِ وَ نَحْشُرُهُمْ یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ عَلیٰ وُجُوهِهِمْ عُمْیاً وَ بُکْماً وَ صُمًّا مَأْوٰاهُمْ جَهَنَّمُ کُلَّمٰا خَبَتْ زِدْنٰاهُمْ سَعِیراً (۹۷)

### التّفسیر

### اشاره

### المهتدون الحقیقیون:

بعد أن قطعت الآیات السابقه أشواطا فی مجال التوحید و النّبوه و عرض حدیث المعارضین و المشرکین،فإنّ هذه الآیات عباره عن خاتمه المطاف فی هذا الحدیث،إذ تضع النتیجه الأخیره لکل ذلک. ففی البدایه تقول الآیه إذا لم یقبل أولئک أدلتک الواضحه حول التوحید و النّبوه و المعاد فقل لهم: قُلْ کَفیٰ بِاللّٰهِ شَهِیداً بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ إِنَّهُ کٰانَ بِعِبٰادِهِ خَبِیراً بَصِیراً (۱) .

إنّ هذه الآیه تستهدف أمرین فهی أوّلا:تهدّد المعارضین المتعصبین

ص: ۱۵۰

---

۱- ۱) -من حیث الترکیب:إنّ«الباء»فی کَفیٰ بِاللّٰهِ زائده،و«اللّه»فاعل«کفی»و«شهیدا»تمییز،أو حال کما یقول البعض.

و المعاندين،بأنّ اللّه خبير و بصير و يشهد أعمالنا و أعمالكم،فلا تظنوا بأنّكم خارجون عن محيط قدرته أو أنّ شيئا من أعمالكم خاف عنه.

الأمر الثّانى:هو أنّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أظهر إيمانه القاطع بما قال،حيث أنّ ايمان المتحدّث القوى بما يقول له أثر نفسى عميق فى المستمع،و عسى أن يكون هذا التعبير القاطع و الحاسم المقرون بنوع من التهديد مؤثرا فيهم،و يهز وجودهم، و يوقظ فكرهم و وجدانهم و يهديهم إلى الطريق الصحيح.

الآيه التاليه تؤكّد على أن الشخص المهتدى هو الذى قذف اللّه تعالى بنور الإيمان فى قلبه: وَ مَنْ يَهْدِ اللّٰهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ أمّا من أظلّه اللّه بسوء أعماله:

وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيٰاءَ مِنْ دُونِهِ

.فالطريق الوحيد هو أن يرجعوا إليه و يطلبوا نور الهدايه منه.

هاتان الجملتان تثبتان أنّ الدليل القوى و القاطع لا يكفى للإيمان،فما لم يكن هناك توفيق إلهى لا يستقر الإيمان أبدا.

هذا التعبير يشبه دعوتنا لمجموعه لأن تفعل الخير بعد أن نشرح لهم أهميه الموضوع بواسطه الأدله المختلفه،إلاّ أنّ الحصيله العمليه ستكون موافقه البعض،و امتناع البعض الآخر عن فعل الخير برغم صحه الأدله.و بذلك لا يكون كل واحد لائقا لفعل الخير.

و هذه حقيقه فليس كل قلب يليق لأن ينال نور الحق،إضافه إلى أنّ الكلام يثير المستمع،و قد يحدث أن يترك الشخص بتأثير هذا الكلام عناده و لجاجته ليثبت لياقته للحق و يستسلم له.

و قلنا مرارا:إنّ الهدايه و الضلاله الإلهيتين ليستا شيئين جبريين،بل تخضعان للأثر المباشر لأعمال الإنسان و صفاته،فالأشخاص الذين جاهدوا أنفسهم وسعوا بجديه فى طريق القرب الإلهى،فمن البديهى أن اللّه سيوفّقهم

و يهديهم: وَ الَّذِينَ جٰاهَدُوا فِينٰا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنٰا (۱) .

أمّا أولئک الـذين يسـلكون طريق العناد و المكابره و تتلوّث فطرتهم و قلوبهم بأنواع الذنوب و المفاسد و المظالم،فإنّهم قد قضوا على أى اسـتعداد أو جداره لديهم فى قبول الحق بالتالى مسـتحق للضـلاله: وَ يُضِلُّ اللّٰهُ الظّٰالِمِينَ (۲) . وَ مٰا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفٰاسِقِينَ (۳) . كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللّٰهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتٰابٌ (۴) .

أمّا عن سـبب مجىء«أوليـاء»بصـيغه الجمـع،فقـد يعود ذلـک للإشـاره إلى تعـدّد الآلـهه الوهميه أو تنوع الوسائـل الـتى يلجأون إليهـا،فيكون المقصود أنّ جميع هـذه الوسائـل و جميع البشـر و غير البشـر،و كـل ما تؤلهون من آلهه من دون اللّه،لا يسـتطيع أن ينقذكم من الضلاله و سوء العاقبه.

ثمّ تـذكر الآيـات-بصـيغه التهديـد القاطع-جانبا من مصـيرهم بسـبب أعمالهم فى يوم القيامه فتقول: وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ عَلىٰ وُجُوهِهِمْ فبـدلا من الدخول بشـكل عادى و بقامه منتصـبه،فإنّ الملائكه الموكلين بهم يسـحبونهم إلى جهنّم على وجوهـم تعذيبا لهم.

البعض يعتقـد أنّ هؤلاء يسـبحون يوم القيامه بسـبب عجزهم فى ذلک اليوم عن المشـى،لـذلک فإنّهم يزحفون كالزواحف على وجوههم و صدورهم بشكل ذليل و مؤلم.

نعم،فأولئـک محرومون من نعمه كـبيره،هى نعمه المشـى على الأرجـل،لأنّهم لم يسـتفيدوا من هـذه الوسـيله فى هـذه الـدنيا فى سلوک طريق السعاده و الهدايه،بل خصصوها لسلوک طرق الذنوب و المعاصى.

ثمّ هم يحشرون: عُمْياً وَ بُكْماً وَ صُمًّا .و هنا قد يطرح هذا السؤال،و هو:إنّ



---

۱- ۱) -العنكبوت،۶۹.

۲- ۲) -إبراهيم،۲۷.

۳- ۳) -البقره،۲۶.

۴- ۴) -غافر،۳۴.

المجرمين و أهـل الجحيم ينظرون و يسـمعون و يتكلمـون،فكيف تقول هـذه الآـيه عُمْيـاً وَ بُكْمـاً وَ صُـمًّا (۱) ؟ للمفسّـرين أقوال متعدّده فی الإجابه علی هذا السؤال،إلّا أن أفضلها جوابان نستطیع إجمالهما فیما یلی:

أوّلاـ:إنّ مراحـل و مواقف یوم القیـامه متعـدّده،ففی بعض المراحـل و المواقف یکون هؤلاء صـما و بکما و عمیا،و هـذا نوع من العقاب لهم،لأنّهم لم یستفیدوا من هذه النعم الإلهیه بصوره صحیحه فی حیاتهم الدنیا.إلّا أنّه-فی مراحل لاحقه-فإنّ عیونهم تبدأ بالنظر،و آذانهم بالسـماع،و ألسـنتهم بالنطق حتی یروا منظر العذاب و یسمعون کلام الشامتین،و یبدأون بالتأوه و الصراخ و إظهار ضعفهم،حیث أن کل هذه الأمور هی نوع آخر من العقاب لهم.

ثانیـا:إنّ المجرمین و أهـل النـار محرومـون من رؤیه مـا هـو سـارّ و من سـماع أمور تبعث علی الفرح،و من قول کلاـم یسـتوجب نجاتهم،بل علی العکس من ذلک،فهم لا ینظرون و لا یسمعون و لا یقولون إلّا ما یؤذی و یؤلم.

فی الختام تقول الآیه: مَأْوٰاهُمْ جَهَنَّمُ .

لکن لا تظنّوا أنّ نارها کنار الدنیا تنطفی فی النهایه،بل هی: کُلَّمٰا خَبَتْ زِدْنٰاهُمْ سَعِیراً

ص:۱۵۳

---

۱- ۱) -فی الآیه(۵۳)من سوره الکهف نقرأ قوله تعالی: وَ رَأَی الْمُجْرِمُونَ النّٰارَ و فی الآیه(۱۳)من سوره الفرقان قوله تعالی: دَعَوْا هُنٰالِکَ ثُبُوراً و فی الآیه(۱۲)من الفرقان نقرأ: سَمِعُوا لَهٰا تَغَیُّظاً وَ زَفِیراً .

## الآيات [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٩٨ الى ١٠٠]

### اشاره

ذٰلِكَ جَزٰاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيٰاتِنٰا وَ قٰالُوا أَ إِذٰا كُنّٰا عِظٰاماً وَ رُفٰاتاً أَ إِنّٰا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً (٩٨) أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اَللّٰهَ اَلَّذِى خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ قٰادِرٌ عَلىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَ جَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاٰ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى اَلظّٰالِمُونَ إِلاّٰ كُفُوراً (٩٩) قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزٰائِنَ رَحْمَهِ رَبِّى إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَهَ اَلْإِنْفٰاقِ وَ كٰانَ اَلْإِنْسٰانُ قَتُوراً (١٠٠)

### التّفسير

### اشاره

### كيف يكون المعاد ممكنا؟

فى الآيات السابقه رأينا كيف أنّ يوما سيئا ينتظر المجرمين فى العالم الآخر.

هذه العاقبه التى تجعل أى عاقل يفكّر فى هذا المصير،لذلك فإنّ الآيات التى بين أيدينا تقف على هذه الموضوع بشكل آخر.

فى البدايه تقول: ذٰلِكَ جَزٰاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيٰاتِنٰا وَ قٰالُوا أَ إِذٰا كُنّٰا عِظٰاماً وَ رُفٰاتاً أَ إِنّٰا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً .

«رفات»كما يقول الراغب فى«المفردات»هى قطع من(التبن)لا تتهشم بل

ص :١٥۴

تنتشر و تتناثر هنا و هناك.و الأمر لا يحتاج إلى مزيد توضيح،فالإنسان يتحول تحت التراب إلى عظام نخره ثمّ إلى تراب،ثمّ تتلاشى ذرات التراب هذه و تنتشر.

و بعد تعجبهم من المعاد الجسمانى و اعتبارهم ذلك أمرا غير ممكن،يقول القرآن بأسلوب واضح و مباشر و بلا فصل: أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللّٰهَ الَّذِی خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ قٰادِرٌ عَلیٰ أَنْ یَخْلُقَ مِثْلَهُمْ .و على هؤلاء أن لا يعجلوا فإنّ القيامه و إن تأخّرت،إلاّ أنّها سوف تتحقق بلا ريب: وَ جَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاٰ رَیْبَ فِیهِ .

و لكن هؤلاء الظالمين و المعادين مستمرون على ما هم فيه رغم سماعهم هذه الآيات: فَأَبَی الظّٰالِمُونَ إِلاّٰ کُفُوراً .

و حيث أنّهم كانوا يصرخون و يصّرون على أن لا يكون النّبى من البشر حسدا من عند أنفسهم و جهلا و ضلالا،و قد منعهم هذا الحسد و الجهل من التصديق بإمكانيه أن يعطى اللّه كل هذه المواهب لإنسان،لذا فإنّ الخالق جلّ و علا يخاطبهم بقوله: قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِکُونَ خَزٰائِنَ رَحْمَهِ رَبِّی إِذاً لَأَمْسَکْتُمْ خَشْیَهَ الْإِنْفٰاقِ .ثمّ يقول: وَ کٰانَ الْإِنْسٰانُ قَتُوراً .

«قتور»من«قتر»على وزن«قتل»و هى تعنى الإمساك فى الصرف،و بما أنّ (قتور)صيغه مبالغه فإنّها تعنى شدّه الإمساك و ضيق النظر.

## ملاحظات

### اشاره

### ١-المعاد الجسمانى

الآيات أعلاه من أوضح الآيات المرتبطه بإثبات المعاد الجسمانى، فالمشركين كانوا يعجبون من إمكانيه عوده الحياه إلى العظام النخره،و القرآن يجيبهم بأنّ القادر على خلق السماوات و الأرض،لديه القدره على جمع الأجزاء

المتناثره للإنسان و أن يهبها الحياه مرّه أخرى.

و لا ـ نـدرى كيف ينكر بعض من يـدعى الإسـلام قضـيه المعـاد الجسـمانى، و يقتصـرون فى إيمـانهم على المعـاد الروحى برغم الدلالات الواضحه لهذه الآيات و غيرها؟ كما إنّ الاستدلال بالقدره الكليه للخالق عزّ و جلّ فى إثبات المعاد،هو واحد من الأدله التى يـذكرها القرآن مرارا و يعتمـد عليها كثيرا.و يظهر مثل هذا النمط من الاسـتدلال بالقدره الكليه على المعاد فى الآيه الأخيره من سوره(يس)و التى تتضمّن عدّه أدله لإثبات المعاد الجسمانى (۱) .

### ۲-أيّ الآيات؟

هنـاك احتمالات عديـده فى أنّ الغرض من هـذه(الآيـات)فى جمله كَفَرُوا بِآيٰاتِنٰا هى آيـات التوحيـد أو أدله النّبـوه،أو الآيـات المرتبطه بالمعاد.و لكن وقوع الجمله فى بحث المعاد،ترجـح اعتقادنا بأنّها إشاره إلى آيات المعاد،و هى فى الحقيقه مقـدمه للردّ على منكرى المعاد.

### ۳-ما هو الغرض من«مثلهم»؟

إنّنا نعرف أنّ اللّه-بسبب قدرته العظيمه-قادر فى يوم القيامه على إرجاع الناس،فى حين أنّنا نقرأ فى الآيات أعلاه أنّه يستطيع أن يخلق مثلهم.و قـد يكون هـذا التعبير مـدعاه لاشـتباه أو اسـتفسار البعض عمّا إذا كان الناس الـذين يردون القيامه هم ليسوا هؤلاء النـاس أنفسـهم؟ بعض المفسّـرين يرى أن الغرض من(مثـل)هنـا هـو(عين)ففى بعض الأحيـان نقول(مثلـك يجب ألاّ ـ يقوم بهـذا العمل)إلاّ أنّنا نقصد أنّك أنت الذى يجب أن لا



---

۱- ۱) -لمزيد من التفاصيل يراجع كتاب:«العالم و المعاد بعد الموت».

تقوم بهذا العمل،لکن هذا التّفسیر بعید،لأنّ مثل هذه التعابیر لها محل آخر لا یتناسب مع ما نبحثه الآن.

الظاهر أنّ الغرض من استخدام تعبیر(مثل)فی هذه الآیه هو إعاده الحیاه.

فإعاده الخلق مرّه ثانیه لا تکون حتما کالمرّه الأولی،حیث هناک علی الأقل زمان آخر و ظروف أخری،و صوره جدیده بالرغم من أنّ الماده هی نفس الماده القدیمه.و کمثال لذلک إذا جمعنا اجزاء متناثره لقطعه من الآجر و وضعناها فی قالبها القدیم،فإنّنا لا نستطیع أن نقول عن الآجر الجدید أنّه نفس قطعه الآجر القدیمه،بالرغم من أنّه لیس إلّا الطین السابق.بل نقول:إنّه مثله.و هذا دلیل علی التعابیر المختاره و المنتخبه فی القرآن الکریم.

و من المسلّم به أنّ روح الإنسان تحدّد شخصیته،و نحن نعلم أنّ الروح الأولی هی التی عند البعث،إلّا أنّ المعاد الجسمانی یقول لنا:إنّ الروح ستکون مع نفس الماده الأولی،یعنی أنّ تلک الماده المتلاشیه ستتجمّع مرّه أخری و تندمج مع روحها،و فی موضوع المعاد أثبتنا أن روح الإنسان بعد أن تتخذ شکلا معینا لا یمکنها أن تنسجم مع غیر جسدها الأصلی الذی تربت و عاشت معه.و هذا هو السر فی البعث الروحی و الجسدی معا.

### ۴-ما هو(الأجل)؟

إنّ(الأجل)هو نهایه العمر.و لکن هل(الأجل)فی هذه الآیات إشاره إلی نهایه العمر...أو هو إشاره إلی نهایه عمر الدنیا و بدایه البعث؟ و بما أنّ الحدیث یدور حول المعاد،لذا فإنّ المعنی الثّانی أکثر صحه.و أمّا ما قاله بعض المفسّرین الکبار من أنّ هذا الکلام لا یتناسب مع جمله لاٰ رَیْبَ فِیهِ لأنّ منکری المعاد کانوا یشکّون حتما فی قضیه المعاد.فإنّ ذلک غیر صحیح،لأنّ مفهوم مثل هذا التعبیر هو أنّه یجب أن لا نسمح للشک بأنّ یدخل إلی أنفسنا نحن،

لاـ أنّ أحدا لاـ يشک بـذلک! لـذا فـإنّ المفهوم الکلی للآیه یصـبح علی هـذه الصوره.إنّ اللّه الـذی خلق السـماوات و الأرض یسـتطیع-حتما-أن یعید الحیاه لهؤلاء البشـر،أمّا إذا لم یحدث هذا الأمر بسـرعه،فذلک بسبب أنّ السنه الإلهیه لها أجل محدود و حتمی بحیث لا مجال للشک فیها.

و تصـبح النتیجه:إنّ الدلیل القاطع فی قبال منکری المعاد هی هذه القدره، و أمّا قوله: جَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاٰ رَیْبَ فِیهِ فهو جواب علی سؤال حول سبب تأخیر القیامه. (فدقق فی ذلک).

## ۵-الترابط بین الآیات

عنـد مطالعه هـذه الآیات یثار سؤال حول کیفیه الارتباط و الصـله بین کلمه (قتورا)التی هی بمعنی(بخیل)الوارده فی آخر الآیه،و بین ما نبحثه؟ بعض المفسّـرین قالوا:إنّ هـذه الجمله إشاره إلی موضوع طرح قبل عدّه آیات من قبل عبده الأصـنام،فقد طلبوا من الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن یملأ أرض مکّه بالعیون و البساتین.أمّا القرآن فیقول فی جواب هؤلاء: قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِکُونَ خَزٰائِنَ رَحْمَهِ رَبِّی إِذاً.. .

إلّا أنّ هذا التّفسـیر مسـتبعد لأنّ کلام المشرکین لم یکن عن مالکیه هذه العیون و البساتین،بل إنّهم طالبوا الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بأصل هذا العمل و الذی یعتبر عملا إعجازیا.

التّفسـیر الآخر الذی ذکر فی بیان الصـله و هو أفضل من التّفسیر الأوّل،هو أنّهم-بسبب بخلهم و ضیق أنفسهم-کانوا یتعجبون من منـح هـذه الموهبه(النّبوه) للإنسان،و هذه الآیه بمثابه ردّ علیهم حیث تقول لهم:إن بخلکم بلغ درجه بحیث أنّکم لو ملکتم جمیع الدنیا فسوف لا تترکون صفاتکم السیئه و القبیحه هذه.

### ۶-هل أن جميع البشر بخلاء؟

لقد قلنا-لمرّات عديده-إنّ القرآن يذكر الإنسان بشكل عام،و يلومه بأنواع اللوم،و يصفه بصفات كالبخل و الجهل..و العجول و الظلوم و ما شابهها.

إنّ هذه التعابير لا تتنافى مع كون المؤمنين و الصالحين يتحلّون بضد هذه الصفات،حيث يشير التعبير إلى أنّ الطبيعه الآدميه هى هكذا،و إذا لم يخضع الإنسان لتربيه القاده الإلهيين،و ترك لشأنه كالنباتات المتروكه فسيكون مستعدا للاتصاف بهذه الصفات السيئه.و هذا لا يعنى أنّ ذاته خلقت هكذا،أو أنّ عاقبه الجميع كذلك (۱) .

### ۷-استخدام تعبير خَشْيَهَ الْإِنْفٰاقِ

يعنى الخوف من الفقر،ذلك الفقر الذى يكون سببه كثره الإنفاق،كما يظنون.

ص :۱۵۹

---

۱- ۱) -فى البحوث السابقه تعرضنا لهذه القضيه تفصيلا.

## الآيات [سوره الإسراء (١٧): الآيات ١٠١ الى ١٠۴]

### اشاره

وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ فَسْئَلْ بَنِى إِسْرائِيلَ إِذْ جاءَهُمْ فَقالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يا مُوسى مَسْحُوراً (١٠١) قالَ لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِلاّ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ بَصائِرَ وَ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً (١٠٢) فَأَرادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ جَمِيعاً (١٠٣) وَ قُلْنا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِى إِسْرائِيلَ اُسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَهِ جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً (١٠۴)

### التّفسير

#### اشاره

#### لم يؤمنوا رغم الآيات:

قبل بضعه آيات عرفنا كيف أنّ المشركين طلبوا أمورا عجيبه غريبه من الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و بما أنّ هدفهم-باعترافهم هم أنفسهم-لم يكن لأجل الحق و طلبا له،بل لأجل التذرّع و التحجج و التعجيز،لذا فإنّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ردّ عليهم و رفض الانصياع إلى طلباتهم.

ص:١۶٠

و هذه الآیات-التی نبحثها-فی الحقیقه تقف علی نماذج للأمم السابقه ممّن شاهدوا أنواع المعاجز و الأعمال غیر العادیه،إلاّ أنّهم استمروا فی الإنکار و عدم الإیمان.

فی البدء یقول تعالی: وَ لَقَدْ آتَیْنا مُوسی تِسْعَ آیاتٍ بَیِّناتٍ .سنشیر فی نهایه هذا البحث إلی هذه الآیات التسع و ماهیتها.

و لأجل التأکید علی الموضوع اسأل-و الخطاب موّجه إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم- بنی إسرائیل(الیهود)أمام قومک المعارضین و المنکرین: فَسْئَلْ بَنِی إِسْرائِیلَ إِذْ جاءَهُمْ .

إلاّ أنّ الطاغیه الجبار فرعون-برغم الآیات-لم یستسلم للحق،بل أکثر من ذلک اتّهم موسی فَقالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّی لَأَظُنُّکَ یا مُوسی مَسْحُوراً .

و فی بیان معنی«مسحور»ذکر المفسّرون تفسیرین،فالبعض قالوا:إنّها تعنی الساحر بشهاده آیات قرآنیه أخری،تقول بأنّ فرعون و قومه اتّهموا موسی بالساحر،و مثل هذا الاستخدام وارد و له نظائر فی اللغه العربیه،حیث یکون اسم المفعول بمعنی الفاعل،کما فی(مشؤوم)التی یمکن أن تأتی بمعنی«شائم» و (میمون)بمعنی«یامن».

و لکن قسم آخر من المفسّرین أبقی کلمه«مسحور»بمعناها المفعولی و التی تعنی الشخص الذی أثّر فیه الساحر،کما یستفاد من الآیه(۳۹)من سوره الذاریات التی نسبت السحر إلیه،و الجنون أیضا، فَتَوَلّی بِرُکْنِهِ وَ قالَ ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ .

علی أی حال،فإنّ التعبیر القرآنی یکشف عن الأسلوب الدعائی التحریضی الذی یستخدمه المستکبرون و یتهمون فیه الرجال الإلهیین بسبب حرکتهم الإصلاحیه الربانیه ضدّ الفساد و الظلم،إذ یصف الظالمون و الطغاه معجزاتهم بالسحر أو ینعتونهم بالجنون کی یؤثروا من هذا الطریق فی قلوب الناس

و يفرّقوهم عن الأنبياء.

و لكن موسى عليه السّلام لم يسكت أمام اتّهام فرعون له،بل أجابه بلغه قاطعه يعرف فرعون مغزاها الدقيق،إذ قال له: قٰالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مٰا أَنْزَلَ هٰؤُلاٰءِ إِلاّٰ رَبُّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ بَصٰائِرَ .

لذا فإنّك-يا فرعون-تعلم بوضوح أنّك تتنكر للحقائق،برغم علمك بأنّها من اللّه!فهذه«بصائر»أى أدله واضحه للناس كى يتعرفوا بواسطتها على طريق الحق.و عند ما سيسلكون طريق السعاده.و بما أنّك-يا فرعون-تعرف الحق و تنكره،لذا: وَ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يٰا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً .

(مثبور)من(ثبور)و تعنى الهلاك.

و لأنّ فرعون لم يستطع أن يقف بوجه استدلالات موسى القويه،فإنّه سلك طريقا يسلكه جميع الطواغيت عديمى المنطق فى جميع القرون و كافه الأعصار، و ذاك قوله تعالى: فَأَرٰادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنٰاهُ وَ مَنْ مَعَهُ جَمِيعاً .

«يستفز»من«استفزاز»و تعنى الإخراج بقوه و عنف.

و من بعد هذا النصر العظيم: وَ قُلْنٰا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرٰائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذٰا جٰاءَ وَعْدُ الْآخِرَهِ جِئْنٰا بِكُمْ لَفِيفاً .فتأتون مجموعات يوم القيامه للحساب.

«لفيف»من ماده«لفّ»و هنا تعنى المجموعه المتداخله المعقّده بحيث لا يعرف الأشخاص،و لا من أى قبيله هم!

## بحوث

### اشاره

### ۱-المقصود من الآيات التسع

لقد ذكر القرآن الكريم آيات و معجزات كثيره لموسى عليه السّلام منها ما يلى:

۱-تحوّل العصا إلى ثعبان عظيم يلقف أدوات الساحرين،كما فى الآيه

(۲۰)من سوره طه: فَإِذَا هِیَ حَیَّهٌ تَسْعیٰ .

۲-الید البیضاء لموسی علیه السّلام و التی تشع نورا: وَ اضْمُمْ یَدَکَ إِلیٰ جَنٰاحِکَ تَخْرُجْ بَیْضٰاءَ مِنْ غَیْرِ سُوءٍ آیَهً أُخْریٰ (۱) .

۳-الطوفان: فَأَرْسَلْنٰا عَلَیْهِمُ الطُّوفٰانَ (۲) .

۴-الجراد الذی أباد زراعتهم و أشجارهم وَ الْجَرٰادَ (۳) .

۵-و القمل الذی هو نوع من الأمراض و الآفات التی تصیب النبات:

و اَلْقُمَّلَ (۴) .

۶-(الضفادع)التی جاءت من النیل و تکاثرت و أصبحت وبالا علی حیاتهم: وَ الضَّفٰادِعَ (۵) .

۷-الدم،أو الابتلاء العام بالرعاف،أو تبدّل نهر النیل إلی لون الدم،بحیث أصبح ماؤه غیر صالح لا للشرب و لا للزراعه: وَ الدَّمَ آیٰاتٍ مُفَصَّلاٰتٍ (۶) .

۸-فتح طریق فی البحر بحیث استطاع بنو إسرائیل العبور منه: وَ إِذْ فَرَقْنٰا بِکُمُ الْبَحْرَ (۷) .

۹-نزول ال(منّ)و(السلوی)من السماء،و قد شرحنا ذلک فی نهایه الآیه (۵۷)من سوره البقره وَ أَنْزَلْنٰا عَلَیْکُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْویٰ (۸) .

۱۰-انفجار العیون من الأحجار: فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصٰاکَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتٰا عَشْرَهَ عَیْناً (۹) .

۱۱-انفصال جزء من الجبل لیظلّلهم: وَ إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ کَأَنَّهُ ظُلَّهٌ

ص :۱۶۳

---

۱- ۱) -طه،۲۲.

۲- ۶،۵،۴،۳،۲) -الأعراف،۱۳۳.

۳- ۷) -البقره،۵۰.

۴- ۸) -البقره،۵۷.

۵- ۹) -البقره،۶۰.

۶-

۷-

۸-

۹-

(۱)

.

۱۲-الجفاف و نقص الثمرات: وَ لَقَدْ أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَ نَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ (۲) .

۱۳-عوده الحياه إلى المقتول و الذى أصبح قتله سببا للاختلاف بين بنى إسرائيل: فَقُلْنا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها كَذلِكَ يُحْيِ اللّهُ الْمَوْتى (۳) .

۱۴-الاستفاده من ظل الغمام فى الاحتماء من حراره الصحراء بشكل إعجازى: وَ ظَلَّلْنا عَلَيْكُمُ الْغَمامَ (۴) .

و لكن الكلام هنا هو:ما هو المقصود من(الآيات التسع)المذكوره فى الآيات التى نبحثها؟ يظهر من خلال التعابير المستخدمه فى هذه الآيات أنّ المقصود هو المعاجز المرتبطه بفرعون و أصحابه،و ليست تلك المتعلقه ببنى إسرائيل من قبيل نزول المنّ و السلوى و تفجّر العيون من الصخور و أمثال ذلك.

لذا يمكن القول أنّ الآيه(۱۳۳)من سوره الأعراف تتعرض إلى خمسه مواضيع من الآيات التسع و هى: (الطوفان،القمّل،الجراد،الضفادع،و الدم).

كذلك اليد البيضاء و العصا تدخل فى الآيات التسع،يؤيد ذلك ورود تعبير (الآيات التسع)فى الآيات(۱۰-۱۲)من سوره النمل بعد ذكر هاتين المعجزتين الكبيرتين.

و بذلك يصبح مجموع هذه المعاجز-الآيات-سبعا،فما هى الآيتان الأخيرتان؟ بلا شك إنّنا لا نستطيع اعتبار غرق فرعون و قومه فى عداد الآيات التسع،



---

۱- ۱) -الأعراف،۱۷۱.

۲- ۲) -الأعراف،۱۳۰.

۳- ۳) -البقره،۷۳.

۴- ۴) -البقره،۵۷.

لأنّ الهدف من الآيات أن تكون دافعا لهدايتهم و سببا لقبولهم بنبوه موسى عليه السّلام، لا أن تقوم بهلاك فرعون و قومه.

عند التدقيق فى آيات سوره الأعراف التى جاء فيها ذكر العديد من هذه الآيات يظهر أنّ الآيتين الأخريتين هما:(الجفاف)و(نقص الثمرات)حيث أننا نقرأ بعد معجزه العصا و اليد البيضاء و قبل تبيان الآيات الخمس(الجراد، و القمل...)قوله تعالى: وَ لَقَدْ أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَ نَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ .

و بالرغم من أنّ البعض يتصوّر أنّ الجفاف لا يمكن فصله عن نقص الثمرات و بذا تعتبر الآيتان آيه واحده،إلاّ أنّ الجفاف المؤقت و المحدود-كما قلنا فى تفسير الآيه(١٣٠)من سوره الأعراف-لا يؤثّر تأثيرا كبيرا فى الأشجار،أمّا عند ما يكون جفافا طويلا فإنّه سيؤدى إلى إباده الأشجار،لذا فإنّ الجفاف لوحده لا يؤدى دائما إلى نقص الثمرات.

إضافه إلى ما سبق يمكن أن يكون السبب فى نقص الثمرات هو الأمراض و الآفات و ليس الجفاف.

و النتيجه أنّ الآيات التسع التى وردت الإشاره إليها فى الآيات التى نبحثها هى:العصا،اليد البيضاء،الطوفان،الجراد،القمل،الضفادع،الدم،الجفاف،و نقص الثمرات.

و من نفس سوره الأعراف نعرف أنّ هؤلاء-برغم الآيات التسع هذه-لم يؤمنوا،لذلك انتقمنا منهم و أغرقناهم فى اليم بسبب تكذيبهم (١) .

هناك روايات عديده وردت فى مصادرنا حول تفسير هذه الآيه، و لاختلافها فيما بينها لا يمكن الاعتماد عليها فى إصدار الحكم.

ص: ١۶۵

---

١- ١) -الأعراف،١٣۶.

## ۲-هل أنّ السائل هو الرّسول نفسه؟

ظاهر الآيات أعلاه يدل على أنّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان قد أمر بسؤال بنى إسرائيل حول الآيات التسع التى نزلت على موسى،و كيف أنّ فرعون و قومه صدّوا عن حقانيه موسى عليه السّلام بمختلف الذرائع رغم الآيات.

و لكن بما أنّ لدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من العلم و العقل بحيث أنّه لا يحتاج إلى السؤال،لذا فإنّ بعض المفسّرين ذهب الى أن المأمور بالسؤال هم المخاطبون الآخرون.

و لكن يمكن أن يقال:إنّ سؤال الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يكن لنفسه،بل للمشركين، لذلك فما المانع من أن يكون شخص الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو الذى يسأل حتى يعلم المشركون أنّه عند ما لم يوافق على اقتراحاتهم،فذلك لأنّها اقتراحات باطله قائمه على التعصّب و العناد،كما قرأنا فى قصّه موسى و فرعون و نظير ذلك.

## ۳-ما المراد ب(الأرض)المذكوره فى الآيات؟

قرأنا فى الآيات أعلاه أنّ اللّه أمر بنى إسرائيل بعد أن انتصروا على فرعون و جنوده أن يسكنوا الأرض،فهل الغرض من الأرض هى مصر(نفس الكلمه وردت فى الآيه السابقه و التى بيّنت أنّ فرعون أراد أن يخرجهم من تلك الأرض.

و بنفس المعنى أشارت آيات أخرى إلى أنّ بنى إسرائيل ورثوا فرعون و قومه)أو أنّها إشاره إلى الأرض المقدّسه فلسطين،لأنّ بنى إسرائيل بعد هذه الحادثه اتجهوا نحو أرض فلسطين و أمروا أن يدخلوها.

بالنسبه لنا فإنّنا لا نستبعد أيّا من الاحتمالين،لأنّ بنى إسرائيل-بشهاده الآيات القرآنيه-ورثوا أراضى فرعون و قومه،و امتلكوا أرض فلسطين أيضا.

### ۴-هل تعنی کلمه(وعد الآخره)یوم البعث و الآخره؟

ظاهرا...إنّ الإجابه بالإیجاب،حیث أنّ جمله جِئْنا بِکُمْ لَفِیفاً قرینه علی هـذا الموضوع،و مؤیّده لهذا الرأی.إلاّ أنّ بعض المفسّرین احتملوا أنّ(وعد الآخره)إشاره إلی ما أشـرنا إلیه فی بدایه هذه السوره،من أنّ اللّه تبارک و تعالی قد توعّد بنی إسرائیل بالنصر و الهزیمه مرّتین،و قد سمی الأولی ب«وعد الأولی» و الثّانیه ب«وعد الآخره»،إلاّ أنّ هذا الاحتمال ضعیف مع وجود قوله تعالی:

جِئْنا بِکُمْ لَفِیفاً

(فدقق فی ذلک).

ص: ۱۶۷

## الآیات [سوره الإسراء (۱۷): الآیات ۱۰۵ الی ۱۰۹]

### اشاره

وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْنٰاهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ وَ مٰا أَرْسَلْنٰاکَ إِلاّٰ مُبَشِّراً وَ نَذِیراً (۱۰۵) وَ قُرْآناً فَرَقْنٰاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النّٰاسِ عَلیٰ مُکْثٍ وَ نَزَّلْنٰاهُ تَنْزِیلاً (۱۰۶) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاٰ تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذٰا یُتْلیٰ عَلَیْهِمْ یَخِرُّونَ لِلْأَذْقٰانِ سُجَّداً (۱۰۷) وَ یَقُولُونَ سُبْحٰانَ رَبِّنٰا إِنْ کٰانَ وَعْدُ رَبِّنٰا لَمَفْعُولاً (۱۰۸) وَ یَخِرُّونَ لِلْأَذْقٰانِ یَبْکُونَ وَ یَزِیدُهُمْ خُشُوعاً (۱۰۹)

### التّفسیر

### اشاره

### عشاق الحق

مرّه أخری یشیر القرآن العظیم إلی أهمیه و عظمه هذا الکتاب السماوی و یجیب علی بعض ذرائع المعارضین.

فی البدایه تقول الآیات: وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْنٰاهُ ،ثمّ تضیف بلا أدنی فاصله وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ .

ثمّ تقول: وَ مٰا أَرْسَلْنٰاکَ إِلاّٰ مُبَشِّراً وَ نَذِیراً إذ لیس لک الحق فی تغییر محتوی القرآن.

ص :۱۶۸

لقد ذكر المفسّرون آراء مختلفه فی الفرق بین الجمله الأولی: وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْنٰاهُ و الجمله الثّانیه: وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ منها:

۱-المراد من الجمله الأولی:إنّنا قدّرنا أن ینزل القرآن بالحق.بینما تضیف الجمله الثّانیه أنّ هذا الأمر أو التقدیر قد تحقق،لذا فإنّ التعبیر الأوّل یشیر إلی التقدیر،بینما یشیر الثّانی إلی مرحله الفعل و التحقق (۱) .

۲-الجمله الأولی تشیر إلی أنّ ماده القرآن و محتواه هو الحق،أمّا التعبیر الثّانی فانّه یبیّن أن نتیجته و ثمرته هی الحق أیضا (۲) .

۳-الرأی الثّالث یری أنّ الجمله الأولی تقول:إنّنا نزّلنا هذا القرآن بالحق بینما الثّانیه تقول:إنّ الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لم یتدخل فی الحق و لم یتصرف به،لذا فقد نزل الحقّ.

و ثمّه احتمال آخر قد یکون أوضح من هذه التّفاسیر، و هو أنّ الإنسان قد یبدأ فی بعض الأحیان بعمل ما،و لکنّه لا یستطیع إتمامه بشکل صحیح و ذلک بسبب من ضعفه،أمّا بالنسبه للشخص الذی یعلم بکل شیء و یقدر علی کل شیء،فإنّه یبدأ بدایه صحیحه،و ینهی العمل نهایه صحیحه.و کمثال علی ذلک الشخص الذی یخرج ماء صافیا من أحد العیون،و لکن خلال مسیر هذا الماء لا یستطیع ذلک الشخص أن یحافظ علی صفاء هذا الماء و نظافته أو یمنعه من التلوث،فیصل الماء فی هذه الحاله إلی الآخرین و هو ملوّث.إلاّ أنّ الشخص القادر و المحیط بالأمور،یحافظ علی بقاء الماء صافیا و بعیدا عن عوامل التلوث حتی یصل إلی العطاشی و المحتاجین له.

القرآن کتاب نزل بالحق من قبل الخالق،و هو محفوظ فی جمیع مراحله سواء فی المرحله التی کان الوسیط فیها جبرائیل الأمین،أو المرحله التی کان



---

۱- ۱) -یراجع تفسیر القرطبی،ج ۶،ص ۳۹۵۵.

۲- ۲) -فی ظلال القرآن،أثنا تفسیر الآیه.

الرّسول فيها هو المتلقى،و بمرور الزمن له تستطيع يد التحريف و التزوير أن تمتد إليه بمقتضى قوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ فالله هو الذى يتكفل حمايته و حراسته.

لذا فإنّ هذا الماء النقى الصافى الوحى الإلهى القويم لم تناله يد التحريف و التبديل منذ عصر الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و حتى نهايه العالم.

الآيه التى تليها ترد على واحده من ذرائع المعارضين و حججهم،إذ كانوا يقولون:لماذا لم ينزل القرآن دفعه واحده على الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و لماذا كان نزوله تدريجيا؟كما تشير إلى ذلك الآيه(٣٢)من سوره الفرقان التى تقول: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً،كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلاً فيقول اللّه فى جواب هؤلاء: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النّاسِ عَلى مُكْثٍ (١) حتى يدخل القلوب و الأفكار و يترجم عمليا بشكل كامل.

و من أجل التأكيد أكثر تبيّن الآيه-بشكل قاطع-أنّ جميع هذا القرآن أنزلناه نحن: وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلاً .

إنّ القرآن كتاب السماء إلى الأرض،و هو أساس الإسلام و دليل لجميع البشر،و القاعده المتينه لجميع الشرائع القانونيه و الاجتماعيه و السياسيه و العباديه لدنيا المسلمين،لذلك فإنّ شبهه هؤلاء فى عدم نزوله دفعه واحده على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يجاب عليها من خلال النقاط الآتيه:

أوّلا:بالرغم من أنّ القرآن هو كتاب،إلاّ أنّه ليس ككتب الإنسان المؤلّفه حيث يجلس المؤلّف و يفكّر و يكتب موضوعا،ثمّ ينظّم فصول الكتاب و أبوابه لينتهى من تحرير الكتاب،بل القرآن له ارتباط دقيق بعصره،أى ارتباط ب(٢٣) سنه،هى عصر نبوه نبى الإسلام بكل ما كانت تتمخض به من حوادث و قضايا.



---

١- ١) -مجيء كلمه(قرآن)منصوبه فى الآيه أعلاه يفسّره المفسّرين بأنّه مفعول لفعل مقدّر تقديره(فرقناه)،و بذلك تصبح الجمله هكذا:(و فرقناه قرآنا).

لذا کیف یمکن لکتاب یتحدث عن حوادث(۲۳)سنه متزامنا لها أن ینزل فی یوم واحد؟ هل یمکن جمع حوادث(۲۳)سنه نفسها فی یوم واحـد،حتی ینزل القرآن فی یوم واحـد؟ إنّ فی القرآن آیـات تتعلق بـالغزوات الإسـلامیه،و آیـات تختص بالمنـافقین، و أخری ترتبـط بـالوفود التی کانت تفـد علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.فهل یمکن أن یکتب مجموع کل ذلک منذ الیوم الأوّل؟ ثانیا:لیس القرآن کتابا ذا طابع تعلیمی و حسب،بل ینبغی لکل آیه فیه أن تنفّذ بعـد نزولها،فإذا کان القرآن قـد نزل مرّه واحـده،فینبغی أن یتمّ العمـل به مرّه واحـده أیضـا،و نعلم بـأنّ هـذا محـال،لأـنّ إصـلاح مجتمع ملیء بالفسـاد لا یتمّ فی یوم واحـد،إذ لاـ یمکن إرسـال الطفـل الأمی دفعه واحـده من الصف الأوّل إلی الصـفوف المتقـدمه فی الجامعه فی یوم واحد.لهـذا السـبب نزل القرآن نجومـا-أی بشـکل تـدریجی-کی ینفـذ بشـکل جیّـد و یسـتوعبه الجمیع و کی یکون للمجتمع قابلیه قبوله و استیعابه و تمثله عملیا.

ثالثا:بدون شک،إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کقائد هذه النهضه العظیمه سیکون ذا قدرات و إمکانیات أکبر عند ما یقوم بتطبیق القرآن جزءا جزءا،بدلا من تنفیذه دفعه واحده.صـحیح أنّه مرسل من الخالق و ذو عقل و اسـتعداد کبیرین لیس لهما مثیل،إلاّ أنّه برغم ذلک فإنّ تقبّل الناس للقرآن و تنفیذ تعالیمه بصوره تدریجیه سیکون أکمل و أفضل ممّا لو نزل دفعه واحده.

رابعا:النّزول التـدریجی یعنی الارتباط الـدائمی للرّسول صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم مع مصـدر الوحی،إلاّ أنّ النّزول الـدفعی یتمّ بمرحله واحده لا یتسنی للرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الارتباط بمصدر الوحی لأکثر من مرّه واحده.

آخر الآیه(۳۲)من سوره الفرقان تقول: کَذٰلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤٰادَکَ وَ رَتَّلْنٰاهُ

تَرْتِيلاً و هى إشاره إلى السبب الثّالث،بينما الآيه التى نبحثها تشير إلى السبب الثّانى من مجموع الأسباب الأربعه التى أوردناها.و لكن الحصيله أنّ مجموع هذه العوامل تكشف بشكل حى و واضح أسباب و ثمار النّزول التدريجى للقرآن.

الآيه التى تليها استهدفت غرور المعارضين الجهله حيث تقول: قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاٰ تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذٰا يُتْلىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقٰانِ سُجَّداً .

## ملاحظات

### اشاره

### فى هذه الآيه ينبغى الالتفات إلى الملاحظات الآتيه:

أوّلا:يعتقد المفسّرون أنّ جمله آمِنُوا بِهِ أَوْ لاٰ تُؤْمِنُوا يتبعها جمله محذوفه قدّروها بأوجه متعدّده،إذ قال بعضهم:إن المعنى هو:سواء آمنتم أم لم تؤمنوا فلا يضر ذلك بإعجاز القرآن و نسبته إلى الخالق.

بينما قال البعض:إنّ التقدير يكون:سواء آمنتم به أو لم تؤمنوا فإنّ نفع ذلك و ضرره سيقع عليكم.

لكن يحتمل أن تكون الجمله التى بعدها مكمّله لها،و هى كنايه عن أنّ عدم الإيمان هو سبب عدم العلم و المعرفه،فلو كنتم تعلمون لآمنتم به.و بعباره أخرى:

يكون المعنى:إذا لم تؤمنوا به فإنّ الأفراد الواعين و ذوى العلم يؤمنون به.

ثانيا:إنّ المقصود من اَلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ هم مجموعه من علماء اليهود و النصارى من الذين آمنوا بعد أن سمعوا آيات القرآن،و شاهدوا العلائم التى قرءوها فى التوراه و الإنجيل،و التحقوا بصف المؤمنين الحقيقيين،و أصبحوا من علماء الإسلام.

و فى آيات أخرى من القرآن تمت الإشاره إلى هذا الموضوع،كما فى قوله

تعالی فی الآیه(۱۱۳)من سوره آل عمران: لَیْسُوا سَوٰاءً مِنْ أَهْلِ الْکِتٰابِ أُمَّهٌ قٰائِمَهٌ یَتْلُونَ آیٰاتِ اللّٰهِ آنٰاءَ اللَّیْلِ وَ هُمْ یَسْجُدُونَ .

ثالثا:«یخرّون»بمعنی یسقطون علی الأرض بدون إرادتهم،و استخدام هذه الکلمه بدلا من السجود ینطوی علی إشاره لطیفه،هی أنّ الواعین و ذوی القلوب الیقظه عند ما یسمعون آیات القرآن و کلام الخالق عزّ و جلّ ینجذبون إلیه و یولهون به الی درجه أنّهم یسقطون علی الأرض و یسجدون خشیه بدون وعی و اختیار (۱) .

رابعا:(أذقان)جمع(ذقن)و من المعلوم أن ذقن الإنسان عند السجود لا یلمس الأرض،إلاّ أن تعبیر الآیه إشاره إلی أنّ هؤلاء یضعون کامل وجههم علی الأرض قبال خالقهم حتی أنّ ذقنهم قد یلمس الأرض عند السجود.

بعض المفسّرین احتمل أنّ الإنسان عند سجوده یضع أوّلا جبهته علی الأرض،و لکن الشخص المدهوش عند ما یسقط علی الأرض یضع ذقنه أولا، فیکون استخدام هذا التعبیر فی الآیه تأکیدا لمعنی (یخرون) (۲) .

الایه التی بعدها توضح قولهم عند ما یسجدون: وَ یَقُولُونَ سُبْحٰانَ رَبِّنٰا إِنْ کٰانَ وَعْدُ رَبِّنٰا لَمَفْعُولاً (۳) .هؤلاء یعبرون بهذا الکلام عن عمق إیمانهم و اعتقادهم باللّه و بصفاته و بوعده.فهذا الکلام یشمل الإیمان بالتوحید و الصفات الحقه و الإیمان بنبوه الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و بالمعاد.و الکلام علی هذا الأساس یجمع أصول الدین فی جمله واحده.

و للتأکید-أکثر-علی تأثّر هؤلاء بآیات ربّهم،و علی سجده الحب التی



---

۱- ۱) -یقول الراغب فی(المفردات):«یخرون»من ماده«خریر»و یقال لصوت الماء و الریح و غیر ذلک ممّا یسقط من علّو.و قوله تعالی: خَرُّوا لَهُ سُجَّداً تنبیه علی اجتماع أمرین:السقوط و حصول الصوت منهم بالتسبیح،و التنبیه أنّ ذلک الخریر کان صوت تسبیحهم بحمد اللّه لا بشیء آخر.و دلیله قوله تعالی فیما بعد: وَ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ .

۲- ۲) -تفسیر المعانی،ج ۱۵،ص ۱۷۵.

۳- ۳) -(إنّ)فی قوله: إِنْ کٰانَ وَعْدُ رَبِّنٰا غیر شرطیه،بل هی تأکیدیه،و هی مخففه من الثقیله.

يسجدونها تقول الآيه التى بعدها: وَ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقٰانِ يَبْكُونَ وَ يَزِيدُهُمْ خُشُوعاً .

إنّ تكرار جمله يَخِرُّونَ لِلْأَذْقٰانِ دليل على التأكيد،و على الاستمرار أيضا.

الفعل المضارع(يبكون)دليل على استمرار البكاء بسبب حبّهم و عشقهم لخالقهم.

و استخدام الفعل المضارع فى جمله يَزِيدُهُمْ خُشُوعاً دليل على أنّهم لا يتوقفون أبدا على حاله واحده،بل يتوجهون باستمرار نحو ذروه التكامل، و خشوعهم دائما فى زياده(الخشوع هو حاله من التواضع و الأدب الجسدى و الروحى للإنسان فى مقابل شخصيه معينه أو حقيقه معينه).

## بحثان:

### اشاره

### ١-التخطيط للتربيه و التعلم

من الدروس المهمّه التى نستفيدها من الآيات أعلاه،هو ضروره التخطيط لأى ثوره أو نهضه ثقافيه أو فكريه أو اجتماعيه أو تربويه،فإذا لم يتمّ تنظيم مثل هذا البرنامج فالفشل سيكون النتيجه الحتميه لمثل هذه الجهود.إنّ القرآن الكريم لم ينزل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مرّه واحده بالرغم من أنّه كان موجودا فى مخزون علم اللّه كاملا،و قد تمّ عرضه فى ليله القدر على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دفعه واحده،إلاّ أنّ النّزول التدريجى استمرّ طوال(٢٣)سنه،و ضمن مراحل زمنيه مختلفه و فى إطار برنامج عملى دقيق.

و عند ما يقوم الخالق جلّ و علا بهذا العمل بالرغم من عمله و قدرته المطلقه و غير المتناهيه...عند ذلك سيتّضح دورنا و تكليفنا نحن إزاء هذا المبدأ.و عاده ما يكون هذا قانونا و تكليفا إلهيا،حيث أنّ وجوده العينى لا يختص بعالم التشريع

و حسب،بل فی عالم التکوین أیضا.إنّه من غیر المتوقع أن تنصلح أمور مجتمع فی مرحله البناء خلال لیله واحده لأنّ البناء الحضاری الفکری و الثقافی و الاقتصادی و السیاسی یحتاج إلی المزید من الوقت.

و هذا الکلام یعنی أنّنا إذا لم نصل إلی النتیجه المطلوبه فی وقت قصیر فعلینا أن لا نیأس و نترک بذل الجهد أو المثابره.و ینبغی أن نلتفت إلی أنّ الانتصارات النهائیه و الکامله تکون عاده لأصحاب النفس الطویل.

### ۲-علاقه العلم بالإیمان

الموضوع الآخر الذی یمکن أن نستفیده من الآیات أعلاه هو علاقه العلم بالإیمان،إذ تقول الآیات:إنّکم سواء آمنتم باللّه أو لم تؤمنوا فإنّ العلماء سیؤمنون باللّه إلی درجه أنّهم یعشقون الخالق و یسقطون أرضا ساجدین من شدّه الوله و الحبّ،و تجری الدّموع من أعینهم،و إنّ هذا الخشوع و التأدّب یتصف بالاستمرار فی کل عصر و زمان.

إنّ الجهله-فقط-هم الذین لا یعیرون أهمیه للحقائق و یواجهونها بالاستهزاء و السخریه،و إذا أثّر فیهم الإیمان فی بعض الأحیان فإنّه سیکون تأثیرا ضعیفا خالیا من الحبّ و الحراره.

إضافه إلی ذلک،فإنّ فی الآیه ما یؤکّد خطأ و خطل النظریه التی تربط بین الدین و الجهل أو الخوف من المجهول.أمّا القرآن فإنّه یؤکّد علی عکس ذلک تماما،إذ یقول فی مواقع متعدّده:إنّ العلم و الإیمان توأمان،إذ لا یمکن أن یکون هناک إیمان عمیق ثابت من دون علم،و العلم فی مراحله المتقدمه یحتاج إلی الإیمان.(فدقق فی ذلک).

## الآیتان [سوره الإسراء (۱۷): الآیات ۱۱۰ الی ۱۱۱]

### اشاره

قُلِ اُدْعُوا اَللّٰهَ أَوِ اُدْعُوا اَلرَّحْمٰنَ أَیًّا مٰا تَدْعُوا فَلَهُ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنیٰ وَ لاٰ تَجْهَرْ بِصَلاٰتِکَ وَ لاٰ تُخٰافِتْ بِهٰا وَ اِبْتَغِ بَیْنَ ذٰلِکَ سَبِیلاً (۱۱۰) وَ قُلِ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلَّذِی لَمْ یَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ یَکُنْ لَهُ شَرِیکٌ فِی اَلْمُلْکِ وَ لَمْ یَکُنْ لَهُ وَلِیٌّ مِنَ اَلذُّلِّ وَ کَبِّرْهُ تَکْبِیراً (۱۱۱)

### سبب النّزول

وردت آراء متعدّده فی سبب نزول هاتین الآیتین منها ما

نقله صاحب مجمع البیان عن ابن عباس الـذی قال: کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ساجدا ذات لیله بمکّه یـدعو:یا رحمن یـا رحیم،فقال المشـرکون متهمین رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:إنّه یـدعونا إلی إله واحـد،بینما یـدعو هو مثنی مثنی.یقصدون بذلک قول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:یا رحمن یا رحیم.فنزلت الآیه الکریمه أعلاه (۱) .



---

۱- ۱) -یراجع مجمع البیان أثناء تفسیر الآیه.

### التّفسير

### اشاره

### آخر الذرائع و الأعذار

بعد سلسله من الذرائع التى تشبث بها المشركون امام دعوه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، نصل مع الآيات التى بين أيدينا إلى آخر ذريعه لهم،و هى قولهم:لماذا يذكر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الخالق بأسماء متعدّده بالرغم من أنّه يدّعى التوحيد.القرآن ردّ على هؤلاء بقوله: قُلِ ادْعُوا اللّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا مٰا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ .إنّ هؤلاء عميان البصيره و القلب،غافلون عن أحداث و وقائع حياتهم اليوميه حيث كانوا يذكرون أسماء مختلفه لشخص واحد أو لمكان واحد،و كل اسم من هذه الأسماء كان يعرّف بشطر أو بصفه من صفات ذلك الشخص أو المكان.

بعد ذلك،هل من العجيب أن تكون للخالق أسماء متعدّده تتناسب مع أفعاله و كمالاته و هو المطلق فى وجوده و فى صفاته و المنبع لكل صفات الكمال و جميع النعم،و هو وحده عزّ و جلّ الذى يدير دفه هذا العالم و الوجود؟ أساسا،فانّ اللّه تعالى لا يمكن معرفته و مناجاته باسم واحد إذ ينبغى أن تكون أسماؤه مثل صفاته غير محدوده حتى تعبّر عن ذاته،و لكن لمحدوديه ألفاظنا-كما هى أشياؤنا الأخرى أيضا-لا نستطيع سوى ذكر أسماء محدوده له، و إنّ معرفتنا مهما بلغت فهى محدوده أيضا،حتى أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو من هو فى منزلته و روحه و علو شأنه،نراه

يقول: «ما عرفناك حق معرفتك».

إنّ اللّه تعالى فى قضيه معرفتنا إيّاه لم يتركنا فى أفق عقولنا و درايتنا الخاصّه، بل ساعدنا كثيرا فى معرفه ذاته،و ذكر نفسه بأسماء متعدّده فى كتابه العظيم،و من خلال كلمات أوليائه تصل أسماؤه-تقدس و تعالى-إلى ألف اسم.

و طبيعى أنّ كل هذه أسماء اللّه،و أحد معانى الأسماء العلاّمه،لذا فإنّ هذه علامات على ذاته الطاهره،و جميع هذه الخطوط و العلامات تنتهى إلى نقطه

ص: ۱۷۷

واحده،و هی لا تقلّل من شأن توحید الذات و الصفات.

و هناک قسم من هذه الأسـماء ذو أهمیه و عظمه أکثر،حیث تعطینا معرفه و وعیا أعظم،تسـمی فی القرآن الکریم و فی الرّوایات الإسلامیه،بالأسماء الحسنی،و هناک روایه معروفه عن رسول الهدی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ما مضمونها:

«إن اللّه تسعا و تسعین اسما،من أحصاها دخل الجنّه».

و هناک شـرح مفصل للأسـماء الحسـنی،و الأسماء التسعه و التسعین بالذات، أوردناه فی نهایه الحدیث عن الآیه(۱۸۰)من سوره الأعراف،فی قوله تعالی:

وَ لِلّٰهِ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنیٰ فَادْعُوهُ بِهٰا .

لکن علینـا أن نفهم أنّ الغرض من عـد الأسـماء الحسـنی لیس ذکرها علی اللسان و حسب،حتی یصـبح الإنسان من أهل الجنّه و مسـتجاب الـدعوه،بل إنّ الهـدف هو التخلّق بهـذه الأسـماء و تطبیق شذرات من هذه الأسـماء،مثل(العالم، و الرحمن،و الرحیم،و الجواد،و الکریم)فی وجودنا حتی نصبح من أهل الجنّه و مستجابی الدعوه.

و هناک کلام

ینقله الشیخ الصدوق رحمه اللّه فی کتاب التوحید عن هشام بن الحکم جاء فیه:

یقول هشام بن الحکم:سألت أبا عبـد اللّه الصادق علیه السّـلام عن أسـماء اللّه عزّ ذکره و اشـتقاقها فقلت:اللّه ممّا هو مشـتق؟ قال علیه السّلام:«یا هشام،اللّه مشتق من إله،و إله یقتضی مألوها،و الاسم غیر المسمّی،فمن عبد الاسم دون المعنی فقد کفر و لم یعبد شیئا،و من عبد الاسم و المعنی فقد أشرک و عبد الاثنین،و من عبد المعنی دون الاسم فذاک التوحید.

أ فهمت یا هشام؟».

قال هشام:قلت:زدنی.

قال علیه السّلام:«للّه عزّ و جلّ تسعه و تسعون اسما،فلو کان الاسم هو المسمی لکان

كلّ اسم منها هو إلها،و لكن اللّه عزّ و جلّ معنى يدلّ عليه بهذه الأسماء و كلّها غيره.

يا هشام،الخبز اسم للمأكول،و الماء اسم للمشروب،و الثوب اسم للملبوس،و النار اسم للمحرق» (۱) .

و الآن لنعد إلی الآیات.ففی نهایه الآیه التی نبحثها نری المشرکین یتحدّثون عن صلاه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و یقولون: إنّه یؤذینا بصوته المرتفع فی صلاته و عبادته، فما هذه العباده؟فجاءت التعلیمات لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عبر قوله تعالی: وَ لاٰ تَجْهَرْ بِصَلاٰتِکَ وَ لاٰ تُخٰافِتْ بِهٰا وَ ابْتَغِ بَیْنَ ذٰلِکَ سَبِیلاً .

لذلک فإنّ الآیه أعلاه لا علاقه لها بالصلوات الجهریه و الإخفاتیه فی اصطلاح الفقهاء،بل إنّ المقصود منها یتعلق بالإفراط و التفریط فی الجهر و الإخفات،فهی تقول:لا تقرأ بصوت مرتفع بحیث یشبه الصراخ،و لا أقل من الحد الطبیعی بحیث تکون حرکه شفاه و حسب و لا صوت فیها.

أسباب النّزول الوارده-حول الآیه-التی یرویها الکثیر من المفسّرین نقلا عن ابن عباس تؤیّد هذا المعنی. (۲)

و هناک آیات عدیده من طرق أهل البیت نقلا عن الإمام الباقر و الصادق علیهما السّلام و تؤید هذا المعنی و تشیر إلیه (۳) .

لذا فإنا نستبعد التفاسیر الأخری الوارده حول الآیه.

أمّا ما هو حد الاعتدال،و ما هو الجهر و الإخفات المنهی عنهما؟الظاهر أنّ الجهر هو بمعنی(الصراخ)،و(الإخفات)هو من السکون بحیث لا یسمعه حتی فاعله.

و

فی تفسیر علی بن إبراهیم عن الإمام الصادق علیه السّلام أنّه قال فی تفسیر الآیه:



---

۱- ۱) -توحید الصدوق نقلا عن تفسیر المیزان أثناء تفسیر الآیه.

۲- ۲،۳) -یمکن مراجعه نور الثقلین،ج ۳،ص ۲۳۳ فما بعد.

۳-

«الجهر بها رفع الصوت،و التخافت بها ما لم تسع نفسک،و اقرأ بین ذلک» (۱) .

أمّا الإخفات و الجهر فی الصلوات الیومیه،فهو-کما أشرنا لذلک-له حکم آخر،أو مفهوم آخر،أی له أدله منفصله،حیث ذکرها فقهاؤنا رضوان اللّه علیهم فی(کتاب الصلاه)و بحثوا عنها.

## ملاحظه

هذا الحکم الإسلامی فی الدعوه إلی الاعتدال بین الجهر و الإخفات یعطینا فهما و إدراکا من جهتین:

الأولی:لا تؤدوا العبادات بشکل تکون فیه ذریعه بید الأعداء،فیقومون بالاستهزاء و التحجج ضدکم،إذ الأفضل أن تکون مقرونه بالوقار و الهدوء و الأدب،کی تعکس بذلک نموذجا لعظمه الأدب الإسلامی و منهج العباده فی الإسلام.

فالذین یقومون فی أوقات استراحه الناس بإلقاء المحاضرات الدینیه بواسطه مکبرات الصوت،و یعتقدون أنّهم بذلک یوصلون صوتهم إلی الآخرین، هم علی خطأ،و عملهم هذا لا یعکس أدب الإسلام فی العبادات،و ستکون النتیجه عکسیه علی قضیه التبلیغ الدینی.

الثّانیه:یجب أن یکون هذ التوجیه مبدأ لنا فی جمیع أعمالنا و برامجنا الاجتماعیه و السیاسیه و الاقتصادیه،و تکون جمیع هذه الأمور بعیده عن الإفراط و التفریط،إذ الأساس هو: وَ ابْتَغِ بَیْنَ ذٰلِکَ سَبِیلاً .

أخیرا نصل إلی الآیه الأخیره من سوره الإسراء،هذه الآیه تنهی السوره المبارکه بحمد اللّه،کما افتتحت بتسبیحه و تنزیه ذاته عزّ و جلّ.إنّ هذه الآیه-فی



---

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۳،ص ۲۳۴.

الواقع-هی خلاصه أخیره لکل البحوث التوحیدیه التی وردت فی السوره، و هی ثمره لمفاهیمها جمیعا،إذ هی تخاطب الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بالقول: وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِی لَمْ یَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ یَکُنْ لَهُ شَرِیکٌ فِی الْمُلْکِ وَ لَمْ یَکُنْ لَهُ وَلِیٌّ مِنَ الذُّلِّ .

و مثل هذا الرّب فی مثل هذه الصفات،هو أفضل من کل ما تفکّر به: وَ کَبِّرْهُ تَکْبِیراً .

**و نلاحظ فی هذه الآیه عده أمور:**

## اشاره

### ۱-تناسب الصفات الثلاثیه

فی الآیات أعلاه تمّت الإشاره إلی ثلاث صفات من صفات اللّه،ثمّ بملاحظه الأمر الوارد فی نهایه الآیه تکتمل الی اربع صفات.

أوّلا:نفی الولد،لأنّ امتلاک الولد دلیل علی الحاجه،و أنّه جسمانی،و له شبیه و نظیر،و الخالق جلّ و علا لیس بجسم و لا یحتاج لولد،و لیس له شبیه و نظیر.

الثّانی:نفی الشریک وَ لَمْ یَکُنْ لَهُ شَرِیکٌ فِی الْمُلْکِ حیث أن وجود الشریک دلیل محدودیه القدره و الحکومه و السلطه،و هو دلیل العجز و الضعف،و یقتضی وجود الشبیه و النظیر.و الخالق جلّ و علا منزّه عن هذه الصفات،فقدرته کما هی حکومته غیر محدوده،و لیس له أی شبیه.

الثّالث:نفی الولی و الحامی عند التعرّض للمشاکل و الهزائم وَ لَمْ یَکُنْ لَهُ وَلِیٌّ مِنَ الذُّلِّ .

و نفی هذه الصفه عن الخالق یعتبر أمر بدیهی..إنّ الآیه تنفی أی مساعد للخالق أو شبیه له،سواء کان ذلک فی مرحله أدنی(کالولد)أو فی مرحله مساویه(کالشریک)أو أفضل منه(کالولی).

نقل العلاّمه الطبرسی فی(مجمع البیان)عن بعض المفسّرین الذین لم یذکر

أسماءهم بصراحه قولهم:«إنّ هذه الآيه تنفی ثلاثه اعتقادات منحرفه لثلاث مجاميع:المجموعه الأولی هم المسيحيون و اليهود الذين يقولون بوجود الولد للخالق،و الثّانيه مجموعه مشرکی العرب الذين قالوا بوجود الشريک له سبحانه، لذلک فإنّهم کانوا يقولون عند کل صباح و فی طقوس خاصّه:لبيک لا شريک لک، إلاّ شريکا هو لک!أمّا المجموعه الثّالثه،فهم عبده النجوم و المجوس الذين يقولون بوجود الولی و الحامی للخالق».

### ۲-ما هو التکبير؟

القرآن يؤکّد علی رسوله أن يکبّر اللّه،و هذا تعنی أنّ الغرض من ذلک هو الإعتقاد بهذا الأمر،و ليس فقد ذکر(اللّه أکبر)علی اللسان.

إنّ معنی الإعتقاد بأنّ(اللّه أکبر)أن لا نقيسه مع المخلوقات الأخری،و نقول بأنّه أعظم و أکبر منها،لأنّ مثل هذه المقايسه خطأ من الأساس.إنّنا يجب أن نعتبره أعظم و أکبر من أن نقيسه بشیء،کما يعلمنا ذلک الإمام الصادق عليه السّلام فی مقولته القصيره اللفظ و الکبيره المعنی،حيث نقرأ فيها ما نصّه:

قال رجل عند الإمام الصادق عليه السّلام:اللّه أکبر.

فقال عليه السّلام:«اللّه أکبر من أی شیء؟».

قال الرجل:من کل شیء.

فقال عليه السّلام:«حددته».

فقال الرجل:کيف أقول؟ قال عليه السّلام:قل:«اللّه أکبر من أن يوصف» (۱) .

و

فی حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السّلام أيضا نقرأ عن جميع بن عمير قال:

قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «أی شیء،اللّه أکبر».



---

۱- ۱) -نور الثقلين،ج ۳،ص ۲۳۹.

فقلت:اللّه أكبر من كل شیء.

فقال:«و كان ثمّ شیء فيكون أكبر منه».

فقلت:فما هو؟ قال علیه السّلام:«أكبر من أن یوصف» (۱) .

### ۳-الإجابه على هذا السؤال

قد یطرح هنا هذا السؤال:كیف یكون حمد الخالق فی الآیه أعلاه فی قبال الصفات السلبیه،فی حین أنّنا نعلم بأنّ(الحمد)هو فی قبال الصفات الثبوتیه كالعلم و القدره،أمّا صفات مثل نفی الولد و الشریک و الولی فهی تتلاءم مع التسبیح فكیف مع الحمد؟ فی الجواب على هذا السؤال نقول:بالرغم من أنّ طبیعه الصفات السلبیه و الثبوتیه تختلف بضعها عن بعض و إنّ إحداهما تتلاءم مع التسبیح و الأخرى تتلاءم مع الحمد،إلاّ أنّه فی الوجود الخارجی(العینی)یكون الاثنان لازمین و ملزومین،فنفی الجهل عن الخالق یكون ملازما لإثبات العلم له،كما أنّ إثبات العلم لذاته جلّ و علا ملازم لنفی الجهل.

و على هذا الأساس فلا مانع تاره من ذكر اللازم و أخرى من ذكر الملزوم.

كما ذكر التسبیح فی بدایه هذه السوره لأمر فی قوله: سُبْحٰانَ الَّذِی أَسْریٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى .

دعاء الختام:إلهی املأ قلوبنا بنور العلم حتى نخضع لعظمتک،و نؤمن بما وعدت،و نلتزم ما أمرت،لا نعبد غیرک،و لا نتوكل إلاّ علیک.

إلهنا،وفقنا فی حیاتنا الیومیه فی أن لا نخرج عن حدّ الاعتدال،و أن نبتعد عن كل إفراط و تفریط.



---

۱- ۱) -المصدر السّابق.

إلهنـا،لـک الحمـد و لـک الشـکر،و أنت الواحـد الکبیر،أکبر من أن تحـدّ فی وصف،فاغفر لنا،و ثبتنا فی خطواتنا،و انصـرنا علی أعدائنا،و أوصل انتصاراتنا بالانتصار النهائی للمصلح المهدی علیه السّلام،و وفقنا لتکمیل هذا التّفسیر و ارحمنا برحمتک و تقبلنا فی رضاک.

نهایه سوره الإسراء

## سوره الكهف

### اشاره

مكّيه و عدد آياتها مائه و عشر آيات

ص :۱۸۵

## فضیله سوره الکهف

-۱

عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «ألا أدلکم علی سوره شیعها سبعون ألف ملک، حین نزلت ملأت عظمتها ما بین السماء و الأرض؟قالوا:بلی.

قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:سوره أصحاب الکهف من قرأها یوم الجمعه غفر اللّه له إلی الجمعه الأخری،و زیاده ثلاثه أیّام،و أعطی نورا یبلغ السماء،و وقی فتنه الدجّال» (۱) .

۲-و

عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «من حفظ عشر آیات من أوّل سوره الکهف، ثمّ أدرک الدجّال لم یضره.و من حفظ خواتیم سوره الکهف کانت له نورا یوم القیامه» (۲) .

۳-و

عن الإمام أبی عبد اللّه الصادق علیه السّلام قال فی فضل سوره الکهف:«من قرأ سوره الکهف فی کلّ لیله جمعه لم یمت إلاّ شهیدا،و بعثه اللّه مع الشهداء،و وقف یوم القیامه مع الشهداء» (۳) .

لقد قلنا مرارا:إنّ عظمه السور القرآنیه و تأثیرها المعنوی،و برکاتها



---

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۳ ص ۴۴۷.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -مجمع البیان،ج ۳،ص ۴۴۷.

الأخلاقیه،إنّما یکون بسبب الإیمان بها و العمل وفقا لمضامینها.

و بما أنّ قسما مهمّا من هذه السوره یتعرض إلی قصّه تحرک مجموعه من الفتیه ضدّ طاغوت عصرهم،و دجّال زمانهم،هذا التحّرک الذی عرّض حیاتهم و وجودهم للخطر و للموت لولا عنایه الباری بهم و رعایته لهم.لذا فإنّ الالتفات إلی هذه الحقیقه ینیر القلب بنور الإیمان،و یحفظه من الذنوب و إغواءات الدجالین،و یعصمه من الذوبان فی المحیط الفاسد.

إنّ ممّا یساعد علی تکمیل هذا الأثر النفوس و القلوب هو ما تثیره السوره من أوصاف الآخره و یوم الحساب،و المستقبل المشؤوم الذی ینتظر المستکبرین،و ضروره الالتفات إلی علم الخالق المطلق و إحاطته بکل شیء.

إنّ کل ذلک ممّا یحفظ الإنسان من فتن الشیطان،و یجعل نور الإیمان یشع فیه،و یغرس العصمه فی قلبه،و تکون عاقبته مع الشهداء و الصدقین.

## محتوی سوره الکهف

تبدأ السوره بحمد الخالق جلّ و علا،و تنتهی بالتوحید و الإیمان و العمل الصالح.

یشیر محتوی السوره-کما فی أغلب السور المکّیه-إلی قضیه المبدأ و المعاد و الترغیب و الإنذار.و تشیر أیضا إلی قضیه مهمّه کان المسلمون یحتاجونها فی تلک الأیّام بشدّه،و هی عدم استسلام الأقلیه-مهما کانت صغیره- إلی الأکثریه مهما کانت قویه فی المقاییس الظاهریه،بل علیهم أن یفعلوا کما فعلت المجموعه الصغیره القلیله من أصحاب الکهف،أن یبتعدوا عن المحیط الفاسد و یتحرکوا ضدّه.

فإذا کانت لدیهم القدره علی المواجهه،فعلیهم خوض الجهاد و الصراع،و إن

عجزوا عن المواجهه فعليهم بالهجره.

من قصص هذه السوره أيضا قصّه شخصين،أحدهما غنىّ مرفه إلاّ أنّه غير مؤمن،و الآخر فقير مستضعف و لكنّه مؤمن.و قد صمد الفقير المستضعف المؤمن و لم يفقد شرفه عزته و إيمانه أمام الغنى،بل قام بنصيحته و إرشاده،و لمّا لم ينفع معه تبرأ منه،و قد انتهت المواجهه إلى انتصاره.

و هذه القصّه تذكر المسلمين و خاصّه فى بدايه عصر الإسلام و تقول لهم:إنّ من سنه الأغنياء أن يكون لهم فوره من حركه و نشاط مؤقت سرعان ما ينطفئ لتكون العاقبه للمؤمنين.

كما يشير جانب آخر من هذه السوره إلى قصه موسى و الخضر عليهما السّلام لم يستطع الصبر فى مقابل أعمال كان ظاهرها يبدو مضرا،و لكنّها فى الواقع كانت مليئه بالأهداف و المصالح،إذ تبيّنت لموسى عليه السّلام و بعد توضيحات الخضر مصالح تلك الأعمال،فندم على تعجله.

و فى هذا درس للجميع أن لا ينظروا إلى ظاهر الحوادث و الأمور،و ليتبصروا بما يكمن خلف هذه الظواهر من بواطن عميقه و ذات معنى.

قسم آخر من السوره يشرح أحوال(ذى القرنين)و كيف استطاع أن يطوى العالم شرقه و غربه،ليواجه أقواما مختلفه بآداب و سنن مختلفه،و أخيرا استطاع بمساعده بعض الناس أن يقف بوجه مؤامره(يأجوج)و(مأجوج)و أقام سدا حديديا فى طريقهم ليقطع دابرهم(تفصيل كل هذه الإشارات المختصره سيأتى لاحقا إن شاء اللّه تعالى)حتى تكون دلاله هذه القصه بالنسبه للمسلمين،هو أن يهيئوا أنفسهم-بأفق أوسع-لنفوذ إلى الشرق و الغرب بعد أن يتحدوا و يتحصنوا ضدّ أمثال يأجوج و مأجوج.

الظريف أنّ السوره تشير إلى ثلاث قصص(قصه أصحاب الكهف،قصه

موسی و الخضر،و قصه ذی القرنین)حیث أنّ هذه القصص بخلاف أغلب القصص القرآنیه لم تکرّر فی مکان آخر من القرآن(أشارت الآیه(۹۶)من سوره الأنبیاء إلی یأجوج و مأجوج دون ذکر ذی القرنین).و هذه الإشاره تعتبر واحده من خصائص هذه السوره المبارکه.

و خلاصه الکلام أن السوره تحتوی علی مفاهیم تربویه مؤثره فی جمیع الأحوال.

ص :۱۹۰

## الآیات [سوره الكهف (۱۸): الآیات ۱ الی ۵]

### اشاره

بِسْمِ اَللّهِ اَلرَّحْمنِ اَلرَّحِیمِ اَلْحَمْدُ لِلّهِ اَلَّذِی أَنْزَلَ عَلی عَبْدِهِ اَلْكِتابَ وَ لَمْ یَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً (۱) قَیِّماً لِیُنْذِرَ بَأْساً شَدِیداً مِنْ لَدُنْهُ وَ یُبَشِّرَ اَلْمُؤْمِنِینَ اَلَّذِینَ یَعْمَلُونَ اَلصّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً (۲) ماكِثِینَ فِیهِ أَبَداً (۳) وَ یُنْذِرَ اَلَّذِینَ قالُوا اِتَّخَذَ اَللّهُ وَلَداً (۴) ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَ لا لِآبائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَهً تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ إِنْ یَقُولُونَ إِلاّ كَذِباً (۵)

### التّفسیر

### اشاره

### البدایه باسم اللّه،و القرآن:

تبدأ سوره الكهف-كما فی بعض السور الأخری-بحمد اللّه،و بما أنّ الحمد یكون لأجل عمل أو صفه معینه مهمّه و مطلوبه،لذا فإنّ الحمد هنا لأجل نزول القرآن الخالی من كل اعوجاج،فتقول الآیه: اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِی أَنْزَلَ عَلی عَبْدِهِ الْكِتابَ وَ لَمْ یَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً .

هذا الكتاب هو كتاب ثابت و محكم و معتدل و مستقیم،و هو یحفظ المجتمع الإنسانی و یحمی سائر الكتب السماویه.

ص:۱۹۱

قَيِّماً

و ينذر الظالمين من عذاب شديد: لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ .

و فى نفس الوقت فهو: وَ يُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً . و هؤلاء فى نعيمهم ماكِثِينَ فِيهِ أَبَداً .

ثمّ تشير الآيات إلى واحده من انحرافات المعارضين،سواء كانوا نصارى أو يهود أو مشركين،حيث تنذرهم هذا الأمر فتقول: وَ يُنْذِرَ الَّذِينَ قالُوا اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً فهى تحذر النصارى بسبب اعتقادهم بأنّ المسيح ابن اللّه،و تحذر اليهود لأنّهم اعتقدوا بأنّ عزير ابن اللّه،و تحذّر المشركين لظّنهم بأنّ الملائكه بنات اللّه.

ثمّ تشير الآيات إلى أصل أساسى فى إبطال هذه الادعاءات الفارغه فتقول:

إنّ هؤلاء لا علم لهم و لا يقين بهذا الكلام،و إنّما هم مقلدون فيه للآباء،و إنّ آباءهم على شاكلتهم فى الجهل و عدم العلم: ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَ لا لِآبائِهِمْ .بل:ولد؟ أو أن يحتاج إلى الصفات الماديه و أن يكون محدودا...إنّه كلام رهيب،و مثل هؤلاء الذين يتفوهون به لا ينطقون إلاّ كذبا: إِنْ يَقُولُونَ إِلاّ كَذِباً .

## بحوث

### اشاره

### ١-افتتاح السوره بحمد اللّه سبحانه و تعالى

هناك خمس سور فى القرآن الكريم تبدأ بحمد اللّه،ثمّ تعرج بعد الحمد و الثناء على قضايا خلق السموات و الأرض(أو ملكيه اللّه سبحانه و تعالى لها)أو هدايه العالمين،عدا هذه السوره التى تتناول بعد الحمد و الثناء مسأله نزول القرآن على نبيّنا محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و فى حقيقه الأمر إنّ السور الأربع«الأنعام-سبأ-فاطر-الحمد»تتناول القرآن التكوينى،فيما تتطرق سوره الكهف إلى القرآن التدوينى،و كما هو معلوم فإنّ الكتابين،أى(القرآن التدوينى)و خلق الكون و ما فيه(القرآن التكوينى)كل

منهما مكمّل للآخر،و هذا يوضح أنّ للقرآن وزن يعادل الخلق.و أساسا فإنّ تربيه الخلائق الوارده فى الآيه اَلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ غير ممكنه،ما لم يستفاد بصوره تامه من الكتاب السماوى العظيم،أى القرآن.

### ٢-القرآن كتاب ثابت و مستقيم و حافظ

كلمه«قيّم»على وزن كلمه«سيّد»و مشتقه من مصدر الكلمه«قيام»وهنا تأتى بمعنى(الثبات و الصمود)إضافه إلى أنّها تعنى المدبّر و الحافظ لبقيه الكتب السماويه،كما تعنى كلمه«قيّم»فى نفس الوقت الاعتدال و الاستقامه التى لا اعوجاج فيها و إضافه إلى أنّ كلمه«قيم»هى وصف للقرآن فى عدم وجود أى اعوجاج فى آياته،بل إنّ فى مضمونها تأكيد على استقامه و اعتدال القرآن، و خلوّه من أى شكل من أشكال التناقض،و إشاره إلى أبديه و خلود هذا الكتاب السماوى العظيم،و كونه أسوه لحفظ الأصاله،و إصلاح الخلل،و حفظ الأحكام الإلهيه و العدل و الفضائل البشريه.

صفه(القيّم)مشتقه من(قيمومه)البارى عزّ و جلّ التى تعنى اهتمام البارى عزّ و جلّ و حفظه جميع الكائنات،و القرآن الذى هو كلام اللّه له نفس الصفه أيضا.

كما وصف اللّه سبحانه و تعالى دينه فى عدّه آيات قرآنيه بأنّه(القيّم)حتى أنّه أمر نبيّه الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالعمل وفق ما يمليه الدين القيّم و المستقيم: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ (١) .

و ما ذكر أعلاه بشأن تفسير كلمه«قيّم»،أخذ من عدّه تفاسير مختلفه،و هو خلاصه لما قاله المفسّرون من أنّ كلمه«قيّم»تعنى الكتاب الباقى الذى لا ينسخ، أو الكتاب الحافظ للكتب السابقه،أو الكتاب القيّم على الدين،أو الخالى من الاختلافات و التناقضات،و كل هذه المعانى انصبت فى المفهوم الذى ذكرناه.

ص:١٩٣

---

١- ١) -الروم،٤٣.

و اعتبر بعض المفسّرين أنّ جمله لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً تعنى فصاحه ألفاظ القرآن و كلمه«قيما»تعنى البلاغه و الاستقامه بالرغم من عدم امتلاكهم لأى دليل واضح على هذا التباين (۱) ،و الظاهر أنّ الكلمتين تؤكّد كل منهما الأخرى،مع فرق أن كلمه«قيّم»لها مفهوم واسع،و تعنى اضافه إلى معنى الاستقامه،المحافظ و المصلح للكتب المساويه الأخرى (۲) .

### ۳-انذارين شديدين عام و خاص:

بعد الإنذار العام الذى وجهته الآيات فى البدايه لكافه البشر،وجهت الآيات المذكوره آنفا إنذارا خاصّا للذين ادّعوا بأنّ للّه ولدا و هذا ما يوضح خطوره الانحراف العقائدى الذى أصاب المسيحيين و اليهود و المشركين،و انتشر بصوره واسعه فى الأجواء التى نزل القرآن،و من الطبيعى فإنّ انتشار مثل هذه الأفكار يقضى على روح التوحيد فى ذلك المجتمع،إذ حدّوا اللّه سبحانه و تعالى بحدود ماديه و جسميه،و أنّه يمتلك عواطف و أحاسيس بشريه،إضافه إلى وجود أكفاء و شركاء له،و أنّه يحتاج إلى الآخرين.

و بسبب هذه المعتقدات نزلت آيات عديده للردّ على تلك الشبهات،و منها الآيه(۶۸)فى سوره يونس: قَالُوا اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً سُبْحانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ و الآيات من(۸۸)إلى(۹۱)فى سوره مريم: وَ قالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا، تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَداً .

و ما جاء فى هذه الآيات المباركه يوضح قوّه الرّد الإلهى على تلك الادعاءات،حيث أكّدت على العقاب الشديد الذى ينتظر من يعتقدون بمثل هذه

ص:۱۹۴

---

۱- ۱) -روح المعانى،المجلد ۱۵،أثناء تفسير الآيه.

۲- ۲) -«قيم»من الناحيه اللغويه«حال»و عامله«أنزل».

الخرافه،لأنّ من يدّعى باتّخاذ اللّه سبحانه و تعالى ولدا، إنّما يمس كبرياء البارى عزّ و جلّ و عظمته،و ينزله إلى المستوى البشرى المادى (۱) .

#### ۴-الادعاء الفارغ

إنّ البحث فى المعتقدات و المبادئ المنحرفه،كشف عن أنّ أغلبها ليس له أى دليل واقعى،و لكن بعض الأشخاص يتخذها كشعار كاذب كى يتبعه الآخرون،و تنتقل أحيانا من جيل إلى آخر كعاده.و القرآن هنا يلقى علينا دروسا فى تجنب الادعاءات التى ليس لها أى دليل أو سند قوى،و يأمرنا بعدم إعاره أيه أهميه لناقلها و مروجها،و قد اعتبر اللّه تبارك و تعالى تلك الأعمال من الكبائر، وعدّها مصدرا للكذب و الدجل.

و لو اتّخذ المسلمون هذا الأصل منهجا فى حياتهم،أى عدم التحدّث بشىء من دون التأكيد منه،و رفض أى شىء ليس له دليل،و عدم الاهتمام بالإشاعات الفارغه،لتحسن الكثير من أمورهم و تصرفاتهم الخاطئه.

#### ۵-العمل الصالح برنامج مستمر

الآيات المذكوره أعلاه عند ما تتحدّث عن المؤمنين،تعتبر العمل الصالح بمثابه برنامج مستمر،إذ أنّ كلمه(يعملون فى قوله تعالى: يَعْمَلُونَ الصّالِحاتِ فعل مضارع،و الفعل المضارع يدل على الاستمراريه،فالعمل الصالح يمكن أن يصدر صدفه أو بسبب ما عن أى شخص،فلا يكون حينئذ دليلا على الإيمان الصادق، لكن استدامه العمل الصالح دليل الإيمان الصادق.



---

۱- ۱) -حول عقيده التثليث و اعتقاد المسيحيين بأنّ المسيح ابن اللّه يمكن مراجعه ما جاء فى ذيل الآيه(۱۷۱)من سوره النساء فى تفسيرنا هذا.

### ۶-صفه العبد أرقی و سام للإنسان

و أخیرا،إنّ القرآن عنـد ما یتحـدّث فی آیاته عن قضـیه نزول الکتاب السـماوی یقول: اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِی أَنْزَلَ عَلی عَبْدِهِ الْکِتابَ و هذا یعنی أن صفه «العبد»هی أرقی و سام و أعلی مرتبه ینالها الإنسان فی معراج تکامله المعنوی، فإذا نال الإنسان و سام العبودیه للّه تعـالی،فـإنّه یری أن کل شـیء فی العالم ملکا للّه، و عملا یسـلک سبیل الطاعه لأوامر اللّه و التمسک بالنهـج الـذی رسـمه و حدّده تعالی للإنسان،و لا یفکر فی سواه و یری أنّ خیر شرف للإنسان أن یکون عبدا صالحا و ملتزما بأوامر و نواهی الباری عزّ و جلّ.

## الآیات [سوره الكهف (١٨): الآیات ۶ الی ٨]

### اشاره

فَلَعَلَّكَ بٰاخِعٌ نَفْسَكَ عَلىٰ آثٰارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهٰذَا اَلْحَدِيثِ أَسَفاً (۶) إِنّٰا جَعَلْنٰا مٰا عَلَى اَلْأَرْضِ زِينَةً لَهٰا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (٧) وَ إِنّٰا لَجٰاعِلُونَ مٰا عَلَيْهٰا صَعِيداً جُرُزاً (٨)

### التّفسیر

### اشاره

### العالم ساحه اختبار:

الآیات السابقه کانت تتحدّث عن الرساله و قیاده النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،لـذا فإنّ أوّل آیه نبحثها الآن،تشیر إلی أحد أهم شروط القیاده،ألا و هی الإشفاق علی الأمّه فتقول: فَلَعَلَّكَ بٰاخِعٌ نَفْسَكَ عَلىٰ آثٰارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً .

و هنا یجب الانتباه إلی بعض الملاحظات:

أوّلا:«باخع»من«بخع»علی وزن،«نخل»و هی بمعنی إهلاک النفس من شدّه الحزن و الغم.

ثانیا:کلمه«أسفا»و التی تبیّن شدّه الحزن و الغم،هی تأکید علی هذا الموضوع.

ثالثا:«آثار»جمع«أثر»و هی فی الأصل تعنی محل موضع القدم،إلّا أنّ أی

علامه تدل على شیء معین تسمّی أثرا.

إنّ الاستفاده من هذا التعبیر فی الآیات أعلاه تشیر إلی ملاحظه لطیفه،و هی أنّ الإنسان قد یغادر فی بعض الأحیان مکانا ما،و لکنّ آثاره ستبقی بعده،و تزول إذا طال زمن المغادره.فالآیه ترید أن تقول:أنّک علی قدر من الحزن و الغم و لعدم إیمانهم بحیث ترید أن تهلک نفسک من شدّه الحزن قبل أن تمحی آثارهم.

و یحتمل أن یکون الغرض من الآثار أعمالهم و تصرفاتهم.

رابعا:استخدام کلمه(حدیث)للتعبیر عن القرآن،هو إشاره إلی ما ورد من معارف جدیده فی هذا الکتاب السماوی الکبیر،یعنی أنّ هؤلاء لم یفکروا فی أن یستفیدوا و یبحثوا فی هذا الکتاب الجدید ذی المحتویات المستجدّه.و هذا دلیل علی عدم المعرفه،بحیث أنّ الإنسان بقدر قربه من هذا الکتاب،إلاّ أنّه لا یلتفت إلیه.

خامسا:صفه الإشفاق لدی القاده الإلهیین.

نستفید من الآیات القرآنیه و تأریخ النبوات،أنّ القاده الإلهیین کانوا یتألمون أکثر ممّا نتصور لضلال الناس،و کانوا یریدون لهم الإیمان و الهدایه.و یألمون عند ما یشاهدون العطاشی جالسین بجوار النبع الصافی،و یأنون من شدّه العطش،الأنبیاء یبکون لهم و یجهدون أنفسهم لیلا و نهارا، و یبلغون سرّا و جهارا، و ینادون فی المجتمع من أجل هدایه الناس.إنّهم یألمون بسبب ترک الناس للطریق الواضح الی الطرق المسدوده،هذا الألم یکاد یوصلهم فی بعض الأحیان إلی حدّ الموت.و لو لم یکن القاده بهذه الدرجه من الاهتمام لما انطبق علیهم المفهوم العمیق للقائد.

و بالنسبه لرسول الهدی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کانت تصل به حاله الحزن و الشفقه إلی مرحله خطره علی حیاته بحیث أنّ اللّه تبارک و تعالی یسلّیه.

فی سوره الشعراء نقرأ فی الآیتین(۳،۴)قوله تعالی لَعَلَّکَ بٰاخِعٌ نَفْسَکَ أَلاّ

يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ .

الآيه التى بعدها تجسّد وضع هذا العالم و تكشف عن أنّه ساحه للاختبار و التمحيص و البلاء،و توضح الخط الذى ينبغى أن يسلكه الإنسان: إِنّا جَعَلْنا ما عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَها .

لقد ملأنا العالم بأنواع الزينه،بحيث أنّ كلّ جانب فيه يذهب بالقلب،و يحيّر الأبصار،و يشير الدوافع الداخليه فى الإنسان،كيما يتسنى امتحانه فى ظل هذه الإحساسات و المشاعر و وسط أنواع الزينه و أشكالها،لتظهر قدرته الإيمانيه، و مؤهلاته المعنويه.

لذلك تضيف الآيه مباشره قوله تعالى: لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً .

أراد بعض المفسّرين حصر معنى ما عَلَى الْأَرْضِ بالعلماء أو بالرجال فقط،و يقولوا:إنّ هؤلاء هم زينه الأرض،فى حين أنّ لهذه الكلمه مفهوما واسعا يشمل كل الموجودات على الكره الأرضيه.

و الظّريف هنا استخدام الآيه لتعبير أَحْسَنُ عَمَلاً و ليس(أكثر عملا)و هى إشاره إلى أنّ حسن العمل و كيفيته العاليه هما اللذان يحدّدان قيمته عند ربّ العالمين،و ليس كثره العمل أو كميته.

على أى حال فإنّ هنا إنذار لكل الناس،لكل المسلمين كى لا ينخدعوا فى ساحه الاختبار بزينه الحياه الدنيا،و بدلا من ذلك عليهم أن يفكروا بتحسين أعمالهم.

ثمّ يبيّن تعالى أنّ أشياء الحياه الدنيا ليست ثابته و لا دائمه،بل مصيرها إلى المحو و الزوال: وَ إِنّا لَجاعِلُونَ ما عَلَيْها صَعِيداً جُرُزاً .

«صعيد»مشتقّه من«صعود»و هى هنا تعنى وجه الأرض،الوجه الذى يتّضح فيه التراب.

و«جرز»تعنى الأرض التى لا ينبت فيها الكلأ و كأنّما هى تأكل نباتها، و بعباره أخرى فإنّ«جرز»تطلق على الأرض الموات بسبب الجفاف و قلّه المطر.

إنّ المنظر الذى نشاهده فى الربيع فى الصحارى و الجبال عند ما تبتسم الورود و تتفتح النباتات،و حيث تتناجى الأوراق،و حيث خرير الماء فى الجداول...إنّ هذه الحاله سوف لا- تدوم و لا- تبقى،إذ لا بدّ أن يأتى الخريف،حيث تتعرى الأغصان و تنطفئ البسمه من شفاه الورود،و تذبل البراعم،و تجف الجداول، و تموت الأوراق،و تسكت فيها نغمه الحياه.

حياه الإنسان الماديه تشبه هذا التحوّل،فلا بدّ أن يأتى ذلك اليوم الذى يضع نهايه للقصور التى تناطح السماء،و لملابس الباذخه و النعم الكثيره التى يرفل بها الإنسان،كذلك تنتهى المناصب و المواقع و الاعتبارات،و سوف لن يبقى شىء من المجتمعات البشريه سوى القبور الساكنه اليابسه،و هذا درس عظيم.

ص :٢٠٠

## الآیات [سوره الكهف (۱۸): الآيات ۹ الی ۱۲]

### اشاره

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحٰابَ اَلْكَهْفِ وَ اَلرَّقِيمِ كٰانُوا مِنْ آيٰاتِنٰا عَجَباً (۹) إِذْ أَوَى اَلْفِتْيَةُ إِلَى اَلْكَهْفِ فَقٰالُوا رَبَّنٰا آتِنٰا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَ هَيِّئْ لَنٰا مِنْ أَمْرِنٰا رَشَداً (۱۰) فَضَرَبْنٰا عَلَى آذٰانِهِمْ فِي اَلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً (۱۱) ثُمَّ بَعَثْنٰاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ اَلْحِزْبَيْنِ أَحْصىٰ لِمٰا لَبِثُوا أَمَداً (۱۲)

### أسباب النّزول

لقد أورد المفسّرون قصّه لسبب نزول الآيات خلاصتها أنّ ساده قريش اجتمعوا ليبحثوا فى أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قرروا إرسال اثنين منهم إلى أحبار اليهود فى المدينه،و الاثنان هما النضر بن الحرث بن كلده و عقبه بن أبى معيط.

قال زعماء قريش لهؤلاء:سلوا أحبار اليهود عن محمّد وصفا له صفته، و خبراهم بقوله فإنّهم أهل الكتاب الأوّل و عندهم من علم الأنبياء ما ليس عندنا.

فخرجا حتى قدما المدينه.فسألا أحبار اليهود عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قالا لهم ما قالت قريش.

فقـال لهمـا أحبار اليهود:اسألوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبى مرسل، و إن لم يفعل فهو رجل متقوّل فروا فيه أريكم.سـلوه عن فتيه ذهبوا فى الدهر الأوّل ما كان من أمرهم،فإنّه قد كان لهم حديث عجيب.و سـلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض و مغاربها ما كان نبؤه.و سلوه عن الروح ما هو.

و فى روايه أخرى قالوا:فإن أخبركم عن اثنتين و لم يخبركم بالروح فهو نبى.

فانصرفا إلى مكّه فقالا:يا معشر قريش،قد جئناكم بفصل ما بينكم و بين محمّد.و قصّا عليهم القصه.

فجاءوا إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فسألوه.

فقال صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أخبركم بما سألتم غدا و لم يستثن-أى لم يقل إن اللّه-فانصرفوا عنه، و مكث صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خمس عشره ليله لا يحدث اللّه إليه فى ذلك و حيا،و لا يأتيه جبرائيل حتى أرجف أهل مكّه و تكلموا فى ذلك.فشق على رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم ما يتكلم به أهل مكّه،ثمّ جاءه جبرائيل عليه السّـلام عن اللّه بسوره الكهف،و فيها ما سألوه عنه من أمر الفتيه و الرجل الطوّاف.و أنزل عليه آيه وَ يَسْئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ .

و

قد سأل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جبرائيل حين جاءه:«لقد احتبست عنّى يا جبرائيل»فقال له جبرائيل عليه السّلام وَ مٰا نَتَنَزَّلُ إِلاّٰ بِأَمْرِ رَبِّکَ لَهُ مٰا بَيْنَ أَيْدِينٰا الآيه.

(من الجدير بالذكر هنا أنّ سوره الكهف تضـمنت الجواب على سؤالين من الأسئله الثلاثه.إلاّ أنّ الآيه التى تتحدث عن الروح قد مرّت علينا فى سوره الإسـراء.و هـذا أمر لا يندر حدوثه فى القرآن،إذ تنزل آيه فى مناسـبه معينه،ثمّ توضع بأمر الرّسول صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى سوره أخرى).

ص :۲۰۲

### التّفسير

### اشاره

### بدايه قصّه أصحاب الكهف

فى الآيات السابقه كانت هناك صوره للحياه الدنيا،و كيفيه اختبار الناس فيها،و مسير حياتهم عليها،و لأنّ القرآن غالبا ما يقوم بضرب الأمثله للقضايا الحسّاسه،أو أنّه يذكر نماذج من التأريخ لتجسيد الوعى بالقضيه،لذا قام فى هذه السوره بتوضيح قصّه أصحاب الكهف،و عبرّت عنهم الآيات بأنّهم(أنموذج)أو (أسوه).

إنّهم مجموعه من الفتيه الأذكياء المؤمنين،الذين كانوا يعيشون فى ظل حياه مترفه بالزّينه و أنواع النعم،إلّا أنّهم انسلخوا من كل ذلك لأجل حفظ عقيدتهم و للصراع ضدّ الطاغوت؛طاغوت زمانهم،و ذهبوا إلى غار خال من جميع أشكال الزّينه و النعم،و قد أثبتوا بهذا المسلك أمر استقامتهم فى سبيل الإيمان و الثبات عليه.

الملفت للنظر أنّ القرآن ذكر فى البدايه قصّه هذه المجموعه من الفتيه بشكل مجمل،موظفا بذلك أحد أصول فن الفصاحه و البلاغه،و ذلك لتهيئه أذهان المستمعين ضمن أربع آيات،ثمّ بعد ذلك ذكر التفاصيل فى(۱۴)آيه.

فى البدايه يقول تعالى: أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً . إنّ لنا آيات أكثر عجبا فى السموات و الأرض،و إن كل واحد منها نموذج لعظمه الخالق جلّ و علا،و فى حياتكم-أيضا-أسرار عجيبه تعتبر كل واحده منها علامه على صدق دعوتك،و فى كتابك السماوى الكبير هذه آيات عجيبه كثيره،و بالطبع فإنّ قصّه أصحاب الكهف ليست بأعجب منها.

أمّا لماذا سميت هذه المجموعه بأصحاب الكهف؟فذلك يعود إلى لجوئهم إلى الغار كى ينقذوا أنفسهم،كما سيأتى ذلك لاحقا إن شاء اللّه.

ص:۲۰۳

أمّا«الرقيم»ففى الأصل مأخوذه من(رقم)و تعنى الكتابه (1) ،و حسب اعتقاد أغلب المفسّرين فإنّ هذا هو اسم ثان لأصحاب الكهف،لأنّه فى النهايه تمت كتابه أسمائهم على لوحه وضعت على باب الغار.

البعض يرى أنّ«الرقيم»اسم الجبل الذى كان فيه الغار.

و البعض الآخر اعتبر ذلك اسما للمنطقه التى كان الجبل يقع فيها.

أمّا بعضهم فقد اعتبر ذلك اسما للمدينه التى خرج منها أصحاب الكهف،إلّا أنّ المعنى الأوّل أكثر صحه كما يظهر.

أمّا ما احتمله البعض من أنّ أصحاب الرقيم هم مجموعه أخرى غير أصحاب الكهف،و تنقل بعض المرويات قصّه تختص بهم،فالظاهر أنّ هذا الرّاى لا يتناسب مع الآيه،لأنّ ظاهر الآيه يدل على أنّ أصحاب الكهف و الرقيم كانوا مجموعه واحده،لذلك و بعد ذكر العنوانين تذكر السوره قصّه أصحاب الكهف و لا تذكر غيرهم.و هذا بنفسه دليل على الوحده.

و فى الرّوايات المعروفه الوارده فى تفسير نور الثقلين فى ذيل الحديث عن الآيه،نرى أنّ الأشخاص الثلاثه الذين دخلوا الغار قد دعوا اللّه بأخلص ما عملوه لوجهه تعالى أن ينجيهم من محنتهم،و لكن هذه الرّوايات لا تتحدث عن أصحاب الرقيم بالرغم من أنّ بعض كتب التّفسير قد تعرّضت لهم.

على أيه حال يجب أن لا نتردّد فى أنّ هاتين المجموعتين(أصحاب الكهف و الرقيم)هم مجموعه واحده،و أنّ سبب نزول الآيات يعضد هذه الحقيقه.

ثمّ تقول الآيات بعد ذلك: إِذْ أَوَى الْفِتْيَهُ إِلَى الْكَهْفِ و عند ما انقطعوا عن كل أمل توجهوا نحو خالقهم: فَقٰالُوا رَبَّنٰا آتِنٰا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَهً ثم: وَ هَيِّئْ لَنٰا مِنْ أَمْرِنٰا رَشَداً .أى أرشدنا إلى طريق ينقذنا من هذا الضيق و يقربنا من

ص:204

---

1- 1) -يقول الراغب فى المفردات:إنّ رقم(على وزن زخم)تعنى الخط الخشن و الواضح،و البعض اعتبره النقطه فى خط.و فى كل الأحوال إنّ(رقيم)تعنى الكتاب أو اللوح أو الرساله التى يكتب فيها شيئا.

مرضاتک و سعادتک،الطریق الذی فیه الخیر و السعاده و إطاعه أوامر اللّه تعالی.

و قد استجیبت دعوتهم: فَضَرَبْنا عَلی آذانِهِمْ فِی الْکَهْفِ سِنِینَ عَدَداً .

ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أَیُّ الْحِزْبَیْنِ أَحْصی لِما لَبِثُوا أَمَداً

.

## ملاحظات

۱-جمله أَوَی الْفِتْیَهُ من ماده(مأوی)و تعنی المکان الآمن،و هو إشاره إلی أنّ هؤلاء الفتیه الهاربین من بیئتهم الفاسده المنحرفه قد أحسّوا بالأمن عند ما وصلوا إلی الغار.

۲-(فتیه)جمع(فتی)و هو الشاب الحدث،و لکنها تطلق أحیانا علی الأشخاص الکبار و المسنین الذین یملکون روحیه شابّه،و قد ذکرت هذه الکلمه مع نوع من الإشاده و المدح لأصحاب الکهف بسبب صفات الفتوه و الشهامه و التسلیم فی مقابل الحق.

و الشاهد علی هذا الکلام ما

نقل عن الإمام الصادق فی أصحاب الکهف إذ قال: «أمّا علمت أنّ أصحاب الکهف کانوا کلّهم کهولا-فسمّاهم اللّه فتیه بإیمانهم».

بعد ذلک

أضاف الإمام الصادق فی معنی الفتوه قوله علیه السّلام: «من آمن باللّه و اتقی فهو الفتی» (۱) .

و قد نقل عن الإمام الصادق ما یشبه هذا الحدیث فی(روضه الکافی) (۲) أیضا.

۳-استخدام تعبیر مِنْ لَدُنْکَ رَحْمَةً إشاره إلی أنّ هؤلاء الفتیه عند ما لجأوا إلی الغار ترکوا جمیع الوسائل و الأسباب الظاهریه،و کانوا لا یأملون سوی



---

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۳،ص ۲۴۴ و ۲۴۵.

۲- ۲) -المصدر السّابق.

رحمه اللّه.

۴-جمله فَضَرَبْنا عَلَی آذانِهِمْ کنایه لطیفه عن(التنویم)،کأنّما یوضع ستار علی أذن الشخص بحیث لا یسمع أی شیء،و هو ستار النوم.

و لهذا فإنّ النوم الحقیقی هو النوم الذی یطغی علی السمع،و کذلک إذا أردنا أن نوقظ شخصا من نومه،فإنّنا نصیح به و ننادیه حتی ینفذ الصوت إلی مسامعه.

۵-إنّ استخدام تعبیر سِنِینَ عَدَداً إشاره إلی أنّ نومهم قد استمرّ لعدّه سنین کما سیأتی تفسیر ذلک فی الآیات القادمه إن شاء اللّه تعالی.

۶-إنّ استخدام تعبیر بَعَثْناهُمْ لیقظتهم من النوم،قد یکون لأنّ نومهم أصبح من الطول بمقدار بحیث کانوا کالموتی.فیقظتهم من النوم کبعثهم إلی الحیاه مرّه أخری.

۷-جمله لِنَعْلَمَ... لا تعنی أنّ اللّه یرید أن یعلم شیئا جدیدا.و یکثر استخدام هذا التعبیر فی القرآن،و الغرض منه هو تحقق العلم الإلهی،بمعنی نحن أیقظناهم من المنام حتی یتحقق هذا المعنی،أی حتی یسأل کل واحد الآخر عن مقدار نومهم.

۸-عباره أَیُّ الْحِزْبَیْنِ إشاره لما سنتحدث عنه أثناء تفسیر الآیات اللاحقه،حیث أنّهم بعد یقظتهم اختلفوا فی مقدار نومهم،فالبعض قال:یوما، و البعض الآخر قال:نصف یوم،فی حین أنّهم کانوا نائمین لسنین طویله.

أمّا قول البعض بأنّ هذا التعبیر هو شاهد علی أنّ أصحاب الکهف هم غیر أصحاب الرقیم،فهذا کلام بعید للغایه و لا یحتاج لمزید توضیح (۱) .



---

۱- ۱) -ذهب إلی هذا الرأی صاحب کتاب(أعلام القرآن)فی صفحه ۱۷۹ من کتابه.

## الآیات [سوره الکهف (١٨)]: الآیات ١٣ الی ١۶]

### اشاره

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَیْکَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْیَهٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْنٰاهُمْ هُدیً (١٣) وَ رَبَطْنٰا عَلیٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قٰامُوا فَقٰالُوا رَبُّنٰا رَبُّ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلٰهاً لَقَدْ قُلْنٰا إِذاً شَطَطاً (١۴) هٰؤُلاٰءِ قَوْمُنَا اِتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَهً لَوْ لاٰ یَأْتُونَ عَلَیْهِمْ بِسُلْطٰانٍ بَیِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اِفْتَریٰ عَلَی اَللّٰهِ کَذِباً (١۵) وَ إِذِ اِعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَ مٰا یَعْبُدُونَ إِلاَّ اَللّٰهَ فَأْوُوا إِلَی اَلْکَهْفِ یَنْشُرْ لَکُمْ رَبُّکُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ یُهَیِّئْ لَکُمْ مِنْ أَمْرِکُمْ مِرْفَقاً (١۶)

### التّفسیر

### اشاره

#### القصّه المفصّله لأصحاب الکهف:

بعد أن ذکرت الآیات بشکل مختصر قصّه أصحاب الکهف،بدأت الآن مرحله الشرح المفصّل لها ضمن(١۴)آیه و کان المنطلق فی ذلک قوله تعالی:

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَیْکَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ

کلام خال من أی شکل من أشکال الخرافه و التزویر. إِنَّهُمْ فِتْیَهٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْنٰاهُمْ هُدیً .و کما قلنا فإنّ(فتیه)جمع

(فتی)و هی تعنی الشاب الحدث.و بما أنّ الجسم یکون قویا فی مرحله الشباب، فهو علی استعداد لقبول نور الحق،و منبع للحب و السخاء و العفه.و لذا کثیرا ما تستخدم کلمه(الفتی و الفتوه)للتدلیل علی مجموع هذه الصفات حتی لو کان أصحابها من المسنّین.

و تشیر الآیات القرآنیه-و ما هو ثابت فی التأریخ- إلی أنّ أصحاب الکهف کانوا یعیشون فی بیئه فاسده و زمان شاعت فیه عباده الأصنام و الکفر،و کانت هناک حکومه ظالمه تحتمی مظاهر الشرک و الکفر و الانحراف.

مجموعه أهل الکهف-الذین کانوا علی مستوی من العقل و الصدق- أحسّوا بالفساد و قرروا القیام ضدّ هذا المجتمع،و فی حال عدم تمکنهم من المواجهه و التغییر فإنّهم سیهجرون هذا المجتمع و المحیط الفاسد.

لذا یقول القرآن بعد البحث السابق: وَ رَبَطْنٰا عَلیٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قٰامُوا فَقٰالُوا رَبُّنٰا رَبُّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلٰهاً .

فإذا عبدنا غیره: لَقَدْ قُلْنٰا إِذاً شَطَطاً .

نستفید من تعبیر رَبَطْنٰا عَلیٰ قُلُوبِهِمْ أنّ بذره التوحید و فکرته کانت منذ البدایه مرتکزه فی قلوبهم،إلاّ أنّهم لم تکن لدیهم القدره علی إظهارها و التجاهر بها.و لکن اللّه بتقویه قلوبهم أعطاهم القدره علی أن ینهضوا و یعلنوا علانیه نداء التوحید.

و لیس من الواضح فیما إذا کان هذا الإعلان قد تمّ أوّلا أمام ملک زمانهم الظالم(دقیانوس)أو أنّه تمّ أمام الناس،أو أمام الاثنین معا(الحاکم الظالم و الناس)أو أنّهم تجاهروا به فیما بینهم أنفسهم؟ لکن یظهر من کلمه(قاموا)أنّ إعلانهم کان وسط الناس،أو أمام السلطان الظالم.

(شطط)علی وزن(وسط)تعنی الخروج عن الحد و الإفراط فی الابتعاد لذا

فإنّ(شطط)تقال للكلام البعيد عن الحق،و يقال لحواشى و ضفاف الأنهار الكبيره(شط)لكونها بعيده عن الماء،و كونها ذات جدران مرتفعه.

و فى الواقع،إنّ هؤلاء الفتيه المؤمنين ذكروا دليلا واضحا لإثبات التوحيد و نفى الآلهه.و هو قولهم:إنّنا نرى و بوضوح أنّ لهذه السماوات و الأرض خالقا واحدا،و أنّ نظام الخلق دليل على وجوده،و ما نحن إلاّ جزء من هذا الوجود،لذا فإنّ ربّنا هو نفسه ربّ السماوات و الأرض.

ثمّ ذكروا دليلا آخر و هو: هٰؤُلاٰءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً .

فهل يمكن الإعتقاد بشيء بدون دليل و برهان؟: لَوْ لاٰ يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطٰانٍ بَيِّنٍ .

و هل يمكن أن يكون الظن أو التقليد الأعمى دليلا على مثل هذا الإعتقاد؟ ما هذا الظلم الفاحش و الانحراف الكبير: فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِباً .

و هذا الافتراء هو ظلم للنفس،لأنّ الإنسان يستسلم حينئذ لأسباب السقوط و الشقاء،و هو أيضا ظلم بحق المجتمع الذى تسرى فيه هذه الانحرافات،و أخيرا هو ظلم للّه و تعرض لمقامه العظيم سبحانه و تعالى.

هؤلاء الفتيه الموحدون قاموا بما يستطيعون لإزاله صدأ الشرك عن قلوب الناس،و زرع غرسه التوحيد فى مكانها،إلاّ أنّ ضجه عباده الأصنام فى ذلك المحيط الفاسد،و ظلم الحاكم الجبار كانتا من الشدّه بحيث حبستا أنفاس عباده اللّه فى صدورهم و انكمشت همهمات التوحيد فى حناجرهم.

و هكذا اضطروا للهجره لانقاذ أنفسهم و الحصول على محيط أكثر استعدادا و قد تشاوروا فيما بينهم عن المكان الذى سيذهبون إليه ثمّ كان قرارهم: وَ إِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَ مٰا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّٰهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ .حتى: يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً .

«يهيّئ»مشتقه من«تهيئه»بمعنى الإعداد.

«مرفق»تعنی الوسیله التی تکون سببا للطف و الرفق و الراحه،و بـذا یکون معنی الجمله وَ یُهَیِّئْ لَکُمْ مِنْ أَمْرِکُمْ مِرْفَقاً أنّ الخالق سبحانه و تعالی سیرتب لکم وسیله للرفق و الراحه.

و لیس من المستبعد أن یکون(نشر الرحمه)الوارد فی الجمله الأولی إشاره إلی الألطاف المعنویه للّه تبارک و تعالی،فی حین أنّ الجمله الثّانیه تشیر إلی الجوانب المادیه التی تؤدی إلی خلاصهم و نجاتهم.

## ملاحظات

## اشاره

### ۱-الفتوه و الإیمان

تتزامن روح التوحید دائما مع سلسله من الصفات الإنسانیه العالیه،فهی تنبع منها و تؤثّر فیها أیضا،و یکون التأثیر فیما بینهما متبادلا.و لهذا السبب فإننا نقرأ فی قصّه أصحاب الکهف أنّهم کانوا فتیه آمنوا بربّهم.

و علی هذا الأساس قال بعض العلماء:رأس الفتوه الإیمان.

و قال البعض الآخر منهم:الفتوه بذل الندی،و کف الأذی،و ترک الشکوی.

و البعض الثّالث فسّر الفتوه بقوله:هی اجتناب المحارم و استعمال المکارم.

### ۲-الإیمان و الإمداد الإلهی

فی عدّه مواقع من الآیات أعلاه تنعکس بوضوح حقیقه الإمداد الإلهی للمؤمنین،فإذا وضع الإنسان خطواته فی طریق اللّه،و نهض لأجله فإنّ الإمداد الإلهی سیشمله،ففی مکان تقول الآیه: إِنَّهُمْ فِتْیَهٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْناهُمْ هُدیً .

و فی مکان آخر تقول: وَ رَبَطْنا عَلی قُلُوبِهِمْ .و فی نهایه الآیات کانوا بانتظار رحمه الخالق: یَنْشُرْ لَکُمْ رَبُّکُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ .

الآیات القرآنیه الأخری تؤید هذه الحقیقه بوضوح،فعند ما یجاهد الإنسان من أجل اللّه،فإنّ اللّه یهدیه إلی طریق الحق: وَ الَّذِینَ جٰاهَدُوا فِینٰا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنٰا (۱) و فی سوره محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم آیه(۱۷)نقرأ قوله تعالی: وَ الَّذِینَ اهْتَدَوْا زٰادَهُمْ هُدیً .

إنّ طریق الحق ملیء بالموانع و الصعوبات،و من العسیر علی الإنسان طی هذا الطریق و الوصول إلی الأهداف من دون لطف اللّه و عنایته.

و نعلم أیضا إنّ لطف اللّه أکبر من أن یترک العبد فی طریق الحق لوحده.

### ۳-ملجأ باسم الغار

إنّ وجود(أل)التعریف فی کلمه«الکهف»قد تکون إشاره إلی أنّهم (أصحاب الکهف)کانوا مصممین علی الذهاب إلی مکان معین فی حال عدم نجاح دعوتهم التوحیدیه،و ذلک لإنقاذ أنفسهم من ذلک المحیط الملوّث.

(الکهف)کلمه ذات مفهوم واسع،و تذکرنا بنمط الحیاه الابتدائیه للإنسان، حیث ینعدم فیه الضوء،و لیالیه مظلمه و بارده،و تذکرنا بآلام المحرومین،إذ لیس ثمّه شیء من زینه الحیاه المادیه،أو الحیاه الناعمه المرفّهه.

و یتّضح الأمر أکثر إذا ما أخذنا بنظر الإعتبار أنّ التأریخ ینقل لنا أنّ أصحاب الکهف کانوا من الوزراء و أصحاب المناصب الکبیره داخل الحکم.و قد نهضوا ضدّ الحاکم و ضدّ مذهبه،و کان اختیار حیاه الکهوف علی هذه الحیاه قرارا یحتاج إلی المزید من الشهامه و الهمّه و الروح و الإیمان العالی.

و فی هذا الغار البارد المظلم الذی قد یتضّمن خطر الحیوانات المؤذیه،هناک عالم من النور و الإخلاص و التوحید و المعانی السامیه.

إنّ خطوط الرحمه الإلهیه متجلیه علی جدران هذا الغار،و أمواج لطف



---

۱- ۱) -العنکبوت،الآیه الأخیره.

الخالق تسبح فی فضائه،لیس هناک وجود للأصنام من أی نوع کانت،و لا یصل طوفان ظلم الجبارین إلی هذا الکهف.

هؤلاء الفتیه الموحدون ترکوا الدنیا الملوثه الواسعه و التی کان سجنا لأرواحهم و ذهبوا إلی غار مظلم جاف.و فعلهم هذا یشبه فعل النّبی یوسف علیه السّلام حین أصروا علیه أن یستسلم لشهوه امرأه العزیز الجمیله،و إلاّ فالسجن الموحش المظلم سیکون فی انتظاره،لکن هذا الضغط زاد فی صموده و قال متوجها إلی ربّه العظیم: رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَیَّ مِمّا یَدْعُونَنِی إِلَیْهِ وَ إِلاّ تَصْرِفْ عَنِّی کَیْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَیْهِنَّ (1) .

ص:212

1- 1) -یوسف،33.

## الآيتان [سوره الكهف (۱۸): الآيات ۱۷ الى ۱۸]

### اشاره

وَ تَرَى اَلشَّمْسَ إِذٰا طَلَعَتْ تَزٰاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذٰاتَ اَلْيَمِينِ وَ إِذٰا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذٰاتَ اَلشِّمٰالِ وَ هُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذٰلِكَ مِنْ آيٰاتِ اَللّٰهِ مَنْ يَهْدِ اَللّٰهُ فَهُوَ اَلْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً (۱۷) وَ تَحْسَبُهُمْ أَيْقٰاظاً وَ هُمْ رُقُودٌ وَ نُقَلِّبُهُمْ ذٰاتَ اَلْيَمِينِ وَ ذٰاتَ اَلشِّمٰالِ وَ كَلْبُهُمْ بٰاسِطٌ ذِرٰاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اِطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرٰاراً وَ لَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً (۱۸)

### التّفسير

#### اشاره

#### مكان أصحاب الكهف:

يشير القرآن فى الآيتين أعلاه إلى التفاصيل الدقيقه المتعلّقه بالحياه العجيبه لأصحاب الكهف فى الغار،و كأنّها تحكى على لسان شخص جالس فى مقابل الغار ينظر إليهم.

فى هاتين الآيتين إشاره إلى ست خصوصيات هى:

أوّلا:فتحه الغار كانت باتجاه الشمال،و لكونه فى الجزء الشمالى من الكره الأرضيه،فإنّ ضوء الشمس كان لا يدخل الغار بشكل مباشر،فالقرآن يقول إنّك

إذا رأيت الشمس حين طلوعها لرأيت أنّها تطلع من جهه يمين الغار،و تغرب من جهه الشمال: وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذٰا طَلَعَتْ تَزٰاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذٰاتَ الْيَمِينِ وَ إِذٰا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذٰاتَ الشِّمٰالِ .

و على هذا الأساس لم يكن ضوء الشمس يصل إلى أجسادهم بشكل مباشر،و هو أمر لو حصل فقد يؤدى إلى تلف أجسادهم،و لكن الأشعه غير المباشره كانت تدخل الغار بمقدار كاف.

إنّ عباره(تزاور)التى تعنى(التمايل)تؤكّد على هذا المعنى،و كأنّ الشمس كانت مأموره بأن تمرّ من اليمين(يمين الغار).و كلمه(تقرض)التى تعنى(القطع) تؤكّد نفس مفهوم السابق،و إضافه إلى هذا فإنّ كلمه«تزاور»المشتقّه من كلمه (الزياره)المقارنه لبدايه الشيء تناسب مفهوم طلوع الشمس.(و تقرض)تعنى القطع و النهايه و هو معنى يتجلى فى غروب الشمس.

و لأنّ فتحه الغار كانت إلى الشمال فإنّ الرياح اللطيفه و المعتدله كانت تهب من طرف الشمال و كانت تدخل بسهوله إلى داخل الغار،و تؤدى الى تلطيف الهواء فى جميع زوايا الغار.

ثانيا: وَ هُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ لقد كان أولئك فى مكان واسع من الغار،و هذا يدل على أنّهم لم يأخذوا مستقرّهم فى فتحه الغار التى تتسم بالضيق عاده،بل إنّهم انتخبوا وسط الغار مستقرا لهم كى يكونوا بعيدين عن الأنظار،و بعيدين أيضا عن الأشعه المباشر لضوء الشمس.

و هنا يقطع القرآن تسلسل الكلام و يستنتج نتيجه معنويه،حيث يبيّن أنّ الهدف من ذكر هذه القصه هو لتحقيق هذا الغرض: ذٰلِكَ مِنْ آيٰاتِ اللّٰهِ مَنْ يَهْدِ اللّٰهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً .

نعم،إنّ الـذين يضـعون أقـدامهم فی طريق اللّه،و يجاهدون لأجله فإنّ اللّه سيشـملهم بلطفه فی كل خطوه و ليس فی بدايه العمل فقط.إنّ اللّه يرعی هؤلاء حتی فی أدق التفاصيل.

ثالثـا:إنّ نوم أصـحاب الكهف لم يكن نومـا عاديـا: وَ تَحْسَبُهُمْ أَيْقاظاً وَ هُمْ رُقُودٌ .و هـذا يـدل علی أنّ أجفـانهم كانت مفتوحه بالضـبط مثـل الإنسـان اليقـظ، و قـد تكون هـذه الحـاله الاسـتثنائيه لكی لاـ تقترب منهم الحيوانـات المؤذيه التی تخـاف الإنسان اليقظ.أو لكی يكون شكلهم مرعبا كی لا يتجرأ إنسان علی الاقتراب منهم.و هذا بنفسه أسلوب للحفاظ عليهم.

رابعـا:و حتی لاـ تتهرأ أجسـامهم بسـبب السـنين الطويله التی مكثوا فيهـا نياما فی الكهف،فإنّ اللّه تبارك و تعالی يقول: وَ نُقَلِّبُهُمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَ ذاتَ الشِّمالِ .

حتی لاـ يتركز الـدم فی مكـان معين،و لا تكون هناك آثار سيئه علی العضـلات الملاصـقه للأرض بسـبب الضـغط عليها لمـدّه طويله.

خامسا:فی وصف جديد يقول تعالی: وَ كَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِالْوَصِيدِ .

كلمـه«وصـيد»و كمـا يقـول الراغـب فی المفردات تعنی فی الأصـل الغرفه أو المخزن الـذی يتمّ إيجـاده فی الجبـال لأجـل خزن الأموال،إلاّ أنّ المقصود به هنا هو فتحه الغار.

برغم أنّ الآيات القرآنيه لم تتحدث حتی الآن عن كلب أصحاب الكهف،إلاّ أنّ القرآن يذكر هنا تعابير خاصّه تتضح من خلالها بعض المسائل،فمثلا ذكر حاله كلب أصحاب الكهف يفيد أنّه كان معهم كلب يتبعهم أينما ذهبوا و يقوم بحراستهم.

أمّا متی التحق هـذا الكلب بهم،و هل كان كلب صـيدهم،أو أنّه كلب ذلك الراعی الذی التقی بهم فی منتصف الطريق،و عند ما عرف حقيقتهم أرسل

حيواناته إلى القريه و التحق بهم،لأنّه كان يبحث عن الحقيقه مثلهم و قد رفض هذا الكلب أن يتركهم و استمرّ معهم.

ألا يعنى هذا الكلام أنّ جميع المحبّين-لأجل الوصول إلى الحق- يستطيعون سلوك هذا الطريق،و أنّ الأبواب غير مغلقه أمام أحد سواء كانوا وزراء عند الملك الظالم ثمّ تابوا،أو كان راعيا،بل و حتى كلبه؟! ألم يؤكّد القرآن أن جميع ذرات الوجود فى الأرض و السماء،و جميع الأشجار و الأحياء تذكر اللّه،و تحبّ اللّه فى قلوبها و صميم وجودها؟(راجع سوره الإسراء-الآيه ۴۴).

سادسا:قوله تعالى: لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرٰاراً وَ لَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً .

إنّها ليست المرّه الأولى و لا الأخيره التى يحفظ فيها اللّه تبارك و تعالى عباده المؤمنين بالرعب و الخوف،فقد واجهتنا فى الآيه(۱۵۱)من سوره آل عمران صوره مماثله جسّدها قول اللّه تبارك و تعالى: سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ (۱) .

و فى دعاء الندبه نقرأ كلاما حول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

«ثمّ نصرته بالرعب».

أو ما هو سبب الرعب فى مشاهده أهل الكهف،و هل يعود ذلك لظاهرهم الجسمانى،أو بسبب قوّه معنويه سريه؟ الآيات القرآنيه لم تتحدّث عن ذلك،و لكن المفسّرين ذكروا بحوثا مفصّله فى هذا المجال،و لعدم قيام الدليل عليها صرفنا النظر عن ذكرها.

كما أنّ قوله تعالى: وَ لَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً فى الحقيقه علّه لقوله تعالى:



---

۱- ۱) -لأجل التوضيح أكثر يمكن مراجعه ما جاء فى ذيل الآيه(۱۴۸)من سوره آل عمران و الآيه(۱۲)من سوره الأنفال من تفسيرنا هذا.

لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرٰاراً

يعنى لكنت تهرب بسبب الخوف الذى يملأ قلبك،و كأنّ قلبك مملوء بالخوف،و ينفذ إلى ذرّات وجودك بحيث أنّ جميع وجود الإنسان يصاب بالوحشه و الخوف.على أى حال،إذا أراد اللّه شيئا فإنّه يحقق أهم النتائج من خلال أبسط الطرق.

ص: ٢١٧

## الآیتان [سوره الكهف (۱۸): الآیات ۱۹ الی ۲۰]

### اشاره

وَ كَذٰلِكَ بَعَثْنٰاهُمْ لِيَتَسٰاءَلُوا بَيْنَهُمْ قٰالَ قٰائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قٰالُوا لَبِثْنٰا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قٰالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمٰا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هٰذِهِ إِلَى اَلْمَدِينَهِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهٰا أَزْكىٰ طَعٰاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَ لْيَتَلَطَّفْ وَ لاٰ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً (۱۹) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَ لَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً (۲۰)

### التّفسير

### اشاره

### اليقظه بعد نوم طويل:

سوف نقرأ فى الآيات القادمه-إن شاء اللّه تعالى-أنّ نوم أصحاب الكهف كان طويلا للغايه بحيث استمر(۳۰۹)سنه،و على هذا الأساس كان نومهم أشبه بالموت،و يقظتهم أشبه بالبعث،لذا فإنّ القرآن يقول فى الآيات التى نبحثها وَ كَذٰلِكَ بَعَثْنٰاهُمْ .

يعنى مثلما كنّا قادرين على إنامتهم نوما طويلا فإنّنا أيضا قادرون على

إيقاظهم.لقد أيقظناهم من النوم: لِيَتَسٰاءَلُوا بَيْنَهُمْ قٰالَ قٰائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ (۱) .

قٰالُوا لَبِثْنٰا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ

.

لعل التردّد و الشك هنا يعود-كما يقول المفسّرون-إلى أن أصحاب الكهف دخلوا الغار فى بدايه اليوم،ثمّ ناموا،و فى نهايه اليوم استيقظوا من نومهم،و لهذا السبب اعتقدوا فى بادئ الأمر بأنّهم ناموا يوما واحدا،و بعد أن رأوا حاله الشمس،قالوا:بل بَعْضَ يَوْمٍ .

و أخيرا،بسبب عدم معرفته لمقدار نومهم قالوا: قٰالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمٰا لَبِثْتُمْ .

قال بعضهم:إنّ قائل هذا الكلام هو كبيرهم المسمى(تلميخا)و بالنسبه لاستخدام صيغه الجمع على لسانه(قالوا)فهو متعارف فى مثل هذه الموارد.

و قد يكون كلامهم هذا بسبب شكّهم فى أنّ نومهم لم يكن نوما عاديا،و ذلك عند ما شاهدوا هندامهم و شعرهم و أظفارهم و ما حلّ بملابسهم.

و لكنّهم-فى كل الأحوال-كانوا يحسّون بالجوع و بالحاجه الشديده إلى الطعام،لأنّ المخزون الحيوى فى جسمهم انتهى أو كاد،لذا فأوّل اقتراح لهم هو إرسال واحد منهم مع نقود و مسكوكات فضيه لشراء الغذاء: فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَهِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهٰا أَزْكىٰ طَعٰاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ .

ثمّ أردفوا: وَ لْيَتَلَطَّفْ وَ لاٰ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً . لماذا هذا التلطّف: إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ .

ثمّ: وَ لَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً .



---

۱- ۱) -اللام فى«ليتساءلوا»هى لام العاقبه و ليست للعلّه.يعنى أنّ نتيجه يقظتهم هو أن سأل أحدهم الآخر عن طول مدّه نومهم.

### بحوث

### اشاره

### ۱-أزکی الطعام

### اشاره

مع أنّ أصحاب الکهف کانوا بعد یقظتهم بحاجه شدیده إلی الطعام،إلّا أنّهم قالوا للشخص الذی کلّفوه بشراء الطعام:لا تشتر الطعام من أیّ کان،و إنّما انظر أیّهم أزکی و أطهر طعاما فأتنا منه.

بعض المفسّرین تأولوا المعنی و قالوا:إنّ المقصود من(أزکی)هو ما یعود إلی الحیوانات المذبوحه،إذ أنّهم کانوا یعلمون أنّ فی تلک المدینه من یبیع لحم المیته(أی غیر المذبوح علی الطریقه الشرعیه)و أنّ البعض یتکسّب بالحرام، لذلک أوصوا صاحبهم بضروره أن یتجنب مثل هؤلاء الأشخاص عند ما یحاول شراء الطعام.

و لکن یظهر أنّ لهذه الجمله مفهوما واسعا یشمل کافه أشکال الطهارات الظاهریه و الباطنیه(المعنویه)،و کلامهم و توصیتهم هی توصیه لکافه أنصار الحق،فی أن لا یفکروا بطهاره غذائهم المعنوی و حسب،بل علیهم أیضا الاهتمام بطهاره طعام الأجسام کی یکون زکیا نقیا من جمیع الأرجاس و الشبهات.و إنّ هذا الأمر ینبغی أن یلازمهم حتی فی أصعب لحظات الحیاه و أشدّها عسرا،لأنّ هذا المعنی هو تعبیر عن أصل فی وجود المؤمن.

الیوم یسعی معظم أفراد عالمنا للاهتمام بجانب من هذا الأمر،و هو الجانب المتعلق بالحفاظ علی الطعام من أشکال التلوث الظاهری،إذ یضعون الطعام فی أوانی مغطاه بعیده عن الأیدی الملوّثه،و عن الأتربه و الغبار.و هذا العمل بحدّ ذاته جید جدّا،إلّا أنّ علینا أن لا نکتفی بهذا المقدار،بل ینبغی تزکیه الطعام و تطهیره من لوثه الشبهه و الحرام و الرّبا و الغش و أی شکل من أشکال التلوّث المعنوی.

و فی الرّوایات الإسلامیه هناک تأکید کبیر علی الطعام الحلال النقی الزاکی و أثره فی صفاء القلب و استجابه الدعاء.

ص:۲۲۰

ففی روایه نقرأ أنّه جاء رجل إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و سأله قائلا:أحبّ أن یستجاب دعائی.

فقال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:«طهّر مأکلک و لا تدخل بطنک الحرام» (۱) .

### ثانیا:التقیه البنّاءه

نستفید من تعبیر الآیات أعلاه أنّ أصحاب الکهف کانوا یصرّون علی أن لا یعرف أحد مکانهم حتی لا یجبرون علی عباده الأصنام،أو یقتلون بأفجع طریقه من خلال رمیهم بالحجاره.إنّهم کانوا یرغبون فی أن یبقوا غیر معروفین حتی یستطیعوا بهذا الأسلوب الاحتفاظ بقوّتهم للصراع المقبل،أو علی الأقل حتی یستطیعوا أن یحتفظوا بإیمانهم.

و هذا المعنی تعبیر عن أحد أقسام«التقیه البنّاءه»حیث أنّ حقیقه التقیه هو أن یحفظ الإنسان طاقته من الهدر بإخفاء نفسه أو عقیدته.یحفظ نفسه و یصونها حتی یستطیع-فی مواقع الضروره-الاستمرار فی جهاده المؤثّر.و طبیعی عند ما تکون التقیه و إخفاء العقیده سببا لتصدّع الأهداف و البرنامج الکبری،فإنّها تکون ممنوعه و ینبغی الجهر بالحق و الصدع به بالغا ما بلغ الضرر.

### ثالثا:اللطف مرکز القرآن

إنّ قوله تعالی: لْیَتَلَطَّفْ -کما هو مشهور-هی نقطه الفصل بین نصفی القرآن من حیث عدد الکلمات.و هذا بنفسه یشیر إلی معنی لطیف للغایه،لأنّ الکلمه مشتقّه من اللطف،و اللطافه و التی تعنی هنا الدقه.بمعنی أنّ المرسل لتهیئه الطعام علیه أن یذهب و یرجع بحیث لا یشعر أحد بقصتهم.



---

۱ - ۱) -وسائل الشیعه،المجلد الرابع،أبواب الدعاء،باب(۶۷)الحدیث الرابع.و لمزید من التوضیح یمکن مراجعه تفسیر الآیه(۱۸۶)من سوره البقره.

بعض المفسّرين قالوا:إنّ الغرض من التلطّف فى شراء الطعام هو أن لا يتصعّب فى التعامل،و يبتعد عن النزاع الضوضاء و ينتخب أفضل البضاعه.

و هذا بذاته لطف أن تشكّل كلمه اللطف وسط القرآن و نقطه النصف بين كلماته الهاديه.

## الآیات [سوره الكهف (١٨): الآيات ٢١ الى ٢۴]

### اشاره

وَ كَذٰلِكَ أَعْثَرْنٰا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اَللّٰهِ حَقٌّ وَ أَنَّ اَلسّٰاعَةَ لاٰ رَيْبَ فِيهٰا إِذْ يَتَنٰازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقٰالُوا اِبْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيٰاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قٰالَ اَلَّذِينَ غَلَبُوا عَلىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلاٰثَةٌ رٰابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَ يَقُولُونَ خَمْسَةٌ سٰادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَ يَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَ ثٰامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مٰا يَعْلَمُهُمْ إِلاّٰ قَلِيلٌ فَلاٰ تُمٰارِ فِيهِمْ إِلاّٰ مِرٰاءً ظٰاهِراً وَ لاٰ تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً (٢٢) وَ لاٰ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فٰاعِلٌ ذٰلِكَ غَداً (٢٣) إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اَللّٰهُ وَ اُذْكُرْ رَبَّكَ إِذٰا نَسِيتَ وَ قُلْ عَسىٰ أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هٰذٰا رَشَداً (٢۴)

### التّفسير

### اشاره

### نهایه قصّه أصحاب الكهف:

لقد وصلت بسرعه أصداء هجره هذه المجموعه من الرّجال المتشخّصين

ص :٢٢٣

إلی کلّ مکان و أغاظت بشدّه الملک الظالم،حیث قدّر أن تکون هذه الهجره مقدّمه لیقظه و وعی الناس،أو قد یذهب أصحاب الکهف إلی مناطق بعیده أو قریبه و یقومون بتبلیغ مذهب التوحید و الدعوه إلیه،و محاربه الشرک و عباده الأصنام.

لقد أصدر الحاکم تعلیماته إلی جهاز شرطته للبحث عن أصحاب الکهف فی کل مکان،و علیهم أن یتبعوا آثارهم حتی إلقاء القبض علیهم و معاقبتهم.

و لکن کلما بحثوا لم یعثروا علی شیء،و هذا الأمر أصبح بحدّ ذاته لغزا للناس،و نقطه انعطاف فی أفکارهم،و قد یکون هذا الأمر-و هو قیام مجموعه من ذوی المناصب فی الدوله بترک مواقعهم العالیه فی الدوله و تعریض أنفسهم للخطر-هو بحدّ ذاته سببا لیقظه الناس و مصدرا لوعیهم،أو لوعی قسم منهم علی الأقل.

و لکن فی کل الأحوال،فإنّ قصّه هؤلاء النفر قد استقرت فی صفحات التأریخ و أخذت الأجیال و الأقوام تتناقلها عبر مئات السنین.

و الآن لنعد إلی الشخص المکلّف بشراء الطعام و لننظر ماذا جری له.

لقد دخل المدینه و لکنّه فغرفاه من شدّه التعجّب،فالشکل العام للبناء قد تغیّر،هندام الجمیع و لباسهم غریب علیه،الملابس من طراز جدید،خرائب الأمس تحولت إلی قصور،و قصور الأمس تحوّلت إلی خرائب! لقد ظنّ-للحظه واحده-أنّه لا یزال نائما،و أنّ ما یشاهده لیس سوی أحلام،فرک عینیه،إلاّ أنّه التفت إلی ما یراه،و هو عین الحقیقه،و إن کانت عجیبه و لا یمکن تصدیقها.

إنّه لا یزال یعتقد بأنّ نومهم فی الغار کان لیوم أو بعض یوم،فلما ذا هذا الاختلاف،و کیف تمّت کل هذه التغییرات الکبیره و الواسعه فی ظرف یوم واحد؟!

و من جانب آخر كان منظره هو عجيبا للناس و غير مألوف.ملابسه،كلامه، شكله كل شيء فيه بدا غريبا للناس،و قد يكون هذا الوضع قد لفت أنظارهم إليه، لذا قام بعضهم بمتابعته.

لقد انتهى عجبه عند ما مدّ يده إلى جيبه ليسدّد مبلغ الطعام الذى اشتراه، فالبائع وقع نظره على قطعه نقود ترجع فى قدمها إلى(۳۰۰)سنه،و قد يكون اسم (دقيانوس)الملك الجبار مكتوبا عليها،و عند ما طلب منه توضيحا قال له بأنّه حصل عليها حديثا.

و قد عرف الناس تدريجيا من خلال سلسله من القرائن أنّ هذا الشخص هو واحد من أفراد المجموعه الذين قرءوا عن قصّتهم العجيبه و التأريخيه التى وقعت قبل(۳۰۰)سنه،و أنّ قصّتهم كانت تدور على الألسن فى اجتماعات الناس و ندواتهم،و هنا أحسّ الشخص بأنّه و أصحابه كانوا فى نوم عميق و طويل.

هذه القضيه كان لها صدى كالقنبله فى المدينه،و قد انتقلت عبر الألسن إلى جميع الأماكن.

قال بعض المؤرّخين:إنّ حكومه المدينه كانت بيد حاكم صالح و مؤمن،إلاّ أنّ استيعاب و فهم قضيه المعاد الجسمانى و إحياء الموتى بعد الموت كان صعبا جدّا على أفراد ذلك المجتمع،فقسم منهم لم يكن قادرا على التصديق بأنّ الإنسان يمكن أن يعود للحياه بعد الموت،إلاّ أنّ قصّه أصحاب الكهف أصبحت دليلا قاطعا لأولئك الذين يعتقدون بالمعاد الجسمانى.

و لذا فإنّ القرآن يبيّن أنّنا كما قمنا بإنامتهم نقوم الآن بإيقاظهم حتى ينتبه الناس: وَ كَذٰلِكَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ ثمّ أضاف تعالى: وَ أَنَّ السّاعَةَ لاٰ رَيْبَ فِيهٰا .

حيث أنّ هذا النوم الطويل الذى استمرّ لمئات السنين كان يشبه الموت،و أن إيقاظهم يشبه البعث.بل يمكن أن نقول:إنّ هذه الإنامه و الإيقاظ هى أكثر إثاره

ص: ۲۲۵

للعجب من الموت و الحیاه فی بعض جوانبها،فمن جهه قد مرّت علیهم مئات السنین و هم نیام و أجسامهم لم تفن أو تتأثّر،و قد بقوا طوال هذه المدّه بدون طعام أو شراب،إذن کیف بقوا أحیاء طیله هذه المدّه؟ أ لیس هذا دلیلا قاطعا علی قدره اللّه علی کل شیء،فالحیاه بعد الموت،بعد مشاهده هذه القضیه ممکنه حتما.

بعض المؤرّخین کتب یقول:إنّ الشخص الذی أرسل لتهیئه الطعام و شرائه، عاد بسرعه إلی الکهف و أخبر رفقاءه بما جری،و قد تعجب کل منهم،و بعد أن علموا بفقدان الأهل و الأولاد و الأصدقاء و الإخوان،و لم یبق من أصحابهم أحد، أصبحت الحیاه بالنسبه إلیهم صعبه للغایه،فطلبوا من الخالق جلّ و علا أن یمیتهم،و ینتقلون بذلک إلی جوار رحمته.و هذا ما حدث.

لقد ماتوا و مضوا إلی رحمه ربّهم،و بقیت أجسادهم فی الکهف عند ما وصله الناس.

و هنا حدث النزاع بین أنصار المعاد الجسمانی و بین من لم یعتقد به، فالمعارضون للمعاد کانوا یریدون أن تنسی قضیه نوم و یقظه أصحاب الکهف بسرعه،کی یسلبوا أنصار المعاد الجسمانی هذا الدلیل القاطع،لذا فقد اقترح هؤلاء أن تغلق فتحه الغار،حتی یکون الکهف خافیا إلی الأبد عن أنظار الناس.

قال تعالی: إِذْ یَتَنٰازَعُونَ بَیْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقٰالُوا ابْنُوا عَلَیْهِمْ بُنْیٰاناً .

و لأجل إسکات الناس عن قصّتهم کانوا یقولون:لا تتحدثوا عنهم کثیرا،إنّ قضیتهم معقده و مصیرهم محاط بالألغاز!!لذلک فإن: رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ .أی اترکوهم و شأنهم و اترکوا الحدیث فی قصّتهم.

أمّا المؤمنون الحقیقیون الذین عرفوا حقیقه الأمر و اعتبروه دلیلا حیّا لإثبات المعاد بعد الموت،فقد جهدوا علی أن لا تنسی القصه أبدا لذلک اقترحوا أن یتخذوا قرب مکانهم مسجدا،و بقرینه وجود المسجد فإنّ الناس سوف لن

ينسوهم أبدا،بالإضافه إلى ما يتبرك به الناس من آثارهم: قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً .

و فى تفسير الآيه ذكرت احتمالات أخرى سنقف على بعضها فى البحوث.

الآيه التى بعدها تشير إلى بعض الاختلافات الموجوده بين الناس حول أصحاب الكهف،فمثلا تتحدث الآيه عن اختلافهم فى عددهم فتقول: سَيَقُولُونَ ثَلاٰثَةٌ رٰابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ .و بعضهم وَ يَقُولُونَ خَمْسَةٌ سٰادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ .و ذلك منهم رَجْماً بِالْغَيْبِ .و بعضهم وَ يَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَ ثٰامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ .أمّا الحقيقه فهى:

قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ

.و لذلك لأنّه مٰا يَعْلَمُهُمْ إِلاّٰ قَلِيلٌ .

و بالرغم من أنّ القرآن لم يشر إلى عددهم بصراحه،لكن نفهم من العلامات الموجوده فى الآيه أنّ القول الثّالث هو الصحيح المطابق للواقع،حيث أنّ كلمه رَجْماً بِالْغَيْبِ وردت بعد القول الأوّل و الثّانى،و هى إشاره إلى بطلان هذين القولين،إلاّ أنّ القول الثّالث لم يتبع بمثل الاستنكار بل استتبع بقوله تعالى: قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ و أيضا بقوله مٰا يَعْلَمُهُمْ إِلاّٰ قَلِيلٌ و هذا بحدّ ذاته دليل على صحه هذا القول(الثّالث).

و فى كل الأحوال فإنّ الآيه تنتهى بنصيحه تحت على عدم الجدال حولهم إلاّ الجدل القائم على أساس المنطق و الدليل: فَلاٰ تُمٰارِ فِيهِمْ إِلاّٰ مِرٰاءً ظٰاهِراً .

(مراء)كما يقول الراغب فى مفرداته،مأخوذه فى الأصل من(مريت الناقه) بمعنى قبضت على(ضرع)الناقه لأحلبها،ثمّ أطلق المعنى بعد ذلك ليشمل الأشياء الخاضعه للشك و الترديد.

و قد تستخدم كثيرا فى المجادلات و الدفاع عن الباطل،إلاّ أنّ أصلها لا يختص بهذا المعنى،بل تتسع لكل أنواع البحوث و المفاوضات حول أى موضوع كان موضعا للشك.

«ظاهر»تعنى غالب و مسيطر و منتصر.لذا فالآيه تقول: فَلاٰ تُمٰارِ فِيهِمْ إِلاّٰ

مِرٰاءً ظٰاهِراً

بمعنى قل لهم قولا منطقيا بحيث تتوضح رجحان منطقك.

و قد احتمل البعض أن تفسير هذه الآيه هو:لا تتحدّث حديثا خاصّا مع المعارضين و المعاندين حيث أنّهم يحرّفون كلّ ما تقول،بل تحدّث معهم علانيه و أمام النّاس كى لا يستطيعوا أن يحرفوا حقيقه ما تقول،و لا يستطيعوا إنكارها.

التّفسير الأوّل أكثر صحّه.

و على أى حال فإنّ مفهوم الكلام هو:عليك أن تتحدّث معهم بالاعتماد على الوحى الإلهى،لأنّ أقوى الأدله هو ما يصدر عن الوحى دون غيره: وَ لاٰ تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً .

الآيه التى بعدها تعطى توجيها عاما لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: وَ لاٰ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فٰاعِلٌ ذٰلِكَ غَداً .

إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اللّٰهُ

يعنى يجب أن تقول(إن شاء اللّه)لكل ما يخص أخبار المستقبل و أحداثه و لكل تصميم تتخذه، لأنّك أوّلا غير مستقل فى اتّخاذ القرارات،و إذا لم يشأ اللّه فإنّ كائنا من كان لا يستطيع القيام بأىّ عمل،لذا و لأجل أن تثبت أنّ قوّتك قبس من قوّه اللّه الأزليه،و أنّها مرتبطه بقدرته،أضف عباره(إن شاء اللّه)إلى كلامك.

ثانيا:لا يصح للإنسان-من الوجهه المنطقيه-أن يقطع فى أخباره المستقبليه و مواقفه و تصميماته،لأنّ قدرته محدوده مع احتمال ظهور الموانع المختلفه،لذلك الأفضل له ذكر جمله(إن شاء اللّه)مع كل تصميم لفعل شىء.

بعض المفسّرين احتملوا أن يكون مراد الآيه هو أن تنفى استقلال الإنسان فى إنجاز الأعمال،حيث يصبح مفهوم الآيه:إنّك لا تستطيع أن تقول:إنّك ستقوم بالعمل الفلانى غدا إلاّ أن يشاء اللّه ذلك.

بالطبع فإنّ لازم هذا القول أن الكلام سيكون تاما مع اضافه(ان شاء اللّه)

و لكن هذا اللزوم سيكون للجمله لا للمتن كما هو الحال فى التّفسير الأوّل (۱) .

سبب النّزول الذى أوردناه فى بدايه الآيات يؤيد التّفسير الأوّل،حيث أنّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد وعد بالإجابه على أسئله قريش حول أصحاب الكهف و غيرها بدون ذكر جمله(إن شاء اللّه)لذلك تأخّر عنه الوحى فتره،لكى يكون ذلك تحذيرا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يكون عبره لجميع الناس.

و بعد ذلك يقول القرآن: وَ اذْكُرْ رَبَّكَ إِذٰا نَسِيتَ و هذه إشاره إلى أنّ الإنسان إذا نسى قول(إن شاء اللّه)و هو يتحدّث عن أمر مستقبلى،فعليه أن يقولها فور تذكره،حيث يعوّض بذلك عمّا مضى منه.

و بعد ذلك جاء قوله تعالى: وَ قُلْ عَسىٰ أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هٰذٰا رَشَداً .

## بحوث

### اشاره

#### ۱-قوله تعالى: رَجْماً بِالْغَيْبِ

كلمه(رجم)تعنى فى الأصل الحجاره أو رمى الحجاره،ثمّ أطلقت بعد ذلك على أى نوع من أنواع الرمى.و تستخدم فى بعض الأحيان كنايه عن(الاتهام)أو (الحكم استنادا إلى الظن و الحدس).و كلمه(بالغيب)تأكيدا لهذا المعنى،يعنى لا تحكم بدون الاستناد على مصدر أو علم.

#### ۲-الواو فى قوله: وَ ثٰامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ

فى الآيات أعلاه وردت جمله رٰابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ و سٰادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ بدون



---

۱- ۱) -يجب الانتباه إلى أنّه طبقا للتفسير الأوّل فإنّ هناك جمله مقدّره و هى(أن تقول)و يصبح المعنى بعد التقدير(إلاّ أن تقول إن شاء اللّه)أمّا وفقا للتفسير الثّانى فليس ثمّه حاجه لهذا التقدير.

(واو)فی حین أنّ جمله وَ ثٰامِنُهُمْ کَلْبُهُمْ بـدأت بـالواو.و لأنّ جمیع تعـابیر القرآن تنطوی علی ملاحظات و مغاز،لـذلک نری أنّ المفسّرین بحثوا کثیرا فی معنی هذه الواو.

و لعل أفضل تفسـیر لها هو ما قیل من أنّ هـذه(الواو)تشـیر إلی آخر الکلام و آخر الحدیث،کما هو شائع اسـتخدامه فی أسـلوب التعبیر الحـدیث،إذ توضع الواو لآخر شـیء من مجموعه الأشـیاء التی تـذکر مثلا نقول(جاء زیـد،عمر، حسن،و محمّد)فهذه الواو إشاره إلی آخر الکلام و تبیّن الموضوع و المصداق الأخیر.

هذا الکلام منقول عن المفسّر المعروف(ابن عبّاس)،و قد أیده بعض المفسّرین،و استفادوا من هذه(الواو)لتأیید القول فی أنّ عدد أصحاب الکهف الحقیقی هو سبعه،حیث أنّ القرآن بعد ذکر الأقوال الباطله،أبان فی الأخیر العدد الحقیقی لهم.

البعض الآخر من المفسّرین کـالقرطبی و الفخر الرازی ذکروا رأیـا آخر فی تفسـیر هـذه(الواو)و خلاصـته:«إنّ العـدد سـبعه عند العرب عـدد کامل،و لـذلک فإنّهم یعـدّون حتی السـبعه بـدون واو.أمّا بمجرّد أن یتجاوزوا هذا العدد فإنّهم یأتون بالواو التی هی دلیل علی بدایه الکلام و الاستئناف.لذلک تعرف(الواو)هذه عند الأدباء العرب بأنّها(واو الثمانیه)».

و فی الآیـات القرآنیه غالبا ما یواجهنا هـذا الموضوع،فمثلا الآیه(۱۱۲)من سوره التوبه عنـد ما تعدّد صـفات المجاهدین فی سبیل اللّه تـذکر سـبع صـفات بـدون واو و عنـد ما تذکر الصـفه الثامنه فإنّها تذکرها مع الواو فتقول: وَ النّٰاهُونَ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ الْحٰافِظُونَ لِحُدُودِ اللّٰهِ .

و فی الآیه(۵)من سوره التحریم،تذکر الآیه فی وصف نساء النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم سبع صفات ثمّ تذکر الثّامنه مع الواو حیث تقول: ثَیِّبٰاتٍ وَ أَبْکٰاراً .

و فى الآيه(٧١)من سوره الزمر التى تتحدّث عن أبواب جهنّم تقول:

فُتِحَتْ أَبْوٰابُهٰا إلاّ أنّها و بعد آيتين و عند الحديث عن أبواب الجنه تقول الآيه:

وَ فُتِحَتْ أَبْوٰابُهٰا .أليس ذلك بسبب أنّ أبواب النار سبعه،و أبواب الجنّه ثمانيه؟ طبعا قد لا يكون هذا تعبيرا عن قانون كلّى،و لكنّه-فى الأغلب-يعبّر عن ذلك.فى كل الأحوال يظهر من ذلك أنّ حرف(الواو)و هو مجرّد حرف،له حساب خاص فى الاستعمال و يظهر حقيقه معينه.

### ٣-المسجد إلى جوار المقبره

ظاهر تعبير القرآن أنّ أصحاب الكهف ماتوا أخيرا و دفنوا،و كلمه«عليهم» تؤيّد هذا القول.بعد ذلك قرّر محبّوهم بناء مسجد بجوار مقبرتهم،و قد ذكر القرآن هذا الموضوع فى الآيات أعلاه بلهجه تنم عن الموافقه،و هذا الأمر يدل على أنّ بناء المساجد لاحترام قبور عظماء الدين ليس أمرا محرما-كما يظن ذلك الوهابيون-بل هو عمل حلال و محبّذ و مطلوب.

و عاده فإنّ بناء الأضرحه التى تخلّد الأشخاص الكبار أمر شائع بين أمم العالم و شعوبه،و يبيّن جانب الاحترام لمثل هؤلاء الأشخاص،و تشجيع لمن يأتى بعدهم،و الإسلام لم ينه عن هذا العمل،بل أجازه و أقرّه.

إنّ وجود مثل هذه الأبنيه سند تأريخى للتدليل على وجود هذه الشخصيات و الرموز و على منهجها و مواقفها،و لهذا السبب فإنّ الأنبياء و الشخصيات الذين هجرت قبورهم فإنّ تأريخهم أمسى موضعا للشك و الاستفهام.

و يتّضح من ذلك أيضا أن ليس هناك تضاد بين بناء المساجد و الأضرحه و بين قضيه التوحيد و اختصاص العباده باللّه تعالى،بل هما موضوعان مختلفان.

بالطبع هناك بحوث كثيره حول هذا الموضوع فليراجع إلى مظانها.

ص:٢٣١

### ۴-کل شیء یعتمد علی مشیئته تعالی

إنّ ذکر جمله(إن شاء اللّه)عند اتّخاذ القرارات المرتبطه بالمستقبل لیس نوعا من الأدب فی محضر الخالق جلّ و علا و حسب،بل هو بیان لحقیقه أنّنا لا نملک شیئا من عندنا،بل هو من عنده تعالی،و کلنا نعتمد و نستند إلیه لأنّه هو المستقل بالذات فقط،فلو تحرکت کل السکاکین و الشفرات فی العالم لتقطع عرقا واحدا فإنّها لا تستطیع من دون إذنه تعالی.

إنّ هذه الحقیقه هی نفسها(توحید الأفعال)ففی الوقت الذی یملک الإنسان حریته و إرادته،فإنّ تحقق أی شیء و أی عمل إنّما یرتبط بمشیئه الخالق جلّ و علا.

إنّ تعبیر(إن شاء اللّه)یزید من توجهنا نحو اللّه تبارک و تعالی،و یمنحنا القوّه و القدره علی الإنجاز،و هو مدعاه إلی تزکیه و طهاره و صحه الأعمال أیضا.

و نستفید من بعض الرّوایات أنّ الإنسان إذا ذکر کلاما عن المستقبل بدون ذکر(إن شاء اللّه)فإنّ اللّه سوف یکله إلی نفسه و یخرجه من مظله حمایته (۱) .

و

فی حدیث عن الإمام الصادق علیه السّلام نقرأ أنّه علیه السّلام أمر یوما بکتابه رساله، و عند ما جاؤوا بالرساله إلیه وجدها خالیه من کلمه(إن شاء اللّه)فقال علیه السّلام:«کیف رجوتم أن یتمّ هذا و لیس فیه استثناء،انظروا کل موضع لا یکون فیه استثناء فاستثنوا فیه».

### ۵-الإجابه علی سؤال

قرأنا فی الآیات-محل البحث-أنّ اللّه یخاطب رسوله بقوله: وَ اذْکُرْ رَبَّکَ إِذٰا نَسِیتَ (۲) و هی إشاره إلی أنک عند ما تنسی ذکر(إن شاء اللّه)و تتذکر بعد ذلک



---

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۳،ص ۲۵۳ و ۲۵۴.

۲- ۲) -المصدر السّابق.

فعلیک باستدراک الأمر بذکر(إن شاء اللّه).

و فی الأحادیث العدیده الوارده عن أهل البیت علیهم السّلام-فی تفسیر الآیه-هناک تأکید علی هذا الموضوع حتی بعد مرور سنه إذا تذکرت فعلیک أن تقول(إن شاء اللّه)عوضا عمّا فاتک و عمّا نسیته (۱) .

و الآن قد یطرح هذا السؤال و هو:إذا جاز نسبه النسیان إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی حین أنّ الناس یعتمدون علی أقواله و أعماله،فکیف یستقیم ذلک مع دلیل عصمه الأنبیاء و الرسل و الأئمّه من الخطأ و النسیان؟ و لکن ینبغی الالتفات الی أنّ الکثیر من الآیات القرآنیه یکون الحدیث فیها موجها إلی الرسل فی حین أنّ المعنیّ بها عامّه الناس،و هی کما یقول المثل العربی،«إیاک أعنی و اسمعی یا جاره».

بعض المفکرین الکبار ذکروا جوابا علی هذا السؤال أوردناه فی نهایه الحدیث عن الآیه(۶۸)من سوره الأنعام.



---

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۳،ص ۲۵۴ فما بعد.

## الآیات [سوره الكهف (۱۸): الآیات ۲۵ الی ۲۷]

### اشاره

وَ لَبِثُوا فِی كَهْفِهِمْ ثَلاٰثَ مِائَهٍ سِنِینَ وَ اِزْدَادُوا تِسْعاً (۲۵) قُلِ اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا لَبِثُوا لَهُ غَیْبُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَ أَسْمِعْ مٰا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لاٰ یُشْرِكُ فِی حُكْمِهِ أَحَداً (۲۶) وَ اُتْلُ مٰا أُوحِیَ إِلَیْكَ مِنْ كِتٰابِ رَبِّكَ لاٰ مُبَدِّلَ لِكَلِمٰاتِهِ وَ لَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً (۲۷)

### التّفسیر

### اشاره

#### نوم أصحاب الكهف:

من القرائن الموجوده فی الآیات السابقه نفهم إجمالا- أنّ نوم أصحاب الكهف كان طویلا- جدّا.هذا الموضوع یثیر غریزه الاستطلاع عند كل مستمع،إذ یرید أن یعرف كم سنه بالضبط استمرّ نومهم؟ فی المقطع الأخیر من مجموعه الآیات التی تتحدث عن أصحاب الكهف، تبعد الآیات الشك عن المستمع و تقول له:

وَ لَبِثُوا فِی کَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَهٍ سِنِینَ وَ ازْدَادُوا تِسْعاً

(۱)

.

و وفقا للآیه فإنّ مجموع نومهم و بقائهم فی الکهف هو(۳۰۹)سنه.و البعض یری أن ذکر ثلاثمائه و تسعه مفصوله بدلا عن ذکرها فی جمله واحده،یعود إلی الفرق بین السنین الشمسیه و السنین القمریه حیث أنّهم ناموا(۳۰۰)سنه شمسیه،و بالقمری تعادل(۳۰۹).و هذا من لطائف التعبیر حیث أوجز القرآن بعباره واحده صغیره،حقیقه کبیره تحتاج إلی شرح واسع (۲) .

و من أجل وضع حد لأقاویل الناس حول مکثهم فی الکهف تؤکّد الآیه: قُلِ اللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا لَبِثُوا لماذا؟لأن: لَهُ غَیْبُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ .

و الذی یعرف خفایا و ظواهر عالم الوجود و یحیط بها جمیعا،کیف لا یعرف مدّه بقاء أصحاب الکهف: أَبْصِرْ بِهِ وَ أَسْمِعْ (۳) و لهذا السبب فإنّ سکان السماوات و الأرض: مٰا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِیٍّ .

أمّا من هو المقصود بالضمیر(هم)فی(مالهم)فقد ذکر المفسّرون أقوالا کثیره،إذا یعتقد البعض أنّها اشاره إلی سکان السماوات و الأرض،أمّا البعض الآخر فیعتقد أن الضمیر إشاره إلی أصحاب الکهف،بمعنی أنّ أصحاب الکهف لا یملکون ولیا من دون اللّه،فهو الذی تولاهم فی حادثه الکهف،و قام بحمایتهم.

و لکن بالنظر إلی الجمله التی قبلها،یکون التّفسیر الأوّل أقرب.

و فی نهایه الآیه یأتی قوله تعالی: وَ لاٰ یُشْرِکُ فِی حُکْمِهِ أَحَداً .هذا الکلام هو فی الحقیقه تأکید علی الولایه المطلقه للخالق جلّ و علا،إذ لیس هناک قدره



---

۱- ۱) -طبقا للقواعد النحویه یجب أن تأتی کلمه(سنه)و التی هی مفرد بدلا من(سنین)التی هی جمع،و لکن بما أن النوم کان طویلا للغایه،و عدد السنوات کثیرا،لذا ذکرت الکلمه بصیغه الجمع حتی توضّح الموضوع و تبیّن کثرته.

۲- ۲) -الفرق بین السنه الشمسیه و القمریه هو(۱۱)یوم تقریبا،فإذا ضربنا ذلک(۳۰۰)و قسمنا الناتج علی عدد أیّام السنه القمریّه أی علی(۳۵۴)یکون العدد(۹)طبعا یبقی باق قلیل،أهمل لأنّه لا یصل إلی السنه الکامله.

۳- ۳) -جمله أَبْصِرْ بِهِ وَ أَسْمِعْ هی صیغه تعجّب،تبیّن لنا عظمه علم الخالق جلّ و علا،و المعنی أنّه بصیر سمیع بحیث أنّ الإنسان یعجب من ذلک.

أخرى لهـا حق الولايه المطلقه على العالمين،و لا يوجـد شـريک له تعالى فى ولايته،يعنى ليس ثمّه قـدره أخرى غير اللّه لها حق الولايه فى العالم، لا بالاستقلال و لا بالاشتراک.

و فى آخر آيه يتوجّه الخطاب إلى الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يقول اللّه له: وَ اتْلُ مٰا أُوحِيَ إِلَيْکَ مِنْ كِتٰابِ رَبِّکَ .أى لا تعر أيه أهميه إلى أقوال الآخرين المخلوطه بالكـذب و الخرافه و الوضع،يجب أن يكون اعتمادک فى هذه الأمور على الوحى الإلهى فقط. لأنّه لا يوجد شيء يستطيع أن يغيّر كلامه تعالى: لاٰ مُبَدِّلَ لِكَلِمٰاتِهِ .

فكلاـم اللّه تعـالى و علمه ليس من سـنخ علم الإنسان الـذى يخضع يوميا للتغيّر و التبـديل بسـبب الاكتشافات الجديـده و المعرفه الحديثه.لذلک لا يمكن الاعتماد عليها و الركون إليها مائه فى المائه،و لهذه الأسباب: وَ لَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً .

«ملتحد»مشتقّه من«لحد»على وزن«مهد»و هى الحفره التى يميل وسطها إلى أحد الأطراف(كاللحد الذى يحفر لقبر الإنسان).

و لهذا السبب يقال للمكان الذى يميل إليه الإنسان(ملتحد)،ثمّ استخدمت بعد ذلک بمعنى«ملجأ».

و من المهم أن نلاحـظ أنّ الآـيتين الأـخيرتين بينتـا إحـاطه علم الخالق جلّ و علا بجميع كائنات الوجود،و ذلک من خلال عـدّه طرق.

*فى البدايه تبيّن الآيات:أنّ غيب السماوات و الأرض من عنده،و لهذا فهو تعالى محيط بها جميعا.

*ثمّ تضيف:إنّه سميع و بصير لأقصى حد و لأبلغ غايه.

*مرّه أخرى تقول:إنّه الولى المطلق،و إنّه أعلم الجميع.

*ثمّ تضيف مرّه أخرى:لا يشاركه أحد فى حكمه حتى يتحدّد علمه أو معرفته.

*ثمّ تقول:لا يتغيّر و لا يتبدّل علمه و كلامه.

*و فى آخر جمله تقول الآيه:أنّه تعالى هو الملجأ الوحيد فى الوجود لا سواه نعلمه محيط بكلّ اللاجئين إليه سبحانه و تعالى.

## بحوث

## اشاره

### ۱-قصّه أصحاب الكهف فى الرّوايات الإسلاميه

هناك روايات كثيره فى المصادر الإسلاميه حول أهل الكهف،و لكن بعضها لا يعتمد عليها لضعف فى سندها،و البعض الآخر تتضاد و تختلف فيما بينها.

و من الرّوايات المختلفه اخترنا روايه على بن إبراهيم القمى التى ينقلها فى تفسيره،و قد لاحظنا فى هذه الرّوايه أنّها الأفضل من حيث المتن و المضمون الذى يتناسق مع الآيات القرآنيه.

فى روايه على بن إبراهيم عن الإمام الصادق عليه السّلام قال: «إنّ أصحاب الكهف و الرقيم كانوا فى زمن ملك جبّار عات،و كان يدعو أهل مملكته إلى عباده الأصنام فمن لم يجبه قتله،و كانوا هؤلاء قوما مؤمنين يعبدون اللّه عزّ و جلّ،و وكل الملك بباب المدينه و كلاء و لم يدع أحدا يخرج حتى يسجد للأصنام،فخرج هؤلاء بعله الصيد،و ذلك أنّهم مرّوا براع فى طريقهم فدعوه إلى أمرهم فلم يجبهم و كان مع الراعى كلب،فأجابهم الكلب و خرج معهم،فقال الصادق عليه السّلام:لا يدخل الجنه من البهائم إلا ثلاثه حمار بلعم بن باعور،و ذئب يوسف عليه السّلام و كلب أصحاب الكهف.

فخرج أصحاب الكهف من المدينه بعلّه الصيد هربا من دين ذلك الملك،فلمّا أمسوا دخلوا إلى ذلك الكهف،و الكلب معهم فألقى اللّه عزّ و جلّ عليهم النعاس،كما قال اللّه تبارك و تعالى: فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً فناموا حتى أهلك اللّه عزّ و جلّ الملك و أهل مملكته و ذهب ذلك الزمان،و جاء زمان آخر و قوم

آخرون ثمّ انتبهوا،فقال بعضـهم لبعض:كما نمناها هنا فنظروا إلى الشمس قد ارتفعت فقالوا:نمنا يوما أو بعض يوم.ثمّ قالوا لواحد منهم:خـذ هـذه الورق و ادخل فى المدينه متنكرا لا يعرفوک فاشتر لنا،فإنّهم إن علموا بنا و عرفونا قتلونا أو ردّونا فى دينهم،فجاء ذلـک الرجـل فرأى المـدينه بخلاـف الـذى عهـدها،و رأى قومـا بخلاـف أولئـک لـم يعرفهـم و لـم يعرفـوا لغتهـم،و لـم يعرف لغتهم،فقـالوا له:من أنت و من أين جئت،فـأخبرهم فخرج ملـک تلـک المـدينه مع أصـحابه،و الرجل معهم حتى وقفوا على باب الكهـف،فـأقبلوا يتطلعـون فيـه فقـال بعضـهم:هؤلاـء ثلاـثه و رابعهـم كلبهم، و قـال بعضـهم:هم خمسه و سادسـهم كلبهم،و قـال بعضـهم:هم خمسه و سادسـهم كلبهم،و قـال بعضـهم:هم سـبعه و ثـامنهم كلبهم،و حجبهم اللّه عزّ و جلّ بحجاب من الرعب فلم يكن أحد يقدم بالدخول عليهم غير صاحبهم فإنّه لمّا دخل عليهم وجدهم خائفين أن يكون أصحاب[الملک]

«دقيـانوس»شـعروا بهم،فـأخبرهم صـاحبهم أنّهم كـانوا نـائمين هـذا الزمن الطويـل،و أنّهم آيه للنـاس،فبكوا و سألوا اللّه تعالى أن يعيدهم إلى مضاجعهم نائمين كما كانوا،ثمّ قال الملک:«ينبغى أن يبنى هنا مسجد و نزوره،فإنّ هؤلاء قوم مؤمنون».

و هنـا أضـاف الإمـام عليه السّـلام:فلهم فى كـل سـنه نقله،نقلتان،ينامون سـته أشـهر على جنبهم الأيمن،و سـته أشـهر على جنبهم الأيسر،و الكلب معهم قد بسط ذراعيه بفناء الكهف» (۱) .

و

فى روايه أخرى عن الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّـلام ورد حديث مفصّل عن قصّه أصـحاب الكهف مفاده ما يلى:

لقـد كان هؤلاء فى الأصل سـته نفر اتّخـذهم(ديقيانوس)وزراءه،فأقام ثلاثه عن يمينه و ثلاثه عن يساره،و اتّخذ لهم عيدا فى كل سنه مرّه،فبينا هم ذات يوم فى عيد و البطارقه عن يمينه و الهراقله عن يساره،إذ أتاه بطريق فأخبره أنّ



---

۱- ۱) -نور الثقلين،ج ۳،ص ۲۴۷-۲۴۸.

عساکر الفرس قد غشیته،فاغتمّ لذلک حتی سقط التاج عن رأسه،فنظر إلیه أحد الثلاثه الذین کانوا عن یمینه و یقال له(تلمیخا)فقال فی نفسه:لو کان (دیقیانوس)إلها کما یزعم إذا ما کان یغتم و ما کان یبول و لا یتغوّط،و ما کان ینام، و لیس هذا من فعل الإله.

و قد کان هؤلاء الوزراء السته یجتمعون کل یوم عند أحدهم،و کانوا ذلک الیوم عند(تلمیخا)فاتّخذ لهم من طیّب الطعام ثمّ قال لهم:یا إخوتاه،قد وقع فی قلبی شیء منعنی الطعام و الشراب و المنام.قالوا:و ما ذاک یا تلمیخا؟قال:أطلت فکری فی هذه السماء فقلت من رفع سقفها محفوظه بلا عمد و لا علاقه من فوقها،و من أجری فیها شمسا و قمرا،آیتین مبصرتین،و من زیّنها بالنجوم!ثمّ أطلت الفکر فی الأرض فقلت:من سطحها علی صمیم الماء الزخّار،و من حبسها بالجبال أن تمید علی کل شیء؟و أطلت فکری فی نفسی من أخرجنی جنینا من بطن أمی و من غذّانی و من ربّانی؟إنّ لها صانعا و مدبرا غیر(دیقیانوس الملک)، و ما هو إلاّ ملک الملوک و جبّار السماوات.

فانکب الفتیه(الوزراء)علی رجلیه یقبلونها و قالوا:بک هدانا اللّه تعالی من الضلاله إلی الهدی فأشر علینا.وهنا وثب(تملیخا)فباع تمرا من حائط له بثلاثه آلاف درهم و صرّها فی ردائه و رکبوا خیولهم و خرجوا من المدینه، فلما ساروا ثلاثه أمیال قال لهم تملیخا:یا إخوتاه جاءت مسکنه الآخره و ذهب ملک الدنیا، انزلوا عن خیولکم و امشوا علی أرجلکم لعلّ اللّه أن یجعل لکم من أمرکم فرجا و مخرجا،فنزلوا عن خیولهم و مشوا علی أرجلهم سبعه فراسخ فی ذلک الیوم، فجعلت أرجلهم تقطر دما.

و هنا استقبلهم راع،فقالوا:یا أیّها الراعی هل من شربه لبن أو ماء؟فقال الراعی:عندی ما تحبّون،و لکن أری وجوهکم وجوه الملوک،و ما أظنّکم إلاّ هرّابا من«دیقیانوس»الملک.

ص:۲۳۹

قالوا:یا أیّها الراعی لا یحلّ لنا الکذب أ فینجینا منک الصدق؟فأخبروه بقصّتهم،فانکب الراعی علی أرجلهم یقبلها و یقول:یا قوم لقد وقع فی قلبی ما وقع فی قلوبکم،و لکن أمهلونی حتی أردّ الأغنام علی أربابها و ألحق بکم، فتوقفوا له،فردّ الأغنام،و أقبل یسعی یتبعه الکلب...فنظر الفتیه(الوزراء)إلی الکب و قال بعضهم:إنّا نخاف أن یفضحنا بنباحه،فألحّوا علیه بالحجاره،فأنطق اللّه تعالی جلّ ذکره،الکلب[قائلا]

:ذرونی حتی أحرسکم من عدوّکم.

فلم یزل الراعی یسیر بهم حتی علا بهم جبلا،فانحطّ بهم علی کهف یقال له (الوصید)فإذا بفناء الکهف عیون أشجار مثمره فأکلوا من الثمر،و شربوا من الماء، و جنّهم اللیل، فآووا إلی الکهف و ربض الکلب علی باب الکهف و مدّ یدیه علیه، فأوحی اللّه تعالی إلی ملک الموت بقبض أرواحهم.(فأنامهم اللّه نوما طویلا و عمیقا) (۱) .

و فیما یخص دیقیانوس قال بعض المفسّرین:إنّه کان امبراطور الروم و حکم منذ عام ۲۴۹-۲۵۱ میلادی،و قد کان عدوا شدیدا للمسیحیین،و کان یؤذیهم و یعذبهم،و ذلک قبل اعتناق ملک الروم لدین المسیحیه.

### ۲-أین کان الکهف؟

للمفسّرین و العلماء کلام کثیر حول أصحاب الکهف،أین کانت منطقتهم؟ و أین یقع الکهف الذی مکثوا فیه؟ و هنا ینبغی أن نلاحظ أنّه بالرغم من أنّ العثور علی المکان الدقیق لهذه الحادثه لا یؤثّر کثیرا علی أصل القصّه و دروسها التربویه و أهمیتها التأریخیه، و بالرغم من أنّ هذه القصّه لیست الوحیده التی نعرف أصلها و لا نعرف بعض جزئیاتها و تفصیلاتها،إلاّ أنّ معرفه محل الحادث یساعدنا حتما فی فهم أکثر



---

۱- ۱) -سفینه البحار،ج ۲،ص ۳۸۲ ماده فکر.

لخصوصیات هذه القصّه.

علی أیه حال هناک قولان راجحان من بین الاحتمالات الکثیره المطروحه عن مکان الکهف،یمکن أن نجملهما بما یلی:

أوّلا:إنّ هذه الحادثه وقعت فی مدینه(أفسوس)و هذا الکهف کان یقع بالقرب منها.

و یمکن فی الوقت الحاضر مشاهده خرائب هذه المدینه بالقرب من مدینه (أزمیر)الترکیه،و بالقرب من قریه(أیاصولوک)فی جبال(ینایرداغ)حیث یوجد کهف لا یبتعد کثیرا عن(أفسوس).

إنّ هذا الکهف هو غار وسیع،و یقال بأنّه یمکن فی داخله مشاهده آثار مئات القبور،و یعتقد الکثیرون بأنّ هذا الغار هو غار أصحاب الکهف.

و قد نقل من شاهد الکهف أنّ فتحه الغار باتجاه الشمال الشرقی،و قد کان هذا الموقع سببا فی ترجیح شک بعض المفسّرین الکبار بکون هذا المکان هو غیر غار أصحاب الکهف،فی حین أنّ هذا الوضع یؤید صحه الموضوع و یرجح کون الغار هو الکهف المقصود لأنّ دلاله أن تکون الشمس عند الشروق علی یمین الغار،و عند الغروب علی یساره،هو أن تکون فتحه الغار باتجاه الشمال أو تمیل قلیلا نحو الشمال الشرقی.

بالطبع لا یقلّل من صحه الموضوع عدم وجود مسجد أو معبد إلی جانبه، حیث یمکن أن تکون آثاره قد اندثرت بعد مرور حوالی(۱۷)قرن علی الحادث.

ثانیا:یقع الغار بالقرب من(عمّان)عاصمه الأردن،و بالقرب من قریه تسمّی «رجیب».

و یمکن مشاهده آثار صومعه فوق الغار تعود-وفقا لبعض القرائن-إلی القرن الخامس المیلادی،حیث تحوّلت إلی مسجد ذی محراب و مئذنه بعد

سیطره المسلمین علی ذلک المکان.

### ۳-الجوانب التربویه لقصّه أهل الکهف

هـذه القصّه التـأریخیه العجیبه التی یـذکرها القرآن خالیه من أی خرافه أو وضع،و فیها العدیـد من الـدروس التربویه البنّاءه،تماما کما فی قصـص القرآن الأخری،و إذا کنّا قد أشـرنا إلی هذه الدروس ضـمن تفسـیر الآیات،فإنّنا نری من الضروری الآن أن نشیر إلیها بشکل مجمل حتی نقترب أکثر من الهدف الأساس للقرآن،و فیما یلی أبرز هذه الدروس:

أ:إنّ أول دروس هـذه القصّه هو تحطیم حـاجز التقلیـد،و الابتعـاد عن التلوّن بلون المجتمع الفاسـد.فهؤلاء الفتیه حـافظوا-کمـا لا حظنا- علی استقلالهم الفکری فی قبال الأکثریه المنحرفه المحیطه بهم،و هذا الأمر أصبح سببا فی نجاتهم و تحرّرهم.

و ینبغی للإنسان أن یکون له تأثیر بناء علی مجتمعه لا أن یکون مسایرا له.

ب:الهجره من الأوساط المنحرفه درس آخر فی هذه القصّه ذات العبر،فهم قد ترکوا بیوتهم و حیاتهم المرفّهه الملیئه بألوان النعم المـادیه،و ترکوا مناصبهم، و رضوا بـأنواع الصـعوبات و أشـکال الحرمـان-فی الغار الـذی کان یفتقـد کل شـیء- لکی یحفظوا إیمانهم،و لا یکونوا من عوامل و أعوان جهاز الظلم و الجور و الکفر و الشرک (۱) .

ج:التقیه بمعناها البنّاء درس آخر نستفیده من هذه القصّه،لقد کانوا یصرون علی عدم اطّلاع أهل المدینه علی حالهم و خبرهم،و احتاطوا لیبقی أمرهم و حالهم مخفیا،حتی لا یخسروا أنفسهم بدون سبب،و کی یتجنبوا أن یجبروا



---

۱- ۱) -من أجل المزید من التفاصـیل حول مسأله الهجره و فلسـفتها فی الإسـلام یمکن مراجعه ما جاء فی تفسیر الآیه (۱۰۰)من سوره النساء من تفسیرنا هذا.

على الرجوع إلى المحيط المنحرف الذى تخلّصوا منه.

و نحن نعرف أنّ التقيه ليست سوى أن يتكتم الإنسان على حقيقه أمره فى الأماكن و المواقف التى لا يرتجى منها فائده فى ذكر الحقيقه،بل تكون سببا للضرر.و التقيه وقايه للنفس و احتفاظ بقوّه الإنسان لوقت جهاد العدو حيث لا تقيه (۱) .

د:عدم وجود تفاوت بين الناس و هم فى طريق اللّه،فالوزير كان إلى جانب الراعى،بل كان الاثنان إلى جانب الكلب كان يقوم بالحراسه.و هذا درس آخر يتّضح من خلاله أنّ امتيازات الدنيا الماديه،و المناصب المختلفه ليس لها أدنى نصيب أو تأثير على تصنيف الناس من أهل الحق و سالكيه،إذ الكل فيه سواء..

إنّ طريق الحق هو طريق التوحيد،و طريق التوحيد هو طرق وحده جميع الناس.

ه:الإمدادات الإلهيه العجيبه عند ظهور المشاكل،هى نتيجه أخرى يجب الاعتبار بها،فقد رأينا كيف قام الخالق جلّ و علا بإنامه أصحاب الكهف كل تلك المدّه الطويله،من أجل إنقاذهم من تلك الظروف الاجتماعيه الصعبه التى كانت تحيط بهم.

و قد أيقظهم جلّ و علا فى الوقت المناسب،أى فى الوقت الذى أصبحوا رمزا من رموز التوحيد،و قد رأينا-كشكل من أشكال العنايه-كيف أنّ اللّه تعالى حفظ أجسادهم خلال هذه المدّه من تأثيرات الأحداث و العوامل المختلفه، و جعل من الرعب و الخوف أسلوبا للحفاظ عليهم فى قبال أعدائهم.

و:لقد تعلّمنا من أصحاب الكهف قيمه(طهاره الطعام)حتى فى أصعب الظروف و أدقّها،لأنّ طعام الإنسان له آثار عميقه فى روحه و فكره و قلبه، و عند ما يختلط الطعام بالحرام و النجاسه،يبتعد الإنسان عن طريق اللّه؛طريق



---

۱- ۱) -حول كون التقيه أسلوبا للدفاع و الوقايه،يمكن مراجعه ما ذكرناه لدى تفسير الآيه(۶۲)من سوره يونس من تفسيرنا هذا،و كذلك ملاحظه الملاكات الفقهيه لهذه المسأله فى كتابنا«القواعد الفقهيه».

التقوى.

ز:ضروره الاعتماد على مشيئه اللّه و طلب العون من لطفه تعالى:و قول(إن شاء اللّه)فى كل ما يتعلق بأمور المستقبل..درس آخر نتعلمه من قصّه أصحاب الكهف.

ح:لقد رأينا أنّ القرآن سمّاهم:ب(الفتيه)فى حين أنّهم-طبقا للرّوايات-لم يكونوا شبابا من حيث العمر،و إذا عرفنا أنّهم كانوا فى البدايه وزراء الملك الجبار،يتأكد لنا أنّهم لم يكونوا صغارا من حيث العمر.و لكن تسميه القرآن لهم ب(الفتيه)للدلاله على صفات الشهامه و الرشد و الطهر و الفتوه العفو و التسامح.

ط:ضروره النقاش المنطقى مع المعارضين درس آخر نستفيده من قصّه أصحاب الكهف،حيث إنّهم عند ما أرادوا دحض الشرك الذى عليه مجتمعهم، ذكروا أدله منطقيه قرأنا نماذج لها فى الآيات(١۵-١۶)من هذه السوره.

إنّ أساس عمل جميع الأنبياء و القاده الإلهيين مع أعدائهم و معارضين يستند -فى العاده-إلى قاعده الحوار المنطقى و النقاش الحر.أمّا استخدام القوه لأجل القضاء على الفتنه فهو أمر يلجأ إليه عند ما تفشل الحجه فى أداء وظيفتها،أو عند ما يقوم الخصم بعرقله النقاش المنطقى.

ى:و أخيرا،فإنّ إمكانيه المعاد الجسمانى و عوده الناس إلى الحياه مرّه أخرى عند البعث،يعتبر عاشر و آخر درس نستفيده من هذه القصّه،و سنقرأ عنه تفصيلا فى بحوث قادمه إن شاء اللّه تعالى.

إنّنا لا نستطيع القول بأنّ الدروس التربويه فى قصّه أصحاب الكهف تقتصر على ما ذكرناه،و لكنّا نعتقد أنّه حتى لو كان هناك درس واحد نستفيده من هذه القصه لكفانا ذلك،فكيف بنا و أمامنا هذه الدروس الكثيره؟! على أيه حال،إنّ هدف القرآن ليس قص القصص لغرض التسليه،بل بناء الناس المقاومين المؤمنين الشجعان الواعين،و أحد الطرق لذلك هو ذكر نماذج أصيله مما حدث طوال التأريخ البشرى المليء بالحوادث و المواقف.

### ۴-هل أنّ قصّه أصحاب الكهف علميه؟

من المسلّم به أنّ قصّه أصحاب الكهف لم تكن مذكوره فی أی من الكتب السماويه السابقه(سواء الكتب الأصليه أو المحرّفه الموجوده الآن)و يجب أن لا تذكر،لأنّ الحادثه-طبقا للتأريخ العام-كانت قد وقعت فی القرون التی تلت ظهور المسيح عيسى عليه السّلام.

إنّ حادثه أصحاب الكهف وقعت فی زمان«دكيوس»(التی تعرّب بديقيانوس)حيث تعرّض المسيحيون فی عصره إلی تعذيب شديد.

و يقول المؤرخون الأوربيون:إنّ هذه الحادثه وقعت فی الفتره من ۴۹- ۲۵۱ ميلادی،و بذلك يری هؤلاء المؤرخون أنّ مدّه نوم أصحاب الكهف لم تستغرق سوی(۱۵۷)سنه، و يطلقون عليهم لقب(النائمون السبعه لأفسوس)فی حين أنّهم يعرفون بيننا بأصحاب الكهف (۱) .

و الآن لنتعرف أين تقع(أفسوس)هذه؟و من أوّل عالم كتب كتابا عن قصّه هؤلاء السبعه النائمين؟و فی أی قرن حصل ذلك؟ (أفسوس)أو(أفسس)بضم الألف و السين،هی واحده من مدن آسيا الصغری(تركيا الحاليه التی هی جزء من مملكه الروم الشرقيه القديمه)و تقع بالقرب من نهر(كاستر)و علی بعد(۴۰)ميلا تقريبا جنوب شرقی(أزمير)حيث كانت عاصمه الملك(الونی).

و قد اشتهرت(أفسوس)بسبب معبدها الوثنی المعروف ب«أرطاميس» الذی يعتبر أحد عجائب الدنيا السبع (۲) .

و يقولون:إنّ قصه أصحاب الكهف شرحت لأول مرّه فی رساله باللغه السريانيه كتبها عالم مسيحی يسمی(جاك)الذی كان رئيسا للكنيسه السوريه،

ص: ۲۴۵

---

۱- ۱) -أعلام القرآن،ص ۱۵۳.

۲- ۲) -الكلام مقتبس من كتاب«قاموس الكتاب المقدّس»،ص ۸۷.

و ذلک فی القرن الخامس المیلادی،ثمّ شخص آخر یسمّی«جوجویوس» بترجمه تلک الرساله إلی اللاتینیه و سمّها ب«جلال الشهداء» (1) .و هذا الأمر یبیّن أنّ الحادثه کانت معروفه بین المسیحیین قبل قرن أو قرنین من ظهور الإسلام، و کانت الکنائس تهتم بها.

بالطبع بعض أحداث هذه القصّه-مثل مدّه نوم أصحاب الکهف-تختلف عمّا ورد فی المصادر الإسلامیه،فالقرآن یقول-و بصراحه-بأنّ نومهم کان (۳۰۹)سنه.

من جانب ثان و طبقا لما ینقله یاقوت الحموی فی معجم البلدان(المجلد الثّانی ص ۸۰۶)و طبقا لما ینقله«ابن خردادبه»فی کتاب«المسالک و الممالک» (صفحه ۱۰۶-۱۱۰)و طبقا-أیضا-لما یقوله ابو ریحان البیرونی فی الصفحه (۲۹۰)من کتاب«الآثار الباقیه»:إنّ مجموعه من السوّاح القدماء قد وجدوا غارا فی مدینه(آبس)فیه بعض الأجساد المتیبسه،و قد احتملوا أن هذه الآثار تتعلق بقصّه أصحاب الکهف.

من سیاق الآیات القرآنیه فی سوره الکهف،و أسباب النّزول المذکوره فی المصادر الإسلامیه،نستفید أنّ الحادثه کانت أیضا معروفه بین علماء الیهود، و أنّها کانت عندهم حادثه تأریخیه مشهوره.و بذلک یتّضح-بدقه-أنّ قصّه النوم الطویل لأصحاب الکهف وردت فی المصادر التأریخیه للأقوام المختلفه (2) .

و هنا قد یشکّ البعض فی طول المده التی قضاها أصحاب الکهف فی نومهم، و یعتبر أنّ ذلک لا ینطق مع المعاییر العلمیه،لذلک یضعها فی قسم الأساطیر و القصص الخرافیه(!!)و الذرائع التی یستند إلیها هؤلاء هی:

أوّلا:إنّ هذا العمر الطویل أمر غیر مألوف فی حیاه الأشخاص العادیین



---

۱- ۱) -أعلام القرآن،ص ۱۵۴.

۲- ۲) -المعاد و العالم بعد الموت،ص ۱۶۳-۱۶۵.

المستيقظين،فكيف يصح تصوره لناس نيام؟! ثانيا:إذا اقتنعنا بهذا العمر الطويل بالنسبه للأشخاص العاديين الذين يمارسون الحياه بشكل طبيعى،فإنّ ذلك غير ممكن بالنسبه للنائمين،لأنّ هناك مشكله الطعام و الشراب،إذ كيف يمكن للإنسان أن يبقى طيله هذه المدّه بدون طعام أو شراب،و إذا افترضنا مثلا- أنّ الإنسان يحتاج يوميا إلى كيلو غرام واحد من الطعام أو لتر واحد من الماء،فإنّ أصحاب الكهف كانوا بحاجه،أثناء نومهم، إلى(١٠٠)طن من الطعام و(١٠٠٠٠٠)لتر من الماء،و من الطبيعى أنّ الجسم لا يستطيع خزن كل هذه الأحجام و الكميات من الماء و الطعام.

ثالثا:إذا تجاوزنا كل الأمور السابقه،فسوف تكون أمامنا مشكله جديده، و هى أن جسم الإنسان لا يستطيع أن يبقى كل هذه الفتره الطويله من دون أن تتأثّر أجهزته و تتضرّر بأضرار فادحه.

إنّ هذه الأمور قد تبدو للوهله الأولى مانعا من التصديق بقصّه أصحاب الكهف،فى حين أنّ الأمر ليس كذلك،إذ يمكن مناقشه الأمور السابقه وفقا لما يلى:

أوّلا-لا- تعتبر قضيه العمر الطويل قضيه غير علميه،حيث أنّنا نعلم أنّ طول عمر أى كائن حى ليس لها من الوجهه العلميه ميزان ثابت من حيث المدّه و العمر، بحيث يكون موت الكائن عند هذا الحد المفترض أمرا حتميا.

بعباره أخرى:صحيح أنّ الطاقه الجسميه للإنسان مهمّا بلغت فهى محدوده و لا بدّ أن تنتهى،إلاّ أنّ هذا الكلام لا يعنى أنّ جسم الإنسان-أو أى كائن حى آخر-ليست له قابليه البقاء أكثر من المقدار المألوف و المتعارف عليه.

أى إن المسأله ليست كالقوانين الطبيعيه،فمثلا- الماء يغلى فى درجه حراره (١٠٠)مئويه و يتجمد فى درجه الصفر المئوى،فكذلك الإنسان إذا وصل إلى عمر المائه سنه أو المائه و خمسين سنه فإنّ قلبه سيتوقف عن العمل.

إنّ المسأله ليست على هذه الشاكله،بل إنّ ميزان طول عمر الكائنات الحيه يرتبط ارتباطا كبيرا بوضعهم المعيشى،فعند ما تتغيّر الظروف بالكامل تكون الموازين قابله للتغيير هى الأخرى.

و الدليل على ما نقول،هو أنّنا لم نر أحدا من علماء العالم قد حدّد ميزانا معينا لعمر الإنسان،و من جانب ثان استطاعوا من خلال تجارب مختبريه من زياده عمر بعض الكائنات إلى الضعفين،أو الثلاثه فى بعض الأحيان،و استطاعوا فى أحيان أخرى أن يفعلوا ذلك بنسبه(١٢)مرّه أو أكثر قياسا للعمر المألوف.

و اليوم فإنّ هؤلاء العلماء يأملون بأن الإنسان يمكنه-فى المستقبل و مع ظهور أساليب علميه جديده-أن يعيش عدّه أضعاف عمره الطبيعى.

هذا فيما يخص أصل قضيه طول العمر.

ثانيا:أمّا فيما يخص الطعام و الشراب أثناء فتره النوم الطويل،فنقول:إنّ نوم أصحاب الكهف لو كان عاديا و طبيعيا فنستطيع عندها أن نقبل بالإشكالات و الاعتراضات السابقه.أمّا من الوجهه العلميه فإنّ الأصول العلميه تقول:إنّ حاجه الجسم إلى الطاقه الغذائيه أثناء النوم أقل من حاجته إليها اليقظه،إلاّ أنّ الجسم مع ذلك لا يستطيع أن يدّخر ما يلزمه من طاقه غذائيه لنوم طويل كنوم أصحاب الكهف.

و هنا ينبغى الالتفات إلى أنّ هناك أنواعا من النوم فى عالم الطبيعه تكون فيها حاجه الجسم إلى الغذاء قليله للغايه،كما فى حاله السبات مثلا.

**حاله السبات:**

هناك العديد من الأحياء تنام فى فصل الشتاء و يسمّى نومها علميا ب«السبات».

فى هذا النوع من النوم تتوقف فعاليات الحياه تقريبا،و تكون بأضعف حاله.

فالقلب يتوقف عن العمل تقريبا،و بعباره أصح تكون ضرباته قليله للغايه بحيث لا يمكن الإحساس بها أبدا.

فی هـذه الحالات یمکن تشبیه الجسم بالفرن العظیم الذی لا تبقی فیه بعد انطفائه سوی شـعله أو شـمعه صـغیره دائبه الإشـتغال.و واضـح أنّ الطـاقه التی تحتاجهـا هـذه الأفـران(من النفـط أو غیر)للاشـتعال الطبیعی یعـادل مـا تحتـاجه الشـمعه الصـغیره من طاقه للاشـتعال،لعشـرات أو مئـات السـنین.(یمکن أن نطبّق المثال علی ما نحن فیه فتکون حاله اشـتعال الفرن الطبیعی فی شبیهه بحاله الیقظه،أمّا حاله اشتعال الفرن علی الشعله الصغیره فقط فهی شبیهه بحاله السبات و النوم الطویل).

من جهه أخری یقول العلماء عن سبات بعض الأحیاء:إنّنا إذا أخرجنا إحدی الزواحف و هی فی حاله سبات،فسوف نراها و کأنّها میته،فلا هواء فی رئتیها،و ضـربات القلب ضـعیفه بحیث لا یمکن الإحساس بها.و من بین الحیوانات ذات الـدم البارد نسـتطیع أن نعـدّد الفراشات و الحشـرات و الحلزون و الزحافات و کلها تقوم بحاله السـبات.کما أنّ بعض الحیوانات ذات الأثـدیه (ذات الدم الحار)تقوم بالسـبات أیضا.و فی فتره السـبات تکون الفعالیات الحیاتیه ضـعیفه للغایه،و تقوم الحیوانات السابته باسـتهلاک المواد الدهنیه المخزونه بالجسم بالتدریج» (۱) .

المقصود من کل هـذا العرض هو أن نقول:إنّ هناک نوعا من النوم تکون الحاجه فیه إلی الطعام قلیله جـدّا،و قد تصل النشاطات الحیاتیه فی مثل هذه الحاله إلی درجه الصفر.

و بالمناسـبه،نذکر هنا أنّ هذا الأمر یساعد فی منع تلاشی أعضاء الجسم أو تضرّر الأجهزه الجسمیه،و یعین-أیضا-علی طول عمر الکائن الحی.



---

۱- ۱) -اقتباس عن دائره المعارف الفارسیه الجدیده،ماده(سبات).

إنّ السبات بالنسبه للحيوانات التى لا تستطيع الحصول على غذائها فرصه ثمينه للغايه لكى تديم حياتها عن هذا الطريق.

### نموذج آخر:دفن المرتاضين

فيما يخص المرتاضين يشاهد أنّ بعضهم يتمّ وضعه بالتابوت و يدفن أحيانا تحت التراب لمدّه أسبوع،و ذلك أمام عيون المشاهدين الحيارى التى لا تكاد تصدّق ما ترى،و بعد أن تنتهى المدّه المقرّره يتمّ إخراجه و يجرى له التدليك و التنفس الاصطناعى حتى يعود إلى حالته الطبيعيه.

و حتى لو افترضنا أن حاجه أجسادهم إلى الطعام غير ملحّه،فإنّ الحاجه إلى الأوكسجين حاجه مهمّه للغايه و لا يمكن للجسم التخلّى عنها،إذا نعرف هنا أنّ حساسيه الخلايا المخيه للاوكسجين و حاجتها إليه كبيره للغايه،بحيث إذا حرمت منها لبضعه دقائق فإنّها ستتلف.

و الآن يتساءل:كيف يتحمّل الشخص المرتاض قلّه الأوكسجين مثلا لمدّه قد تصل إلى حدود الأسبوع؟ الجواب على هذا السؤال-و مع مراعاه ما ذكرناه قبل قليل-ليس بالأمر الصعب،ففى هذه المدّه تتوقف(تقريبا)الفعاليات الحياتيه لجسم المرتاض،لذا فإنّ حاجه الخلايا للأوكسجين و استهلاكها لها ستقل بشدّه،بحيث أنّ الهواء الموجود فى فضاء التابوت يكفى فى هذه المدّه لتغذيه الخلايا.

### تجميد جسم الإنسان و هو حى:

اليوم ثمّه نظريات كثيره حول تجميد جسم الأحياء بما فيهم الإنسان(لزياده العمر)و قد تمّ تنفيذ قسم من هذه النظريات فى الوقت الحاضر.

طبقا لهذه النظريات،فإنّه عند وضع جسم الإنسان أو أى حيوان فى درجه

حراره تحت الصفر-بأسلوب خاص-فإنّ حياته ستتوقف بدون أن يموت.و بعد مدّه معينه يوضع الكائن فی درجه حراريه معينه حيث يرجع إلى الحاله العاديه.

و قد تمّ اقتراح مجموعه حالات من هذه الحاله للإفاده منها فی الرحلات الفضائيه إلى الكواكب البعيده التی يستغرق الوصول إليها مئات أو آلاف السنين، حيث يتمّ تجميد أجسام روّاد الفضاء فی محفظه خاصّه،و بعد سنين طويله، و عند الاقتراب من الكواكب المعنيه ترجع الحراره العاديه إلى تلك المحفظه بشكل أوتوماتيكی،و عندها سيعود هؤلاء الروّاد إلى حالتهم العاديه دون أن يحدث أی ضرر لهم.

ذكرت إحدى المجلات العلميه أنّ كتابا صدر مؤخرا حول تجميد جسم الإنسان بهدف إطاله عمره بقلم«روبرت نيلسون»و كان لهذا الكتاب صدى واسعا فی عالم المعرفه.ففی المقاله التی نشرتها تلك المجله فی هذا المجال،ذكر الكاتب أنّه تمّ أخيرا إضافه فرع علمی جديد إلى الفروع العلميه الأخرى،يتكفل التخصص فی هذا المجال.

و نقرأ فی تلك المقاله أيضا:«لقد كانت الحياه الأبديه-على طول التأريخ- حلما من الأحلام الذهبيه و القديمه للإنسان،و فی الوقت الحاضر فقد تحقق هذا الحلم،و السبب يعود إلى التقدّم العجيب لعلم حديث يسمّى(كريونيك)و هو علم يرسل الإنسان إلى عوالم الانجماد،و يحفظه على شكل جسد منجمد على أمل أن يستطيع العلماء إعادته يوما إلى الحياه مرّه أخرى.

هل يمكن تصديق هذا الكلام؟هناك العديد من العلماء البارزين الذين يقومون بالتفكير فی هذا الأمر من جوانبه المختلفه.و هناك نشريات كثيره تقوم ببحث هذا الموضوع مثل(لايف)و(اسكواير) و الصحف العالميه فی مختلف أنحاء العالم.و الأهم من ذلك أنّ هناك برنامج فی هذا المجال هو قيد التنفيذ فی

الوقت الحاضر (۱) .

لقـد أعلنت الصـحف قبل مـدّه عن اكتشاف سـمكّه منجمده بين ثلوج القطب الشـمالى يعود عمرها إلى آلاف السـنين،كما تبيّن ذلك من طبقات الثلـج القشـريه، و بعـد أن وضـعت السـمكّه فى ماء معتـدل عادت إلى حياتها الطبيعيه و بـدأت بالحركه وسـط دهشه الجميع.

و يتّضـح من ذلـك أنّ الأـجهزه الحيـاتيه لاـ تتوقف بالكامـل فى حالاـت الانجمـاد،و لكن فى هـذه الظروف التى لا يمكن معها ممارسه الحياه الطبيعيه يصبح عمل تلك الأجهزه بطيئا للغايه.

و من مجموع هذه الأحاديث يتبيّن أنّه بالإمكان إيقاف الحياه أو تعويق حركتها بشده و البحوث العلميه دعمت إمكانيه ذلك من جوانب مختلفه.و فى مثل هذه الحاله يصل استـهلاك البدن للطعام لدرجه الصـفر تقريبا،و بذا يكفيه المخزون القليل المدّخر فى الجسم لإدامه الحياه البطيئه لسنوات طويله.

و يجب أن لا يفسّـر كلامنا هذا بأنّنا نستهدف انكار الجانب الإعجازى فى نوم أصحاب الكهف،بل نريد أن نقرّب الأمر للأذهان مـن وجهـه نظر العلـم.إذ من المحتم أنّ نـوم أصـحاب الكهـف لم يكن نومـا عاديـا كمنامنـا فى الليـل،لقـد كـان نـومهم ذا جنبه اسـتثنائيه،لـذلك فلاـ عجب فى نوم هؤلاء هـذه المـدّه الطويله(بإراده اللّه)من دون أن يكونوا بحاجه إلى الشـراب و الطعام،و من دون أن تتضرّر أجسامهم و أجهزتهم الحيويه.

و الطريف فى الأمر أنّنا نسـتفيد من آيات سوره الكهف أنّ طبيعه نومهم كانت تختلف عن النوم العادى: وَ تَحْسَبُهُمْ أَيْقاظاً وَ هُمْ رُقُودٌ... لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِراراً وَ لَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً (۲) .إنّ هذه الآيه تدل على أن نومهم لم



۱- ۱) -مجله«دانشمند»،عدد ۴۷،ص ۴.

۲- ۲) -الكهف،۱۸.

یکن نوما عادیا،بل هو أشبه ما یکون بحاله المیت.(ذی العیون المفتوحه).

إضافه إلی ذلک تفید آیات السوره أنّ نور الشمس لم یکن یشع داخل کهفهم، و لأنّه من المحتمل أن یکون الکهف فی جبال آسیا الصغری،و فی منطقه بارده، فإنّ ذلک یعدّ مؤشرا علی الحاله الاستثنائیه لنومهم،و من جانب آخر فإنّ القرآن یقول: وَ نُقَلِّبُهُمْ ذٰاتَ الْیَمِینِ وَ ذٰاتَ الشِّمٰالِ (۱) .

و من الآیه یتبیّن أنّهم لم یکونوا علی حاله واحده،و أنّ هناک عوامل و قوی غیبیه خفیه غیر واضحه لنا کانت تقلبهم نحو الیمین و الیسار(احتمالا فی کل سنه مرّه واحده)حتی لا تتضرّر أجسامهم.

و الآن و بعد أن اتّضحت الجوانب العلمیه فی هذا البحث،فإنّ المعاد لم یعد یحتاج إلی کلام کثیر،لأنّ الیقظه بعد ذلک النوم الطویل تشبه الحیاه بعد الموت و تقرّب إلی الأذهان قضیه المعاد (۲)



---

۱- ۱) -الکهف،۱۸.

۲- ۲) -لتفاصیل أکثر یراجع کتاب:المعاد و الحیاه بعد الموت.

## الآیات [سوره الکهف (۱۸): الآیات ۲۸ الی ۳۱]

### اشاره

وَ اِصْبِرْ نَفْسَکَ مَعَ اَلَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدٰاهِ وَ اَلْعَشِیِّ یُرِیدُونَ وَجْهَهُ وَ لاٰ تَعْدُ عَیْنٰاکَ عَنْهُمْ تُرِیدُ زِینَهَ اَلْحَیٰاهِ اَلدُّنْیٰا وَ لاٰ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنٰا قَلْبَهُ عَنْ ذِکْرِنٰا وَ اِتَّبَعَ هَوٰاهُ وَ کٰانَ أَمْرُهُ فُرُطاً (۲۸) وَ قُلِ اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّکُمْ فَمَنْ شٰاءَ فَلْیُؤْمِنْ وَ مَنْ شٰاءَ فَلْیَکْفُرْ إِنّٰا أَعْتَدْنٰا لِلظّٰالِمِینَ نٰاراً أَحٰاطَ بِهِمْ سُرٰادِقُهٰا وَ إِنْ یَسْتَغِیثُوا یُغٰاثُوا بِمٰاءٍ کَالْمُهْلِ یَشْوِی اَلْوُجُوهَ بِئْسَ اَلشَّرٰابُ وَ سٰاءَتْ مُرْتَفَقاً (۲۹) إِنَّ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ إِنّٰا لاٰ نُضِیعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً (۳۰) أُولٰئِکَ لَهُمْ جَنّٰاتُ عَدْنٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهِمُ اَلْأَنْهٰارُ یُحَلَّوْنَ فِیهٰا مِنْ أَسٰاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ یَلْبَسُونَ ثِیٰاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَ إِسْتَبْرَقٍ مُتَّکِئِینَ فِیهٰا عَلَی اَلْأَرٰائِکِ نِعْمَ اَلثَّوٰابُ وَ حَسُنَتْ مُرْتَفَقاً (۳۱)

ص: ۲۵۴

## سبب النّزول

یروی المفسّرون فی سبب نزول الآیات الأولی فی هذا المقطع من سوره الکهف المبارکه وَ اصْبِرْ نَفْسَکَ مَعَ الَّذِینَ یَدْعُونَ... أنّ مجموعه من أشراف قریش و من المؤلّفه قلوبهم جاؤوا إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قالوا له:یا رسول اللّه،إن جلست فی صدر المجلس و نحّیت عنّا هؤلاء و روائح صنانهم(کانت علیهم جباب الصوف) (۱) جلسنا نحن إلیک،و أخذنا عنک،لأنّه لا یمنعنا من الدخول علیک إلاّ هؤلاء.

لقد کان هؤلاء الأشراف و المؤلفه قلوبهم یقصدون فی کلامهم المستضعفین و الفقراء من أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من أمثال سلمان الفارسی و أبی ذر الغفاری و صهیب و عمّار بن یاسر و خباب و غیرهم ممن کان علی شاکلتهم،إذ کان هؤلاء ممن التفّ حول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،ممن قربه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إلیه.

لذلک اشترط الأشراف علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن یطرد أمثال هؤلاء الفقراء عن مجلسه و نعتوهم بشتی النعوت.

و هنا نزلت الآیه الکریمه علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: وَ اصْبِرْ نَفْسَکَ مَعَ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَ الْعَشِیِّ یُرِیدُونَ... فلمّا نزلت الآیه قام النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یلتمسهم فأصابهم فی مؤخّر المسجد یذکرون اللّه عزّ و جلّ،فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:«الحمد للّه الذی لم یمتنی حتی أمرنی أن أصبر نفسی مع رجال من أمتی.معکم المحیا و معکم الممات».

## التّفسیر

### اشاره

### الحفاه الأطهار!

من الدروس التی نستفیدها من قصّه أصحاب الکهف أنّ مقیاس قیمه البشر



---

۱- ۱) -هذه الصفات أطلقها أشراف قریش و المؤلفه قلوبهم علی المستضعفین من أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کأبی ذر و غیره.

لیست بـالمنصب الظـاهری أو بـالثروه،بل عنـد ما یکون المسـیر فی سبیل اللّه یتساوی الوزیر و الراعی،و الآیات التی نبحثها تؤکّد هـذه الحقیقه المهمّه و تعطی للرّسول صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم هـذا الأـمر: وَ اصْبِرْ نَفْسَـکَ مَعَ الَّذِینَ یَـدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَـداهِ وَ الْعَشِـیِّ یُرِیـدُونَ وَجْهَهُ إنّ استخدام تعبیر اِصْبِرْ نَفْسَـکَ هو إشـاره إلی حقیقه أنّ رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم کان قد تعرّض إلی ضـغط الأعـداء المسـتکبرین و المشـرکین حتی یبعد عنه مجموع المؤمنین الفقراء،لذلک جاءه الأمر الإلهی بالصبر و الاسـتقامه أمام هـذا الضـغط المتزایـد و أن لا یستسلم له.إنّ اسـتخدام تعبیر بِالْغَـداهِ وَ الْعَشِـیِّ إشاره إلی أنّهم کانوا دائما و أبـدا یذکرون اللّه.

أمّا استخدام مصطلح یُرِیدُونَ وَجْهَهُ (۱) فهو دلیل علی إخلاصـهم و إشاره إلی أنّهم یعبدون اللّه لذاته لا طمعا بالجنه(بالرغم من نعمها الکبیره و الثمینه) و لا خوفا من الجحیم و عـذابه(بالرغم من شـدّه عـذابها)بل یعبـدون اللّه لأجل ذاته المنزّهه،و هـذه أعلی مرتبه فی الطاعه و العبودیه و الحبّ و الإیمان باللّه تعالی.

ثمّ تسـتمر الآیات مؤکّده خطابها للرّسول صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم: وَ لا تَعْدُ عَیْناکَ عَنْهُمْ تُرِیدُ زِینَهَ الْحَیاهِ الدُّنْیا (۲) فلا تنظر إلی هؤلاء المستکبرین بدل المستضعفین من أجل بهارج الدنیا و زخارفها.

ثمّ من أجل التأکید مجددا یقول تعالی: وَ لا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِکْرِنا .

وَ اتَّبَعَ هَواهُ

و المطیع لاهوائه النّفسیه،و المفرط فی أفعاله دائما



---

۱- ۱) -فیمـا یخص معنی(وجه)و أنهـا تـأتی فی بعض الأحیـان بمعنی(الـذات)و أحیانا بمعنی(وجه الإنسان)و فی سـبب انتخاب ذلک فی هذه الموارد..فیما یخص کل ذلک یمکن مراجعه ما کتبناه مفصـلا لدی تفسـیر الآیه(۲۷۲)من سوره البقره فی تفسیرنا هذا.

۲- ۲) -(لا تعد)مأخوذه من کلمه«عدا یعدو و...»و هی بمعنی تجاوز الشیء و بذا یصبح مفهوم الجمله(لا تبعد عینیک عنهم کی تنظر إلی الآخرین).

وَ كٰانَ أَمْرُهُ فُرُطاً

(۱)

.

الطریف هنا أنّ القرآن وضع هاتین المجموعتین فی مقابل بعضهما من حیث الصفات،و کان الأمر کما یلی:

مؤمنون حقیقیون إلاّ أنّهم فقراء،و لهم قلوب مملوءه بحبّ اللّه،یذکرونه باستمرار و یسعون إلیه.

الأغنیاء المستکبرون الغافلون عن ذکر اللّه،و الذین لا یتبعون سوی هواهم، و خارجون عن حدّ الاعتدال فی کل أمورهم و یفرطون و یسرفون.

إنّ الموضوع-أعلاه-من الأهمیه بمکان،بحیث أنّ القرآن یقول للرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-بصراحه-فی الآیه التی بعدها: وَ قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکُمْ فَمَنْ شٰاءَ فَلْیُؤْمِنْ وَ مَنْ شٰاءَ فَلْیَکْفُرْ .

و لکن اعلموا أنّ هؤلاء عباد الدنیا الذین یسخرون من الألبسه الخشنه التی یرتدیها أمثال سلمان و أبی ذر خاصّه،و الذین یعیشون حیاه مرفهه باذخه و ملیئه بالزینه،ستنتهی عاقبهم إلی سوء و ظلام و عذاب: إِنّٰا أَعْتَدْنٰا لِلظّٰالِمِینَ نٰاراً أَحٰاطَ بِهِمْ سُرٰادِقُهٰا .

نعم،إنّهم کانوا اعطشوا فی هذه الدّنیا کان الخدم یجلبون لهم أنواع المشروبات،و لکنّهم عند ما یطلبون الماء فی جهنّم یؤتی إلیهم بماء کالمهل: وَ إِنْ یَسْتَغِیثُوا یُغٰاثُوا بِمٰاءٍ کَالْمُهْلِ یَشْوِی الْوُجُوهَ (۲) .

بِئْسَ الشَّرٰابُ

.

ثمّ وَ سٰاءَتْ مُرْتَفَقاً (۳) .



---

۱- ۱) -«فرط»تعنی التجاوز عن الحد،و کل شیء یخرج عن حدّه و یتحول إلی إسراف یقال له(فرط).

۲- ۲) -«مهل»علی وزن«قفل»و هی تعنی کما یقول الراغب فی المفردات:هی المقدار المترسب من الدهن و الذی یکون عاده ملوثا بأشیاء وسخه و ردیئه الطعم،إلاّ أنّ بعضا آخر من المفسّرین یقولون بأنّها تعنی أی معدن مذاب. و الظاهر أنّ تعبیر(یشوی الوجوه)یرجّح المعنی الثّانی.

۳- ۳) -«مرتفق»من کلمه«رفق و رفیق»بمعنی محل اجتماع الأصدقاء.

تصوروا هل یمکن شرب الماء الذی إذا اقترب من الوجه فإنّ حرارته ستشوی الوجه؟إن ذلک بسبب أنّهم شربوا فی الدنیا أنواع المشروبات المنعشه و البارده،فی حین أنّهم أجّجوا فی قلوب المحرومین نیرانا،إنّ هذه النار هی نفسها التی تجسدت فی الآخره بهذا الشکل.

و الطریف فی أمر هؤلاء أنّ القرآن ذکر لهم بعض«التشریفات»و هم فی جهنّم.لقد کان لهؤلاء فی حیاتهم الدنیا(سرادق)عالیه و باذخه لیس فیها نصیب للفقراء،و هذه السرادق ستتحوّل إلی خیام عظیمه من لهیب نار جهنّم! و فی هذه الدنیا تتوفر لدیهم أنواع المشروبات التی تحضر بین أیدیهم بمجرّد مناداه الساقی،و فی جهنّم یوجد أیضا ساق و أشربه،أمّا ما هو نوع الشراب؟إنّه ماء کالمعدن المذاب!حرارته کحراره دموع الیتامی و آهات المستضعفین و الفقراء الذین ظلمهم هؤلاء الأغنیاء!نعم،إنّ کل ما هو موجود هناک(فی الآخره)هو تجسید لما هو موجود هنا(فی الدنیا).

و بما أنّ أسلوب القرآن أسلوب تربوی و تطبیقی،فإنّه بعد ما بیّن أوصاف و جزاء عبید الدنیا،ذکر حال المؤمنین الحقیقیین و جوائزهم الثمینه الغالیه التی تنتظرهم جزاء ما فعلوا.لقد أجملت الآیه کل ذلک بشکل مختصر،ثمّ بشکل تفصیلی نوعا ما.

ففی البدء قال تعالی: إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ إِنّا لا نُضِیعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً أی إنّنا لا نضیع أعمال العاملین قلیله کانت أو کثیره،کلیه أو جزئیه،و من أی شخص و فی أی عمر کان:

أُولئِکَ لَهُمْ جَنّاتُ عَدْنٍ

(الجنات الخالده).

تَجْرِی مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ

(من تحت الأشجار و القصور).

یُحَلَّوْنَ فِیها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ

(۱)

.



---

۱- ۱) -«أساور»جمع«أسوره»علی وزن«مشوره»و هی بدورها جمع(سوار)علی وزن(غبار)و(کتاب)و هی فی

وَ یَلْبَسُونَ ثِیاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَ إِسْتَبْرَقٍ

(من حریر ناعم و سمیک).

مُتَّکِئِینَ فِیهٰا عَلَی الْأَرٰائِکِ

(۱)

.

نِعْمَ الثَّوٰابُ

.

وَ حَسُنَتْ مُرْتَفَقاً

(و حسنت مجمعا للأحبّه).

### بحوث

### اشاره

### ۱-الرّوح الطبقیه مشکله اجتماعیه کبیره

لیست الآیات الآنفه الذکر-وحدها-تحارب تقسیم المجتمع إلی مجموعتین من الأغنیاء و الفقراء،بل إنّنا نجد الکثیر من الآیات القرآنیه الأخری، ممّا ذکرنا سابقا أو سنذکرها لاحقا،تؤکّد جمعها علی هذا الموضوع.

إنّ المجتمع الذی تکون فیه مجموعه(و هی أقلیه فی الغالب)مرفهه و غارقه فی الإسراف و التبذیر و ملوّثه بأنواع المفاسد،سیکون فی مقابل هؤلاء مجموعه أخری،هم الأکثریه التی لا تملک أبسط وسائل الحیاه الإنسانیه.و مثل هذا المجتمع یرفضه الإسلام و لیس مجتمعا إنسانیا.

مثل هذا المجتمع سوف لا یری الاستقرار أبدا،و سوف یلقی الاستعمار و الاستکبار و أشکال الظلم و العبودیه بضلال علیه.و غالبا ما تقوم الحروب الدامیه فی مثل هذه المجتمعات و لا تنتهی الاضطرابات فیها أبدا.

و من الطبیعی أن یتساءل المرء عن أسباب تکدّس النعم الإلهیه بید حفنه معدوده من الناس و بدون سبب،بینما الأکثریه تعیش الفقر و الألم و العذاب

۱)

الأصل مأخوذه من كلمه فارسيه عرّبت و اشتقت منها الأفعال العربيه.



---

١- ١) -«أرائک»جمع«أريكه»و تطلق على السرير الـذى تكون جوانبه جميعا مغطاه،و هى فى الأصل-كما يقول الراغب-مأخوذه من(أراک)و هى شجره معروفه كان العرب يصنعون منها مظلّه؛أو من(أروک)بمعنى الإقامه و التوّقف.

و المرض؟ إنّ مثل هذا المجتمع يكون مملوءا-حتما-بالكراهيه و الحسد و الكبر و العداء و الغرور و الظلم و التكّبر،و كل عوامل الفساد الأخرى.

و لو دققنا النظر فى تأريخ النّبوات لرأينا أنّ الأنبياء عليهم السّلام بأجمعهم، و خصوصا رسول الإسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم واجهوا هذا النظام المنحرف و الظالم و رموزه من الأغنياء الظالمين من أجل تأمين عوامل الاستقرار داخل المجتمع.

فى مثل هذه المجتمعات الطبقيه تكون جلسات و اجتماعات المترفين منفصله عن مجالس الفقراء،و أماكنهم،و كذا الحال بالنسبه لمراكز الترفيه و ما إلى ذلك.(هذا إذا كان الفقراء يملكون فى الأصل مراكز للترفيه).ثمّ إنّ العادات و التقاليد تختلف بين المجموعتين تماما.

إنّ هذا الانفصال المجافى للروح الإنسانيه،و روح كل القوانين السماويه،لن يتحملها أى رجل إلهى.و قد كان مثل هذا الوضع حاكما بشدّه فى المجتمع العربى الجاهلى،حتى كان هؤلاء يعتبرون التفاف الفقراء من أمثال سلمان و أبو ذر حول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من أكبر العيوب(!!)و لكن لم يعلم هؤلاء الأغنياء أن قلوب الفقراء هؤلاء مملوءه بحب اللّه و الإيمان و بصفات الشهامه و الإيثار.

فى المجتمع الجاهلى الذى عاصر النّبى المصلح نوح عليه السّلام،قال المترفون من الملأ-عبيد الدنيا مخاطبين نوحا عليه السّلام:لماذا اتبعك الذين هم أراذلنا(على حدّ قولهم)و لقد حكى القرآن اعتراضهم هذا فى الآيه(۲۷)من سوره هود فى قوله تعالى: فَقٰالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مٰا نَرٰاكَ إِلاّٰ بَشَراً مِثْلَنٰا وَ مٰا نَرٰاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرٰاذِلُنٰا .

و هكذا نرى أنّ عبيد الدنيا و أتباع الهوى هؤلاء يرفضون الجلوس-حتى للحظات-قرب الفقراء المؤمنين! و لاحظنا-أيضا- كيف أن رسول الإسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بطرده للمجموعه الأولى

(الأغنـاء المترفين)و تقريبه للمجموعه الثّـانيه(الفقراء المؤمنين)شـكّل مجتمعا توحيـديا بمعنى الكلمه،مجتمعا تفجّرت فيه الطاقات الكامنه،و أصبحت فيه معايير الشخصيه و القيم و النبوغ،هى التقوى و العلم و الإيمان و الجهاد و العمل الصالح.

و اليوم ما لم نسع لبناء مثل هـذا المجتمع و الاقتـداء بالنموذج الإسـلامى الـذى شـيّده رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فى عهـده،و بـدون نبـذ الفكر الطبقى من العقول عن طريق التعليم و التربيه و تدوين القوانين الصـحيحه و السـهر على تنفيذها بدقّه-بالرغم من رفض الاستكبار العالمى و تعويقه لذلك-فسوف لن نملك مجتمعا إنسانيا سليما أبدا.

### ٢-المقارنه بين الحياه فى هذا العالم و عالم الآخره:

لقد قلنا مرارا:إنّ تجسّد الأعمال هو من أهم القضايا المرتبطه بالمعاد.يجب أن نعلم أنّ ما هو موجود فى ذلك العالم هو انعكاس واسع و متكامـل لهـذا العالم، فأعمالنا و أفكارنا و أساليبنا الاجتماعيه و صـفاتنا الأخلاقيه المختلفه سوف تتجسّم و تتجسّـد أمامنا فى ذلك العالم و ستبقى قرينه لنا دائما.

الآيات-أعلاه-دليل حى على هـذه الحقيقه،فالمترفون الظالمون الـذين كانوا يعيشون فى هذه الدنيا فى ظل سـرادق عاليه،و كانوا سكارى بهواهم،وسـعوا إلى فصل كل شـىء يخصّـهم عن المؤمنين الفقراء،هؤلاء يملكون فى ذلك العالم أيضا(سرادق)و لكنّها من النار الحارقه،لأنّ الظلم فى حقيقته نار حارقه تحرق الحياه و تذروا آمال المستضعفين المظلومين.

هناك يشـربون من شـراب يجسّد باطن شـراب الدنيا،و هو بالنسـبه للظالمين الطغاه شـراب من دماء قلوب المحرومين،و مثل هذا الشراب يقدّم للظالمين فى ذلك العالم،و هو لا يحرق أمعاءهم و أحشاءهم فحسب،بل يكون كالمعدن

المذاب الذی یشوی الوجوه قبل شربه من شدّه حرارته.

و علی العکس من ذلک أولئک الذین ترکوا الشهوات فی سبیل حفظ طهاره وجودهم و رعایه أصول العداله،و الذین اقتنعوا بحیاه بسیطه،و تحمّلوا کل الصعوبات و المنغصات فی هذه الدنیا من أجل تنفیذ أصول العداله..هؤلاء تنتظرهم هناک بساتین الجنّه مع الأنهار الجاریه،و أفضل أنواع الزینه و أفخر الألبسه،و أحبّ المجالس.و هذا فی الواقع تجسید لنیاتهم النزیهه حیث کانوا یریدون کل الخیر لجمیع عباد اللّه.

### ۳-العلاقه بین عباده الهوی و الغفله عن اللّه

الروح الإنسانیه تخضع إمّا للّه تعالی أو للأهواء،حیث لا یمکن الجمع بین الإثنین،فعباده الأهواء أساس الغفله عن اللّه و عباده اللّه،عباده الهوی هی سبب الابتعاد عن جمیع الأصول الأخلاقیه؛و أخیرا فإنّ عباده الهوی تدخل الإنسان فی ذاته و تبعده عن جمیع حقائق العالم.

إنّ الإنسان الذی یعبد هواه لا یفکّر إلاّ فی إشباع شهواته،و لا یوجد لدیه معنی للفتوّه و العفو و الإیثار و التضحیه و الشیم المعنویه الأخری.

و قد أوضحت الآیات محل البحث الربط و العلاقه بین الإثنین بشکل جلی فی قوله تعالی: وَ لاٰ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنٰا قَلْبَهُ عَنْ ذِکْرِنٰا وَ اتَّبَعَ هَوٰاهُ وَ کٰانَ أَمْرُهُ فُرُطاً .

لقد طرحت الآیه أوّلا(الغفله)عن اللّه تعالی،ثمّ ذکرت بعدها(أتباع الهوی)، و الطریف أنّ نتیجه هذا الأمر هو الإفراط و بالشکل المطلق الذی ذکرته الآیه.

لماذا یکون عابد الهوی مصابا بالإفراط دائما؟ قد یکون السبب أنّ الطبیعه الإنسانیه تتجه فی الملذات المادیه نحو الزیاده دوما،فالذی کان یشعر بالنشوه بمقدار معین من المخدرات،لا یکفیه نفس

المقـدار فی الیوم التـالی لبلوغ نفس درجه النشوه،بـل علیه زیاده الکمیه بالتدریـج،و الشـخص الـذی کان یکفیه فی السابق قصـر واحد مجهّز بجمیع الإمکانات و بمساحه عده آلاف بین الأمتار،یصـبح الیوم إحساسه بهذا القصر عادیا،فینشد الزیاده.و هکذا فی جمیع مصادیق الهوی و الشهوه حیث أنّها دائما تنشد الزیاده حتی تهلک الإنسان نفسه.

### ۴-ملابس الزینه فی العالم الآخر

قـد یطرح البعض هـذا السؤال:لقـد ذمّ اللّه تعـالی الزینه و التزیّن فی القرآن بالنسـبه لهـذه الحیاه،إلّا أنّه یعـد المؤمنین بمثل هـذه الأمور فی ذلک العالم،إذ تنص الآیات علی الذهب و ملابس الحریر و الإسـتبرق و السـرر المساند الجمیله؟ قبل الإجابه علی هذا السؤال ینبغی أن نوضّـح بأنّنـا لاـ نوافق علی توجیه هـذه الکلمات علی أنّها کنایه عن مفاهیم معنویه و یفسّـرون الآیات علی هـذا الأساس، لقد تعلمنا من القرآن الکریم أنّ المعاد ذو جانبین:معاد روحانی و معاد جسمانی.

و علی هـذا الأسـاس،فـإنّ لـذات ذلک العالم یجب أن تکون موجوده فی المجالین، و اللـذات الروحیه-طبعا-لا یمکن مقایسـتها باللذات الجسمیه.و لکن لا بدّ من الاعتراف بأنّنا لا نعرف من نعم ذلک العالم سوی أشباح بعیده،و نسمع کلاما یشیر إلیها.

لماذا؟لأنّ نسـبه ذلک العالم إلی عالمنا هـذا کنسـبه عالمنا إلی عالم الجنین فی بطن الأم،فإذا قـدّر للأم أن تقیم رابطه بینها و بین الجنین،فلا یسعها إلّا أن توضح للجنین بالإشارات جمال هذه الدنیا بشمسها الساطعه و قمرها المنیر، و العیون الفوّاره،و البساتین و الورود و ما شابهها،حیث لا توجد ألفاظ کافیه لتبیان کل هذه المفاهیم للجنین فی رحم الأم کی یفهمها و یستوعبها.

کذلک فإنّ النعم المادیه و المعنویه لعالم الآخره لا یمکن توضیحها لنا بشکل

كامل و نحن محاصرون فى أبعاد رحم هذه الدنيا.

و مع وضوح هذه المقدمه نجيب على السؤال و نقول:إن ذم اللّه عز اسمه لحياه الزينه و الترف فى هذه الدنيا يعود إلى أن محدوديه هذا العالم تسبب أن تقترن الزينه و الترف مع أنواع الظلم و الانحراف الذى يكون بدوره سببا للغفله و الانقطاع عن اللّه.

إنّ الاختلافات التى تبرز خلال هذا الطريق ستكون سببا للحقد و الحسد و العداوه و البغضاء،و أخيرا إراقه الدماء و الحروب.

أمّا فى ذلك العالم اللامحدود من جميع الجهات،فإنّ الحصول على هذه الزينه لا يسبّب مشكله و لا يكون سببا للتمييز و الحرمان،و لا للحقد و النفره، و لا يبعد الإنسان عن اللّه فى ذلك المحيط المملوء بالمعنويات حيث لا حسد و لا تنافس و لا كبر و لا غرور تؤدى ابتعاد خلق اللّه عن اللّه،كما فى زينه الحياه الدنيا.

فإذا كان الحال كذلك فلما ذا يحرم أهل الجنه من هذه المواهب و العطايا الإلهيه التى هى لذّات جسميه إلى جانب كونها مواهب معنويه كبيره!

### ۵-الاقتراب من الأثرياء بسبب ثروتهم:

الدرس الآخر الذى نتعلمه من الآيات الآنفه،هو أنّه يجب علينا أن لا نمتنع عن إرشاد و توجيه هذه المجموعه-أو تلك-بسبب كونها ثريه أو ذات حياه مرّفهه،بل إنّ الشىء المذموم هو أن نذهب لهؤلاء لأجل ثروتهم و دنياهم الماديه، و نصبح مصداقا لقوله تعالى: تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا أمّا إذا كان الهدف هو الهدايه و الإرشاد،أو حتى الاستفاده من إمكانياتهم من أجل تنفيذ النشاطات الإيجابيه و المهمّه اجتماعيا،فانّ مثل هذا الهدف لا يعتبر غير مذموم و حسب،بل هو واجب.

## الآیات [سوره الکهف (١٨): الآیات ٣٢ الی ٣۶]

### اشاره

وَ اِضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَیْنِ جَعَلْنا لِأَحَدِهِما جَنَّتَیْنِ مِنْ أَعْنابٍ وَ حَفَفْناهُما بِنَخْلٍ وَ جَعَلْنا بَیْنَهُما زَرْعاً (٣٢) کِلْتَا اَلْجَنَّتَیْنِ آتَتْ أُکُلَها وَ لَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَیْئاً وَ فَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً (٣٣) وَ کانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقالَ لِصاحِبِهِ وَ هُوَ یُحاوِرُهُ أَنَا أَکْثَرُ مِنْکَ مالاً وَ أَعَزُّ نَفَراً (٣۴) وَ دَخَلَ جَنَّتَهُ وَ هُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ قالَ ما أَظُنُّ أَنْ تَبِیدَ هٰذِهِ أَبَداً (٣۵) وَ ما أَظُنُّ اَلسّاعَهَ قائِمَهً وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلیٰ رَبِّی لَأَجِدَنَّ خَیْراً مِنْها مُنْقَلَباً (٣۶)

### التّفسیر

### اشاره

#### تجسید لموقف المستکبرین من المستضعفین:

فی الآیات السابقه رأینا کیف أنّ عبید الدنیا کانوا یحاولون الابتعاد فی کل شیء عن رجال الحق و أهله المستضعفین،ثمّ عرّفتنا الآیات جزاءهم فی الحیاه الأخری.

الآیات التی نبحثها تشیر إلی حادثه اثنین من الأصدقاء أو الإخوه الذین

یعتبر کل واحد منهم نموذجا لإحدی المجموعتین،و یوضحان طریقه تفکیر و قول و عمل هاتین المجموعتین.

فی البدایه تخاطب الآیات الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فتقول: وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَیْنِ جَعَلْنٰا لِأَحَدِهِمٰا جَنَّتَیْنِ مِنْ أَعْنٰابٍ وَ حَفَفْنٰاهُمٰا بِنَخْلٍ وَ جَعَلْنٰا بَیْنَهُمٰا زَرْعاً .

البستان و المزرعه کان فیهما کل شیء:العنب و التمر و الحنطه و باقی الحبوب،لقد کانت مزرعه کامله و مکفیه من کل شیء: کِلْتَا الْجَنَّتَیْنِ آتَتْ أُکُلَهٰا وَ لَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَیْئاً .

و الأهم من ذلک هو توفّر الماء الذی یعتبر سر الحیاه،و أمرا مهمّا لا غنی للبستان و المزرعه عنه،و قد کان الماء بقدر کاف: وَ فَجَّرْنٰا خِلاٰلَهُمٰا نَهَراً .

علی هذا الأساس کانت لصاحب البستان کل أنواع الثمار: وَ کٰانَ لَهُ ثَمَرٌ .

و لأنّ الدنیا قد استهوته فقد أصیب بالغرور لضعف شخصیته و رأی أن الإحساس العمیق بالأفضلیه و التعالی علی الآخرین،حیث التفت و هو بهذه الحاله إلی صاحبه: فَقٰالَ لِصٰاحِبِهِ وَ هُوَ یُحٰاوِرُهُ أَنَا أَکْثَرُ مِنْکَ مٰالاً وَ أَعَزُّ نَفَراً .

بناء علی هذا فأنا أملک قوّه إنسانیه کبیره و عندی مال و ثروه،و أنا أملک- أیضا-نفوذا و موقعا اجتماعیا،أمّا أنت(و الخطاب لصاحبه)فما ذا تستطیع أن تقول،و هل لدیک ما تتکلم عنه؟! لقد تضخّم هذا الإحساس و نما تدریجیا-کما هو حاله-و وصل صاحب البستان إلی حاله بدأ یظن معها أنّ هذه الثروه و المال و الجاه و النفوذ إنّما هی أمور أبدیّه،فدخل بغرور إلی بستانه(فی حین أنّه لا یعلم بأنّه یظلم نفسه)و نظر إلی أشجاره الخضراء التی کادت أغصانها أن تنحنی من شدّه ثقل الثمر،و سمع صوت الماء الذی یجری فی النهر القریب من البستان و الذی کان یسقی أشجاره، و بغفله قال:لا أظن أن یفنی هذا البستان،و بلسان الآیه و تصویر القرآن الکریم:

وَ دَخَلَ جَنَّتَهُ وَ هُوَ ظٰالِمٌ لِنَفْسِهِ قٰالَ مٰا أَظُنُّ أَنْ تَبِیدَ هٰذِهِ أَبَداً

.

بل عمـد إلى ما هو أكثر من هذا،إذ بما أنّ الخلود فى هذا العالم بتعارض مع البعث و المعاد،لذا فقد فكّر فى إنكار القيامه و قال: وَ مٰا أَظُنُّ السّٰاعَةَ قٰائِمَةً و هـذا كلام يعكس و هم قائله و تمنياته! ثمّ أضاف!حتى لو فرضـنا وجود القيامه فإنّى بموقعى و وجاهتى سأحصـل عنـد ربّى-إذا ذهبت إليه-على مقـام و موقع أفضل.لقـد كان غارقا فى أوهامه وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلىٰ رَبِّى لَأَجِـدَنَّ خَيْراً مِنْهٰا مُنْقَلَباً .

لقد أخذ صاحب البستان ضمن الحاله النفسيه التى يعيشها و التى صورها القرآن الكريم،يضيف إلى نفسه فى كل فتره و هما بعد آخر من أمثال ما حكت عنه الآيات آنفا،و عند هذا الحد انبرى له صديقه المؤمن و أجابه بكلمات يشرحهما لنا القرآن الكريم.

ص: ۲۶۷

## الآیات [سوره الكهف (۱۸): الآیات ۳۷ الی ۴۱]

### اشاره

قٰالَ لَهُ صٰاحِبُهُ وَ هُوَ یُحٰاوِرُهُ أَ كَفَرْتَ بِالَّذِی خَلَقَكَ مِنْ تُرٰابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَهٍ ثُمَّ سَوّٰاكَ رَجُلاً (۳۷) لٰكِنَّا هُوَ اَللّٰهُ رَبِّی وَ لاٰ أُشْرِكُ بِرَبِّی أَحَداً (۳۸) وَ لَوْ لاٰ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مٰا شٰاءَ اَللّٰهُ لاٰ قُوَّهَ إِلاّٰ بِاللّٰهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مٰالاً وَ وَلَداً (۳۹) فَعَسیٰ رَبِّی أَنْ یُؤْتِیَنِ خَیْراً مِنْ جَنَّتِكَ وَ یُرْسِلَ عَلَیْهٰا حُسْبٰاناً مِنَ اَلسَّمٰاءِ فَتُصْبِحَ صَعِیداً زَلَقاً (۴۰) أَوْ یُصْبِحَ مٰاؤُهٰا غَوْراً فَلَنْ تَسْتَطِیعَ لَهُ طَلَباً (۴۱)

### التّفسیر

### اشاره

### جواب المؤمن:

هذه الآیات هی ردّ علی ما نسجه من أوهام ذلك الغنی المغرور العدیم الإیمان،نسمعها تجری علی لسان صاحبه المؤمن.

لقد بدأ الكلام بعد أن ظلّ صامتا یستمع إلی كلام ذلك الرجل ذی الأفق الضیق و الفكر المحدود،حتی ینتهی من كلامه،ثمّ قال له: قٰالَ لَهُ صٰاحِبُهُ وَ هُوَ

يُحَاوِرُهُ أَ كَفَرْتَ بِالَّذِی خَلَقَکَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَهٍ ثُمَّ سَوّاکَ رَجُلاً

.

و هنا قد يثار هذا السؤال،و هو:إنّ كلام ذلك الرجل المغرور المتكبر الذی مرّ ذكره فی الآيات الآنفه،لم يصرّح فيه بإنكار الحق جلّ و علا-فی حين أنّ جواب الإنسان المؤمن ركزّ فيه أوّلا-على إنكاره للخالق!؟لذلك فإنّه وجّه نظره أوّلا إلى قضيه خلق الإنسان التی هی من أبرز أدله التوحيد و التوجّه نحو الخالق العالم القادر.اللّه الذی خلق الإنسان من تراب،حيث امتصت جذور الأشجار المواد الغذائيه الموجوده فی الأرض،و الأشجار بدورها أصبحت طعاما للحيوانات، و الإنسان استفاد من هذا النبات و لحم الحيوان،و انعقدت نطفته من هذه المواد، ثمّ سلكت النطفه طريق التكامل فی رحم الأم حتى تحوّلت إلى إنسان كامل، الإنسان الذی هو أفضل من جميع موجودات الأرض،فهو يفكّر و يصمّم و يسخّر كلّ شیء لأجله.

نعم،إنّ هذا التراب عديم الأهميه يتحوّل إلى هذا الموجود العجيب،مع هذه الأجهزه المعقده الموجوده فی جسم الإنسان و روحه،و هذا من الدلائل العظيمه على التوحيد.

و فی الجواب على السؤال المثار ذكر المفسّرون تفاسير معتدّده نجملها فيما يلی:

١-قالت مجموعه منهم:بما أنّ هذا الرجل المغرور أنكر بصراحه المعاد و البعث أو شكك فيه،فإنّه يلزم من ذلك إنكار الخالق،لأنّ منكر المعاد الجسمانی ينكر فی الواقع قدره اللّه،و لا يصدّق بأنّ هذا التراب المتلاشی سوف تعود له الحياه مرّه أخرى،لذا فإنّ الرجل المؤمن مع ذكره للخلق الأوّل من تراب،ثمّ من نطفه،ثمّ بإشارته للمراحل الأخرى-أراد أن يلفت نظره إلى القدره غير المتناهيه للخالق حتى يعلم بأنّ قضيه المعاد يمكن مشاهدتها هنا و تمثّلها بأعيننا فی واقع هذه الأرض.

۲-و قال آخرون:إنّ شركه و كفره كانا بسبب ما رآه لنفسه من استقلال فى المالكيه و ما تصوره من دوام و أبديه هذه الملكيه.

۳-الاحتمال الثّالث أنّه لا يبعد أن يكون الرجل قد أنكر الخالق فى بعض كلامه و لم يذكر القرآن هذا المقطع من كلامه.و قد يتوضح الأمر بقرينه جواب الرجل المؤمن،لذا نرى فى الآيه التى بعدها أنّ الرجل المؤمن قال لصاحب البستان ما مضمونه:إن كنت أنكرت وجود خالقك و سلكت طريق الشرك،إلاّ أنّنى لا أفعل ذلك أبدا.

على أى حال،ثمّه علاقه واضحه تربط بين الاحتمالات الثلاثه،و يمكن أن يكون كلام الرجل المؤمن الموحّد إشاره الى هذه الاحتمالات جميعا.

ثمّ عمد الرجل الموحّد المؤمن إلى تحطيم كفر و غرور ذلك الرجل(صاحب البستان)فقال: لٰكِنَّا هُوَ اللّٰهُ رَبِّى (۱) .و إنّى أفتخر بهذا الإعتقاد و أتباهى به، إنّك تفتخر بأنّك تملك بستانا و مزرعه و فواكه و ماءا كثيرا؛إلاّ أنّنى أفتخر بأنّ اللّه ربّى، إنّه خالقى و رازقى؛إنّك تتباهى بدنياك و أنا أفتخر بعقيدتى و إيمانى و توحيدى:

وَ لاٰ أُشْرِكُ بِرَبِّى أَحَداً

.

و بعد أن أشار إلى قضيه التوحيد و الشرك اللذين يعتبران من أهم المسائل المصيريه،جدّد لومه لصاحبه قائلا: وَ لَوْ لاٰ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مٰا شٰاءَ اللّٰهُ (۲) .

فلما ذا لا تعتبر كل هذه النعم من الخالق جلّ و علا،و لماذا لم تشكره عليها.

و لماذا لم تقل: لاٰ قُوَّهَ إِلاّٰ بِاللّٰهِ .

فإذا كنت قد هيّأت الأرض و بذرت البذور و زرعت الغرس و ربيت الأشجار،و فعلت كلّ شىء فى وقته المناسب حتى وصل الأمر إلى ما وصل إليه؛



---

۱- ۱) -كلمه(لكنّا)فى الأصل كانت(لكن إنّ)ثمّ دمجت و أصبحت هكذا.

۲- ۲) -جمله مٰا شٰاءَ اللّٰهُ لها محذوف إذ تكون مع التقدير:ما شاء اللّه كان،أو:ما شاء اللّه،فإنّ هذا هو الشىء الذى يريده اللّه.

فإنّ كل هذه الأمور هی من قدره الخالق جلّ و علا،و قد وضع سبحانه و تعالی الوسائل و الإمکانات تحت تصرفک،حیث أنّک لا تملک شیئا من عندک،و بدونه تکون لا شیء! ثمّ یقول له:لیس من المهم أن أکون أقل منک مالا و ولدا: إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْکَ مٰالاً وَ وَلَداً .

فَعَسیٰ رَبِّی أَنْ یُؤْتِیَنِ خَیْراً مِنْ جَنَّتِکَ

.

و لیس فقط أن یعطینی أفضل ممّا عندک،بل و یرسل صاعقه من السماء علی بستانک،فتصبح الأرض الخضراء أرض محروقه جرداء: وَ یُرْسِلَ عَلَیْهٰا حُسْبٰاناً مِنَ السَّمٰاءِ فَتُصْبِحَ صَعِیداً زَلَقاً .

أو أنّه سبحانه و تعالی یعطی أوامره إلی الأرض کی تمنعک الماء: أَوْ یُصْبِحَ مٰاؤُهٰا غَوْراً فَلَنْ تَسْتَطِیعَ لَهُ طَلَباً .

«حسبان»علی وزن«لقمان»و هی فی الأصل مأخوذه من کلمه«حساب»، ثمّ وردت بعد ذلک بمعنی السهام التی تحسب عند رمیها،و تأتی أیضا بمعنی الجزاء المرتبط بحساب الأشخاص،و هذا هو ما تشیر إلیه الآیه أعلاه.

«صعید»تعنی القشره التی فوق الأرض.و هی فی الأصل مأخوذه من کلمه صعود.

«زلق»بمعنی الأرض الملساء بدون أی نباتات بحیث أنّ قدم الإنسان تنزلق علیها(الطریف ما یقوم به الإنسان الیوم حیث تتمّ عملیه تثبیت الأرض و الرمال المتحرکه،و منع القری من الاندثار تحت هذه الرمال عند هبوب العواصف الرملیه،و ذلک من خلال زراعتها بالنباتات و الأشجار،أو-کما یصطلح علیه-إخراجها من حال الزلق و الانزلاق).

فی الواقع،إنّ الرجل المؤمن و الموحّد حذّر صدیقه المغرور أن لا یطمأن لهذه النعم،لأنّها جمیعا فی طریقها إلی الزوال و هی غیر قابله للاعتماد.

ص:۲۷۱

إنّه أراد أن يقول لصاحبه:لقـد رأيت بعينيک-أو على الأقل سـمعت بأذنک- كيف أنّ الصواعق السـماويه جعلت من البساتين و البيوت و المزروعات-و خلال لحظه واحده-تلّا من التراب و الدمار و أصبحت أرضهم يابسه عديمه الماء و الكلأ.

و أيضا سمعت أو رأيت بقيام هزه أرضيه تطمس الأنهار و تجفّف العيون، بحيث تكون غير قابله للإصلاح و الترميم.

و بمعرفتک لكل هـذ الأمور فلم هـذا الغرور؟! أنت الـذى شاهـدت أو سـمعت كل هـذا،فلم هـذا الانشداد للأرض و الهوى؟ ثمّ لماذا تقول:لا أعتقد أن تزول هذه النعم و أنّها باقيه و خالده؛فلما ذا هذا الجهل و البلاهه!!!؟

## الآيات [سوره الكهف (١٨): الآيات ۴۲ الی ۴۴]

### اشاره

وَ أُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلىٰ مٰا أَنْفَقَ فِيهٰا وَ هِيَ خٰاوِيَةٌ عَلىٰ عُرُوشِهٰا وَ يَقُولُ يٰا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً (۴۲) وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ وَ مٰا كٰانَ مُنْتَصِراً (۴۳) هُنٰالِكَ اَلْوَلاٰيَةُ لِلّٰهِ اَلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوٰاباً وَ خَيْرٌ عُقْباً (۴۴)

### التّفسير

### اشاره

### العاقبه السوداء:

أخيرا انتهى الحوار بين الرجلين دون أن يؤثر الشخص الموحّد المؤمن فی أعماق الغنی المغرور،الذين رجع إلى بيته و هو يعيش نفس الحاله الروحيه و الفكريه،و غافل أنّ الأوامر الإلهيه قد صدرت بإباده بساتينه و مزروعاته الخضراء،و أنّه وجب أن ينال جزاء غروره و شركه فی هذه الدنيا،لتكون عاقبته عبره للآخرين.

و يحتمل أنّ العذاب الإلهی قد نزل فی تلك اللحظه من الليل عند ما خيّم الظلام،على شكل صاعقه مميته أو عاصفه هو جاء مخيفه،أو على شكل زلزال مخرّب و مدمّر.و أيّا كان فقد دمّرت هذه البساتين الجميله و الأشجار العاليه

و الزرع المثمر،حيث أحاط العذاب الإلهى بتلك المحصولات من كل جانب:

وَ أُحِيطَ بِثَمَرِهِ

.

«أحيط»مشتقّه من«إحاطه»و هى فى هذه الموارد تأتى بمعنى(العذاب الشامل)الذى تكون نتيجته الإباده الكامله.

و عند الصباح جاء صاحب البستان و تدور فى رأسه الأحلام العديده ليتفقد و يستفيد من محصولات البستان،و لكنّه قبل أن يقترب منه واجهه منظر مدهش و موحش،بحيث أنّ فمه بقى مفتوحا من شده التعجّب،و عيناه توقفتا عن الحركه و الاستداره.

لم يكن يعلم بأنّ هذا المنظر يشاهده فى النوم أم فى اليقظه!الأشجار جميعها ساقطه على التراب،النباتات مدمّره،و ليس ثمّه أى أثر للحياه هناك! كان الأمر بشكل و كأنّه لم يكن هناك بستان و لا أراضى مزروعه،كانت أصوات(البوم)-فقط-تدوى فى هذه الخرائب،قلبه بدأ ينبض بقوّه،بهت لونه، يبس الماء فى فمه،و تحطّم الكبرياء و الغرور اللذان كانا يثقلان نفسه و عقله.

كأنّه صحا من نوم عميق: فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلى مٰا أَنْفَقَ فِيهٰا وَ هِيَ خٰاوِيَةٌ عَلىٰ عُرُوشِهٰا .

و فى هذه اللحظه ندم على أقواله و أفكاره الباطله: وَ يَقُولُ يٰا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً .

و الأكثر حزنا و أسفا بالنسبه له هو ما أصبح عليه من الوحده فى مقابل كل هذه المصائب و الابتلاءات: وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ .

و لأنّه فقد ما كان يملكه من رأس المال و لم يبقى لديه شيء آخر،فإنّ مصيره: وَ مٰا كٰانَ مُنْتَصِراً .

لقد انهارت جميع آماله و ظنونه الممزوجه بالغرور،لقد أدت الحادثه إلى انتهاء كل شيء،فهو من جانب كان يقول:إنّى لا أصدق بأنّ هذه الثروه العظيمه

من الممكن أن تفنى،إلاّـ أنّنى رأيت فناءهـا بعينى! و من جـانب آخر فقـد كان يتعامل مع رفيقه المؤمن بكبر و يقول: إنّنى أقوى منك و أكثر أنصارا و مالا،و لكنّه بعـد هـذه الحادثه اكتشف أن لا أحـد ينصـره! و من جانب ثالث فإنّه كان يعتمـد على قوته و قـدرته الـذاتيه،و يعتقـد بأنّ غير قـدرته محدوده،لكنّه بعد هذه الحادثه،و بعد أن لم يكن بمقدوره الحصول على شـىء،انتبه إلى خطئه الكبير،لأنّه لم يعد يتملك شيئا يعوضه جانبا من تلك الخساره الكبرى.

و عـاده،فـإنّ الأصـدقاء الـذين يلتفون حول الإنسـان لأجـل المال و الثروه مثلهم كمثل الـذباب حول الحلوى،و قـد يفكّر الإنسان أحيانا بالاعتماد عليهم فى الأيّام الصعبه،و لكن عند ما يصاب فيما يملك يتفرق هؤلاء الخلّان من حوله،لأنّ صداقتهم له لم تكن لرابط معنوى،بل كانت لأسباب ماديه،فإذا زالت هذه الأسباب انتفت الرفقه! و هكذا انتهى كل شىء و لا ينفع الندم،لأنّ مثل هذه اليقظه الإجباريه التى تحـدث عنـد نزول الابتلاءات العظيمه يمكن ملاحظتها حتى عند أمثال فرعون و نمرود،و هى بلا قيمه،لهذا فإنّها لا تؤثّر على حال من ينتبه.

صحيح أنّه ذكر عباره لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّى أَحَداً و هى نفس الجمله التى كان قد قالها له صديقه المؤمن،إلاّ أنّ المؤمن قالها فى حاله السلامه و عدم الابتلاء،بينما ردّدها صاحب البستان فى وقت الضيق و البلاء.

هُنالِكَ الْوَلايَهُ لِلّهِ الْحَقِّ

نعم،لقـد اتضـح أنّ جميع النعم منه تعـالى،و أنّ كـل ما يريـده تعالى يكون طوع إرادته،و أنّه بـدون الاعتماد على لطفه لا يمكن إنجاز عمل: هُوَ خَيْرٌ ثَواباً وَ خَيْرٌ عُقْباً .

إذن،لو أراد الإنسان أن يحب أحدا و يعتمد على شىء ما،أو يأمل بهديه من

شخص ما،فمن الأفضل أن يكون اللّه سبحانه محط أنظاره،و موقع آماله،و من الأفضل أن يتعلق بلطفه تعالى و إحسانه.

## بحثان

### اشاره

#### ۱-غرور الثروه

فی هذه القصّه نشاهد تجسیدا حیا لما نطلق علیه اسم غرور الثروه،و قد عرفنا أنّ هذا الغرور ینتهی أخیرا إلی الشرک و الکفر.فعند ما یصل الأفراد الذین یعیشون حیاتهم بلا غایه و هدف إیمانی إلی منزله معینه من القدره المالیه أو الوجاهه الاجتماعیه،فإنّهم فی الغالب یصابون بالغرور.و فی البدایه یسعون إلی التفاخر بإمکاناتهم علی الآخرین و یعتبرونها وسیله تفوّق،و یرون من التفاف أصحاب المصالح حولهم دلیلا علی محبوبیتهم،و قد أشار القرآن الکریم إلی ذلک بقوله: أَنَا أَکْثَرُ مِنْکَ مٰالاً وَ أَعَزُّ نَفَراً .

و یتبدّل حبّ هؤلاء للدنیا تدریجیا بفکره الخلود فیها: مٰا أَظُنُّ أَنْ تَبِیدَ هٰذِهِ أَبَداً .

إنّ ظنّهم بخلود ثرواتهم المادیه یجعلهم ینکرون المعاد للتضاد الواضح بین ما هم فیه و بین مبدأ البعث و المعاد،فیکون لسان حالهم: وَ مٰا أَظُنُّ السّٰاعَهَ قٰائِمَهً .

و الأنکی من ذلک هو أنّهم یعتبرون مقامهم و وجاهتهم فی هذه الدنیا دلیلا علی قرب مقامهم من محضر القدس الإلهی،فیقولون: وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلیٰ رَبِّی لَأَجِدَنَّ خَیْراً مِنْهٰا مُنْقَلَباً .

هذه المراحل الأربع نجدها واضحه فی حیاه أصحاب القدره من عبید الدنیا،مع فوارق نسبیه فیما بینهم،فیبدأ مسیرهم الانحرافی من الاغترار بما

لـديهم من قوه و قـدره،و يتصاعد انحرافهم إلى الشـرك و عباده الأصـنام و الكفر و إنكار المعاد،لأنّهم يعبدون القدره الماديه و يجعلونها صنما دون سواها.

-۲

**دروس و عبر**

هذا المصـير المقترن بالعبره و الذى ذكر هنا بشـكل سـريع يتضمّن بالإضافه إلى الدرس الآنف،دروسا أخرى ينبغى أن نتعلمها،و هذه الدروس هى:

أ:مهمـا كـانت نعم الـدنيا المـاديه كبيره و واسـعه،فإنّهـا غير مطمئنه و غير ثـابته، فصـاعقه واحـده تسـتطيع فى ليله أو فى لحظات معدوده أن تبيد البساتين و المزارع التى يكمن فيها جهد سـنين طويله من عمر الإنسان،و تحيلها إلى تل من تراب و رماد و أرض يابسه زلقه.

إنّ زلزله واحده خفيفه يمكن أن تقضـى على العيون الفّواره التى هى الأصل فى هذه الحياه،بالشـكل الذى لا يمكن معه ترميمها أبدا.

ب:إنّ الأصـدقاء الـذين يلتفون حول الإنسان بغرض الإفاده من إمكاناته الماديه هم بـدرجه من اللامبالاه و على قدر من الغدر و الخيـانه بحيث أنّهم يتخلّون عنه فى نفس اللحظه الـتى تزول فيهـا إمكانـاته المـاديه و يـتركونه وحيـدا لهمـومه: وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللّهِ .

هـذا النوع من الأحـداث الـذى طالمـا سـمعنا و رأينـا له نمـاذج تبرهن على أنّ الإنسـان لاـ يملك سوى التعلق باللّه وحـده،و أنّ الأصـدقاء الحقيقيين و الأوفيـاء للإنسـان هم الـذين تصـنعهم الروابـط و العلاـئق المعنـويه،إذ يسـتمر ودّ هؤلاـء فى حـال الفقر و الثروه،فى الشـباب و الشـيبه،فى الصـحه و المرض،فى العز و الـذله،بـل و تسـتمر مودّه هؤلاـء إلى ما بعـد الموت! ج:لا فائـده من الصحوه بعد نزول البلاء:

لقد أشرنا مرارا إليّ أنّ اليقظه الإجباريه لدى الإنسان ليست دليلا على يقظه

داخليه حقيقيه هاديه،و ليست علامه على تغيير مسير الإنسان،أو ندمه على أعماله السابقه و على ما كان فيها من معصيه و انحراف،بل كل ما فى الأمر هو أنّ الإنسان عند ما ينزل بساحته البلاء أو يرى عمود المشنقه،أو تحيط به أمواج البلاء و العواصف،فهو يتأثر للحظات لا تتعدى مده البلاء و يتخذ قرارا بتغيير مصيره،و لكن لأنّه لا يملك أساسا متينا فى أعماقه،فإنّه بانتهاء البلاء يغفل عن صحوته هذه و يعود إلى خطّه و مسيره الأوّل.

لو تأملنا الآيه(١٨)من سوره النساء لرأينا من خلالها أنّ أبواب التوبه تغلق أمام الإنسان عند رؤيه علائم الموت،و سبب هذا الأمر هو ما ذكرناه أعلاه.

و فى الآيات(٩٠-٩١)من سوره يونس يقول القرآن حول فرعون عند ما صار مصيره إلى الغرق و عصفت به الأمواج،فإذا به يصرخ و يقول: آمَنْتُ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرٰائِيلَ إلاّ أنّ هذه التوبه ترد عليه و لا تقبل منه:

آلْآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ ! د:لا الفقر دليل الذله و لا الثروه دليل العزه:

و هذا درس آخر نتعلمه من الآيات أعلاه،طبيعى أنّ المجتمعات الماديه و المذاهب النفعيه غالبا ما تتوهم بأنّ الفقر و الثروه هما دليل الذله و العزه،لهذا السبب لاحظنا أنّ مشركى العصر الجاهلى يعجبون من يتمّ رسول الإسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و فقره و يقولون: وَ قٰالُوا لَوْ لاٰ نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (١) .

ه:أسلوب تحطيم الغرور:

عند ما تبدأ بواعث الغرور تقترب من الإنسان و تناجى أعماقه بسبب المال و المنصب،فيجب عليه أن يقطع تلك الوسوسه من جذورها،عليه أن يتذكر ذلك اليوم الذى كان فيه ترابا لا قيمه له،و ذلك اليوم الذى كان فيه نطفه لا قيمه لها، عليه أن يعى اللحظه التى كان فيها وليدا ضعيفا لا يقدر على الحركه.



---

١- ١) -الزخرف،٣١.

لاحظنا القرآن فی الآیات الآنفه کیف یعید من خلال خطاب الرجل المؤمن، صاحب البستان إلی وضعه العادی: أَ کَفَرْتَ بِالَّذِی خَلَقَکَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَهٍ ثُمَّ سَوّاکَ رَجُلاً .

و:درس من عالم الطبیعه:

القرآن عند ما یصف البساتین المثمره یقول: وَ لَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَیْئاً و لکنّه عند ما یتحدث عن صاحب البستان یقول: وَ دَخَلَ جَنَّتَهُ وَ هُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ .

یعنی:أیّها الإنسان،أنظر إلی الوجود من حولک،و لا حظ أنّ هذه الأشجار المثمره و الزراعه المبارکه کیف آتت کل ما عندها بأمانه و قدمته لک،فلا مجال عندها للاحتکار و الحسد و البخل،فعالم الوجود هو ساحه للإیثار و البذل و العفو، فما تمتلکه الأرض تقدمه بإیثار إلی الحیوانات و النباتات،و تضع الأشجار و النباتات کل ثمارها و مواهبها فی إختیار الإنسان و الأحیاء الأخری،و قرص الشمس یضعف یوما بعد آخر و هو یشع النور و الدفء و الحراره،الغیوم تمطر و الریاح تهب،لتتسع أمواج الحیاه فی کل مکان.

هذا هو نظام الوجود،و لکنّک أیّها الإنسان ترید أن تکون سید الوجود و مع ذلک تسحق قوانینه الثابته البیّنه.فتکون رقعه نشاز غیر متناسقه فی عالم الوجود ترید أن تستحوذ علی کل شیء و تصادر حقوق الآخرین!

## الآيتان [سوره الكهف (١٨): الآيات ۴۵ الى ۴۶]

### اشاره

وَ اِضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ اَلْحَيٰاهِ اَلدُّنْيٰا كَمٰاءٍ أَنْزَلْنٰاهُ مِنَ اَلسَّمٰاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبٰاتُ اَلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ اَلرِّيٰاحُ وَ كٰانَ اَللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً (۴۵) اَلْمٰالُ وَ اَلْبَنُونَ زِينَهُ اَلْحَيٰاهِ اَلدُّنْيٰا وَ اَلْبٰاقِيٰاتُ اَلصّٰالِحٰاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوٰاباً وَ خَيْرٌ أَمَلاً (۴۶)

### التّفسير

### اشاره

#### بدايه و نهايه الحياه فى لوحه حيّه:

الآيات السابقه تحدّثت عن عدم دوام نعم الدنيا،و لأنّ إدراك هذه الحقيقه لعمر بطول(۶۰-۸۰)سنه يعتبر أمرا صعبا بالنسبه للأفراد العاديين،لذا فإنّ القرآن قد جسّد هذه الحقيقه من خلال مثال حى و معبّر كى يستيقظ الغافلون المغرورون من غفلتهم و نومهم عند ما يشاهدون تكرار هذا الأمر عدّه مرّات خلال عمرهم.

يقول تعالى: وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا كَمٰاءٍ أَنْزَلْنٰاهُ مِنَ السَّمٰاءِ هذه القطرات الواهبه للحياه تسقط على الجبال و الصحراء،و تعيد الحياه للبذور

المستعده الكامنه فی الأرض المستعدّه بدورها،لتبدأ حرکتها التکامليه.

إنّ الطبقه الخارجيه السميکه للبذور تلين قبال المطر،و تسمح للبراعم فی الخروج منها،و أخيرا تشق هذه البراعم التراب و تخترقه،الشمس تشع،النسيم يهب،المواد الغذائيه فی الأرض تقدّم ما تستطيع،تتقوى البراعم بسبب عوامل الحياه هذه ثمّ تواصل نموها،بحيث-بعد فتره-نرى أن نباتات الأرض تتشابک فيما بينها: فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبٰاتُ الْأَرْضِ .

الجبل و الصحراء يتحولان إلى قوّه حياتيه دافعه،أمّا البراعم و الفواکه و الأوراد فإنّها تزيّن الأغصان،و کأنّ الجميع يضحک،يصرخون صراخ الفرح، يرقصون فرحا! لکن هذا الواقع الجذّاب لا يدوم طويلا،حيث تهب رياح الخريف و تلقى بغبار الموت على النباتات،يبرد الهواء،و تشح المياه،و لا تمضى مدّه حتى يمسى ذلک الزرع الجميل الأخضر ذو الأغصان المورقه،ميتا و يابسا: فَأَصْبَحَ هَشِيماً (1) .

تلک الأوراق التی لم تتمکن العواصف الهوجاء من فصلها عن الأغصان فی فصل الربيع،قد أصبحت ضعيفه بدون روح بحيث أنّ أی نسيم يهب عليها يستطيع فصلها عن الأغصان و يرسلها إلى أی مکان شاء: تَذْرُوهُ الرِّيٰاحُ (2) .

نعم: وَ كٰانَ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً .

الآيه التی بعدها تذکر وضع المال و الثروه و القوه الإنسانيه اللذين يعتبران رکنين أساسيين فی الحياه الدنيا،حيث تقول: اَلْمٰالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا .

إنّ هذه الآيه-فی الحقيقه-تشير إلى أهم قسمين فی رأسمال الحياه حيث ترتبط الأشياء الأخرى بهما،إنّها تشير إلى(القوّه الاقتصاديه)و(القوّه الإنسانيه)

ص:281

---

1- 1) -«هشيم»من«هشم»بمعنى محطّم،و هی هنا تطلق على النباتات المتيبسه و المتحطّمه.

2- 2) -«تذروه»من«ذرو»و تعنی التشتيت.

لأنّ وجودهما ضروری لتحقیق أی هدف مادی،خاصّه فی الأزمنه السابقه إذ کان من یملک أبناء أکثر یعتبر نفسه أکثر قوه،لأنّ الأبناء هم رکن القوّه،و قد وجدنا فی الآیات السابقه أنّ صاحب البستان الغنی کان یتباهی بأمواله و أعوانه علی الآخرین و یقول: أَنَا أَکْثَرُ مِنْکَ مٰالاً وَ أَعَزُّ نَفَراً .

لذا فإنّهم کانوا یعتمدون علی«البنین»جمع(ابن)و المقصود به الولد الذکر، حیث کانوا یعتبرون الولد رأسمال القوّه الفعّاله للإنسان،و بالطبع لیس للبنات نفس المرکز أو المقام.

المهم أنّ اَلْمٰالُ وَ الْبَنُونَ بمثابه الورد و البراعم الموجوده علی أغصان الشجر،إنّها تزول بسرعه و لا تستمر طویلا،و إذا لم تستثمر فی طریق المسیر إلی (اللّه)فلا یکتب لها الخلود،و لا یکون لها أدنی اعتبار.

و رأینا أنّ أکثر الأموال ثباتا و دواما و المتمثله فی البستان و الأرض الزراعیه و عین الماء قد أبیدت خلال لحظات.

و فیما یخص الأبناء،فبالإضافه إلی أنّ حیاتهم و سلامتهم معرّضه للخطر دائما،فهم یکونون فی بعض الأحیان أعداء بدلا من أن یکونوا عونا فی اجتیاز المشاکل و الصعوبات.

ثمّ یضیف القرآن: وَ الْبٰاقِیٰاتُ الصّٰالِحٰاتُ خَیْرٌ عِنْدَ رَبِّکَ ثَوٰاباً وَ خَیْرٌ أَمَلاً .

بالرغم من أنّ بعض المفسّرین أرادوا حصر مفهوم(الباقیات الصالحات)فی دائره خاصّه مثل الصلوات الخمس أو ذکر:سبحان اللّه و الحمد للّه و لا إله إلاّ اللّه و اللّه أکبر،و أمثال هذه الأمور،إلاّ أنّ الواضح أنّ هذا التغییر هو من السعه بحیث یشمل کل فکره و قول و عمل صالح تدوم و تبقی آثاره و برکاته بین الأفراد و المجتمعات.

فإذا رأینا فی بعض الرّوایات أنّ الباقیات الصالحات تفسّر بصلاه اللیل،أو موده أهل البیت علیهم السّلام،فإن الغرض من ذلک هو بیان المصداق البارز،و لیس تحدید

المفهوم،خاصّه و إن بعض هذه الرّوايات استخدمت فيها كلمه(من)التی تدل علی التبعیض.

فمثلا

فی روایه عن الإمام الصادق علیه السّلام أنّه قال: «لا تستصغر مودّتنا فإنّها من الباقیات الصالحات».

و

فی حدیث آخر عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم نقرأ قوله: «لا تترکوا التسبیحات الأربع فإنّها من الباقیات الصالحات».

و حتی الأموال المتزلزله أو الأبناء الـذین یکونون أحیانا فتنه و اختبارا،إذ اسـتخدمت فی مسـیر اللّه تبارک و تعالی فإنّها سـتکون من الباقیات الصالحات،لأنّ الذات المقدسه الإلهیه ذات أبدیه،فکل ما یرتبط بها و یسیر نحوها سیکتب له البقاء و الابدیه.

## بحوث

### اشاره

### ۱-المغریات

مرّه أخری توظّف الآیات أعلاه دور المثال فی تجسید المعانی و استیعابها.

إنّ القرآن-من خلال مثل واحد-یعکس مجموعه من الحقائق العقلیه التی قد یکون من الصعب درکها من قبل الکثیر من الناس.

یقول للنـاس:إنّ دوره حیـاه النبـات و موته تتکرّر أمّـا أعینکم فی کـل سـنه مرّه، فإذا کان عمر الإنسان(۶۰)سـنه فإنّ هذا المشهد یتکرر أمامکم(۶۰)مرّه.

إذا ذهبتم فی الربیع إلی الصـحراء فستشاهدون تلـک المنـاظر الجمیله و التی یـدل کـل مـا فیهـا علی الحیاه،و لکن لو ذهبتم فی الخریف إلی نفس تلک الأماکن فسوف ترون الموت ینشر أجنحته فی کل مکان.

إنّ مثل الإنسان فی حیاته کمثل النبته،فهو فی یوم کان طفلا کالبرعم،ثمّ

أصبح شابا كالورده المملوءه طراوه،ثمّ يصبح كهلا ضعيفا كالنبته الذابله اليابسه ذات الأوراق الصفراء،ثمّ إنّ عاصفه الموت تحصد هذا الإنسان لينتشر بعد فتره تراب جسده المتهرئ-بواسطه العواصف-إلى مختلف الاتجاهات و الأماكن.

و لكن قد تنتهي دوره الحياه بصوره غير طبيعيه،بمعنى أنّها لا ترتقي إلى نهايه شوطها،إذ من الممكن أن تنتهي في منتصف الشوط بواسطه صاعقه أو عاصفه كما في قوله تعالى في الآيه(٢۴)من سوره يونس: إِنَّمٰا مَثَلُ الْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا كَمٰاءٍ أَنْزَلْنٰاهُ مِنَ السَّمٰاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبٰاتُ الْأَرْضِ مِمّٰا يَأْكُلُ النّٰاسُ وَ الْأَنْعٰامُ حَتّٰى إِذٰا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهٰا وَ ازَّيَّنَتْ وَ ظَنَّ أَهْلُهٰا أَنَّهُمْ قٰادِرُونَ عَلَيْهٰا أَتٰاهٰا أَمْرُنٰا لَيْلاً أَوْ نَهٰاراً فَجَعَلْنٰاهٰا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ .

و في بعض الأحيان لا تكون الحوادث سببا لفناء الحياه في منتصف دوره الحياه،بل يستمر السير الطبيعي حتى النهايه،أي وصولا إلى مرحله الذبول و التشتت و الفناء كما أشارت إلى ذلك الآيه التي نبحثها.

في كل الأحوال تنتهي الحياه الدنيا-سواء في الطريق الطبيعي أو غير الطبيعي-إلى الفناء الذي يحل بساحه الإنسان عاجلا أم آجلا.

## ٢-عوامل تحطيم الغرور

قلنا:إنّ الكثير من الناس عند ما يحصلون على الإمكانات الماديه و المناصب يصابون بالغرور،و هذا الغرور هو العدو اللدود لسعاده الإنسان،و في الآيات السابقه رأينا كيف أنّ الغرور يؤدي إلى الشرك و الكفر.

و لأنّ القرآن كتاب تربوي عظيم،فهو يستفيد من عده طرق لتحطيم الغرور.

ففي بعض الأحيان يجسّد لنا أنّ الفناء هو نهايه الثروات الماديه كما في الآيات أعلاه.

و في أحيان أخرى يحذّر من إمكانيه تحوّل الثروات و الأولاد إلى عدو

للإنسان (كما فی الآیه ۵۵ من سوره التوبه).

و فی مرّات یحذّر الناس و یوقظ فیهم حسهم الوجدانی،عند ما یستعرض أمامهم عاقبه المغرورین فی التأریخ من أمثال فرعون و قارون.

و قد رأینا القرآن یعالج إحساس الإنسان بالغرور من خلال تذکیره بماضیه، عند ما کان نطفه عدیمه الأهمیه أو ترابا لا یذکر،ثمّ یجسّد له مستقبله و ما هو صائر إلیه کی یعرف أنّ الغرور بین حدّی الضعف هذین یعتبر عملا جنونیا(کما فی الآیه ۶ من سوره الطارق،و الآیه ۸ من سوره السجده،و الآیه ۳۸ من سوره القیامه).

و بهذه الصوره حاول القرآن توظیف أی أسلوب و وسیله لمعالجه عوامل الغرور فی شخصیه الإنسان،هذه الصفه الشیطانیه التی هی مصدر الکثیر من الجرائم فی طول التأریخ.

و لکن من المسلّم به أنّ المؤمنین الحقیقیین لا ـ یصابون بهذه الخصله القبیحه عند الوصول إلی منصب أو ثروه،لیس هذا و حسب،بل تری أنّه لا ـ یحدث أدنی تغییر فی برنامج حیاتهم،إذ یعتبرون کل هذه الأمور عباره عن زینه عابره، و بضاعه زائله،و مصیرها إلی فناء عند ما تهب أدنی عاصفه.

## الآيات [سوره الكهف (۱۸): الآيات ۴۷ الی ۴۹]

### اشاره

وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ اَلْجِبالَ وَ تَرَى اَلْأَرْضَ بارِزَةً وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً (۴۷) وَ عُرِضُوا عَلى رَبِّکَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونا كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً (۴۸) وَ وُضِعَ اَلْكِتابُ فَتَرَى اَلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمّا فِيهِ وَ يَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا ما لِهذَا اَلْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلاّ أَحْصاها وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَ لا يَظْلِمُ رَبُّکَ أَحَداً (۴۹)

## التّفسير

### اشاره

### يا ويلتاه من هذا الكتاب!

تعقيبا لما كانت تتحدث به الآيات السابقه عن غرور الإنسان و إعجابه بنفسه،و ما تؤدی إليه هذه الصفات من إنكار للبعث و المعاد،ينصب المقطع الراهن من الآيات التی بين أيدينا على تبيان المراحل الممهده للقيامه وفق الترتيب الآتی:

۱-مرحله ما قبل بعث الإنسان.

۲-مرحله البعث.

۳-قسم من مرحله ما بعد البعث.

الآیه الأولی تذکّر الإنسان بمقدمات البعث و القیامه فتقول:إنّ انهیار معالم الشکل الراهن للعالم هی أوّل مقدمات البعث،و سیتمّ هذا التغییر لشکل العالم من خلال مجموعه مظاهر،فی الطلیعه منها تسییر الجبال الرواسی و کل ما یمسک الأرض و یبرز علیها،حتی تبدو الأرض خالیه من أیّ من المظاهر السابقه:

وَ یَوْمَ نُسَیِّرُ الْجِبٰالَ وَ تَرَی الْأَرْضَ بٰارِزَهً

.

هذه الآیه تشیر إلی حوادث قبیل البعث،و هی حوادث کثیره جدّا.

و الملاحظ أنّ السور القصار تتحدث عنها بشکل بارز فی إطار حدیثها عمّا بات یعرف اصطلاحا ب«أشراط الساعه».

إنّ المستفاد من مجموعه تلک السور أنّ وجه العالم الراهن یتغیّر بشکل کلیّ حیث تتلاشی الجبال،و تنهار الأبنیه و الأشجار،ثمّ تضرب الأرض سلسله من الزلازل،و تنطفئ الشمس،و یخمد نور القمر،و تظلم النجوم.و علی حطام کل ذلک تظهر إلی الوجود سماء جدیده،و أرض جدیده،لیبدأ الإنسان حینئذ حیاته الأخری فی مرحله البعث و الحساب.

بعد ذلک تضیف الآیه قوله تعالی: وَ حَشَرْنٰاهُمْ فَلَمْ نُغٰادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً .

«نغادر»من«غدر»بمعنی الترک.و لذلک یقال للذی یخلف الوعد و المیثاق و یترکه بأنّه«غدر»و یقال لمیاه الأمطار المتجمعه فی مکان واحد ب«الغدیر» لأنّها قد ترکت هناک.

فی کل الأحوال،تؤکّد الآیه الآنفه الذکر علی أنّ المعاد هو حاله عامّه لا یستثنی منها أحد.

الآیه التی بعدها تتحدّث عن کیفیه بعث الناس فتقول: وَ عُرِضُوا عَلیٰ رَبِّکَ صَفًّا .إنّ استخدام هذا التعبیر قد یکون إشاره إلی حشر کل مجموعه من الناس تتشابه فی أعمالها فی صف واحد؛أو أنّ الجمیع سیکونون فی صف واحد دون

أيه امتيازات أو تفاوت،و سوف يقال لهم: لَقَدْ جِئْتُمُونا كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّهٍ .

فليس ثمّه كلام عن الأموال و الثروات،و لا الذهب و الزينه،و لا الامتيازات و المناصب الماديه،و لا الملابس المختلفه،و ليس هناك ناصر أو معين،ستعودون كمثل الحاله التى خلقناكم فيها أوّل مرّه،بالرغم من أنّكم كنتم تتوهمون عدم إمكان ذلك: بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً .

و ذلك فى وقت سيطرت فيه حاله الغرور عليكم بما أوتيتم من إمكانات ماديه غفلتم معها عن الآخره، و أصبحتم تفكرون فى حياتكم الدنيا و خلودها، و غفلتم عن نداء الفطره فيكم.

ثمّ تشير الآيات إلى مراحل أخرى من يوم البعث و المعاد فتقول: وَ وُضِعَ الْكِتابُ .هذا الكتاب الذى يحتوى على أحوال الناس بكل تفصيلاتها: فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمّا فِيهِ .و ذلك عند ما يطّلعون على محتواه فتتجلى آثار الخوف و الوحشه على وجوههم.

فى هذه الأثناء يصرخون و يقولون: وَ يَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَهً وَ لا كَبِيرَهً إِلاّ أَحْصاها .

الجميع مدعوون للحساب عن كل شىء مهما دنا و صغر،إنّه موقف موحش..لقد نسينا بعض أعمالنا و كأن لم نفعلها،حتى كنّا نظن بأنّنا لم نقم بعمل مخالف،لكن نرى اليوم أنّ مسئوليتنا أصبحت ثقيله جدّا و مصيرنا مظلم.

بالإضافه إلى الكتاب المكتوب ثمه دليل آخر: وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً .وجدوا الحسنات و السيئات؛الظلم و العدل،السلبيات و الخيانات،كل هذه و غيرها وجدوها متجسّده أمامهم.

فى الواقع إنّهم يلاقون مصير أعمالهم: وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً .الذى سيشملهم هناك،هو-لا محاله-ما قاموا به فى هذه الحياه الدنيا، لذلك فلا يلومون أحدا سوى أنفسهم.

ص :۲۸۸

### بحوث

### اشاره

### ۱–سر انهدام الجبال

قلنا:إنّه فی یوم الحشر و النشور سیتغیر نظام العالم المادی،و قد وردت صیاغات مختلفه حول انهدام الجبال فی القرآن الکریم،یمکن أن تقف علیها من خلال ما یلی:

فی الآیات التی نبحثها قرأنا تعبیر نُسَیِّرُ الْجِبٰالَ و إنّ نفس هذه الصیغه التعبیریه یمکن ملاحظتها فی الآیه(۲۰)من سوره النبأ.و الآیه(۳)من سوره التکویر.

و لکنّنا نقرأ فی الآیه(۱۰)من سوره المرسلات قوله تعالی: وَ إِذَا الْجِبٰالُ نُسِفَتْ .

فی حین أنّنا نقرأ فی الآیه(۱۴)من سوره الحاقه قوله تعالی: وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبٰالُ فَدُکَّتٰا دَکَّهً وٰاحِدَهً .

و فی الآیه(۱۴)من سوره المزمّل قوله تعالی: یَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبٰالُ وَ کٰانَتِ الْجِبٰالُ کَثِیباً مَهِیلاً .

و فی الآیه(۵)من سوره الواقعه قوله تعالی: وَ بُسَّتِ الْجِبٰالُ بَسًّا فَکٰانَتْ هَبٰاءً مُنْبَثًّا .

أخیرا نقرأ قوله تعالی فی الآیه(۵)من سوره القارعه: وَ تَکُونُ الْجِبٰالُ کَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ .

و من الواضح أن لیس هناک تناف أو تضاد بین مجموع الآیات أعلاه،بل هی صیغ لمراحل مختلفه لزوال جبال العالم و دمارها،هذه الجبال التی تعتبر أکثر أجزاء الأرض ثباتا و استقرارا، حیث تبدأ العملیه من نقطه حرکه الجبال حتی نقطه تحوّلها إلی غبار و تراب بحیث لا یری فی الفضاء سوی لونها! تری ما هی أسباب هذه الحرکه العظیمه المخفیه؟

ص:۲۸۹

إنّها غير معلومه لدينا،إذ قد يكون السبب فى ذلك هو الزوال المؤقت لظاهره الجاذبيه حيث تكون الحركه الدورانيه للأرض سببا فى أن تتصادم الجبال فيما بينها ثمّ حركتها باتجاه الفضاء.و قد يكون السبب هو الإنفجارات الذريه العظيمه فى النّواه المركزيه للأرض،و بسببها تحدث هذه الحركه العظيمه و الموحشه.

و على كل حال،فهذه الأمور تدلّ على أنّ حاله البعث و النشور هى ثوره عظيمه فى عالم الماده الميت،أيضا فى تجديد حياه الناس،حيث تكون كل هذه المظاهر هى بدايه لعالم جديد يكون فى مستوى أعلى و أفضل،إذ بالرغم من أنّ الروح و الجسم هما اللذان يحكمان طبيعه ذلك العالم،إلاّ أنّ جميع الأمور ستكون أكمل و أوسع و أفضل.

إنّ التعبير القرآنى يتضمّن هذه الحقيقه أيضا،و هى أنّ عمليه فناء عيون الماء و دمار البساتين هى أمور سهله فى مقابل الحدث الأعظم الذى ستتلاشى عنده الجبال الراسيات،و يشمل الفناء كل الموجودات بما فى ذلك أعظمها و أشدّها.

### ٢-صحيفه الأعمال

يرى العلاّمه الطباطبائى فى تفسير(الميزان)أنّ فى يوم القيامه ثلاثه كتب، أو ثلاثه أنواع من صحف الأعمال:

أوّلا:كتاب واحد يوضع لحساب أعمال جميع البشر،و يشير لذلكك قوله تعالى فى الآيه التى نحن بصددها وَ وُضِعَ الْكِتٰابُ .

الثّانى:كتاب يختص بكل أمّه،إذ لكل أمه كتاب قد كتب فيه أعمالها كما يصرّح بذلك قول الحق سبحانه و تعالى فى الآيتين ٢٨،٢٩ من سوره الجاثيه فى قوله تعالى: كُلُّ أُمَّهٍ تُدْعىٰ إِلىٰ كِتٰابِهَا .

الثّالث:كتاب لكل انسان بصوره مستقله كما ورد فى سوره الأسراء:الآيه (١٣) وَ كُلَّ إِنسٰانٍ أَلْزَمْنٰاهُ طٰائِرَهُ فِى عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ كِتٰاباً... .

و طبیعی أنّه لا یوجـد أی تعارض بین هذه الآیات،لأنّه لیس ثمّه مانع من أن تدوّن أعمال الإنسان فی عدّه کتب،کما نشاهد نظیر ذلک فی برامج دنیا الیوم،إذ من أجل التنظیم الدقیق لتشکیلات دوله ما،هناک نظام و حساب لکل قسم،ثمّ إنّ هذه الأقسام و فی ظل أقسام أکبر لها حساب جدید.

و لکن یجب الانتبـاه إلی أنّ صـحیفه أعمـال الناس فی یوم القیامه لا تشـبه الـدفتر و الکتاب العادی فی هـذا العالم،فهی مجموعه ناطقه غیر قابله للنکران، و قد تکون الناتج الطبیعی لأعمال الإنسان نفسه.

فی کـل الأـحوال،نری أنّ الآیـات التی نبحثهـا تظهر أنّه علاـوه علی تـدوین أعمـال النـاس فی الکتب الخاصّه،فإنّ نفس الأعمال ستتجسّد هناک و ستحضر:

وَ وَجَدُوا مٰا عَمِلُوا حٰاضِراً

.

فالأعمال التی تکون شـکل طاقات متناثره فی هذا العالم و تکون محجوبه عن الأنظار و تبدو و کأنّها قد تلاشت و انتهت،هی فی الحقیقه لم تنته(و قد أثبت العلم الیوم أنّ أی مادی أو طاقه لا یمکن أن تفنی،بل یتغیر شکلها دائما).

ففی ذلـک الیوم تتحوّل هـذه الطاقه الضائعه بإذن اللّه إلی ماده،و تتجسّـد علی شـکل صور مناسـبه،فالأعمال الحسـنه علی شـکل صور لطیفه و جمیله،و الأعمال السـیئه علی شـکل صور قبیحه،و هذه الأعمال سـتکون معنا،و لهذا السـبب نری أنّ آخر جمله فی الآیات أعلاه تقول: وَ لاٰ یَظْلِمُ رَبُّکَ أَحَداً لأنّ الثواب و العقاب یترتبان علی نفس أعمال الإنسان.

بعض المفسّـرین اعتبر جمله وَ وَجَدُوا مٰا عَمِلُوا حٰاضِـراً تأکیدا علی قضـیه صـحیفه الأعمال،و قالوا:إنّ معنی الجمله هو أنّنا سنجد جمیع أعمالنا مدوّنه فی ذلک الکتاب (۱) .

البعض الآخر اعتبر کلمه(جزاء)فی هذه الآیه مقدّره و قالوا:إنّ المعنی هو



---

۱- ۱) -الفخر الرازی فی التّفسیر الکبیر،و القرطبی فی التّفسیر الجامع.

أنّهم فی ذلک الیوم«سیشاهدون جزاء أعمالهم جاهزا» (۱) .

إلاّ أنّ التّفسیر الأوّل أکثر ملاءمه مع ظاهر الآیات.

أمّا فیما یخص تجسّد الأعمال فقد ذکرنا شرحا مفصلا لذلک فی نهایه الآیه (۳۰)من سوره آل عمران،و سنبحثه أکثر مرّه أخری أثناء الحدیث عن الآیات التی تناسب الموضوع.

### ۳-الإیمان بالمعاد و دوره فی تربیه الناس

حقّا إنّ القرآن کتاب تربوی عجیب،فعند ما یذکر للناس جانبا من مشاهد القیامه یقول:إنّ الجمیع سیعرضون علی محکمه الخالق العادله علی شکل صفوف منظمه،فی حین أن تشابه عقائدهم و أعمالهم هو المعیار فی الفرز بین صفوفهم!إنّ أیدیهم هناک فارغه من کل شیء،فقد ترکوا کل متعلقات الدنیا،فهم فی جمعهم فرادی،و فی فردیتهم مجموعین،تعرض صحائف أعمالهم.

هناک یذکر کل شیء،صغائر و کبائر الناس،و الأکثر من ذلک أنّ الأعمال و الأفکار نفسها تحیا..تتجسّد..تحیط الأعمال المتجسّده بأطراف کل شیء، فالناس مشغولون بأنفسهم بحیث أنّ الأم تنسی ولدها،و الابن ینسی الأب و الأم بشکل کامل.

هذه المحکمه الإلهیه-و الجزاء العظیم-التی تنتظر المسیئین،ستلقی بظلها الثقیل و الموحش علی جمیع الناس،حیث تحبس الأنفاس فی الصدور، و تتوقف العیون عن الحرکه!تری ما مقدار ما یعکسه الإیمان بهذا الیوم-بهذه المحکمه بکل ما تتخلله من مشاهد و مواقف-علی قضیه تربیه الإنسان و دفعه لمسک زمام شهواته!؟

فی حدیث عن الإمام الصادق نقرأ وصفه علیه السّلام لهذا الیوم: «إذا کان یوم القیامه



---

۱- ۱) -المصدر السّابق.

دفع للإنسان كتاب،ثمّ قيل له:اقرأ»قلت:فيعرف ما فيه؟فقال: «إنّه يـذكره،فما من لحظه و لا كلمه و لا نقل قـدم و لا شـیء فعله إلاّ ذكره،كأنّه فعله تلك الساعه،و لذلک قالوا:يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيره و لا كبيره إلاّ أحصاها» (۱) .

من هنا يتّضـح الـدور المؤثر للإيمان بالقيامه فی تربيه الإنسان،و إلاّ فهل يمكن أن يجمع الإنسان بين الـذنب،و بين إيمانه و يقينه بهذا اليوم!؟



---

۱- ۱) -نور الثقلين،ج ۳،ص ۲۶۷.

## الآيات [سوره الكهف (١٨): الآيات ۵٠ الى ۵٣]

### اشاره

وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَهِ اُسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ كانَ مِنَ اَلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَ فَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِى وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلاً (۵٠) ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ لا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَ ما كُنْتُ مُتَّخِذَ اَلْمُضِلِّينَ عَضُداً (۵١) وَ يَوْمَ يَقُولُ نادُوا شُرَكائِيَ اَلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَ جَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً (۵٢) وَ رَأَى اَلْمُجْرِمُونَ اَلنّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُواقِعُوها وَ لَمْ يَجِدُوا عَنْها مَصْرِفاً (۵٣)

### التّفسير

### اشاره

#### لا تتخذوا الشياطين أولياء:

لقد تحدثت الآيات مرّات عدّه عن خلق آدم و سجود الملائكه له،و عدم انصياع إبليس.و قد قلنا:إنّ هذا التكرار يطوى دروس متعدّده،و فى كل مقطع مكرّر هناك دروس و عبر جديده.

ص:٢٩۴

بعباره أخرى نقول:إنّ للحادثه المهمّه عدّه أبعاد،و فى كل مرّه تذكر فيها يتجلى واحد من أبعادها.

و لأنّ الآيات السابقه ذكرت مثالا واقعيا عن كيفيه وقوف الأثرياء المستكبرين و المغرورين فى مقابل الفقراء المستضعفين و تجسّد عاقبه عملهم، و لأنّ الغرور كان هو السبب الأصلى لانحراف هؤلاء و انجرارهم إلى الكفر و الطغيان،لذا فإنّ الآيات تعطف الكلام على قصه إبليس و كيف أبى السجود لآدم غرورا منه و علوا،و كيف قاده هذا الغرور و العلو إلى الكفر و الطغيان.

إضافه إلى ذلك،فإنّ هذه القصّه توضّح أنّ الانحرافات تنبع من وساوس الشيطان،كم تكشف أنّ الاستسلام إلى وساوس الشيطان الذى أصرّ على عناده و عداوته للحق تعالى يعدّ غايه الجنون و الحمق.

فى البدايه تقول الآيات:تذكروا ذلك اليوم الذى فيه: وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَهِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ . هذا الاستثناء يمكن أن يوهمنا بأنّ إبليس كان من جنس الملائكه،فى حين أنّ الملائكه معصومون،فكيف سلك إبليس-إذا-طريق الطغيان و الكفر إذا كان من جملتهم؟ لذلك فإنّ الآيات-منعا لهذا الوهم-تقول مباشره إنّه: كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ .

إنّه إذا لم يكن من الملائكه،لكنّه-بسبب عبوديته و طاعته للخالق جلّ و علا-قرّب و كان فى صف الملائكه،بل و كان معلما لهم،إلاّ أنّه-بسبب لحظه من الغرور و الكبر-سقط سقوطا بحيث أنّه فقد معه كل ملاكاته المعنويه،و أصبح أكثر الموجودات نفره و ابتعادا عن اللّه تبارك و تعالى.

ثمّ تقول الآيه: أَ فَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي .

و العجب أنّهم: وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ .

و هذا العدو،هو عدوّ صعب مصمّم على ضلالكم و أن يوردكم سوء العاقبه،

و قد أظهر عدوانه منذ اليوم الأوّل لأبيكم آدم عليه السّلام.

فاتّخاذ الشيطان و أولاده.بدلا من الخالق المتعال أمر قبيح: بِئْسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلاً (۱) .

حقّا إنّه لأمر قبيح أن يترك الإنسان الإله العالم الرحيم العطوف ذا الفيوضات و الرحمات و الألطاف،و يتمسك بالشيطان و أصحابه،إنّه أقبح إختيار،فأى عاقل يقبل أن يتخذ من عدوّه الذى ناصبه العداء-منذ اليوم الأوّل وليا و قائدا و دليلا و معتمدا؟!
الآيه التى بعدها هى دليل آخر على إبطال هذا التصوّر الخاطئ،إذ تقول:

عن إبليس و ابنائه أنّهم لم يكن لهم وجود حين خلق السماوات و الأرض،بل لم يشهدوا حتى خلق أنفسهم: مٰا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لاٰ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ .حتى نطلب العون منهم فى خلق العالم،أو نطلعهم على أسرار الخلق.

لذا فإنّ الشخص الذى ليس له أى دور فى خلق العالم،و حتى فى خلق من يقع على شاكلته و من هو من نوعه،و لا يعرف شيئا من أسرار الخلق،كيف يكون مستحقا للولايه،أو العباده،و أى قدره أو دور يملك؟ إنّه كائن ضعيف و جاهل حتى بقضاياه الذاتيه،فكيف يستطيع أن يقود الآخرين،أو أن ينقذهم من المشاكل و الصعوبات؟ ثمّ تقول: وَ مٰا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً .

يعنى أنّ الخلق قائم على أساس الصدق و الصحه و الهدايه،أمّا الكائن الذى يقوم منهج حياته على الإضلال و الإفساد،فليس له مكان فى إداره هذا النظام، لأنّه يسير فى اتجاه معاكس لنظام الخلق و الوجود؛إنّه مخرّب و مدمّر و ليس مصلحا متكاملا.

آخر آيه من الآيات التى نبحثها،تحذّر مرّه أخرى،و تقول:تذكروا يوما يأتى



---

۱- ۱) -«بدلا»من حيث التركيب اللغوى،تمييز.و فاعل«بئس»هو الشيطان و عصابته،أو عباد الشيطان و عصابته.

فيه النداء الإلهى: وَ يَوْمَ يَقُولُ نادُوا شُرَكائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ .

لقد كنتم تنادونهم عمرا كاملا،و كنتم تسجدون لهم،و اليوم و بعد أن أحاطت بكم أمواج العذاب فى ساحه الجزاء،نادوهم ليأتوا لمساعدتكم و لو لساعه واحده فقط.

هناك ينادى الأشخاص الذين لا تزال ترسبات أفكار الدنيا فى عقولهم:

فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ

.فلم يجيبوا على ندائهم،فكيف بمساعدتهم و انقاذهم!! وَ جَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً (١) .

ثمّ تقول الآيه التى بعدها موضحه عاقبه الذين اتبعوا الشيطان و المشركين:

وَ رَأَى الْمُجْرِمُونَ النّارَ

.

لقد انكشفت لهم النّار التى لم يكونوا يصدّقون بها أبدا،و ظهرت أمام أعينهم،و حينئذ يشعرون بأخطائهم،و يتيقنون بأنّهم سيدخلون النّار و ستدخلهم:

فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُواقِعُوها

.

ثمّ يتيقنون أيضا أنّ لا منقذ لهم منها: وَ لَمْ يَجِدُوا عَنْها مَصْرِفاً .

فلا تنقذهم اليوم منها لا معبوداتهم و لا شفاعه الشفعاء،و لا الكذب أو التوسّل بالذهب و القوّه،إنّها النّار التى يزداد سعيرها بسبب أعمالهم.

ينبغى الالتفات هنا إلى أنّ جمله«ظنّوا»بالرغم من أنّها مشتقّه من«الظن» إلاّ أنّها فى هذا المورد،و فى موارد أخرى تأتى بمعنى اليقين،لذا فإنّ الآيه(٢۴٩) من سوره البقره تستخدم نفس التعبير بالرغم من أنّها تتحدث عن المؤمنين الحقيقيين و المجاهدين المرابطين الذين كانوا مع طالوت لقتال جالوت الجبّار الظالم،إذ تقول: قالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللّهِ كَمْ مِنْ فِئَهٍ قَلِيلَهٍ غَلَبَتْ فِئَهً كَثِيرَهً بِإِذْنِ اللّهِ .



---

١- ١) -«موبق»من«وبوق»على وزن«نبوغ»و هى تعنى الهلاك،و(موبق)تقال للمهلكه.

فإنّ کلمه«موقعوها»مشتقّه من«مواقعه»بمعنی الوقوع علی الآخرین، و هی إشاره إلی أنّهم یقعون علی النّار،و أنّ النّار تقع علیهم؛فالنّار تنفذ فیهم و هم ینفذون فی النّار،و قد قرأنا فی الآیه(۲۴)من سوره البقره قوله تعالی: فَاتَّقُوا النّارَ الَّتِی وَقُودُهَا النّاسُ وَ الْحِجارَهُ .

## بحثان

### اشاره

### ۱-هل کان الشیطان ملکا؟

کما نعلم أنّ الملائکه أطهار و معصومون کما صرّح بذلک القرآن الکریم: بَلْ عِبادٌ مُکْرَمُونَ لا یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ (۱) .

و یعود سبب عدم وجود التکبر و الغرور و دوافع ارتکاب الذنوب لدی الملائکه،إلی أن العقل لا الشهوه یتحکم فی أعماقهم.

من ناحیه ثانیه،یتداعی إلی الذهن من خلال استثناء إبلیس فی الآیات المذکوره أعلاه(و آیات أخری فی القرآن الکریم)أنّه من صنف الملائکه،بأنّه کان منهم.و هنا یرد علی عصیانه و تمرده و الإشکال التالی:کیف تصدر ذنوب کبیره عن ملک من الملائکه؟و

قد جاء فی نهج البلاغه «ما کان اللّه سبحانه لیدخل الجنه بشرا بأمر أخراج به منها ملکا» (۲) .

الآیات المذکوره تحل لنا رموز هذه المشکله حینما تقول: کانَ مِنَ الْجِنِّ ،و الجن کائنات خفیه عن أنظارنا لها عقل و إحساس و غضب و شهوه، و متی ما وردت فی القرآن کلمه«الجن»فإنّها تعنی هذه الکائنات...لکن من یعتقد من المفسّرین بأن إبلیس کان من الملائکه،فإنّما یفسر الآیه المذکوره آنفا



---

۱- ۱) -الأنبیاء،۲۶-۲۷.

۲- ۲) -نهج البلاغه الخطبه(۱۹۲)«الخطبه القاصعه».

بمفهومها اللغوى،و يقول:إنّه يفهم من عباره كٰانَ مِنَ الْجِنِّ أنّه كان خفيا عن الأنظار كسائر الملائكه،و هذا المعنى خلاف الظاهر تماما.

و من الدلائل الواضحه التى تؤكّد ما ذهبنا إليه من المعنى،أنّ القرآن الكريم يقول فى الآيه(۱۵)من سوره الرحمن: وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مٰارِجٍ مِنْ نٰارٍ أى من نيران مختلطه و من جانب آخر كان منطق إبليس عند ما امتنع عن السجود لآدم:

خَلَقْتَنِي مِنْ نٰارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ

(۱)

.

هذا بالإضافه إلى أن الآيات الشريفه أعلاه أشارت إلى أن لإبليس(ذريه) فى حين أن الملائكه لا ذريه لهم.

إن ما ذكرناه آنفا،مضافا إليه التركيبه الجوهريه للملائكه تثبت أن إبليس لم يكن ملكا،لكن آيه السجود لآدم شملته-أيضا-لانضمامه إلى صفوف الملائكه،و كثره عبادته للّه و طموحه للوصول إلى منزله الملائكه المقربين.

و إنّما بيّن القرآن امتناع إبليس عن السجود بشكل استثنائى،و أطلق عليه الأمام علىّ عليه السّلام فى الخطبه القاصعه فى نهج البلاغه كلمه(الملك)كتعبير مجازى.

و

جاء فى كتاب(عيون الأخبار)عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السّلام: «إنّ الملائكه معصومون و محفوظون من الكفر بلطف اللّه تعالى»قالا:قلنا له:فعلى هذا لم يكن إبليس أيضا ملكا؟،فقال:«لا،بل كان من الجن،أما تسمعان اللّه تعالى يقول: وَ إِذْ قُلْنٰا لِلْمَلاٰئِكَهِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّٰ إِبْلِيسَ كٰانَ مِنَ الْجِنِّ فأخبر عزّ و جل أنّه من الجن،...» (۲) و

فى حديث آخر نقل عن الإمام الصادق عليه السّلام، بأن أحد أصحابه المخلصين و هو جميل بن دراج قال:سألته عن إبليس كان من الملائكه و هل كان يلى من أمر السماء شيئا؟قال:«لم يكن من الملائكه و لم يكن يلى من السماء شيئا،أنّه



---

۱- ۱) -الأعراف،۱۲.

۲- ۲) -نور الثقلين،ج ۳،ص ۲۶۷.

كان من الجن و كان مع الملائكه،و كانت الملائكه تراه أنّه منها،و كان اللّه يعلم أنّه ليس منها،فلمّا أمر بالسجود كان منه الذى كان» (۱) .

و عند ما صدر أمر السجود تحقق الشيء الذى نعرفه(كشفت الأستار و اتضحت ماهيه إبليس).

و هناك بحوث تفصيليه ذكرناها حول إبليس و الشيطان بشكل عام فی ذيل الآيات(۱۱-۱۸)من سوره الأعراف،و فی ذيل الآيه(۱۱۲)من سوره الأنعام، و فی ذيل الآيه(۳۴)من سوره البقره.

## ۲-لا تستعينوا بالضالّين

مع أن هذه الآيات،صادره عنه تعالى و تنفی وجود عضد له من الضالين، و نعلم أنّه تعالى ليس بحاجه إلى من يعينه سواء كان المعين ضالا أم لم يكن، لكنها تقدم لنا درسا كبيرا للعمل الجماعی،حيث يجب أن يكون الشخص المنتخب للنصره و العون سائرا على منهج الحق و العداله و يدعو إليها،و ما أكثر ما رأينا أشخاصا طاهرين قد ابتلوا بمختلف أنواع الانحرافات و المشاكل و أصيبوا بالخيبه و سوء الحظ جراء عدم الدقّه فی انتخاب الأعوان،حيث التفّ حولهم عدد من الضالّين و المضلّين حتى تلفت أعمالهم،و كانت خاتمه أمرهم أن فقدوا كل ملكاتهم الإنسانيه و الاجتماعيه.

إنّنا نقرأ فی تاريخ كربلاء أن سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السّلام قام يتمشى إلى (عبيد اللّه بن الحر الجعفی)و هو فی فسطاطه حتى دخل عليه و سلم عليه،فقام ابن الحر و أخلى له المجلس،فجلس و دعاه إلى نصرته،فقال عبيد اللّه بن الحر:و اللّه ما خرجت من الكوفه إلاّ مخافه أن تدخلها،و لا أقاتل معك،و لو قاتلت لكنت أوّل مقتول،و لكن هذا سيفی و فرسی فخذهما...



---

۱- ۱) -المصدر السّابق.

فأعرض الإمام عنه بوجهه

فقال: «إذا بخلت علينا بنفسك فلا حاجه لنا فی مالك،و تلا الآیه وَ مٰا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّینَ عَضُداً (۱) .

إشاره إلی أنّك ضال و مضل،و لا تستحق أن تكون نصیرا.

و علی أیه حال،فإن البقاء دون نصیر و معین أفضل من طلب معونه الأشخاص الملوثین و الضالین و اتّخاذهم عضدا.



---

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۳،ص ۲۶۸

## الآیات [سوره الکهف (١٨): الآیات ۵۴ الی ۵۶]

### اشاره

وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِی هٰذَا اَلْقُرْآنِ لِلنّاسِ مِنْ کُلِّ مَثَلٍ وَ کانَ اَلْإِنْسانُ أَکْثَرَ شَیْءٍ جَدَلاً (۵۴) وَ ما مَنَعَ اَلنّاسَ أَنْ یُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ اَلْهُدیٰ وَ یَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاّ أَنْ تَأْتِیَهُمْ سُنَّهُ اَلْأَوَّلِینَ أَوْ یَأْتِیَهُمُ اَلْعَذابُ قُبُلاً (۵۵) وَ ما نُرْسِلُ اَلْمُرْسَلِینَ إِلاّ مُبَشِّرِینَ وَ مُنْذِرِینَ وَ یُجادِلُ اَلَّذِینَ کَفَرُوا بِالْباطِلِ لِیُدْحِضُوا بِهِ اَلْحَقَّ وَ اِتَّخَذُوا آیاتِی وَ ما أُنْذِرُوا هُزُواً (۵۶)

### التّفسیر

### اشاره

### فی انتظار العقاب:

تنطوی هذه الآیات علی تلخیص و استنتاج لما ورد فی الآیات السابقه، و هی تشیر-أیضا-إلی بحوث قادمه.

الآیه الأولی تقول: وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِی هٰذَا الْقُرْآنِ لِلنّاسِ مِنْ کُلِّ مَثَلٍ .

لقد ذکرنا نماذج من تأریخ الماضین الملیء،بالإثاره،و قد أوضحنا للناس الحوادث المرّه للحیاه و اللحظات الحلوه فی التأریخ،و قد قلّبنا بیان هذه الأمور بحیث تتقبلها القلوب المستعدّه للحق،و تکون الحجه علی الآخرین تامّه،

ص:٣٠٢

و لا یبقی ثمّه مجال للشک.

و لکن بالرغم من هذا فإنّ مجموعه عصاه لم یؤمنوا أبدا: وَ کٰانَ الْإِنْسٰانُ أَکْثَرَ شَیْءٍ جَدَلاً .

«صرّفنا»من«تصریف»و تعنی التغییر و التحوّل من حال إلی حال.الهدف من هذا التعبیر فی الآیه أعلاه هو أنّنا تحدثنا مع الناس بکل لسان یمکن التأثیر به علیهم.

«جدل»تعنی محادثه الآخرین علی أساس المنازعه و إظهار نزعه التسلّط علی الآخرین.و لهذا فإنّ(المجادله)تعنی قیام شخصین بإطاله الحدیث فی حاله من التشاجر،و هذه الکلمه فی الأصل مأخوذه-و کما یقول الراغب فی المفردات -من(جدلت الحبل)أی ربطت الحبل بقوّه،و هی کنایه عن أنّ الشخص المجادل یستهدف من خلال جدله أن یحرف الشخص الآخر-بالقوّه-عن أفکاره.

و قال آخرون:إنّ أصل(الجدال)هو بمعنی المصارعه و إسقاط الآخر علی الأرض. و هی تستعمل أیضا فی الدلاله علی الشجار اللفظی.

فی کل الأحوال،یکون المقصود بالناس فی الآیه هم تلک الفئه التی لا تقوم فی وجودها و ممارساتها علی أصول التربیه الإسلامیه و قواعدها،و قد أکثر القرآن فی استعمال هذه التعابیر،و قد شرحنا هذه الحاله مفصلا فی نهایه الحدیث عن الآیه(۱۲)من سوره یونس.

الآیه التی بعدها تقول:إنّه بالرغم من کل هذه الأمثله المختلفه و التوضیحات المثیره و الأسالیب المختلفه التی ینبغی أن تنفذ إلی داخل الإنسان المستعد لقبول الحق،فإنّ هناک مجموعه کبیره من الناس لم تؤمن: وَ مٰا مَنَعَ النّٰاسَ أَنْ یُؤْمِنُوا إِذْ جٰاءَهُمُ الْهُدیٰ وَ یَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاّٰ أَنْ تَأْتِیَهُمْ سُنَّهُ الْأَوَّلِینَ أی مصیر الأمم السالفه: أَوْ یَأْتِیَهُمُ الْعَذٰابُ قُبُلاً (۱) فیرونه بامّ أعینهم.

إنّ هذه الآیه-فی الحقیقه-إشاره الی أنّ هذه المجموعه المعانده و المغروره

ص:۳۰۳

---

۱- ۱) -(قبل)تعنی(التقابل،بمعنی مشاهده العذاب الإلهی بالعین،بعض المفسّرین کالطبرسی فی مجمع البیان،و أبی الفتوح فی روح الجنان،و الآلوسی فی روح المعانی احتملوا أن تکون(قبل)جمع(قبیل)و هی إشاره إلی الأنواع المختلفه من العذاب،إلاّ أنّ المعنی الأوّل أقرب حسب الظاهر.

لا تؤمن بإرادتها و بشكل طبيعی أبدا،بل هم یؤمنون فی حالتین فقط:

أوّلا:عند ما یصیبهم العذاب الألیم الذی نزل مثله فی الأقوام و الأمم السابقه.

ثانیا:عند ما یشاهدون العذاب الإلهی بأعینهم علی الأقل و قد أشرنا مرارا إلی أنّ مثل هذا الإیمان هو إیمان عدیم الفائده.

و من الضروری الانتباه هنا إلی أنّ مثل هؤلاء الناس لم یکونوا ینظرون مثل هذه العاقبه أبدا،أمّا لأنّ هذه العاقبه کانت حتمیه بالنسبه لهم و هی الشیء الوحید الذی ینتهی إلیه مصیرهم،لذا نری القرآن قد طرحها علی شکل انتظار،و هذا نوع من الکنایه اللطیفه.و مثله أن تقول للشخص العاصی:إنّ أمامک-فقط-أن تنتظر لحظه الحساب،بمعنی أنّ الحساب و العقاب أمر حتمی بالنسبه له،و هو بذلک یعیش حاله انتظار للمصیر المحتوم.

إنّ بعض حالات العصیان و الغرور التی یصاب بها الإنسان قد تتسلّط علیه بحیث لا یؤثّر فیه لا الوحی الإلهی،و لا دعوات الأنبیاء الهادیه،و لا رؤیه دروس و عبر الحیاه الاجتماعیه،و لا مطالعه تأریخ الأمم السابقه.إنّ الذی ینفع مع هذه الفئه من الناس هو العذاب الإلهی الذی یعید الإنسان إلی رشده،و لکن عند نزول العذاب تغلق أبواب التوبه،و لا یوجد ثمّه طریق للرجعه و الاستغفار.

و من أجل طمأنه الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی مقابل صلافه و عناد أمثال هؤلاء،تقول الآیه: وَ مٰا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِینَ إِلاّٰ مُبَشِّرِینَ وَ مُنْذِرِینَ .

ثمّ تقول الآیه:إنّ هذه القضیه لیست جدیده،بل إنّ من واقع هؤلاء الأشخاص المعارضه و الاستهزاء بآیات اللّه: وَ یُجٰادِلُ الَّذِینَ کَفَرُوا بِالْبٰاطِلِ

لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَ اتَّخَذُوا آيٰاتِي وَ مٰا أُنْذِرُوا هُزُواً

(١)

.

و هذه الآيه تشبه الآيات(۴۲-۴۵)من سوره الحج التى تقول: وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عٰادٌ وَ ثَمُودُ... إلى آخر الآيات.

و يحتمل فى تفسير الآيه أنّ اللّه تبارك و تعالى يريـد أن يقول:إنّ عمل الأنبياء لا يقوم على الإجبار و الإكراه،بل إنّ مسئوليتهم التبشير و الإنذار،و القرار النهائى مرتبط بنفس الناس كى يفكروا بعواقب الكفر و الإيمان معا،و حتى يؤمنوا عن تصميم و إراده و بيّنه،لا أن يلجأوا إلى الإيمان الاضطرارى عند نزول العذاب الإلهى.

لكن،مع الأسف أن يساء استخدم حريه الإختيار هذه و التى هى وسيله لتكامل الإنسان و رقيّه،عند ما يقوم أنصار الباطل بالجدال فى مقابل أنصار الحق،إذ يريدون القضاء على الحق عن طريق الاستهزاء أو المغالطه.و لكن هناك قلوبا مستعده لقبول الحق دوما و التسليم له،و إنّ هذا الصراع بين الحق و الباطل كان و سيبقى على مدى الحياه.



---

١- ١) -(يدحضوا)مشتقه من(إدحاض)بمعنى الإبطال و الإزاله،و هى فى الأصل مأخوذه من كلمه(دحض)بمعنى الانزلاق.

## الآيات [سوره الكهف (۱۸): الآيات ۵۷ الى ۵۹]

### اشاره

وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَ نَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَ إِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً (۵۷) وَ رَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَهِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا (۵۸) وَ تِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَ جَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً (۵۹)

### التّفسير

### اشاره

#### لا استعجال فى العقاب الإلهى:

الآيات السابقه كانت تتحدّث عن مجموعه من الكافرين المتعصبين و المظلمه قلوبهم؛و الآيات التى بين أيدينا تستمر فى نفس البحث.

ففى البدايه قوله تعالى: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَ نَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ .

إنّ استخدم تعبير(ذكّر)يوحى إلى أنّ تعليمات الأنبياء عليهم السّلام هى بمثابه التذكير بالحقائق الموجوده بشكل فطرى فى أعماق الإنسان،و إنّ مهمّه الأنبياء

هی رفع الحجب عن نقاء و شفافیه هذه الفطره.

هذا المعنی

ورد فی الخطبه الأولی من خطب نهج البلاغه حیث یقول أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السّلام: «لیستأدوهم میثاق فطرته،و یذکروهم منسی نعمته،و یحتجوا إلیهم بالتبلیغ،و یثیروا لهم دفائن العقول».

الطریف فی الأمر أنّ الآیه الکریمه رسمت ثلاثه مسالک لیقظه هؤلاء و إعادتهم إلی نور الهدایه،هی:

أوّلا:إنّ هذه الحقائق تلائم بشکل کامل ما هو مکنون فی فطرتکم و وجدانکم و أرواحکم.

ثانیا:إنّها جاءت من قبل خالقکم.

ثالثا:علیکم أن لا تنسوا أنّکم اقترفتم الذنوب،و أنّ منهاج عمل الأنبیاء هو فتح باب التوبه من الذنوب و الهدایه للصواب.

لکن هذه الفئه من الناس لم تؤمن برغم کل ذلک: إِنّٰا جَعَلْنٰا عَلیٰ قُلُوبِهِمْ أَکِنَّهً أَنْ یَفْقَهُوهُ وَ فِی آذٰانِهِمْ وَقْراً (۱) و بذلک لا تنفع معهم دعوتک: وَ إِنْ تَدْعُهُمْ إِلَی الْهُدیٰ فَلَنْ یَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً .

و لا نعتقد أننا بحاجه إلی أن نوضح أن سبب انعدام قابلیه التشخیص و القدره و الإحساس و السمع لدی هؤلاء،إنّما کان من عند اللّه،و لکن بسبب مٰا قَدَّمَتْ یَدٰاهُ و بسبب الأعمال التی قاموا بها سابقا،و هذا هو الجزاء المباشر لأعمالهم و لما کسبت أیدیهم.بعباره أخری:إنّ الأعمال القبیحه السیئه و المخزیه تحوّلت إلی ستار و ثقل،أی(کنان و وقر)علی قلوبهم و آذانهم،و هذه الحقیقه تذکرها

ص:۳۰۷

---

۱- ۱) -کما قلنا سابقا(أکنه)جمع(کنان)علی وزن کتاب،و تعنی الستار أو الحجاب و(وقر)تعنی ثقل الأذن عن السماع.

الکثیر من الآیات القرآنیه،إذ نقرأ علی سبیل المثال قوله تعالی فی الآیه(۱۵۵) من سوره النساء: بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَیْها بِکَفْرِهِمْ فَلاٰ یُؤْمِنُونَ إِلاّٰ قَلِیلاً .

و لکن هناک من یتذرّع بشتی الحجج و الذرائع لإثبات فکره الجبر و دعم مذهبه فی ذلک،دون أن یأخذ بنظر الاعتبار بقیه هذه الآیه،و سائر الآیات القرآنیه الأخری التی تفسرها،بل یعتمد علی ظواهر ألفاظ الآیات و یتخذها سندا لإثبات مقوله الجبر،فی حین أنّ الجواب علی ذلک-کما أسلفنا-واضح بدرجه کبیره.

إنّ البرنامج التربوی للخالق جلّ و علا-هو أن یعطی لعباده الفرصه بعد الأخری،و هو جلّ و علا لا یعاقب بشکل فوری مثل الجبارین و الظالمین،بل إنّ رحمته الواسعه تقتضی دوما إعطاء أوسع الفرص للمذنبین،لذا فإنّ الآیه التی بعدها تقول: وَ رَبُّکَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَهِ .

لَوْ یُؤٰاخِذُهُمْ بِمٰا کَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذٰابَ

.فإذا کانت الإراده الإلهیه تقتضی إنزال العذاب بسبب ارتکابهم للذنوب لتحقّق ذلک فورا.

بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ یَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً

(۱)

.

فغفرانه تعالی یقضی أن یرحم التوابین،و رحمته تقضی أن لا یعجّل عذاب غیرهم،إذ من المحتمل أن یلتحق بعضهم بصفوف التوابین،إلاّ أن عدالته تعالی تقتضی مجازاه المذنبین العاصین الظالمین عند ما یصل طغیانهم و تمردهم إلی أقصی درجاته،و عند ما یکون بقاء مثل هؤلاء الأفراد الفاسدین المفسدین الذین لا یوجد أمل فی إصلاحهم،عبثا و بدون فائده،لذا ینبغی تطهیر الأرض منهم، و من لوث وجودهم.



---

۱- ۱) -(موئل)من کلمه(وئل)و تعنی الملجأ و وسیله النجاه.

و أخیرا تنتهی هذه المجموعه من الآیات إلی توجیه التحذیر الأخیر من خلال التذکیر بالعاقبه المؤلمه المرّه لمن ظلم من السابقین لیکون مصیرهم عبره لمن یسمع،فتقول:إنّ هذه المدن و القری أمامکم،و لکم أن تشاهدا خرائبها و الدمار و الذی حلّ فیها،و قد أهلکنا أهلها بما ارتکبوا من ظلم،فی نفس الوقت الذی لم نعجّل فیه لهم العذاب،بل جعلنا موعدا لمهلکهم: وَ تِلْکَ الْقُریٰ أَهْلَکْنٰاهُمْ لَمّٰا ظَلَمُوا وَ جَعَلْنٰا لِمَهْلِکِهِمْ مَوْعِداً .

ص :۳۰۹

## الآيات [سوره الكهف (١٨): الآيات ۶٠ الى ۶۴]

### اشاره

وَ إِذْ قالَ مُوسى لِفَتاهُ لا أَبْرَحُ حَتّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ اَلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً (۶٠) فَلَمّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما نَسِيا حُوتَهُما فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي اَلْبَحْرِ سَرَباً (۶١) فَلَمّا جاوَزا قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً (۶٢) قالَ أَ رَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى اَلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ اَلْحُوتَ وَ ما أَنْسانِيهُ إِلاَّ اَلشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَ اِتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي اَلْبَحْرِ عَجَباً (۶٣) قالَ ذلِكَ ما كُنّا نَبْغِ فَارْتَدّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً (۶۴)

## التّفسير

### اشاره

### لقاء موسى و الخضر عليهما السّلام:

ذكر المفسّرون في سبب نزول هذه الآيات أنّ مجموعه من قريش جاؤوا إلى النّبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سألوه عن عالم كان موسى عليه السّلام مأمورا باتباعه،و في الجواب على ذلك نزلت هذه الآيات.

لقد ذكرت في سوره الكهف ثلاث قصص متناسقه و هذه القصص هي:قصّه

أصحاب الكهف التی انتهینا منها؛و قصّه موسی و الخضر علیهما السّلام؛و قصّه ذی القرنین التی سنقف علی ذکرها فیما بعد.

هـذه القصـص الثلاثـة تخرجنا من الأفق المحـدود فی حیاتنا و ما تعـدونا علیه و ألفناه،و تبیّن لنا أن حـدود العالم لا تنحصـر فی نطاق ما نری و ما نشاهد،و أنّ الشکل العالم للحوادث و الأحداث لیس هو ما نفهمه من خلال النظره الأولی.

و إذا کانت قصّه أصـحاب الکهف تتحدث عن فتیه ترکوا کلّ شیء من أجل أن یحافظوا علی إیمانهم،و قد أدی بهم ذلک إلی حوادث عظیمه ذات أبعاد تربویه لجمیع الناس،فإنّ قصّه موسی و الخضر لها أبعاد عجیبه أخری.ففی القصّه یواجهنا مشهد عجیب نری فیه نبیّا من أولی العزم بکـل وعیه و مکـانته فی زمـانه یعیش محـدودیه فی علمه و معرفته من بعض النـواحی،و هـو لـذلک یـذهب إلی معلم(هو عالم زمانه)لیـدرس و یتعلم علی یـدیه،و نری أنّ المعلم یقوم بتعلیمه دروسا یکون الواحـد منها أعجب من الآخر.ثمّ إنّ هذه القصّه تنطوی-کما سنری-علی ملاحظات مهمّه جدّا.

فی أوّل آیه نقرأ قوله تعالی: وَ إِذْ قالَ مُوسی لِفَتاهُ لا أَبْرَحُ حَتّی أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَیْنِ أَوْ أَمْضِیَ حُقُباً .

إنّ المعنی بالآیه هو بلا شک موسـی بن عمران النّبی المعروف من أولی العزم، بالرغم ممّا احتمله بعض المفسّرین من أنّ موسی المذکور فی الآیه هو غیر موسـی بن عمران علیه السّلام،و سوف نری-فیما بعد-أنّ اعتماد هذا الرأی کان بسبب عدم استطاعتهم حل بعض الإشکالات الوارده فی القصّه،فی حین أنّه کلما ورد اسم(موسی)فی القرآن فالمراد به موسی بن عمران.

أمّا المعنی من(فتاه)فهو کما یقول أکثر المفسّرین؛کما تشیر إلی ذلک العدید من الرّوایات:یوشع بن نون،الرجل الشجاع الرشید المؤمن من بنی إسرائیل.

و استخدام کلمه(فتی)فی وصفه قد یکون بسبب هذه الصفات البارزه،أو بسبب

خدمته لموسى عليه السّلام و مرافقته له.

(مجمع البحرين)بمعنى محل التقاء البحرين،و هناك كلام كثير بين المفسّرين عن اسم هذين البحرين،و لكن-بشكل عام-يمكن إجمال الحديث بثلاثه احتمالات هى:

أوّلا:المقصود بمجمع البحرين هو محل اتصال«خليج العقبه»مع«خليج السويس»(إذا المعروف أنّ البحر الأحمر يتفرع شمالا إلى فرعين:فرع نحو الشمال الشرقى حيث يشكّل خليج العقبه،و الثّانى نحو الشمال الغربى و يسمى خليج السويس، و هذان الخليجان يرتبطان جنوبا و يتصلان بالبحر الأحمر).

ثانيا:المقصود بمجمع البحرين هو محل اتصال المحيط الهندى بالبحر الأحمر فى منطقه«باب المندب».

ثالثا:محل اتصال البحر المتوسط(الذى يسمّى-أيضا-ببحر الروم و البحر الأبيض)مع المحيط الأطلسى،يعنى نفس المكان الذى يطلق عليه اسم(مضيق جبل طارق)قرب مدينه«طنجه».

الاحتمال الثّالث مستبعد بحكم بعد مكان موسى عليه السّلام عن جبل طارق الذى يبعد عنه مسافه كبيره جدّا،قد تصل فتره وصوله عليه السّلام إليه عدّه أشهر إذا انتقل بالوسائل العاديه.

أمّا الاحتمال الثّانى،فمع أنّ المسافه ما بينه و بين مكان موسى عليه السّلام أقرب،إلاّ أنّه مستبعد-أيضا-بحكم الفاصل الكبير بين الشام و جنوب اليمن.

يبقى الاحتمال الأوّل هو الأقرب من حيث قربه إلى مكان موسى عليه السّلام.و ما يرجح هذا الرأى هو ما نستفيده من الآيات-بشكل عام-من أنّ موسى عليه السّلام لم يسلك طريقا طويلا بالرغم من أنّه كان مستعدا للسفر إلى أى مكان لأجل الوصول إلى مقصوده(فدقق فى ذلك).

و فى بعض الرّوايات إشاره إلى هذا المعنى أيضا.

کلمه«حقب»تعنی المدّه الطویله و التی فسّرها البعض بثمانین عاما، و غرض موسی علیه السّلام من هذه الکلمه،هو أنّنی سوف لا أترک الجهد و المحاوله للعثور علی ما ضیعته و لو أدّی ذلک أن أسیر عدّه سنین.

و من مجموع ما ذکرنا أعلاه یتبیّن لنا أن موسی علیه السّلام کان یبحث عن شیء مهم و قد أقام عزمه و رسّخ تصمیمه للعثور علی مقصوده و عدم التهاون فی ذلک إطلاقا.

إنّ الشیء الذی کان موسی علیه السّلام مأمورا بالبحث عنه له أثر کبیر فی مستقبله، و بالعثور علیه سوف یفتتح فصل جدید فی حیاته.

نعم،إنّه علیه السّلام کان یبحث عن عالم یزیل الحجب من أمام عینیه و یریه حقائق جدیده،و یفتح باب العلوم أمامه،و سنعرف سریعا أنّ موسی علیه السّلام کان یملک علامه للعثور علی محل هذا العالم الکبیر،و کان علیه السّلام یتحرک باتجاه تلک العلامه.

قوله تعالی: فَلَمّٰا بَلَغٰا مَجْمَعَ بَیْنِهِمٰا نَسِیٰا حُوتَهُمٰا أی السمکه التی کانت معهما،أمّا العجیب فی الأمر فإنّ الحوت: فَاتَّخَذَ سَبِیلَهُ فِی الْبَحْرِ سَرَباً (۱) .

و هناک کلام کثیر بین المفسّرین عن نوعیه السمک الذی کان معدا للغذاء ظاهرا هل کانت سمکه مشویه،أو مملّحه أو سمکه طازجه حیث بعثت فیها الحیاه بشکل اعجازی و قفزت الی الماء و غاصت فیه،هناک کلام کثیر بین المفسّرین.

و فی بعض کتب التّفسیر نری أنّ هناک حدیثا عن عین تهب الحیاه،و أنّ السمکه عند ما أصابها مقدار من ماء تلک العین عادت إلیها الحیاه.

و هناک احتمال آخر و هو أن السمکه کانت حیّه،بمعنی أنّها لم تکن قد ماتت بالکامل،حیث یوجد بعض أنواع السمک یبقی علی قید الحیاه فتره بعد إخراجه



---

۱ – ۱) -(سرب)علی وزن(جرب)کما یقول الراغب فی مفرداته،و هی تعنی السیر فی الطریق المنحدر،و(سرب)علی وزن(حرب)تعنی الطریق المنحدر.

من الماء،و يعود إلى الحياه الكامله إذا أعيد فى هذه الفتره إلى الماء.

و فى تتمه القصّه،نقرأ أنّ موسى و صاحبه بعد أن جاوزا مجمع البحرين شعرا بالجوع،و فى هذه الأثناء تذكّر موسى عليه السّلام أنّه قد جلب معه طعاما،و عند ذلك قال لصاحبه: فَلَمّا جاوَزا قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هٰذا نَصَباً .

(غداء)يقال للطعام الذى يتمّ تناوله فى أوّل اليوم أو فى منتصفه.و لكنّا نستفيد من التعابير الوارده فى كتب اللغه أنّهم فى الأزمنه السابقه كانوا يطلقون كلمه(غداء)على الطعام الذى يتمّ تناوله فى أوّل اليوم(لأنّها مأخوذه من كلمه «غدوه»و التى تعنى بدايه اليوم)فى حين أنّ كلمه«غداء»و«تغدّى»تطلق اليوم على تناول الطعام فى وقت الظهيره.

على أى حال،إنّ هذه الجمله تظهر أنّ موسى و يوشع قد سلكا طريقا يمكن أن نسميه بالسفر،إلاّ أنّ نفس هذه التعابير تفيد أنّ هذا السفر لم يكن طويلا.

و فى هذه الأثناء قال له صاحبه: قالَ أَ رَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَهِ فَإِنِّی نَسِیتُ الْحُوتَ وَ ما أَنْسانِیهُ إِلاَّ الشَّیْطانُ أَنْ أَذْکُرَهُ وَ اتَّخَذَ سَبِیلَهُ فِی الْبَحْرِ عَجَباً (۱) .

و لأنّ هذا الحادث و الموضوع-بشكل عام-كان علامه لموسى عليه السّلام،لكى يصل من خلاله إلى موقع(العالم)الذى خرج يبحث عنه،لذا فقد قال: قالَ ذٰلِکَ ما کُنّا نَبْغِ .

و هنا رجعا فى نفس الطريق: فَارْتَدّا عَلیٰ آثارِهِما قَصَصاً .

و هنا قد يطرح هذا السؤال:هل يمكن لنبى مثل موسى عليه السّلام أن يصاب بالنسيان حيث يقول القرآن نَسِیا حُوتَهُما ثمّ لماذا نسب صاحب موسى عليه السّلام

ص:۳۱۴

---

۱- ۱) -إن جمله وَ ما أَنْسانِیهُ إِلاَّ الشَّیْطانُ أَنْ أَذْکُرَهُ جمله اعتراضيه تقع فى وسط الكلام،و لأنّ هذه الجمله تذكر-فى الواقع-سبب النسيان،لذا فقد وقعت فى وسط الكلام،و هذا الأسلوب شائع خصوصا للأشخاص الذين يكونون موضع عتاب شخص أكبر،حيث أنّهم يذكرون العله الأصليه ضمن الكلام بشكل اعتراضى،حتى يكون الاعتراض عليهم أقل.

نسـيانه إلى الشـيطان؟ فى الجواب نقول:إنّه لا يوجد ثمّه مانع من الإصابه بالنسـيان فى المسائل و الموارد التى لا ترتبط بالأحكام الإلـهيه و الأـمور التبليغيه،أى فى مسائـل الحيـاه العـاديه(خـاصّه فى المواقع التى لهـا طابع اختبار،كما هو الحال فى موسـى هنا، و سوف نشرح ذلك فيما بعد).

أمّا ربط نسـيان صاحبه بالشـيطان،فيمكن أن يكون ذلك بسبب أن قضيه السمكه ترتبط بالعثور على ذلك الرجل العالم،و بما أنّ الشيطان يقوم بالغوايه،لذا فإنّه أراد من خلال هذا العمل(النسيان)أن يصلا متأخرين إلى ذلك العالم،و قد تكون مقدمات النسيان قد بدأت من(يوشع)نفسه حيث أنّه لم يدقق و يهتم بالأمر كثيرا.

ص :٣١٥

## الآيات [سوره الكهف (١٨): الآيات ۶۵ الى ٧٠]

### اشاره

فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً (۶۵) قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً (۶۶) قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (۶۷) وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً (۶۸) قالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللّهُ صابِراً وَ لا أَعْصِي لَكَ أَمْراً (۶۹) قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً (٧٠)

### التّفسير

### اشاره

### رؤيه المعلم الكبير:

عند ما رجع موسى عليه السّلام و صاحبه إلى المكان الأوّل،أي قرب الصخره و قرب (مجمع البحرين)،فجأه: فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً .

إنّ استخدام كلمه«وجدا»تفيد أنّهم كانوا يبحثون عن نفس هذا الرجل العالم،و قد وجداه أخيرا.

أمّا استخدام عباره عَبْداً مِنْ عِبادِنا فهى تبيّن أن أفضل فخر للإنسان هو

أن يكون عبدا حقيقيا للخالق جلّ و علا،و إنّ مقام العبوديه هذا يكون سببا فی شمول الإنسان بالرحمه الإلهیه،و فتح أبواب المعرفه و العلم فی قلبه.

كما أنّ استخدام عباره مِنْ لَدُنّا تبیّن أنّ علم ذلک العالم لم یکن علما عادیا،بل كان یعرف جزءا من أسرار هذا العالم،و أسرار الحوادث التی لا یعلمها سوی اللّه تعالی.

أمّا استخدام(علما)بصیغه النكره فهو للتعظیم،و یتبیّن من ذلک أنّ ذلک الرجل العالم قد حصل من علمه علی فوائد عظیمه.

أمّا ما هو المقصود من عباره رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا فقد ذكر المفسّرون تفاسیر مختلفه،فقال بعضهم:إنّها إشاره إلی مقام النبوه،و البعض الآخر اعتبرها إشاره للعمر الطویل.و لكن یحتمل أن یكون المقصود هو الاستعداد الكبیر و الروح الواسعه،وسعه الصدر التی وهبها اللّه تعالی لهذا الرجل كی یكون قادرا علی استقبال العلم الإلهی.

أمّا ما ذكر من أنّ هذا الرجل اسمه(الخضر)و فیما إذا كان نبیّا أم لا،فسوف نبحث كل ذلک فی البحوث القادمه.

فی هذه الأثناء قال موسی للرجل العالم باستفهام و بأدب كبیر: قالَ لَهُ مُوسیٰ هَلْ أَتَّبِعُکَ عَلیٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً .

و نستفید من عباره«رشدا»أنّ العلم لیس هدفا،بل هو وسیله للعثور علی طریق الخیر و الهدایه و الصلاح،و أنّ هذا العلم یجب أن یتعلّم،و أن یفتخر به.

فی معرض الجواب نری أنّ الرجل العالم مع كامل العجب لموسی علیه السّلام قالَ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِیعَ مَعِیَ صَبْراً .

ثمّ بیّن سبب ذلک مباشره و قال: وَ كَیْفَ تَصْبِرُ عَلیٰ ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً .

و كما سنری فیما بعد،فإنّ هذا الرجل العالم كان یحیط بأبواب من العلوم التی تخص أسرار و بواطن الأحداث،فی حین أنّ موسی علیه السّلام لم یکن مأمورا

بمعرفه البواطن،و بالتالی لم یکن یعرف عنها الکثیر،و فی مثل هذه الموارد یحدث کثیرا أن یکون ظاهر الحوادث یختلف تمام الاختلاف عن باطنها،فقد یکون الظاهر قبیحا أو غیر هادف فی حین أنّ الباطن مفید و مقدّس و هادف لأقصی غایه.

فی مثل هذه الحاله یفقد الشخص الذی ینظر إلی الظاهر صبره و تماسکه فیقوم بالاعتراض و حتی بالتشاجر.

و لکن الأستاذ العالم و الخبیر بالأسرار بقی ینظر إلی بواطن الأعمال،و استمر بعمله ببرود،و لم یعر أی أهمیه إلی اعتراضات موسی و صیحاته،بل کان فی انتظار الفرصه المناسبه لیکشف عن حقیقه الأمر،إلاّ أنّ التلمیذ کان مستمرا فی الإلحاح،و لکنّه ندم حین توضحت و انکشفت له الأسرار.

و قد یکون موسی علیه السّلام اضطرب عند ما سمع هذا الکلام و خشی أن یحرم من فیض هذا العالم الکبیر،لذا فقد تعهد بأن یصبر علی جمیع الحوادث و قال: قٰالَ سَتَجِدُنِی إِنْ شٰاءَ اللّٰهُ صٰابِراً وَ لاٰ أَعْصِی لَکَ أَمْراً .

مرّه أخری کشف موسی علیه السّلام عن قمه أدبه فی هذه العباره،فقد اعتمد علی خالقه حیث لم یقل للرجل العالم:إنّی صابر،بل قال:إن شاء اللّه ستجدنی صابرا.

و لأنّ الصبر علی حوادث غریبه و سیئه فی الظاهر و التی لا یعرف الإنسان أسرارها،لیس بالأمر الهیّن،لذا فقد طلب الرجل العالم من موسی علیه السّلام أن یتعهد له مرّه أخری،و حذّره: قٰالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِی فَلاٰ تَسْئَلْنِی عَنْ شَیْءٍ حَتّٰی أُحْدِثَ لَکَ مِنْهُ ذِکْراً (1) .و قد أعطی موسی العهد مجددا و انطلق مع العالم الأستاذ.

ص :318

---

1- 1) -إن عباره أُحْدِثَ لَکَ مِنْهُ ذِکْراً یکون مفهوما بعد الأخذ بنظر الإعتبار کلمه(أحدث)هو:إنّی أنا الذی أبدأ بالکلام و أکشف للمرّه الأولی؛أمّا أنت فلا تتکلم.

## الآیات [سوره الکهف (۱۸): الآیات ۷۱ الی ۷۸]

### اشاره

فَانْطَلَقا حَتّٰی إِذٰا رَکِبٰا فِی اَلسَّفِینَهِ خَرَقَهٰا قٰالَ أَ خَرَقْتَهٰا لِتُغْرِقَ أَهْلَهٰا لَقَدْ جِئْتَ شَیْئاً إِمْراً (۷۱) قٰالَ أَ لَمْ أَقُلْ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِیعَ مَعِیَ صَبْراً (۷۲) قٰالَ لاٰ تُؤٰاخِذْنِی بِمٰا نَسِیتُ وَ لاٰ تُرْهِقْنِی مِنْ أَمْرِی عُسْراً (۷۳) فَانْطَلَقا حَتّٰی إِذٰا لَقِیٰا غُلاٰماً فَقَتَلَهُ قٰالَ أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَکِیَّهً بِغَیْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَیْئاً نُکْراً (۷۴) قٰالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَکَ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِیعَ مَعِیَ صَبْراً (۷۵) قٰالَ إِنْ سَأَلْتُکَ عَنْ شَیْءٍ بَعْدَهٰا فَلاٰ تُصٰاحِبْنِی قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّی عُذْراً (۷۶) فَانْطَلَقٰا حَتّٰی إِذٰا أَتَیٰا أَهْلَ قَرْیَهٍ اِسْتَطْعَمٰا أَهْلَهٰا فَأَبَوْا أَنْ یُضَیِّفُوهُمٰا فَوَجَدٰا فِیهٰا جِدٰاراً یُرِیدُ أَنْ یَنْقَضَّ فَأَقٰامَهُ قٰالَ لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَیْهِ أَجْراً (۷۷) قٰالَ هٰذٰا فِرٰاقُ بَیْنِی وَ بَیْنِکَ سَأُنَبِّئُکَ بِتَأْوِیلِ مٰا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَیْهِ صَبْراً (۷۸)

## التّفسير

### اشاره

### المعلم الإلهی و الأفعال المنکره!!

نعم،لقد ذهب موسی و صاحبه و رکبا السفینه: فَانْطَلَقا حَتّی إِذا رَکِبا فِی السَّفِینَهِ .

من الآن فصاعدا نری القرآن یستخدم ضمیر المثنّی فی جمیع الموارد، و الضمیر إشاره إلی موسی و العالم الرّبانی،و هذه إشاره إلی انتهاء مهمّه صاحب موسی علیه السّلام(یوشع)و رجوعه،أو أنّه لم یکن معنیا بالحوادث بالرغم من أنّه قد حضرها جمیعا.إلاّ أنّ الاحتمال الأوّل هو الأقوی.

عند ما رکبا السفینه قام العالم بثقبها:«خرقها».

«خرق»کما یقول الراغب فی المفردات:الخرق،قطع الشیء علی سبیل الإفساد بلا تدبّر و لا تفکر حیث کان ظاهر عمل الرجل العالم علی هذا المنوال.

و بحکم کون موسی علیه السّلام نبیّا إلهیا کبیرا فقد کان من جانب یری أن من واجبه الحفاظ علی أرواح و أموال الناس،و أن یأمر بالمعروف و ینهی عن المنکر،و من جانب آخر کان وجدانه الإنسانی یضغط علیه و لا یدعه یسکت أمام أعمال الرجل العالم التی یبدو ظاهرها سیئا قبیحا،لذا فقد نسی العهد الذی قطعه للخضر (العالم)فاعترض و قال: قالَ أَ خَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَیْئاً إِمْراً .

لا ریب إنّ هدف العالم(الخضر)لم یکن إغراق من فی السفینه،و لکنّ النتیجه النهائیه لخرق السفینه لم یکن سوی غرق من فی السفینه،لذا فقد استخدم موسی علیه السّلام(اللام الغائیه)لبیان الهدف.

مثل ذلک ما نقوله للشخص الذی یأکل کثیرا،عند ما نقول له:أ ترید أن تقتل نفسک؟! بالطبع مثل هذا لا یرید قتل نفسه بکثره الطعام،إلاّ أنّ نتیجه عمله قد تکون هکذا.

ص:۳۲۰

«إمر»على وزن«شمر»و تطلق على العمل المهم العجيب أو القبيح للغايه.

و حقا،لقد كان ظاهر عمل الرجل العالم عجيبا و سيئا للغايه،فهل هناك عمل أخطر من أن يثقب شخص سفينه تحمل عددا من المسافرين! و فى بعض الرّوايات نقرأ أنّ أهل السفينه انتبهوا إلى الخطر بسرعه و قاموا بإصلاح الثقب(الخرق)مؤقتا،و لكن السفينه أصبحت بعد ذلك معيبه و غير سالمه.

و فى هذه الأثناء نظر الرجل العالم إلى موسى عليه السّلام نظره خاصّه و خاطبه: قٰالَ أَ لَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً .

أمّا موسى الذى ندم على استعجاله،بسبب أهميه الحادثه،فقد تذكّر عهده الذى قطعه لهذا العالم الأستاذ،لذا فقد التفت إليه قائلا: قٰالَ لاٰ تُؤٰاخِذْنِي بِمٰا نَسِيتُ وَ لاٰ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً .يعنى لقد أخطأت و نسيت الوعد فلا تؤاخذنى بهذا الاشتباه.

«لا ترهقنى»مشتقّه من«إرهاق»و تعنى تغطيه شىء ما بالقهر و الغلبه،و تأتى فى بعض الأحيان بمعنى التكليف،و فى الآيه-أعلاه- يكون معناها:لا تصعّب الأمور علىّ،و لا تقطع فيضك عنّى بسبب هذا العمل.

لقد انتهت سفرتهم البحريه و ترجلوا من السفينه: فَانْطَلَقٰا حَتّٰى إِذٰا لَقِيٰا غُلاٰماً فَقَتَلَهُ ،و قد تمّ ذلك بدون أى مقدمات! و هنا ثار موسى عليه السّلام مرّه أخرى حيث لم يستطع السكوت على قتل طفل برىء بدون أى سبب،و ظهرت آثار الغضب على وجهه و ملأ الحزن و عدم الرضا عينيه و نسى وعده مرّه أخرى،فقام للاعتراض،و كان اعتراضه هذه المرّه أشد من اعتراضه فى المرّه الأولى،لأنّ الحادثه هذه المرّه كانت موحشه أكثر من الأولى، فقال عليه السّلام: قٰالَ أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ .أى إنّك قتلت إنسانا بريئا من دون أن يرتكب جريمه قتل، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً .

كلمه«غلام»تعنى الفتى الحدث،أى الصبى سواء كان بالغا أو غير بالغ.

و بين المفسّرين ثمّه كلام كثير عن الغلام المقتول،و فيما إذا كان بالغا أم لا، فالبعض استدل بعباره نَفْساً زَكِيَّةً على أنّ الفتى لم يكن بالغا.و البعض الآخر اعتبر عباره بِغَيْرِ نَفْسٍ دليلا على أنّ الفتى كان بالغا،ذلك لأنّ القصاص يجوز بحق البالغ فقط،و لكن لا يمكن القطع فى هذا المجال بالنسبه لنفس الآيه.

«نكر»تعنى القبيح و المنكر،و أثرها أقوى من كلمه«إمر»التى وردت فى حادثه ثقب السفينه،و السبب فى ذلك واضح،فالأمر الأوّل قد أوجد الخطر لمجموعه من الناس،إلاّ أنّهم تداركوه بسرعه،لكن ظاهر العمل الثّانى يدل على إرتكاب جريمه.

و مرّه أخرى كرّر العالم الكبير جملته السابقه التى اتسمت ببرود خاص، حيث قال لموسى عليه السّلام: قٰالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَکَ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً .

و الاختلاف الوحيد مع الجمله السابقه هو إضافه كلمه«لك»التى تفيد التأكيد الأكثر؛يعنى:إنّنى قلت هذا الكلام لشخصك! تذكر موسى تعهده فانتبه إلى ذلك و هو خجل،حيث أخلّ بالعهد مرّتين-و لو بسبب النسيان-و بدأ تدريجيا يشعر بصدق عباره الأستاذ فى أنّ موسى لا يستطيع تحمّل أعماله،لذا فلا يطيق رفقته كما قال له عند ما عرض عليه موسى الرفقه،لذا فقد بادر الى الاعتذار و قال:إذا اعترضت عليك مرّه أخرى فلا تصاحبنى و أنت فى حل منّى: قٰالَ إِنْ سَأَلْتُکَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهٰا فَلاٰ تُصٰاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً .صيغه العذر هنا تدل على انصاف موسى عليه السّلام و رؤيته البعيده للأمور،و تبيّن أنّه عليه السّلام كان يستسلم للحقائق و لو كانت مرّه؛بعباره أخرى:

إنّ الجمله توضح و بعد ثلاث مراحل للاختبار أنّ مهمّه هذين الرجلين كانت مختلفه.

بعد هذا الكلام و العهد الجديد: فَانْطَلَقٰا حَتّٰى إِذٰا أَتَيٰا أَهْلَ قَرْيَهٍ اسْتَطْعَمٰا

أَهْلَهٰا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمٰا

.

لا ـ ريب،إنّ موسى و صاحبه لم يكونا ممّن يلقى بكلّه على الناس و لكن يتّضح أنّ زادهم و أموالهم قد نفدت فى تلك السفره،لذا فقد رغبا أن يضيفهما أهل تلك المدينه(و يحتمل أنّ الرجل العالم تعمد طرح هذا الاقتراح كى يعطى موسى درسا بليغا آخر).

و يجب أن نلتفت إلى أنّ(قريه)فى لغه القرآن تنطوى على مفهوم عام، و تشمل المناطق السكنيه فى الريف و المدينه،أمّا المقصود منها فى الآيه فهو المدينه لا القريه،كما تصرح بعد ذلك الآيات اللاحقه.

و ذكر المفسّرون نقلا عن ابن عباس أنّ المقصود بهذه المدينه،هو (أنطاكيه) (1) .

و ذكر آخرون:إنّ المقصود منها هو مدينه«أيله»التى تسمى اليوم ميناء (أيلات)المعروف و الذى يقع على البحر الأحمر قرب خليج العقبه.أمّا البعض الثّالث فيرى بأنّها مدينه(الناصره)الواقعه شمال فلسطين،و هى محل ولاده السيّد المسيح عليه السّلام.و قد نقل العلاّمه الطبرسى حديثا عن الإمام الصادق عليه السّلام يدعم صحه هذا الاحتمال.

و رجوعا إلى ما قلناه فى المقصود من(مجمع البحرين)إذ قلنا:إنّه كنايه عن محل التقاء خليج العقبه و خليج السويس،يتّضح أنّ مدينه(الناصره)أو ميناء (أيله)أقرب إلى هذا المكان من انطاكيه.

المهم فى الأمر،أنّنا نستنتج من خلال ما جرى لموسى عليه السّلام و صاحبه من أهل هذه المدينه أنّهم كانوا لئاما دنيئى الهمّه،لذا نقرأ فى روايه عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم



---

1 - 1) -أنطاكيه من المدن السوريه القديمه التى تقع على بعد(96)كم من حلب،و(59)كم عن الإسكندرونه،تشتهر المدينه بالحبوب الغذائيه،و الحبوب الدهنيه،فيها ميناء يسمى«سويديه»و يبعد عن مركزها(27)كيلومتر.(يراجع فى ذلك دائره فريد وجدى،ج 1،ص 835).

قوله فی وصف أهل هذه المدینه: «کانوا أهل قریه لئام» (۱) .

ثمّ یضیف القرآن: فَوَجَدا فِیها جِداراً یُرِیدُ أَنْ یَنْقَضَّ فَأَقامَهُ (۲) و قد کان موسی علیه السّلام یشعر بالتعب و الجوع،و الأهم من ذلک أنّه کان یشعر بأنّ کرامته و کرامه أستاذه قد أهینت من أهل هذه القریه التی أبت أن نضیفهما؛و من جانب آخر شاهد کیف أنّ الخضر قام بترمیم الجدار بالرغم من سلوک أهل القریه القبیح إزاءهما،و کأنّه بذلک أراد أن یجازی أهل القریه بفعالهم السیئه،و کان موسی یعتقد بأنّ علی صاحبه أن یطالب بالأجر علی هذا العمل حتی یستطیعا أن یعدّا طعاما لهما.

لذا فقد نسی موسی علیه السّلام عهده مرّه أخری و بدأ بالاعتراض،إلاّ أنّ اعتراضه هذه المرّه بدا خفیفا فقال: قالَ لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَیْهِ أَجْراً .

و فی الواقع فإنّ موسی یعتقد بأنّ قیام الإنسان بالتضحیه فی سبیل أناس سیئین عمل مجاف لروح العداله؛بعباره أخری:إنّ الجمیل جیّد و حسن،بشرط أن یکون فی محلّه.

صحیح أنّ الجزاء الجمیل فی مقابل العمل القبیح هو من صفات الناس الإلهیین، إلاّ أنّ ذلک ینبغی أن لا یکون سببا فی دفع المسیئین للقیام بالمزید من الأعمال السیئه.

و هنا قال الرجل العالم کلامه الأخیر لموسی،بأنّک و من خلال حوادث مختلفه،لا تستطیع معی صبرا،لذلک قرّر العالم قراره الأخیر: قالَ هذا فِراقُ بَیْنِی وَ بَیْنِکَ سَأُنَبِّئُکَ بِتَأْوِیلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَیْهِ صَبْراً .

موسی علیه السّلام لم یعترض علی القرار-طبعا-لأنّه هو الذی کان قد اقترحه عند



---

۱- ۱) -مجمع البیان فی تفسیر الآیه.

۲- ۲) -إنّ نسبه«الإراده»إلی الجدار هو استخدام مجازی،و مفهوم ذلک أنّ الجدار کان ضعیفا للغایه و هو علی مشارف الانهیار.

وقوع الحادثه السابقه،و هکذا ثبت لموسی أنّه لا یستطیع الاستمرار مع هذا الرجل العالم.و لکن برغم کل ذلک،فإنّ خبر الفراق قد نزل بوقع شدید علی قلب موسی علیه السّلام،إذا یعنی فراق أستاذ قلبه مملوء بالأسرار،و مفارقه صحبه ملیئه بالبرکه،إذ کان کلام الأستاذ درسا،و تعامله یتسّم بالإلهام؛نور اللّه یشع من جبینه، و قلبه مخزن للعلم الإلهی.

إنّ مفارقه رجل بهذه الخصائص أمر صعب للغایه،لکن علی موسی علیه السّلام أن ینصاع لهذه الحقیقه المرّه.

المفسّر المعروف أبو الفتوح الرازی یقول:

ورد فی الخبر ،أنّ موسی علیه السّلام عند ما سئل عن أصعب ما لاقی من مشکلات فی طول حیاته،أجاب قائلا:لقد واجهت الکثیر من المشاکل و الصعوبات(إشاره إلی ما لاقاه علیه السّلام من فرعون،و ما عاناه من بنی إسرائیل)و لکن لم یکن أیّا منها أصعب و أکثر ألما علی قلبی من قرار الخضر فی فراقی إیّاه» (۱) .

«تأویل»من«أول»علی وزن«قول»و تعنی الإرجاع،لذا فإنّ أی عمل أو کلام یرجعنا إلی الهدف الأصلی یسمّی«تأویل»کما أنّ رفع الحجب عن أسرار شیء هو نوع من التأویل.

اطلاق کلمه(التأویل)علی تفسیر الأحلام یعود لهذا السبب بالذات،کما ورد فی سوره یوسف هٰذٰا تَأْوِیلُ رُءْیٰایَ (۲) (۳) .



---

۱- ۱) -أبو الفتوح الرازی فی(روح الجنان)،ج ۳،أثناء تفسیر الآیه.

۲- ۲) -للتوضیح أکثر یمکن مراجعه الآیه(۷)من سوره آل عمران.

۳- ۳) -یوسف، ۱۰۰.

## الآيات [سوره الكهف (١٨): الآيات ٧٩ الى ٨٢]

### اشاره

أَمَّا اَلسَّفِينَهُ فَكٰانَتْ لِمَسٰاكِينَ يَعْمَلُونَ فِى اَلْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهٰا وَ كٰانَ وَرٰاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَهٍ غَصْباً (٧٩) وَ أَمَّا اَلْغُلاٰمُ فَكٰانَ أَبَوٰاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينٰا أَنْ يُرْهِقَهُمٰا طُغْيٰاناً وَ كُفْراً (٨٠) فَأَرَدْنٰا أَنْ يُبْدِلَهُمٰا رَبُّهُمٰا خَيْراً مِنْهُ زَكٰاهً وَ أَقْرَبَ رُحْماً (٨١) وَ أَمَّا اَلْجِدٰارُ فَكٰانَ لِغُلاٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى اَلْمَدِينَهِ وَ كٰانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمٰا وَ كٰانَ أَبُوهُمٰا صٰالِحاً فَأَرٰادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغٰا أَشُدَّهُمٰا وَ يَسْتَخْرِجٰا كَنزَهُمٰا رَحْمَهً مِنْ رَبِّكَ وَ مٰا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى ذٰلِكَ تَأْوِيلُ مٰا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً (٨٢)

### التّفسير

### اشاره

#### الأسرار الداخليه لهذه الحوادث:

بعد أن أصبح الفراق بين موسى و الخضر عليهما السّلام أمرا حتميا،كان من اللازم أن يقوم الأستاذ الإلهى بتوضيح أسرار أعماله التى لم يستطع موسى أن يصبر عليها، و فى الواقع فإنّ استفاده موسى من صحبته تتمثل فى معرفه أسرار هذه الحوادث

ص :٣٢۶

الثلاثه العجيبه،و التى يمكن أن تكون مفتاحا للعديد من المسائل،و جوابا لكثير من الأسئله.

ففى البدايه ذكر قصّه السفينه و قال: أَمَّا السَّفِينَهُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِى الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها وَ كانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَهٍ غَصْباً .

و بهذا الترتيب كان ثمّه هدف خيّر وراء ثقب السفينه الذى بدأ فى حينه عملا مشينا سيئا،و الهدف هو نجاتهم من قبضه ملك غاصب،و كان هذا الملك يترك السفينه المعيبه و يصرف النظر عنها.إذا خلاصه المقصود فى الحادثه الأولى هو حفظ مصالح مجموعه من المساكين.

كلمه«وراء»لا- تعنى هنا الجانب المكانى،و إنّما هى كنايه عن الخطر المحيط بهم(خطر الملك)بدون أن يعلموا به،و بما أنّ الإنسان لا يحيط بالحوادث التى سوف تصيبه لاحقا،لذا استخدمت الآيه التعبير الآنف الذكر.

إضافه إلى ذلك فإنّ الإنسان عند ما يخضع لضغط فرد أو مجموعه فإنّه يستخدم تعبير(وراء)كقوله مثلا:الدّيانون ورائى و لا يتركونى؛و فى الآيه(١۶) من سوره إبراهيم نقرأ قوله تعالى: مِنْ وَرائِهِ جَهَنَّمُ وَ يُسْقى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ و كأنّ جهنّم تلاحق و تتبع المذنبين،لذا فقد استخدمت كلمه وراء (١) .

و يفيد استخدام كلمه(مسكين)أنّ«المسكين»ليس هو الشخص الذى لا يملك شيئا مطلقا،بل هى وصف يطلق على الأشخاص الذين يملكون أموالا و ثروه لكنّها لا تفى بحاجاتهم.

و يحتمل أيضا أن يكون السبب فى إطلاق وصف(المساكين)عليهم ليس بسبب الفقر المالى،بل بسبب افتقارهم للقوّه و القدره،و هذا التعبير يستخدم فى لغه العرب،كما و أنّه يتلاءم مع الجذور الأصليه لمعنى مسكين لغويا،و الذى يعنى السكون و الضعف.

ص: ٣٢٧

---

١- ١) -فى معنى(وراء)يمكن مراجعه البحث الوارد فى ذيل الآيه(١۶)من سوره إبراهيم فى تفسيرنا هذا.

و

فی نهج البلاغه نقرأ قول أمیر المؤمنین علیه السّلام: «مسکین ابن آدم..تؤلمه البقه، و تقتله الشرقه،و تنتنه العرقه» (۱) .

بعد ذلک ینتقل العالم إلی بیان سر الحادثه الثّانیه التی قتل فیها الفتی فیقول:

وَ أَمَّا الْغُلاٰمُ فَکٰانَ أَبَوٰاهُ مُؤْمِنَیْنِ فَخَشِینٰا أَنْ یُرْهِقَهُمٰا طُغْیٰاناً وَ کُفْراً

.

تحتمل مجموعه من المفسّرین أنّ المقصود من الآیه لیس ما یتبیّن من ظاهرها من أنّ الفتی الکافر و العاصی قد یکون سببا فی انحراف أبویه،و إنّما المقصود أنّه بسبب من طغیانه و کفره یؤذی أبویه کثیرا (۲) ؛و لکن التّفسیر الأوّل أقرب للصحه.

فی کل الأحوال،فإنّ الرجل العالم قام بقتل هـذا الفتی،و اعتبر سبب ذلک ما سوف یقع للأب و الأم المؤمنین فی حال بقاء الابن علی قید الحیاه.

و سوف نجیب فی فقره البحوث علی شبهه(القصاص قبل الجنایه)التی ترد علی أعمال الخضر هذه.

کلمه(خشینا)تستبطن معنی کبیرا،فهذا التعبیر یوضح أنّ هذا الرجل العالم کان یعتبر نفسه مسئولا عن مستقبل الناس،و لم یکن مستعدا لأن تصاب أم أو أب مؤمنان بسوء بسبب انحراف ابنهم.

کما إنّ تعبیر(خشینا)جاء هنا بمعنی:لم نکن نرغب،و إلاّ لا معنی للخوف فی هذه الموارد بالنسبه لشخص بهذا المستوی من العلم و الوعی و القدره.

و بعباره أخری،فإنّ الهدف هو الاتقاء من حادث سیء نرغب أن نقی الأبوین منه علی أساس المودّه لهما.

و یحتمل أن یکون التعبیر بمعنی(علمنا)کما ینقل عن ابن عباس،یعنی أنّنا



---

۱- ۱) -نهج البلاغه،الکلمات القصار الجمله رقم ۴۱۹.

۲- ۲) -وفق التّفسیر الأوّل یکون الفعل«یرهق»متعدیا إلی مفعولین:الأوّل(هما)،و المفعول الثّانی(طغیانا)،أمّا وفق التّفسیر الثّانی فإن(طغیانا)و(کفرا)یکونان مفعولا لأجله.

كنّا نعلم أنّ الفتى-فى حال بقائه-سوف يكون سببا لأحداث أليمه تقع لأبيه و أمه فى المستقبل.

أمّا لماذا استخدم ضمير المتكلّم فى حاله الجمع،بينما كان المتكلّم فردا واحدا،فإنّ سبب ذلك واضح،حيث أنّها ليست المرّه الأولى التى يستخدم القرآن هذه الصيغه،ففى كلام العرب عند ما يتحدث الأشخاص الكبار عن أنفسهم فإنّهم يستخدمون ضمير الجمع.و السبب فى ذلك أنّ هؤلاء الأشخاص يملكون أشخاصا تحت أيديهم و يعطونهم الأوامر لتنفيذ الأعمال،فاللّه يعطى الأوامر للملائكه،و الإنسان يعطى الأوامر للذين هم تحت يديه.

ثمّ تحكى الآيات على لسان العالم قوله: فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاهً وَ أَقْرَبَ رُحْماً .

إنّ تعبير(أردنا)و(ربّهما)يطوى معانى كبيره سوف نقف عليها بعد قليل.

(زكاه)هنا بمعنى الطهاره و النظافه،و لها مفهوم واسع حيث تشمل الإيمان و العمل الصالح،و تتسع للأمور الدينيه و الماديه،و قد يكون فى هذا التعبير ما هو جواب على اعتراض موسى عليه السّلام الذى قال: أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّهً... فقال له العالم فى الجواب:إنّ هذه النفس ليست زكيه،و أردنا أن يبدلهما ربّهما ابنا طاهرا بدلا عن ذلك.

و فى روايات عديده نقرأ

«أبدلهما اللّه به جاريه ولدت سبعين نبيّا» (1) .

فى آخر آيه من الآيات التى نبحثها،كشف الرجل العالم عن السر الثّالث الذى دعاه إلى بناء الجدار فقال: وَ أَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى الْمَدِينَهِ وَ كانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما وَ كانَ أَبُوهُما صالِحاً .

فَأَرادَ رَبُّکَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَ يَسْتَخْرِجا كَنزَهُما

.

رَحْمَهً مِنْ رَبِّکَ

.



---

1- 1) -نور الثقلين،ج 3،ص 286 و 287.

و أنا كنت مأمورا ببناء هذا الجدار بسبب جميل و إحسان أبوى هذين اليتيمين،كى لا يسقط و ينكشف الكنز و يكون معرّضا للخطر.

و فى خاتمه الحديث،و لأجل أن تنتفى أى شبهه محتمله،أو شك لدى موسى عليه السّلام،و لكى يكون على يقين بأنّ هذه الأعمال كانت طبقا لمخطط و توجيه أعلى خاص،قال العالم: وَ مٰا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِی بل بأمر من اللّه.

و ذلك سر ما لم يستطع موسى عليه السّلام صبرا،إذ قال: ذٰلِکَ تَأْوِیلُ مٰا لَمْ تَسْطِعْ عَلَیْهِ صَبْراً .

## بحوث

### اشاره

### ١-هل كانت مهمّه الخضر فى اطار النظام التشريعى أم التكوينى!؟

إنّ هذه الحوادث الثّلاث شغلت عقول العلماء الكبار،و أثارت بينهم الكثير من الكلام و الاستفهامات.

و السؤال الأوّل هو:هل يمكن إتلاف جزء من أموال شخص بدون إجازته بذريعه أنّ هناك غاصبا يريد أن يصادرها؟ و هل يمكن معاقبه فتى بذريعه الأعمال التى سيقوم بها فى المستقبل؟ ثمّ هل هناك ضروره للعمل المجانى بهدف الحفاظ على أموال شخص معين؟ لقد رأينا من سياق القصّه القرآنيه أنّ موسى اعتراض على الرجل العالم، و لكنّه بعد أن استمع للتوضيحات و أحاط ببواطن الأمور عاد و اقتنع.

أمّا نحن فأمامنا طريقان للإجابه على الأسئله،نعرضها بالتفصيل الآتى:

الطريق الأوّل:أن نطابق الحوادث و تصرفات الرجل العالم مع الموازين الفقهيه،و قوانين الشرع،و قد قامت مجموعه من المفسّرين بسلوك هذا الطريق.

فالحادثه الأولى اعتبروها منطبقه مع قانون الأهم و المهم؛و قالوا بأنّ حفظ مجموع السفينه عمل أهم حتما من الضرر الجزئى الذى لحقها بالخرق؛و بعباره أخرى،فإنّ الخضر قام هنا(بدفع الأفسد بالفاسد)خاصّه و أنّه كان يمكن تقدير الرضا الباطنى لأهل السفينه فيما إذا علموا بهذه الحادثه.(أى أنّ الخضر قد حصل من وجهه الإحكام و القواعد الشرعيه على إذن الفحوى).

و فيما يتعلق بالغلام فقد أصرّ المفسّرون ممن سلك هذا الطريق،على أنّ الفتى كان بالغا و أنّه كان مرتدا أو مفسدا،و بسبب أعماله الفعليه فإنّه من الجائز أن يقتل.

و أمّا حديث الخضر عن جرائم الغلام المستقبليه،فإنّه بذلك أراد أن يقول بأن جرائم هذا الغلام لا تقتصر على إفساده الراهن و جرائمه الحاليه،بل سيقوم بالمستقبل بجرائم أكبر،لذا فإنّ قتله طبقا للموازين الشرعيه و بسبب ما اقترفه من جرائم فعليه يكون جائزا.

أمّا ما يخص الحادثه الثّالثه،فلا أحد يستطيع أن يعترض على الآخرين فيما لو قاموا بالتضحيه و الإيثار من أجل الآخرين،و من أجل أن لا تضيع أموالهم دون أن يتقاضوا أجرا على أعمالهم،و هو بالضبط ما قام به الخضر،و قد لا تصل هذه الأفعال إلى حدّ الوجوب،إلاّ أنّها تعتبر-حتما-من السلوك الحسن.

بل قد يقال من الوجهه الفقهيه أنّ الإيثار و التضحيه فى بعض الموارد من الأمور الواجبه،مثل أن تكون أموال كثيره لطفل يتيم معرضه للتلف،و يمكن المحافظه عليها بجهد قليل فلا يستبعد وجوب بذل الجهد.

الطريق الثّانى:تتمّ فيه مناقشه بعض عناصر الاستدلال الفقهيه التى وردت فى الطريق الأوّل،فإذا كانت التوضيحات الآنفه مقنعه فيما يخص الكنز و الحائط، إلاّ أنّها فى قضيه قتل الغلام لا تتلاءم مع ظاهر الآيه،الذى اعتبر علّه قتل الغلام هو ما سيقوم به من أعمال فى المستقبل،و ليس أعماله الفعليه.

أمّا الدليل الوارد حول خرق السفينه،فهو أيضا لا يخلو من تأمل فهل نستطيع مثلا-و من الوجهه الفقهيه-أن نتلف جزءا من أموال أو بيت شخص معين بدون علمه لانقاذها من خطر ما،حتى لو علمنا و تيقنا بأنّه سيتمّ غصب تلك الأموال فى المستقبل...ترى هل يسمح الفقهاء بمثل هذا الحكم؟! و على هذا الأساس يجب علينا أن نسلك طريقا آخر:

الطريق الثّالث:إنّ فى هذا العالم ثمّه نظامان هما:«النظام التكوينى،و النظام التشريعى»،و بالرغم من أنّ هذين النظامين متناسقين فيما بينهما فى الأصول الكليه،و لكنها قد ينفصلان و يفترقان فى الجزئيات.

على سبيل المثال،يقوم اللّه سبحانه و تعالى و من أجل اختبار العباد، بابتلائهم بالخوف و نقص فى الأموال و الثمرات و موت الأعزّه و فقدانهم حتى يتبيّن الصابر من غيره تجاه هذه الحوادث و البلاءات.

و السؤال هنا هو:هل يستطيع أى فقيه أو حتى نبى أن يقوم بهذا العمل،أى ابتلاء العباد بنقص الأموال و الثمرات و فقدان الأعزه،و فقدان الأمن و الاستقرار بهدف اختبار الناس و ابتلائهم؟ و نرى أنّ اللّه سبحانه و تعالى يقوم بتحذير و تربيه بعض أنبيائه و عباده الصالحين،و ذلك بابتلائهم بمصائب بسبب تركهم للأولى،مثل ما ابتلى به يعقوب عليه السّلام بسبب قلّه توجهه إلى المساكين،أو ما ابتلى به يونس عليه السّلام بسبب تركه الأولى من بعض الأمور و لو لفتره قصيره...فهل يا ترى يحق لأحد أن يقوم بهذه الأعمال بعنوان الجزاء و العقاب لهؤلاء الرسل الكرام و العباد الصالحين؟ و نرى أنّ اللّه سبحانه و تعالى يقوم فى بعض الأحيان،بسلب النعمه من الإنسان بسبب عدم شكره،كأن تغرق أمواله فى البحر-مثلا-يخسر هذه الأموال،أو يصاب بالمرض بسبب عدم شكره لربّه على نعمه السلامه...

و السؤال هنا:هل يستطيع أحد من الناحيه الفقهيه و التشريعيه أن يسلب

النعمه من الآخرين،أو ينزل الضرر بسلامتهم و صحتهم بسبب عدم شكرهم و بدعوى ابتلائهم؟ إنّ أمثال هذه الأمور كثير للغايه،و هی تظهر-بشكل عام-أنّ عالم الوجود، و خصوصا خلق الإنسان،قد قام علی النظام الأحسن،حيث وضع اللّه تعالی مجموعه من القوانين و المقررات التكوينيه حتی يسلك الإنسان طريق التكامل، و عند ما يتخلف عنها فسيصاب بردود فعل مختلفه.

و لكنّا من وجهه قوانين الشرع و ضوابط الأحكام لا نستطيع أن نصنّف الأمور فی إطار هذه القوانين التكوينيه.

علی سبيل المثال نری أنّ الطبيب يستطيع أن يقطع إصبع شخص معين بحجّه عدم سرايه السم إلی قلبه، و لكن هل يستطيع أی شخص أن يقطع إصبع شخص آخر بحجّه تربيته علی الصبر أو عقابا له علی كفرانه للنعم؟(بالطبع الخالق يستطيع القيام بذلك حتما لأنّه يلائم النظام الأحسن).

و الآن بعد أن ثبت و توضح أنّ فی العالم نظامان(تكوينی و تشريعی)،و أنّ اللّه هو الحاكم و المسيطر علی هذين النظامين،لذا فلا مانع فی أن يأمر تعالی مجموعه بأن تطبّق النظام التشريعی،بينما يأمر مجموعه من الملائكه أو بعض البشر(كالخضر مثلا)بأن يطبقوا النظام التكوينی.

و من وجهه النظام التكوينی لا يوجد أی مانع فی أن يبتلی اللّه طفلا غير بالغ بحادثه معينه،ثمّ يموت ذلك الطفل بسبب هذه الحادثه،و ذلك لعلم اللّه تعالی بأنّ أخطارا كبيره كامنه لهذا الطفل فی المستقبل كما أنّ وجود مثل هؤلاء الأشخاص و بقاءهم يتمّ لمصلحه معينه كالامتحان و الابتلاء و غير ذلك.

و أيضا لا مانع فی أن يبتلينی اللّه اليوم بمرض صعب يقعدنی الفراش لعلمه تعالی بأنّ خروجی من البيت لو تمّ فسأتعرض لحادثه خطيره لا أستحقها،لذا فهو تعالی يمنعنی منها.

بعباره أخری:إنّ مجموعه من أولیائه و عباده مکلّفون فی هذا العالم بالبواطن،بینما المجموعه الأخری مکلّفون بالظواهر.و المکلّفون بالبواطن لهم ضوابط و أصول و برامج خاصّه بهم،مثلما للمکلّفین بالظواهر ضوابطهم و أصولهم الخاصّه بهم أیضا.

صحیح أنّ الخط العام لهذین البرنامجین یوصل الإنسان إلی الکمال؛ و صحیح أنّ البرنامجین متناسقین من حیث القواعد الکلیه،إلاّ أنّهما یفترقان فی التفاصیل و الجزئیات کما لاحظنا ذلک فی الأمثله.

بالطبع لا یستطیع أحد أن یعمل کما یحلو له ضمن هذین الخطین،بل یجب أن یحصل علی إجازه المالک القادر الحکیم الخالق جلّ و علا،لذا رأینا الخضر (العالم الکبیر)یوضح هذه الحقیقه بصراحه قائلا،(ما فعلته عن أمری)بل إنّی خطوت الخطوات وفقا للبرنامج الإلهی و الضوابط التی کانت موضوعه لی.

و هکذا سیزول التعارض و التضاد و تنتفی الأسئله و المشکلات المثاره حول مواقف الخضر فی الحوادث الثلاث.

و سبب عدم تحمّل موسی علیه السّلام لأعمال الخضر یعود إلی مهمّه موسی التی کانت تختلف عن مهمّه الخضر فی العالم،لذا فقد کان موسی علیه السّلام یبادر إلی الاعتراض علی مواقف الخضر المخالفه لضوابط الشریعه بینما کان الخضر مستمرا فی طریق ببرود،لأنّ وظیفه کل من هذین المبعوثین الإلهیین تختلف عن وظیفه الآخر و دوره المرسوم له إلهیا،لذلک لم یستطیعا العیش سویه،لذا قال الخضر لموسی علیه السّلام: هٰذٰا فِرٰاقُ بَیْنِی وَ بَیْنِکَ .

### ٢-من هو الخضر؟

لقد رأینا القرآن الکریم یتحدّث عن العالم من دون أن یسمیّه بالخضر و قد عبّر عن معلّم موسی علیه السّلام بقوله: عَبْداً مِنْ عِبٰادِنٰا آتَیْنٰاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنٰا وَ عَلَّمْنٰاهُ

مِنْ لَدُنّا عِلْماً و الآیه توضح المقام الخاص للعبودیه و العلم و المعرفه،لذا فإنّنا غالبا ما نصفه بالرجل العالم.

أمّا الرّوایات الإسلامیه و فی مختلف مصادرها عرّفت هذا الرجل باسم (الخضر)و من بعض هذه الرّوایات نستفید بأنّ اسمه الحقیقی کان(بلیا بن ملکان) أمّا الخضر فهو لقب له،حیث أنّه أینما کان یطأ الأرض فإنّ الأرض کانت تخضر تحت قدمیه.

البعض احتمل أنّ اسم الرجل العالم هذا هو(إلیاس)و من هنا ظهرت فکره أن الیاس و الخضر هما اسمان لشخص واحد.

و لکن المشهور المعروف بین المفسّرین و الرواه هو الأوّل.

و طبیعی أن نقول:إنّ اسم الرجل العالم أیّا کان فهو غیر مهم لا لمضمون القصّه و لا لقصدها،إذ المهم أن نعرف أنّه کان عالما إلهیا،شملته الرحمه الإلهیه الخاصّه،و کان مکلّفا بالباطن و النظام التکوینی للعالم،و یعرف بعض الأسرار، و کان معلّم موسی بن عمران بالرغم من أنّ موسی علیه السّلام کان أفضل منه من بعض الجوانب.

و هناک أیضا آراء و روایات مختلفه فیما إذا کان الخضر نبیّا أم لا.

ففی المجلد الأوّل من أصول الکافی وردت روایات عدیده تدل علی أنّ هذا الرجل لم یکن نبیّا،بل کان عالما مثل(ذو القرنین)و(آصف بن برخیا) (۱) .

فی حین نستفید من روایات أخری أنّه کان نبیّا،و ظاهر بعض الآیات أعلاه یدل علی هذا المعنی،لأنّها تقول علی لسانه: وَ ما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِی .و فی مکان آخر قوله: فَأَرَدْنا أَنْ یُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَیْراً مِنْهُ... .

و نستفید من روایات أخری أنّ الخضر عمّر طویلا.

و هنا قد یطرح هذا السؤال:هل ذکرت قصّه موسی و هذا العالم الکبیر فی



---

۱- ۱) -أصول الکافی،المجلد الأوّل،باب«إنّ الأئمّه بمن یشبهون فیمن مضی»،ص ۲۱۰.

مصادر اليهود و المسيح؟ فى الجواب نقول:إذا كان المقصود هو كتب العهدين(التوراه و الإنجيل)فإنّ ذلك غير مذكور فيهما،أمّا بعض كتب علماء اليهود التى تمّ تدوينها فى القرن الحادى عشر الميلادى،ففيها قصّه تشبه إلى حد كبير حادثه موسى عليه السّلام و عالم زمانه،بالرغم من أنّها تذكر أنّ أبطال تلك القصّه هما(إلياس)و(يوشع بن لاوى) و هما من مفسّرى(التلمود)فى القرن الثّالث الميلادى،و تختلف من خلال عدّه أمور عن قصّه موسى و الخضر،و القصه هذه هى:

«و هو(اى يوشع)يطلب من اللّه أن يلقى الياس،و بمجردّ أن يستجاب دعاؤه و يحظى بلقاء الياس فإنّه يرجوه أن يطلعه على بعض الأسرار.فيجيبه الياس:إنّك لا طاقه لك على تحمّل ذلك،إلاّ أن يوشع يصّر و يلحّ فى طلبه فيستجيب له الياس مشترطا عليه أن لا يسأل عن أىّ شىء يراه،و إذا تخلّف يوشع عن هذا الشرط فإنّ الياس حرّ فى الانفصال عنه و تركه،و على أساس هذا الاتّفاق يترافق يوشع و الياس فى السفر.

و أثناء سفرهما يدخلان إلى بيت فيستقبلهما صاحب البيت أحرّ استقبال و يكرم وفادهما.و كان لأهل ذلك البيت بقره هى كلّ ما يملكون من حطام الدنيا حيث كانوا يوفّرون لأنفسهم لقمه العيش من بيع لبنها.فيأمر الياس صاحب البيت أن يذبح تلك البقره،و يستولى على يوشع العجب و الاستغراب من هذا التصّرف و يدفعه ذلك لأن يسأله عن المبرّر لهذا الفعل.فيذكّره الياس بما اتّفقا عليه و يهددّه بمفارقته له فيصمت يوشع و لا ينبس بكلمه.

و من هناك يواصلان سفرهما إلى قريه أخرى فيدخلان إلى بيت شخص ثرىّ و ينهض الياس إلى جدار فى ذلك البيت يشرف على السقوط فيرمّمه و يقيمه.و فى قريه أخرى يواجهان عددا من سكان تلك القريه مجتمعين فى مكان معيّن و لا يعيرون هذين الشخصين بالاً و لا يواجهونهما باحترام.فيقوم

الیاس بالدعاء لهم أن یصلوا جمیعا إلی الرئاسه.و فی قریه رابعه یواجههما سکّانها باحترام فائق فیدعو لهم الیاس بأن یصل شخص واحد منهم فحسب إلی الرئاسه.و بالتالی فإنّ یوشع بن لاوی لا یطیق الصبر فیسأل عن الوقایع الأربع، و یجیبه الیاس:بأنّه فی البیت الأوّل کانت زوجه ربّ الدار مریضه و لو أنّ تلک البقره لم تذبح بعنوان الصدقه فإنّ تلک المرأه تموت و یصاب صاحب الدار بخساره أفدح من الخساره التی تلحقه نتیجه لذبح البقره،و فی البیت الثّانی کان هناک کنز ینبغی الاحتفاظ به لطفل یتیم، و أمّا إنّه قد دعوت لأهل القریه الثّالثه بأن یصلوا إلی الرئاسه جمیعا فذلک لکی تضطرب أمورهم و یختلّ النظام عندهم.

علی العکس من أهل القریه الرّابعه فإنّهم إذا أسندوا زمام أمورهم إلی شخص واحد فإنّ أمورهم سوف تنتظم و تسیر علی ما یرام» (1) .

و یجب عدم التوهّم أنّنا نری بأنّ القصتین هما قصه واحده،بل إنّ غرضنا الإشاره إلی أنّ القصه التی یذکرها علماء الیهود یمکن أن تکون قصه مشابهه أو محرّفه لما حصل أصلا لموسی علیه السّلام و الخضر،و قد تغیرت بسبب طول الزمان و أصبحت علی هذا الشکل.

### ٣-الأساطیر الموضوعه

إنّ الأساس فی قصّه موسی و الخضر علیهما السّلام هو ما ذکر فی القرآن،و لکن مع الأسف هناک أساطیر کثیره قیلت حول القصّه و حول رمزیها(موسی و الخضر) حتی أنّ بعض الإضافات تعطی للقصّه طابعا خرافیا.و ینبغی أن نعرف أنّ مصیر کثیر من القصص لم یختلف عن مصیر هذه القصه،إذ لم تنج قصه من الوضع و التحریف و التقوّل.

مقیاسنا فی واقعیه القصّه هو أن نضع الآیات الثلاث و العشرون أعلاه کمعیار



---

١- ١) -ما ورد أعلاه منقول عن کتاب(أعلام القرآن)،ص ٢١٣.

أمامنـا،و حتى بالنسـبه للأحـاديث و الرّوايـات فإنّنا نقبلها فى حال كونها مطابقه للآيات،فإذا كان هناك حـديث لا يطابق الآيات فسنرفضه حتما و من حسن الحظ لم يرد فى هذه الأحاديث حديث معتبر.

### ۴-هل يمكن أن يصاب الأنبياء بالنسيان؟

لقد واجهتنا-أعلاه،و لعدّه مرّات-قضـيه نسـيان موسـى عليه السّـلام،فمرّه فى قضـيه تلك السمكّه المعدّه لطعامهم؛و ثلاث مرّات أخرى خلال الحوادث الثلاث التى وقعت عنـد مرافقته للخضـر،حينما نسـى تعهـده! إذن،نحن أمام هـذا السؤال:هل يقع النسـيان بالنسـبه للأنبياء؟ البعض يعتقد بصدور و وقوع مثل هذا النسيان بالنسبه للأنبياء،لأنّه لا يرتبط بأساس دعوه النّبوه و لا بفروعها و لا بتبليغ الدعوه،بل يقع فى قضـيه عاديه تخص الحياه اليوميه،فالمسـلّم به أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا يصاب بالنسيان فى أصل دعوه النّبوه،و لا يخطأ أو يشتبه فى التبليغ،حيث أن عنايه اللّه تعصمه فى مثل هذه الأمور.

و لكن ما المانع أن ينسـى موسـى عليه السّـلام طعامه،خصوصا و أن هذا النسـيان أمر طبيعى عند ما يكون موسى متوجها بحواسه فى البحث عن الرجل العالم؟ ثمّ ما المانع من أن يصاب بالهيجان بحيث ينسـى تعهد الذى قطعه مع صاحبه العالم،و ذلك عند ما شاهد هذه الحوادث العظيمه التى مرّت به كقتل الفتى و خرق السـفينه و بناء الجدار فى مدينه البخلاء؟ إنّ موارد النسـيان هذه لا تتعارض مع مقام العصمه،و لا هى مستبعده عن أى نبى.

بعض المفسّـرين احتملوا أن يكون النسـيان هنـا بمعنى مجـازى،و يعنى الـترک، لأنّ الإنسـان عنـد مـا يـترک شـيئا فهو كمن قد نسيه؛أمّا لماذا ترک موسى طعامه،فقد

یعود ذلک إلی عدم اهتمامه بمثل هذا الأمر.و فیما یتعلق بتعهده اتجاه صاحبه العالم،فذاک منه لأنّه کان ینظر إلی ظواهر الأمور،إذ من غیر المألوف أن یعرّض أحد أرواح و أموال الناس إلی الضرر،فضلا عن أن یکون ذلک الشخص هو العالم الکبیر،لذا فإنّ موسی علیه السّلام کان یعتبر نفسه مکلفا بالاعتراض،و کان یعتقد بأنّ هذا الأمر لا یقیّد بالتعهد.

لکن من الواضح أنّ هذه التفاسیر و الآراء لا تتسق مع ظواهر الآیات.

### ۵-لماذا ذهب موسی لرؤیه الخضر؟

فی حدیث عن ابن عباس قال:أخبرنی أبی بن کعب قال: خطبنا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقال:«إنّ موسی علیه السّلام قام خطیبا فی بنی إسرائیل،فسئل أی الناس أعلم؟ قال:أنا.

فعتب اللّه علیه إذ لم یرد العلم إلیه.فأوحی إلیه:إنّ لی عبدا بمجمع البحرین هو أعلم منک.

قال موسی:یا ربّ فکیف لی به؟ قال:تأخذ معک حوتا...» (۱) إلخ الرّوایه حیث أرشد تعالی نبیّه موسی للوصول إلی الرجل العالم.

کما روی ما یشابه هذا الحدیث عن الإمام الصادق علیه السّلام (۲) .

إنّ مفاد هذه الواقعه هو تحذیر لموسی علیه السّلام حتی لا یعتبر نفسه-برغم علمه و معرفته-أفضل الأشخاص.

و لکن هنا یثار هذا السؤال:ألا یجب أن یکون النّبی-و هو هنا من أولی العزم و صاحب رساله-أعلم أهل زمانه؟



---

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۳،ص ۴۸۱.

۲- ۲) -نور الثقلین،ج ۳،ص ۲۷۵.

فی معرض الجواب نقول:نعم،ینبغی أن یکون أعلم فیما یتعلق بمهمّته، یعنی الأعلم بالنظام التشریعی،و موسی علیه السّلام کان کذلک.أمّا الرجل العالم(الخضر) فهو کما قلنا سابقا،کانت له مهمّه تختلف عن مهمّه موسی علیه السّلام و لا ترتبط بعالم التشریع.بعباره أخری:إنّ الرجل العالم کان یعرف من الأسرار ما لا تعتمد علیه دعوه النّبوه.

و

فی حدیث جاء عن الإمام الصادق علیه السّلام قوله علیه السّلام: «کان موسی أعلم من الخضر» (۱) . أی أعلم منه فی علم الشرع.

و هنا نلاحظ أنّ هذه الشبهه و قضیه نسیان موسی علیه السّلام هما اللتان دفعتا البعض إلی القول أنّ موسی المذکور فی القصه لیس هو موسی بن عمران،بل هو شخص آخر.لکن مع حل هاتین المشکلتین لا یبقی مجال لهذا الکلام.

و فی حدیث عن الإمام علی بن موسی الرضا علیه السّلام نری إشاره صریحه إلی أن مهمّه و وظیفه کلّ من موسی و الخضر کانت تختلف عن الآخر،فقد کتب أحدهم إلی الإمام الرضا علیه السّلام یسأله عن العالم الذی أتاه موسی،أیّهما کان أعلم؟فکان ممّا أجاب به الإمام

قوله علیه السّلام: «أتی موسی العالم فأصابه فی جزیره من جزائر البحر إمّا جالسا و إمّا متکئا فسلّم علیه موسی،فأنکر السلام،إذ کانت الأرض لیس بها سلام.

قال:من أنت؟قال:أنا موسی بن عمران.قال:أنت موسی بن عمران الذی کلمه اللّه تکلیما؟قال:نعم،قال:فما حاجتک؟قال:جئت لتعلمنی ممّا علمت رشدا.قال:إنّی وکلت بأمر لا تطیقه،و وکلت بأمر لا أطیقه» (۲) .

و من المناسب هنا أن نختم هذه الفقره بما

رواه صاحب«الدر المنثور»عن «الحاکم»النیسابوری من أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «لما لقی موسی الخضر،جاء طیر فألقی منقاره فی الماء،فقال الخضر لموسی:تدری ما یقول هذا الطائر؟قال:و ما



---

۱- ۱) -تفسیر المیزان،ج ۱۳،ص ۳۵۶.

۲- ۲) -مجمع البیان،ج ۶،ص ۴۸۰.و المیزان،ج ۱۳،ص ۳۵۶.

يقول؟قال:يقول:ما علمك و علم موسى فى علم اللّه إلاّ كما أخذ منقارى من الماء» (1) .

## ۶-ماذا كان الكنز؟

من الأسئله التى تثار حول هذه القصّه،هى عن ماهيه الكنز الوارد فى الآيه، ماذا كان؟و لماذا كان صاحب موسى يصر على إخفائه؟و لماذا قام الرجل المؤمن،يعنى أ بالأيتام يتجمع هذا الكنز و إخفائه؟ يرى بعض المفسّرين أن الكنز يرمز إلى شىء معنوى،قبل أن يكون له مفهوم مادى.

إذ أنّ هذا الكنز-طبقا لروايات عديده تنقل من طرق السنه و الشيعه-لم يكن سوى لوح منقوش عليه مجموعه من الحكم.

أمّا ما هى هذه الحكم؟فثمه كلام كثير للمفسّرين فى ذلك.

ففى كتاب الكافى نقلا عن الإمام حيث قال فى جوابه على سؤال يتعلق بماهيه الكنز: «أمّا إنّه ما كان ذهبا و لا فضه،و إنّما كان أربع كلمات:لا إله إلاّ اللّه،من أيقن بالموت لم يضحك،و من أيقن بالحساب لم يفرح قلبه،و من أيقن بالقدر لم يخش إلاّ اللّه» (2) .

و فى روايات أخرى،ورد أنّ اللوح كان من ذهب.الظاهر أنّه ليس هناك تعارض بين الاثنين،لأنّ هدف الرّوايه الأولى أن تبيّن أنّ الكنز لم يكن دراهم و دنانير.

و لو فرضنا أنّنا التزمنا المعنى الظاهر لكلمه كنز،و فسرناه على أنّه كميه من الذهب،فإنّنا لا نواجه مشكله أيضا،لأنّ الكنز المحرم شرعا هو أن يقوم الإنسان



---

١- ١) -الدر المنثور و مصادر أخرى طبقا لما نقله صاحب الميزان فى ج ١٣،ص ٣۵۶.

٢- ٢) -نور الثقلين،ج ٣،ص ٢٨٧.

بتجميع و ادخار أموال و ثروه كبيره لمدّه طويله فى حين أن المجتمع بحاجه إليها، و لكن لو قام أحد الأشخاص بدفن ماله ليوم أو عدّه أيّام(كما هو المتعارف فى الازمنه السابقه بسبب عدم الأمن)ثمّ توفى هذا الشخص بسبب حادثه،فلا يوجد أى إشكال فى مثل هذا الكنز.

### ٧-دروس هذه القصّه

هناك جمله دروس يمكن أن نستفيدها من القصّه،و يمكن لنا أن ندرجها كما يلى:

أ:أهميه العثور على قائد عالم و الاستفاده من علمه،بحيث رأينا أنّ نبيّا من أولى العزم مثل موسى عليه السّلام يسلك هذا الطريق الطويل،و قد بذل ما بذل لتحقيقه.

و هذا درس لجميع الناس مهما كان علمهم و فى أى عمر كانوا.

ب:جوهره العلم الإلهى تنبع من العبوديه للّه تعالى،كما قرأنا فى الآيات أعلاه فى قوله تعالى: عَبْداً مِنْ عِبادِنا عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً .

ج:يجب تعلم العلم للعمل،كما يقول موسى عليه السّلام لصاحبه مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً أى علمنى عملا يقربنى من هدفى و مقصدى،فأنا لا أطلب العلم لنفسه،بل للوصول إلى الهدف.

د:يجب عدم الاستعجال فى الأعمال،إذ العديد من الأمور تحتاج إلى الفرص المناسبه(الأمور مرهونه بأوقاتها)خاصّه فى القضايا المهمّه،و لهذا السبب،فإنّ الرجل العالم قد ذكر سرّ أعماله لموسى فى الفرصه المناسبه.

ه:الظاهر و الباطن من المسائل المهمّه الأخرى التى نتعلمها من القصه،إذ يجب علينا أن لا نصدر أحكاما سريعه تجاه الحوادث التى تقع فى مجرى حياتنا مما قد لا يعجبنا.إذ ما أكثر الحوادث التى نكرهها،و لكن يتّضح بعد مدّه أنّ هذه الحوادث لم تكن سوى نوع من الألطاف الخفيه الإلهيه.و القرآن يصرّح بمضمون

هـذه الحقيقه فی قـوله تعـالی: عَسـیٰ أَنْ تَكْرَهُـوا شَـيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لَكَمْ وَ عَسـیٰ أَنْ تُحِبُّوا شَـيْئاً وَ هُوَ شَـرٌّ لَكَمْ وَ اللّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ (۱) .

إنّ المستفاد من هذه القضيه أن لا يصاب الإنسان باليأس عند ما تهجم عليه الحوادث،و فی هذا الصدد نقرأ

فی حـديث طريـف ينقله عبـد اللّه بن المحـدّث و الفقيه المعروف زراره بن أعين،و يقول فيه عبـد اللّه:قـال لی أبو عبـد اللّه عليه السّـلام: «اقرأ منی علی والدک السـلام،و قل له:إنّی إنّما أعيبک دفاعا منّی عنک،فإنّ الناس و العدوّ يسارعون إلی كلّ من قرّبناه و حمـدنا مكـانه لإدخـال الأـذی فی من نحبه و نقرّبه،و يرمونه لمحبتنـا له و قربه و دنوه منّـا،و يرون إدخـال الأـذی عليه و قتله و يحمـدون كـل من عبنـاه نحن،فإنّمـا أعيبـک لأنّـک رجـل اشـتهرت منّا،و بميلک إلينا، و أنت فی ذلک مـذموم عنـد الناس غير محمود الأـثر بمودّتـک لنـا و لميلک إلينا، فأحببت أن أعيبک ليحمـدوا أمرک فی الـدين بعيبک و نقصک،و يكون بـذلک منّا دافع شرّهم عنک.يقول اللّه عزّ و جلّ: أَمَّا السَّفِينَهُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِی الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها وَ كانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَـفِينَهٍ غَصْـباً هذا التنزيل من عند اللّه، صالحه،لا و اللّه ما عابها إلا لكی تسـلم من الملک،و لا تعطب علی يديه،و لقد كانت صـالحه ليس للعيب فيهـا مساغ و الحمـد للّه،فافهم المثل يرحمک اللّه،فإنّک و اللّه أحبّ الناس إلیّ،و أحبّ أصـحاب أبی حيا و ميتا.فإنّـک أفضـل سـفن ذلـک البحر القمقام الزاخر،و إن من ورائک ملكا ظلوما غصوبا يرقب عبور كل سـفينه صالحه ترد بحر الهدی ليأخذها غصبا،ثمّ يغصبها و أهلها و رحمه اللّه عليک حيا و رحمته و رضوانه عليک ميتا» (۲) .

و:من دروس القصه الاـعتراف بالحقـائق و اتخـاذ المواقف المطـابقه لهـا، فعنـد مـا تخلف موسـی ثلاـث مرّات عن الوفاء بالتزامه لصاحبه العالم،عرف أنّه



---

۱- ۱) -البقره،۲۱۶.

۲- ۲) -معجم رجال الحديث،ج ۷،ص ۲۲۶.

لا يستطيع الاستمرار معه فی الصحبه،و بالرغم من أنّ فراق هذا الأستاذ کان أمرا صعبا علی موسی علیه السّلام،إلاّ أنّه علیه السّلام لم یکابر و أنصف العالم بإعطائه الحق،و فارقه عن إخلاص بعد أن حصل علی حقائق عظمیه و کنوز معنویه کبیره من هذه الصحبه القصیره.

یجب علی الإنسان أن لا یستمر إلی آخر عمره فی اختبار نفسه،بحیث تتحوّل حیاته إلی مختبر للأمور المستقبلیه التی قد لا تحصل أبدا،إذ علیه عند ما یختبر موضوعا ما عدّه مرّات،أن یلتزم العمل بنتائج الاختبار و أن یقتنع به.

ز:تأثیر إیمان الآباء علی الأبناء لقد تحمّل الخضر مسئولیه حمایه الأبناء فی المقدار الذی کان یستطیعه، و ذلک بسبب الأب الصالح الملتزم.بمعنی أنّ الابن یستطیع أن یسعد فی ظل الإیمان و أمانه و التزام الأب،و إنّ نتیجه العمل الصالح الذی یلتزمه الأب تعود علی الابن أیضا.

و فی بعض الرّوایات نقرأ أنّ ذلک الرجل الصالح لم یکن الأب المباشر للیتامی،بل هو من أجدادهم البعیدین جدا.(و هکذا یکون للعمل الصالح تأثیره) (1) .و إنّ من علائم صلاح هذا الأب هو ما ترکه من الکنوز المعنویه،و من الحکم لأبنائه.

ح:قصر العمر بسبب إیذاء الوالدین عند ما یطال الموت الابن بسبب ما یلحقه من أذی بوالدیه فی مستقبل حیاته،و بسبب ما یرهقهما به من أذی و طغیان و کفر،قد یحرفهم به عن الطریق الإلهی،کما رأینا ذلک فی القصّه التی بین أیدینا، فإنّ الرّوایات الإسلامیه تربط



---

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۳،ص ۲۸۹.

بین قصر العمر و ترک صله الرحم(و بالأخص أذیه الوالدین و عقوقهما)و قد أشرنا إلی بعضها فی نهایه الحدیث عن الآیه(۲۳)من سوره الإسراء.

و ینبغی هنا أن نستوعب الدرس علی صعید هذا الجانب من القصه،إذا کان الولد یقتل لما یلحقه بأبویه من ضرر و أذی فی مستقبل حیاته،تری فما حال الذی یمارس الأذی فعلا بحق والدیه و یرهقهما بالعقوق؟ ط:الناس أعداء ما جهلوا قد یحدث أن یقوم شخص بالإحسان إلینا،إلاّ أنّنا نتصوره عدوّا لنا،لأنّنا لا نعرف بواطن الأمور،و نتسرع و نفقد الصبر،خصوصا إزاء الأحداث و الأمور التی نجهلها و لا نحیط بأسبابها علما.من الطبیعی أن یفقد الإنسان صبره إزاء ما لا یحیط به علما من الأحداث و القضایا،إلاّ أنّ الدرس المستفاد من القصّه هو أن لا نتسرع فی إصدار الأحکام علی مثل هذه القضایا حتی تکتمل لدینا الرؤیه التی نحیط من خلالها بجوانب و زوایا الموضوع المختلفه.

ففی حدیث عن أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب،نقرأ قوله علیه السّلام: «الناس أعداء ما جهلوا» (۱) ، لذا فإنّه کلّما یرتفع الوعی لدی الإنسان فإنّ تعامله یکون أکثر منطقیه،و بعباره أخری إنّ أساس الصبر هو الوعی.

و کان لانزعاج موسی علیه السّلام-بالطبع-ما یبرره،إذ کان یری تجاوزا عن حدود الشرع فی الأحداث التی وقعت علی ید صاحبه بحیث تعرض القسم الأعظم للشریعه الی الخطر،ففی الحادثه الأولی تعرضت مصونیه أموال الناس إلی الخطر؛و فی الثّانیه تعرضت أرواحهم إلی خطر،أمّا فی الثّالثه،فکان اعتراضه ینصب علی ضروره التعامل المنطقی مع حقوق الناس،لذلک فقد اعترض و نسی



---

۱- ۱) -نهج البلاغه-الحکمه رقم ۴۳۸.

عهـده الـذى قطعه لصاحبه العالم،و لكن ما إن اطلّع على بواطن الأمور هـدأ و كفّ عن الاعتراض.و هذا الأمر يدل على أنّ عدم الاطلاع هو أمر مقلق بحدّ ذاته.

ى:أدب التلميذ و الأسـتاذ ثمّه ملاحظات لطيفه حول أدب التلميذ و الأسـتاذ ظهرت فى مقاطع الحديث بين موسـى عليه السّلام و الرجل الربّانى العالم،فمن ذلك مثلا:

۱-اعتبار موسى عليه السّلام لنفسه تابعا للخضر قوله: أَتَّبِعُکَ .

۲-لقد أعلن موسى عليه السّلام هذا الإتباع على شكل استئذان فقال: هَلْ أَتَّبِعُکَ .

۳-إقراره عليه السّلام بعلم أستاذه و بحاجته للتعلّم فقال: عَلىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ .

۴-و للتواضع فقد اعتبر علم أستاذه كثيرا،و هو يطلب جانبا من هذا العلم، فقال: مِمّا .

۵-يصف علم أستاذه بأنّه علم إلهى فيقول: عُلِّمْتَ .

۶-يطلب من أستاذه الهدايه و الرشاد فقال عليه السّلام: رُشْداً .

۷-يقول لأستاذه بشكل لطيف خفى،بأنّ اللّه قد تلطّف عليك و علّمك، فتلطّف أنت علىّ،و حيث قال عليه السّلام:«تعلمن ممّا علمت».

۸-إنّ جمله هَلْ أَتَّبِعُکَ تكشف حقيقه أن يكون التلميذ فى طلب الأستاذ،و فى أتباعه،إذ ليس من وظيفه الأستاذ اتباع تلميذه إلاّ فى حالات و موارد خاصّه.

۹-برغم مـا كان يتمتع موسـى عليه السّلام بمنصب كبير(حيث كان نبيّا من أولى العزم و صاحب رساله و كتاب)إلاّ أنّه تواضع،و هذا يعنى أنّك و مهما كنت و فى أى مقام أصبحت،يجب عليك أن تتواضع فى مقام طلب العلم و المعرفه.

۱۰-إنّ موسى عليه السّلام لم يذكر عباره جازمه فى معرض تعهده لأستاذه،بل قال:

سَتَجِدُنِی إِنْ شٰاءَ اللّٰهُ صٰابِراً و هذه الصيغه فى التعبير مملوءه أدبا إزاء

الخالق جلّ و علا،و اتجاه الأستاذ أيضا،حتى إذا تخلّف عنها لا يكون ثمّه نوع من هتك الحرمه إزاء الأستاذ.

و ضروری أن نذکر فی خاتمه هذا الحدیث أنّ العالم الربانی قد استخدم إزاء موسی علیه السّلام منتهی الحلم فی مقام التعلیم و التربیه،فعند ما کان موسی علیه السّلام ینسی تعهده و تثور ثائرته و یعترض علیه،یجیبه الأستاذ بهدوء و برود،و لکن علی شکل استفهام: أَ لَمْ أَقُلْ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِیعَ مَعِیَ صَبْراً .

ص :347

## الآیات [سوره الكهف (١٨): الآیات ٨٣ الی ٩١]

### اشاره

وَ یَسْئَلُونَکَ عَنْ ذِی اَلْقَرْنَیْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَیْکُمْ مِنْهُ ذِکْراً (٨٣) إِنّا مَکَّنّا لَهُ فِی اَلْأَرْضِ وَ آتَیْناهُ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ سَبَباً (٨۴) فَأَتْبَعَ سَبَباً (٨۵) حَتّی إِذا بَلَغَ مَغْرِبَ اَلشَّمْسِ وَجَدَها تَغْرُبُ فِی عَیْنٍ حَمِئَهٍ وَ وَجَدَ عِنْدَها قَوْماً قُلْنا یا ذَا اَلْقَرْنَیْنِ إِمّا أَنْ تُعَذِّبَ وَ إِمّا أَنْ تَتَّخِذَ فِیهِمْ حُسْناً (٨۶) قالَ أَمّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ یُرَدُّ إِلی رَبِّهِ فَیُعَذِّبُهُ عَذاباً نُکْراً (٨٧) وَ أَمّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلَهُ جَزاءً اَلْحُسْنی وَ سَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنا یُسْراً (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً (٨٩) حَتّی إِذا بَلَغَ مَطْلِعَ اَلشَّمْسِ وَجَدَها تَطْلُعُ عَلی قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً (٩٠) کَذلِکَ وَ قَدْ أَحَطْنا بِما لَدَیْهِ خُبْراً (٩١)

### التّفسیر

### اشاره

#### قصّه«ذو القرنین»العجیبه:

قلنا فی بدایه حدیثنا عن أصحاب الکهف:إنّ مجموعه من قریش قرّرت

اختبار الرّسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و قامت هذه المجموعه بالتنسيق مع اليهود و استشارتهم بطرح ثلاث قضايا هى:تأريخ الفتيه من أصحاب الكهف.

السؤال عن ماهيه الروح،أمّا القضيه الثّالثه فقد كانت حول«ذو القرنين».

و فى القرآن،جاء الردّ على قضيه الروح فى سوره الإسراء،أمّا الإجابه على السؤالين الآخرين فقد جاءت فى سوره الكهف.

و نحن الآن بصدد قصّه«ذو القرنين»:

و أشرنا سابقا إلى أنّ سوره الكهف أشارت إلى ثلاث قصص تختلف فى الظاهر عن بعضها،و لكنّها تشترك فى جوانب معينه،و القصص الثلاث هى قصّه أصحاب الكهف،و موسى و الخضر،و قصّه«ذو القرنين».

إنّ فى القصص الثلاث هذه مضامين تنقلنا من حياتنا العاديه إلى أفق آخر، يكشف لنا أنّ العالم فى حقائقه و أسراره لا يحدّ فيما ألفناه منه،و فيما يحيطنا منه، و اعتدنا عليه.

إنّ قصه«ذو القرنين»تدور حول شخصيه أثارت اهتمامات الفلاسفه و الباحثين منذ القدم.و قد بذلت جهود و مساعى كثيره للتعرّف على هذه الشخصيه.

و سنقوم أوّلا- بتفسير الآيات الست عشره الخاصّه بذى القرنين حيث أن حياته مع قطع النظر عن جوانبها التاريخيه بمثابه درس كبير و ملىء بالعبر،ثمّ ننتقل إلى بحوث لمعرفه شخصيه ذى القرنين نفسه مستفيدين فى ذلك من الرّوايات الإسلاميه،و ممّا أشار إليه المؤرّخون فى هذا الصدد.

بتعبير آخر:إنّ ما يهمنا أوّلا هو الحديث عن شخصيه ذى القرنين،و هو ما فعله القرآن،حيث يقول تعالى: وَ يَسْئَلُونَکَ عَنْ ذِی الْقَرْنَيْنِ .

فيكون الجواب على لسان الرّسول المصطفى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً .

و لأنّ«السين»فی(سأتلوا)تستخدم عاده للمستقبل القریب،و الرّسول هنا یتحدّث مباشره إلیهم عن ذی القرنین،فمن المحتمل أن یکون ذلک منه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم احتراما و مراعاه للأدب؛الأدب الممزوج بالهدوء و التروی،الأدب الذی یعنی استلهامه للعلم من اللّه تبارک و تعالی،و نقله إلی الناس.

إنّ بدایه الآیه تبیّن لنا أنّ قصه«ذو القرنین»کانت متداوله و معروفه بین الناس،و لکنّها کانت محاطه بالغموض و الإبهام،لهذا السبب طالبوا الرّسول الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الإدلاء حولها بالتوضیحات اللازمه.

و فی استئناف الحدیث عن ذی القرنین یقول تعالی: إِنّٰا مَکَّنّٰا لَهُ فِی الْأَرْضِ .أی منحناه سبل القوه و القدره و الحکم.

وَ آتَیْنٰاهُ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ سَبَباً

.

بالرغم من أنّ مفهوم(السبب)یعنی الحبل المستخدم فی تسلّق النخیل،الاّ أن بعض المفسّرین یحصره فی الوسائل المستخدمه فی إنجاز الأعمال،إلاّ أنّ الواضح من مفهوم الآیه أنّ الکلمه المذکوره یراد منها معناها و مفهومها الواسع، حیث أنّ اللّه تبارک و تعالی منح«ذو القرنین»أسباب الوصول لکل الأشیاء:العقل، العلم الکافی،الإداره السلیمه،القوّه و القدره،الجیوش و القوی البشریه،بالإضافه إلی الإمکانات المادیه.أی إنّه منح کل الأسباب و السبل المادیه و المعنویه الکفیله بتحقیق الأهداف المنشوده.

ثمّ یشیر القرآن بعد ذلک إلی استفاده ذی القرنین من هذه الأسباب و السبل فیقول: فَأَتْبَعَ سَبَباً .

ثمّ حَتّٰی إِذٰا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ .

فرأی أنّها تغرب فی بحر غامق أو عین ذات ماء آجن: وَجَدَهٰا تَغْرُبُ فِی عَیْنٍ حَمِئَهٍ (۱) .

ص : ۳۵۰

---

۱- ۱) -(حمئه)تعنی فی الأصل الطین الأسود ذا الرائحه الکریهه؛أو الماء الآسن الموجود فی المستنقعات.و هذا

وَ وَجَدَ عِنْدَها قَوْماً

أی مجموعه من الناس فیهم الصالح و الطالح،هؤلاء القوم هم الذین خاطب اللّه ذا القرنین فی شأنهم: قُلْنا یا ذَا الْقَرْنَیْنِ إِمّا أَنْ تُعَذِّبَ وَ إِمّا أَنْ تَتَّخِذَ فِیهِمْ حُسْناً (۱) .

و یری بعض المفسّرین فی کلمه(قلنا)دلیلا علی نبوه ذی القرنین.و لکن من المحتمل أن یکون المقصود بهذا التعبیر هو الإلهام القلبی الذی یمنحه الخالق جلّ و علا لغیر الأنبیاء أیضا،هذا و لیس بالإمکان انکار أنّ التعبیر الآنف الذکر یشیر بالفعل إلی معنی النّبوه.

بعد ذلک تحکی الآیات جواب«ذی القرنین»الذی قال: قالَ أَمّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ یُرَدُّ إِلی رَبِّهِ فَیُعَذِّبُهُ عَذاباً نُکْراً (۲) .أی إنّ الظالمین سینالون العذاب الدنیوی و الأخروی معا.

وَ أَمّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلَهُ جَزاءً الْحُسْنی

.

وَ سَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنا یُسْراً

.

أی أنّنا سنتعامل معه بالقول الحسن،فضلا عن أنّنا سنخفف عنه و لا نجعله یواجه المشاکل و الصعاب،بالإضافه إلی أنّنا سوف لن نجبی منه ضرائب کثیره.

و الظاهر أنّ ذا القرنین أراد من ذلک أن الناس سینقسمون مقابل دعوتی الی التوحید و الإیمان و النهی عن الظلم و الفساد إلی مجموعتین،الأولی:هی المجموعه التی سترحب ببرنامجه الإلهی و دعوته للتوحید و الإیمان و هذه .

(۱)

الوصف یبیّن لنا بأنّ الأرض التی بلغها«ذو القرنین»کانت ملیئه بالمستنقعات،بشکل کان ذو القرنین یشعر معه بأنّ الشمس کانت تغرب فی هذه المستنقعات،تماما کما یشعر بذلک مسافر البحر،و سکّان السواحل الذین یشعرون بأنّ الشمس قد غابت فی البحر أو خرجت منه!



---

۱- ۱) -یظهر أن جمله إِمّا أَنْ تُعَذِّبَ... استفهامیه بالرغم من أنّ ظاهرها أنّها جمله خبریه.

۲- ۲) -«نکر»مشتقه من«منکر»بمعنی الشیء المجهول؛أی العذاب المجهول الذی لم یمکن تصوره.

ستجزی بالحسنی و ستعیش حیاه آمنه و مطمئنه.أمّا الثّانیه:فستتخذ موقفا عدائیا من دعوه ذی القرنین و تقف فی الجبهه المناوئه،و تستمر فی شرکها و ظلمها،و تواصل فسادها.و هی لذلک ستعاقب نتیجه موقفها هذا أشدّ العقاب.

و بمقارنه قوله: مَنْ ظَلَمَ و قوله: مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً یتبیّن لنا أنّ الظلم یعنی هنا الشرک و العمل غیر الصالح الذی یعدّ من ثمار شجره الشرک المشؤومه.

و عند ما انتهی«ذو القرنین»من سفره إلی الغرب توجه إلی الشرق حیث یقول القرآن فی ذلک: ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً أی استخدم الوسائل و الإمکانات التی کانت بحوزته.

حَتّٰی إِذٰا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ

.و هنا رأی أنّها: وَجَدَهٰا تَطْلُعُ عَلیٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهٰا سِتْراً .و فی اللفظ کنایه عن أنّ حیاه هؤلاء الناس بدائیه جدّا،و لا یملکون سوی القلیل من الملابس التی لا تکفی لتغطیه أبدانهم من الشمس.

أمّا بعض المفسّرین فلم یستبعدوا افتقار هؤلاء الناس إلی المساکن التی تحمیهم من الشمس (۱) .

و هناک احتمال آخر یطرحه البعض،و یری أن یکون هؤلاء القوم فی أرض صحراویه تفتقر للجبال و الأشجار و الملاجئ،و أن لیس فی تلک الصحراء ما یمکّن هؤلاء القوم من حمایه أنفسهم من الشمس من غطاء أو غیر ذلک (۲) .



---

۱- ۱) -أشارت بعض الرّوایات الوارده عن أهل البیت علیهم السّلام إلی التّفسیر الأوّل،فیما أشارت روایات أخری إلی التّفسیر الثّانی.و لیس ثمّه تناقض بین الإثنین(یراجع نور الثقلین،ج ۳،ص ۳۰۶).

۲- ۲) -تفسیر فی ظلال القرآن،و الفخر الرازی أثناء تفسیر الآیه.

بالطبع ليس هناک تعارض بين التفاسير هذه،قوله تعالى: كَذٰلِكَ وَ قَدْ أَحَطْنٰا بِمٰا لَدَيْهِ خُبْراً .هكذا كانت أعمال«ذو القرنين»و نحن نعلم جيدا بإمكاناته.

بعض المفسّرين قال:إنّ هذه الآيه تشير إلى الهدايه الإلهيه لذى القرنين فی برامجه و مساعيه (1) .



---

١- ١) -الميزان،ج ١٣،ص ٣٩١.

## الآيات [سوره الكهف (١٨): الآيات ٩٢ الى ٩٨]

### اشاره

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً (٩٢) حَتّٰى إِذٰا بَلَغَ بَيْنَ اَلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمٰا قَوْماً لاٰ يَكٰادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً (٩٣) قٰالُوا يٰا ذَا اَلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي اَلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنٰا وَ بَيْنَهُمْ سَدًّا (٩۴) قٰالَ مٰا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ رَدْماً (٩۵) آتُونِي زُبَرَ اَلْحَدِيدِ حَتّٰى إِذٰا سٰاوىٰ بَيْنَ اَلصَّدَفَيْنِ قٰالَ اُنْفُخُوا حَتّٰى إِذٰا جَعَلَهُ نٰاراً قٰالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً (٩۶) فَمَا اِسْطٰاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَ مَا اِسْتَطٰاعُوا لَهُ نَقْباً (٩٧) قٰالَ هٰذٰا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذٰا جٰاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكّٰاءَ وَ كٰانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨)

## التّفسير

### اشاره

#### كيف تمّ بناء سد ذى القرنين؟

الآيات أعلاه تشير إلى سفره أخرى من أسفار ذى القرنين حيث تقول: ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً .

ص: ٣۵۴

أي بعـد هـذه الحادثه استفاد من الوسائل المهمّه التی کانت تحت تصـرفه و مضـی فی سـفره حتی وصل إلی موضع بین جبلین:
حَتّی إِذا بَلَغَ بَیْنَ السَّدَّیْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِما قَوْماً لا یَکادُونَ یَفْقَهُونَ قَوْلاً .

و الآـیه إشـاره إلی أنّه وصـل إلی منطقه جبلیه،و هناک وجـد أناسا(غیر المجموعتین اللتین عثر علیهما فی الشـرق و الغرب)کانوا علی مستوی دان من المدنیه،لأنّ الکلام أحد أوضح علائم التمدّن لدی البشر.

البعض احتمـل أنّ جمله لاـ یَکادُونَ یَفْقَهُونَ قَوْلاً لا تعنی أنّهم لم یکونوا یعرفون اللغات،بل کانوا لا یفهمون محتوی الکلام،أی کانوا متخلفین فکریا.

أمّا عن مکان الجبل و الجوانب التأریخیه و الجغرافیه لهذه الحادثه،و سنذکر فی نهایه البحث التّفسیری،حدیثا مفصلا عن ذلک.

فی هـذه الأثنـاء اغتنم هؤلاـء القوم مجیء ذی القرنین،لأنّهم کانوا فی عـذاب شدیـد من قبل أعـدائهم یأجوج و مأجوج،لـذا فقد طلبوا العون منه قـائلین: قالُوا یا ذَا الْقَرْنَیْنِ إِنَّ یَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَکَ خَرْجاً عَلی أَنْ تَجْعَلَ بَیْنَنا وَ بَیْنَهُمْ سَدًّا .

قـد یکون کلامهم هـذا تمّ عن طریق تبادل العلامات و الإشارات،لأنّهم لا یفهمون لغه ذی القرنین،أو أنّهم تحـدثوا معه بعبارات ناقصه لا یمکن الاعتداد بها.

و یحتمل أن یکون التفاهیم بینهم تمّ عن طریق المترجمین، أو بأسـلوب الإلهام الإلهی،مثل تحـدّث بعض الطیور مع سـلیمان علیه السّلام.

فی کـل الأـحوال،یمکن أن نسـتفید من الآیه الشـریفه أنّ تلک المجموعه من الناس کانت ذات وضع جیّـد من حیث الإمکانات الاقتصادیه،إلّا أنّهم کانوا ضـعفاء فی المجال الصناعی و الفکری و التخطیطی،لذا فقد تقبلوا بتکالیف بناء هذا السد المهم،بشرط أن یتکفل ذو القرنین ببنائه و هندسته.

و فيما يخص يأجوج و مأجوج سنتحدث عنهم فى نهايه هذا البحث إن شاء اللّه.

أمّا ذو القرنين فقـد أجابهم: قالَ ما مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ ،و أنّى لا أحتاج إلى مساعدتكم الماليه و إنّما: فَأَعِينُونِى بِقُوَّهٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ رَدْماً .

كلمه«ردم»على وزن«طرد»و هى فى الأصـل تعنى مـلء الشق بالأحجـار، إلاّـ أنّها فيما بعـد أخـذت معنى واسـعا بحيث شـمل كل سد،بل و شمل حتى ترقيع الملابس.

يعتقـد بعض المفسّـرين أنّ كلمه«ردم»تقـال للسـد القوى (١) ،و وفقـا لهـذا التّفسـير فـإنّ ذا القرنين قـد وعـدهم بـأكثر ممّا كانوا ينتظرونه.

كما أنّه يجب الانتباه إلى أنّ«سـد»على وزن«قد»،و«سدّ»على وزن«قفل» هما بمعنى واحد،و هو الحائل الذى يفصل بين شـيئين،إلاّ أنّ البعض-كما يقول الراغب-وضع فرقا بين الإثنين،فالأوّل هو من صناعه الإنسان،و الثّانى هو الحائل الطبيعى.

ثمّ أمر ذو القرنين فقال: آتُونِى زُبَرَ الْحَدِيدِ .

«زبر»جمع«زبره»على وزن(غرفه)،و تعنى القطع الكبيره و الضخيمه من الحديد.

و عنـد مـا تهيأت قطع الحديـد أعطى أمرا بوضع بعضـها فوق البعض الآخر حتى غطّى بين الجبلين بشـكل كامل: حَتّى إِذا ساوى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ .

«صدف»تعنى هنا حافه الجبل،و يتّضح من هذا التعبير أنّ هناك شقا بين حافتى الجبل حيث كان يأجوج و مأجوج يدخلان منه،و قد صمم ذو القرنين ملأ هذا الشق.

الأمر الثّالث لذى القرنين هو طلبه منهم أن يجلبوا الحطب و ما شابهه،



---

۱- ۱) -«الآلوسى»فى«روح المعانى»،و الفيض الكاشانى فى تفسير«الصافى»،و الفخر الرازى فى«التّفسير الكبير».

و وضـعه على جانبى هذا السد،و أشـعل النار فيه ثمّ أمرهم بالنفخ فيه حتى احمرّ الحديد من شده النّار: قَالَ انْفُخُوا حَتّى إِذا جَعَلَهُ ناراً .

لقد كان يهدف ذو القرنين من ذلك ربط قطع الحديد بعضـها ببعض ليصـنع منها سدا من قطعه واحده،و عن طريق ذلك،قام ذو القرنين بنفس عمل«اللحام» الذى يقام به اليوم فى ربط أجزاء الحديد بعضها ببعض.

أخيرا أصدر لهم الأمر الأخير فقال:اجلبوا لى النحاس المذاب حتى أضعه فوق هذا السد: قَالَ آتُونِى أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً .

و بهذا الشكل قام بتغطيه هذا السد الحديدى بطبقه النحاس حتى لا ينفذ فيه الهواء و يحفظ من التآكل.

بعض المفسّرين قالوا:إنّ علوم اليوم أثبتت أنّه عنـد إضافه مقـدار من النحاس إلى الحديد فإنّ ذلك سـيزيد من مقدار مقاومته،و لأنّ«ذا القرنين» كان عالما بهذه الحقيقه فقد أقدم على تنفيذه.

إنّ المشـهور فى معنى«قطر»هو مـا قلنـاه(أى النحـاس المـذاب)،إلّا أنّ بعض المفسّـرين فسّـر ذلك ب«الخارصـين المـذاب»و هو خلاف المتعارف عليه.

و أخيرا،أصبح هذا السد بقدر من القوّه و الإحكام بحيث: فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَ مَا اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً .

لقـد كـان عمـل ذى القرنين عظيما و مهما،و كان له وفقا لمنطق المسـتكبرين و نهجهم أن يتباهى به أو يمنّ به،إلّا أنّه قال بأدب كامل: قَالَ هٰذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّى لأنّ أخلاقه كانت أخلاقا إلهيه.

إنّه أراد أن يقول:إذا كنت أملك العلم و المعرفه و أسـتطيع بواسـطتهما أن أخطو خطوات مهمّه،فإنّ كل ذلك إنما كان من قبل الخالق جلّ و علا،و إذا كنت أملك قابليه الكلام و الحديث المؤثّر فذلك أيضا من الخالق جلّ و علا.

و إذا كانت مثل هذه الوسائل و الأفكار فى اختيارى فإنّ ذلك من بركه اللّه

و رحمته الخالق الواسعه.

أراد ذو القرنين أن يقول:إنّني لا أملك شيئا من عندى كى أفتخر به،و لم أعمل عملا مهما كى أمنّ على عباد اللّه.

ثمّ استطرد قائلا:لا تظنوا أنّ هذا السد سيكون أبديا و خالدا: فَإِذٰا جٰاءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُ دَكّٰاءَ .

وَ كٰانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا

.

لقد أشار ذو القرنين فى كلامه هذا إلى قضيه فناء الدنيا و تحطّم هيكل نظام الوجود فيها عند البعث.

لكن بعض المفسّرين اعتبر الوعد الإلهى إشاره إلى التقدم العلمى للبشر و الذى بواسطته لا يبقى معنى لسد غير قابل للاختراق و العبور،فالطائرات و ما شابهها تستطيع أن تعبر جميع هذه الموانع.و لكن هذا التّفسير بعيد حسب الظاهر.

### بحوث

### اشاره

### أولا-الملاحظات التربويه فى هذه القصه التأريخيه

سنبحث فيما بعد-إن شاء اللّه-ما يتعلق بذى القرنين؛من هو؟و كيف تمّ سفره للشرق و الغرب؛و أين كان السد الذى أنشأه؟و غير ذلك،و لكن بصرف النظر عن الجوانب التأريخيه،فإنّ القصّه بشكل عام تحوى على دروس تربويه كثيره من الضرورى الالتفات إليها و الإفاده منها،و فى الواقع أنّها هى الهدف القرآنى من إيرادها.و يمكن تلخيص هذه الدروس بالشكل الآتى:

١-إنّ أوّل درس تعلمنا إيّاه أنّ عمل هذه الدنيا لا يتمّ دون توفير أسبابه،لذا فإنّ اللّه تبارك و تعالى وهب الوسائل و الأسباب لتقدم و انتصار ذى القرنين فى علمه: وَ آتَيْنٰاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً .و فى نفس الوقت استفاد«ذو القرنين»من

هذه الأسباب و الوسائل بأفضل وجه ممكن: فَأَتْبَعَ سَبَباً .

لـذلك فـإنّ من يظن أنّه سـيحصل على النصـر من دون تهيئه أسـبابه و مقـدماته، فـإنّه لا يصل إلى مرامه حتى لو كان ذا القرنين نفسه! ۲-بالرغم من أنّ غروب الشـمس فى عين من ماء آسن سـببه خطأ فى الباصـره و اشتباه منها،إلاّ أنّ المعنى الذى نلمحه من هـذا المثال هو إمكان تغطيه الشـمس مع عظمتها بالعين الآسـنه و مثلها فى ذلك مثل ذلك الإنسان العظيم الـذى يسـقط و ينهار بسبب خطأ واحد فتغرب شخصيته من انظار الناس.

۳-لا تسـتطيع أى حكومه أن تنتصـر بدون ترغيب الأنصار و الأتباع، و معاقبه المذنبين و المخطئين،و هذا هو نفس الأساس الذى اعتمد عليه ذو القرنين حيث قال: قالَ أَمّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ... وَ أَمّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلَهُ جَزاءً الْحُسْنى .

و الإمام أمير المؤمنين على عليه السّلام بلور هذا المعنى فى رسالته إلى مالك الأشتر و التى هى برنامج كامل لإداره البلاد،إذ

يقول عليه السّـلام: «و لاـ يكونن المحسن و المسـىء عنـدك بمنزله سواء،فـإنّ فى ذلـك تزهيـدا لأهـل الإحسان فى الإحسان، و تدريبا لأهل الإساءه على الإساءه» (۱) .

۴-التكليف الشـاق و التصـعّب فى الأمور و تحميل الناس ما لا يطيقون،كل هـذه الأمور لا تناسب الحكومه الإلهيه العادله أبـدا،و لهـذا السـبب فإنّ ذا القرنين بعـد أن صـرّح بمعاقبه الظالمين و تشويق الصالحين،أضاف: وَ سَـنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنا يُسْـراً حتى يمكن إنجاز الأعمال عن شوق و رغبه.

۵-الحكومه الكبيره ذات الإمكانـات الواسـعه لا تتغاضـى عن التفاوت و الاختلاف القائم فى حياه الناس و تراعى شـرائط حياتهم المختلفه،و لهذا السبب فإنّ«ذو القرنين»صاحب الحكومه الإلهيه و الذى واجهته أقوام مختلفه،كان



---

۱- ۱) -نهج البلاغه،الرساله رقم ۵۳.

یتعامل مع کل مجموعه بما یناسب حیاتها الخاصّه،و بذلک کان الجمیع منضوین تحت لوائه.

۶-إنّ«ذو القرنین»لم یستعبد حتی تلک المجموعه التی لم تکن تفهم الکلام،أو کما وصفهم القرآن: لاٰ یَکٰادُونَ یَفْقَهُونَ قَوْلاً بل إنّه استمع إلی مشاکلهم،و دأب علی رفع احتیاجاتهم بأی أسلوب کان،و بنی لهم سدا محکما بینهم و بین أعدائهم اللدودین(یأجوج و مأجوج)و قد قام بإنجاز أمورهم بدون أن یفرّق بینهم(رغم أنّه کان یظهر أنّ مثل هؤلاء الناس عدیمی الفهم لا ینفعون الحکومه بأی شیء).

و

فی حدیث عن الإمام الصادق علیه السّلام نقرأ قوله: إسماع الأصم من غیر تصعرّ صدقه هنیئه» (۱) .

۷-الأمن هو أوّل و أهم شرط من شروط الحیاه الاجتماعیه السالمه،لهذا السبب تحمّل«ذو القرنین»أصعب الأعمال و أشقها لتأمین أمن القوم من أعدائهم،و قد استفاد من أقوی السدود و أمنعها الذی أصبح مضرب الأمثال فی التأریخ و رمزا للاستحکام و الدوام و البقاء،حیث یقال لبناء القوی«إنّه مثل سدّ الإسکندر»بالرغم من أن«ذو القرنین»غیر الإسکندر.

و عاده لا یسعد المجتمع من دون قطع الطریق علی المفسدین،و لهذا فإنّ أوّل شیء طلبه إبراهیم علیه السّلام عند بناء الکعبه هو الأمن: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً (۲) .

و لهذا السبب أیضا فإنّ الفقه الإسلامی وضع أقسی العقوبات للذین یعرضون أمن المجتمع إلی الخطر(راجع فی ذلک تفسیر الآیه(۳۳)من سوره المائده).



۱- ۱) -سفینه البحار،ج ۲،ماده«صمم».

۲- ۲) -سوره إبراهیم،۳۵.

۸-الدرس الآخر الذی یمکن أن نتعلمه من هذه القصّه،هو أنّ أصحاب المشکله الأصلیین معنیین بالدرجه الأولی فی الاشتراک فی الجهد المبذول لحل مشکلتهم،لذا فإنّ«ذو القرنین»أعطی أمرا إلی الفئه التی اشتکت إلیه أمر یأجوج و مأجوج بأن یجلبوا قطع الحدید،ثمّ أعطاهم الأمر بإشعال النار فی أطراف السد لدمج القطع فیما بینها،ثمّ أمرهم بتهیئه النحاس المذاب.و عاده فإن العمل الذی یتمّ بمساهمه و حضور الأطراف الأصلیین فی المشکله یؤدی إلی إظهار استعداداتهم و یعطی قیمه خاصّه للنتائج الحاصله منه،و للجهود المبذوله فیه، و من ثمّ یحرص الجمیع للحفاظ علیه و إدامته بحکم تحملهم لمجهودات إنشائه.

کما یتّضح من هذه النقطه أن،المجتمع المتخلف و المتأخّر یستطیع أن ینجز أعمالا مهمّه و عظیمه إذا تمتع ببرنامج صحیح و إداره مخلصه.

۹-الزعیم الإلهی و القائد الرّبانی لا یلتفت إلی الجزاء المادی و النفع المالی و إنّما یقتنع بما حباه اللّه،لذا رأینا«ذو القرنین»عند ما اقترحوا علیه الأموال قال:

مٰا مَکَّنِّی فِیهِ رَبِّی خَیْرٌ

و هذا النمط من السلوک یخالف أسالیب السلاطین و ولعهم العجیب بجمع الثروه و الأموال.

و فی القرآن الکریم نقرأ مرارا فی قصص الأنبیاء أنّهم لم یکونوا یطلبون المال جزاء لأعمالهم و دعواتهم.

و یمکن مشاهده هذا الموضوع فی(۱۱)موردا من القرآن الکریم،سواء ما یخص نبی الإسلام صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أو الأنبیاء السابقین،ففی بعض الأحیان یذکر القرآن تعبیر: إِنْ أَجْرِیَ إِلاّٰ عَلَی اللّٰهِ .و فی أحیان أخری یضع القرآن محبّه أهل البیت علیهم السّلام و الذین هم رکن القیاده المستقبلیه أساسا للجزاء فیقول: قُلْ لاٰ أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِی الْقُرْبیٰ .

۱۰-إحکام الأمور هو درس آخر نستفیده من هذه القصّه،فذو القرنین استفاد من القطع الحدیدیه الکبری فی بناء السد،و قد وصلها بالنّار،ثمّ غطّاها

ص :۳۶۱

بالنحاس المذاب کی تمتنع عن التلف و الصدأ إذا تعرضت للهواء و الرطوبه.

۱۱-مهما کان الإنسان قویا و متمکنا و صاحب قدره و استطاعه فی إنجاز الأعمال،فعلیه،أن لا یغتر بنفسه،و هذا هو درس آخر نتعلمه من قصه«ذو القرنین».فقد اعتمد فی جمیع شؤونه علی قدره الخالق جلّ و علا،و قال بعد إتمام السد: هٰذٰا رَحْمَهٌ مِنْ رَبِّی .و عند ما اقترحوا علیه المساعده المالیه قال:

مٰا مَکَّنِّی فِیهِ رَبِّی خَیْرٌ

.و أخیرا عند ما یتحدث عن فناء هذا السد المحکم،فإنّه لا ینسی أن ینسب موعد ذلک إلی اللّه تعالی.

۱۲-کل شی إلی زوال مهما کان محکما و صلدا.هذا هو الدرس الأخیر فی هذه القصه،و هو درس للذین یتمنون أو یظنون خلود المال أو المنصب و الجاه.

إنّ سد ذی القرنین أمر هیّن قیاسا إلی انطفاء الشمس و فناء الجبال الراسیات،إذا فکیف بالإنسان المعرّض للأضرار أکثر من غیره!؟ ألا یکفی التفکیر بهذه الحقائق حافزا علی الوقوف بوجه الاستبداد؟

### ثانیا:من هو ذو القرنین؟

ذکر المفسّرون کلاما کثیرا عن شخصیه ذی القرنین الوارد فی القرآن الکریم،فمن هو؟و علی أی واحد من الشخصیات التأریخیه المعروفه تنطبق أوصافه و یمکن أن نرجع الآراء إلی ثلاث نظریات أساسیه هی:

النظریه الأولی:یری البعض أنّ«ذو القرنین»لیس سوی«الإسکندر المقدونی»،لذا فإنّهم یسمونه«الإسکندر ذو القرنین»و یعتقد هؤلاء بأنّه سیطر بعد وفاه أبیه علی دول الروم و المغرب و المصر،و بنی مدینه الإسکندریه،ثمّ سیطر بعد ذلک علی الشام و بیت المقدس،ثمّ ذهب من هناک إلی«أرمینیا»،و فتح العراق و بلاد فارس،ثمّ قصد الهند و الصین،و من هناک رجع إلی خراسان،و قد بنی مدنا کثیره،ثمّ جاء إلی العراق و مرض فی مدینه«زور»و توفی فیها.

و يقول البعض:إنّه لم يعمّر أكثر من(۳۶)سنه،أمّا جسده فقد ذهبوا به إلى الإسكندريه و دفنوه هناك (۱) .

النظريه الثّانيه:و يرى جمع من المؤرخين أنّ«ذو القرنين»كان أحد ملوك اليمن(كان ملوك اليمن يسمّون ب«تبّع»و جمع ذلك«تبايعه»)و قد دافع عن هذه النظريه«الأصمعى»فى تأريخ العرب قبل الإسلام،و«ابن هشام»فى تأريخه المعروف بسيره ابن هشام،و«أبو ريحان البيرونى»فى كتاب«الآثار الباقيه».

و يمكن لنا أن نلمح فى شعر شعراء(الحميريه)و هم من أقوام اليمن،و بعضا من شعراء الجاهليه تفاخرا بكون«ذو القرنين»من قومهم (۲) .

وفقا لهذه النظريه يكون سد ذو القرنين هو سد«مأرب»المعروف.

النظريه الثّالثه:و هى أحدث النظريات فى هذا المجال وردت عن المفكر الإسلامى المعروف(أبو الكلام آزاد)الذى شغل يوما منصب وزير الثقافه فى الهند.و قد أورد رأيه فى كتاب حققه فى هذا المجال.

و طبقا لهذه النظريه فإنّ ذا القرنين هو نفسه(كورش الكبير)الملك الأخمينى.

أمّا النظريتان الأولى و الثّانيه فإنّها لا تدعمها أدله قويه،و مضافا إلى ذلك فإنّ صفات الإسكندر المقدونى أو ملوك اليمن لا تنطبق مع الصفات الذى ذكرها القرآن لذى القرنين.

من ناحيه ثالثه فإنّ الإسكندر لم يبن سدا معروفا.أمّا سد مأرب فى اليمن فإنّه لا يتطابق مع الصفات الوارده فى سدّ«ذو القرنين».الذى بنى من الحديد و النحاس،و قد أنشئ لصد هجوم الأقوام الهمجيه،فى حين أنّ سد مأرب مكوّن



---

۱- ۱) -يمكن ملاحظه ذلك فى تفسير الفخر الرازى،و الكامل لابن الأثير(المجلد الأوّل صفحه ۲۸۷).و يعتقد البعض أن أوّل من قال بهذه النظريه هو الشيخ ابن سينا فى كتابه الشفاء.

۲- ۲) -الميزان،ج ۱۳،ص ۴۱۴.

من المواد العادیه،و وظیفته خزن المیاه و منعها من الطغیان و الفیضان،و قد ذکر القرآن شرحا لذلک فی سوره«سبأ».

لکل هذه الأسباب سنرکز البحث علی النظریه الثّالثه، و نری من الضروری-هنا-الانتباه بدقه إلی الأمور التالیه:

أ:لماذا سمی ذو القرنین بهذا الاسم؟ البعض یعتقد أن سبب التسمیه تعود إلی وصوله للشرق و الغرب،حیث یعبّر العرب عن ذلک بقرنی الشمس.

البعض الآخر یری بأنّه عاش قرنین أو أنّه حکم قرنین،و أمّا ما مقدار القرن فهناک آراء مختلفه فی ذلک.

البعض الثّالث یقول:کان یوجد علی طرفی رأسه بروز(قرن)،و لهذا السبب سمّی بذی القرنین.

و أخیرا فإنّ البعض یعتقد بأنّ تاجه الخاص کان یحتوی علی قرنین.

بالطبع هناک آراء أخری فی ذلک،إلاّ أنّ ذکرها جمیعا یطیل بنا المقام؛ و سوف نری أنّ مبتکر النظریه الثّالثه(أبو الکلام آزاد)استفاد کثیرا من هذا اللقب لإثبات نظریته.

ب:لو لاحظنا بدقه من آیات القرآن الکریم لاستفدنا أنّ ذا القرنین کانت له صفات ممتازه هی:

*هیّأ له اللّه جلّ و علا أسباب القوّه و مقدمات الإنتصار،و جعلها تحت تصرفه و فی متناول یده.

*لقد جهز ثلاثه جیوش مهمّه:الأوّل إلی الغرب،و الثّانی إلی الشرق؛ و الثّالث إلی المنطقه التی تضم المضیق الجبلی،و فی کل هذه الأسفار کان له تعامل خاص مع الأقوام المختلفه حیث ورد تفصیل ذلک فی الآیات السابقه.

*کان رجلا مؤمنا تتجلی فیه صفات التوحید و العطف،و لم ینحرف عن

طریق العدل،و لهذا السبب فقد شمله اللطف الإلهی الخاص،إذ کان ناصرا للمحسنین و عدوّا للظالمین،و لم یکن یرغب أو یطمع بمال الدنیا کثیرا.

*کان مؤمنا باللّه و بالیوم الآخر.

*لقد صنع واحدا من أهم و أقوی السدود،السد الذی استفاد لصنعه من الحدید و النحاس بدلا من الطابوق و الحجاره.(و إذا کانت هناک مواد أخری مستخدمه فیه،فهی لا یعتبر شیئا بالقیاس الی الحدید و النحاس)أمّا هدفه من بنائه فقد فی مساعده المستضعفین فی قبال ظلم یأجوج و مأجوج.

*کان شخصا مشهورا بین مجموعه من الناس،و ذلک قبل نزول القرآن،لذا فإنّ قریش أو الیهود سألوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عنه،کما یصرح بذلک الکتاب العزیز فی قوله تعالی: یَسْئَلُونَکَ عَنْ ذِی الْقَرْنَیْنِ .

و لا یمکن الاستفاده بشیء من صریح القرآن للدلاله علی أنّه کان نبیّا، بالرغم من وجود تعابیر تشعر بهذا المعنی،کما مرّ ذلک فی تفسیر الآیات السابقه.

و نقرأ فی العدید من الرّوایات الإسلامیه الوارده عن الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أئمّه أهل البیت علیهم السّلام

أنّه:لم یکن نبیّا بل عبدا صالحا» (۱) .

ج:أساس القول فی النظریه الثّالثه(فی أنّ ذا القرنین هو کورش الکبیر)قائم علی أصلین و هما:

الأصل الأوّل:وفق العدید من الرّوایات الوارده فی سبب نزول هذه الآیات فإنّ الذی سأل عن«ذو القرنین»هم قوم من الیهود،أو أنّ قریشا قامت بالأمر بتحریض من الیهود،لذا یجب العثور علی أصل هذا الموضوع فی کتاب الیهود.

و من الکتب المعروفه عند الیهود،هو کتاب«دانیال»حیث نقرأ فی الفصل الثامن منه،ما یلی:«حینما ملک(بل شصّر)عرضت لی و أنا دانیال رؤیا بعد الرؤیا الأولی التی شاهدتها،و ذلک حینما کنت أسکن قصر(شوشان)فی بلاد(عیلام)



---

۱- ۱) -یراجع تفسیر نور الثقلین،ج ۳،ص ۲۹۴ و ۲۹۵.

فقد رأيت و أنا فى المنام بأنّى على مقربه من نهر(أولاى)و أن كبشا يقف قرب النهر و كان له قرنان طويلان،و وجدته يضرب بقرنيه غربا و شمالا و جنوبا،و لم يتقدم أحد أمامه،و لأنّه لم يكن يوجد أحد أمامه،لذا فإنّه كان يتصرف وفقا لما يريد،و كان يكبر» (۱) .

و بعد ذلك نقل عن دانيال فى هذا الكتاب قوله:«و قد تجلّى له جبرائيل(أى لدانيال)و فسّر منامه هكذا:إنّ الكبش ذا القرنين الذى رأيته فإنّه من ملوك المدائن و فارس(أو ملوك ماد و فارس).

لقد استبشر اليهود من رؤيا دانيال و علموا بأنّ فتره عبوديتهم ستنتهى من قبضه البابليين.

و لم تمض مدّه طويله حتى ظهر(كورش)على مسرح الحكم فى إيران و وحّد بلاد(ماد و فارس)و شكّل منهما مملكه كبيره؛و كما قال دانيال،فإنّ الكبش كان يضرب بقرنه الغرب و الشرق،فإنّ كورش قام بالفتوحات الكبيره فى الجهات الثلاث،و حرّر اليهود و سمح لهم بالعوده إلى فلسطين..

و الطريف ما نقرؤه فى التوراه فى كتاب«أشعيا»فصل(۴۴)رقم(۲۸):«ثمّ يقول بخصوص كورش:إنّه كان راعيا عندى(أى عند الرب)و سيقوم بتنفيذ مشيئتى».

يجب الانتباه إلى أنّ وصف كورش ورد فى بعض تعبيرات التوراه على أنّه «عقاب المشرق»و الرجل المدبّر الذى يأتى من مكان بعيد.(كتاب أشعيا فصل ۴۶ رقم ۱۱).

الأصل الثّانى:لقد تمّ العثور فى القرن التاسع عشر الميلادى على تمثال لكورش فى طول إنسان تقريبا،و ذلك بالقرب من مدينه«إصطخر»بجوار نهر «المرغاب»و يظهر من هذا التمثال أنّ لكورش جناحين من الجانبين يشبهان



---

۱- ۱) -كتاب دانيال،الفصل الثامن،الجمل ۱-۴.

جناح العقاب،و على رأسه تاج يشاهد فيه قرنان يشبهان قرنا الكبش.

فضلا عمّا يطويه هذا التمثال من نموذج قيّم لفن النحت القديم،فقد جلب انتباه العلماء،حتى أنّ مجموعه من العلماء الألمان سافروا إلى إيران لأجل رؤيته فقط.

عند تطبيق ما ورد فى التوراه على مواصفات التمثال تبلور فى ذهن العلاّمه (أبو الكلام آزاد)احتمال فى وجود اشتراك بين«ذو القرنين»و كورش،و أنّ الأخير لم يكن سوى«ذو القرنين»نفسه.فتمثال كورش له جناحان كجناحى العقاب،و هكذا توضحت شخصيه«ذو القرنين»التأريخيه لمجموعه من العلماء.

و ممّا يؤيّر هذه النظريه الأوصاف الأخلاقيه المذكوره لكورش فى التأريخ.

يقول«هرودوت»،المؤرخ اليونانى:لقد أعطى كورش أمرا إلى قواته بألاّ يضربوا بسيوفهم سوى المحاربين،و أن لا يقتلوا أى جندى للعدوّ إذا انحنى.و قد أطاع جيشه أوامره،بحيث أنّ عامّه الناس لم تشعر بمصائب الحرب و مآسيها.

و يكتب عنه«هرودوت»أيضا:لقد كان كورش ملكا كريما،و سخيا عطوفا، و لم يكن مثل بقيه الملوك فى حرصهم على المال، بل كان حريصا على إفشاء العدل،و كان يتسم بالعطاء و الكرم،و كان ينصف المظلومين و يحب الخير.

و يقول مؤرّخ آخر هو(ذينوفن):لقد كان كورش ملكا عادلا و عطوفا،و قد اجتمعت فيه فضائل الحكماء،و شرف الملوك؛فالهمه الفائقه كانت تغلب على وجوده،و كان شعاره خدمه الإنسانيه،و أخلاقه إفشاء العدل،كما أنّ التواضع و السماحه كانا يغلبان الكبر و العجب فى وجوده.

الطريف فى الأمر أنّ هؤلاء المؤرّخين الذين ذكروا كورش فى الأوصاف الآنفه الذكر،كانوا من كتاب التأريخ الغرباء عن قوم كورش،و من غير أبناء وطنه، حيث كانوا من(اليونان)،و المعروف أنّ أهل اليونان تعرضوا لهزيمه منكره على يد كورش عند ما فتح«ليديا»!

ثمّ إنّ أنصار هذا الرأى يقولون:إنّ الأوصاف المذكوره فى القرآن الكريم حول«ذو القرنين»تتطابق مع الأوصاف التأريخيه لكورش.

و الأهم من ذلك أنّ كورش قد سافر أسفارا نحو الشمال و الشرق و الغرب، و قد وردت قصه هذه الأسفار مفصّله فى حياته،و هى تتطابق مع الأسفار الثلاثه لذى القرنين الوارد ذكرها فى القرآن الكريم.

فأوّل جيش له كان قد أرسله إلى بلاد«ليديا»الواقعه فى شمال آسيا الصغرى،و هذه البلاد كانت تقع غرب مركز حكومه كورش.

و عند ما نضع خارطه الساحل الغربى لآسيا الصغرى أمامنا،فسوف نرى أنّ القسم الأعظم من الساحل يغرق فى الخلجان الصغيره و خاصه قرب«أزمير» حيث يكون الخليج بشكل يشبه شكل العين.و القرآن يبيّن أن«ذو القرنين»فى سفره نحو الغرب أحسّ بأنّ الشمس غرقت فى عين من اللجن.

هذا المشهد،هو نفس المنظر الذى شاهده«كورش»حينما تطمس الشمس فى الخلجان الساحليه لتبدو لعين الناظر و كأنّها غارقه فى تلك الخلجان الساحليه.

أمّا الجيش الثّانى فقد كان باتجاه الشرق،و فى وصفه يقول المؤرخ «هرودوت»:إنّ هذا الهجوم الكورشى فى الشرق كان بعد فتح«ليديا»و خاصّه بعد عصيان بعض القبائل الهمجيه التى أجبرت بعصيانها كورش على هذا الهجوم.

و تعبير القرآن الذى يقول: حَتّى إِذا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَها تَطْلُعُ عَلى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً هو إشاره إلى سفر«كورش»إلى أقصى الشرق حيث شاهد أنّ الشمس تشرق على أناس لم يجعلوا لهم ما يظلّهم من حرّ الشمس،و هذه إشاره إلى أنّ القوم كانوا من سكنه الصحارى الرحّل.

أمّا الجيش الثّالث فقد أرسله نحو الشمال باتجاه جبال القوقاز حيث وصل إلى المضيق المحصور بين الجبلين،و بنى هناك سدّا محكما بطلب من أهل

المنطقه،لکی یتحصنوا به عن هجمات القبائل الهمجیه من قوم یأجوج و مأجوج.

المضیق یسمی فی الوقت الحاضر مضیق«داریال»حیث یمکن مشاهدته فی الخرائط المنتشره فی الوقت الحاضر،و یقع بین«والادی کیوکز»و«تفلیس» فی نفس المکان الذی ما زال یظهر فیه حتی الآن الجدار الحدیدی الأثری، و الذی هو نفس السد الذی بناه«کورش»،إذ ثمّه تطابق واضح بینه و بین ما ذکر القرآن من صفات و خصائص لسدّ ذی القرنین.

هذه هی خلاصه الأدله التی تدعم صحه النظریه الثّالثه حول شخصیه«ذو القرنین» (۱) .

صحیح أنّ ثمّه نقاطا مبهمه فی هذه النظریه،إلاّ أنّها فی الوقت الحاضر تعتبر أفضل النظریات فی تشخیص شخصیه«ذو القرنین»و تطبیق مواصفاتها القرآنیه علی الشخصیات التأریخیه.

### ثالثا:أین یقع سد ذی القرنین؟

بالرغم من محاوله البعض المطابقه بین سد ذی القرنین و بین جدار الصین الذی لا یزال موجودا و یبلغ طوله مئات الکیلو مترات،إلاّ أنّ الواضح أنّ جدار الصین لا یدخل فی بنائه الحدید و لا النحاس،و مضافا إلی ذلک لا یقع فی مضیق جبلی ضیق،بل هو جدار مبنی من مواد البناء العادیه و یبلغ طول مئات الکیلو مترات،و ما زال موجودا حتی الآن.

البعض یری فی سد ذی القرنین أنّه سد مأرب فی الیمن،و لکن هذا السد برغم وقوعه فی مضیق جبلی،إلاّ أنّه أنشئ لمنع السیل و لخزن المیاه،و لم یدخل النحاس و الحدید فی بنائه.



---

۱- ۱) -لمزید من التفاصیل یمکن مراجعه کتاب«ذو القرنین أو کورش الکبیر».

و لکن بالاستناد إلی شهاده العلماء و أهل الخبره فإنّ السد-کما أشرنا لذلک قبل قلیل-یقع فی أرض القوقاز بین بحر الخزر و البحر الأسود،حیث توجد سلسله جبلیه کالجدار تفصل الشمال عن الجنوب،و المضیق الوحید الذی یقع بین هذه الجبال الصخریه هو مضیق«داریال»المعروف،و یشاهد فیه جدار حدیدی أثری حتی الآن،و لهذه المرجحات یعتقد الکثیرون أنّ سد«ذو القرنین» یقع فی هذا المضیق،و أنّ المتبقی من مواصفات آثاره دلیل مؤیّد لذلک.

الطریف فی الأمر أنّه یوجد نهر علی مقربه من ذلک المکان یسمی «سائرس»أی«کورش»إذ کان الیونان یسمون کورش ب(سائرس).

الآثار الأرمنیه القدیمه کانت تطلق علی هذا الجدار اسم«بهاک کورائی» و التی تعنی«مضیق کورش»أو«معبر کورش»و هذا دلیل آخر علی أنّ کورش هو الذی بنی السد (۱) .

### رابعا:من هم یأجوج و مأجوج؟

ذکر القرآن الکریم یأجوج و مأجوج فی سورتین،إذ وردت المرّه الأولی فی الآیات التی نبحثها،و الثّانیه فی سوره الأنبیاء،آیه(۹۶).

الآیات القرآنیه تؤیّد بوضوح أنّ هذین الاسمین هما لقبیلتین همجیتین کانتا تؤذیان سکان المناطق المحیطه بهم.

و فی کتاب«حزقیل»من التوراه،الفصل الثامن و الثلاثین و التاسع و الثلاثین، و فی کتاب رؤیا«یوحنا»الفصل العشرین،ذکرا بعنوان«کودک»و«ماکوک»التی تعنی بعد التعریب یأجوج و مأجوج.

و یقول العلاّمه الطباطبائی،فی تفسیر المیزان:إنّه یستفاد من مجموع ما ذکر فی التوراه أن مأجوج أو یأجوج و مأجوج هم مجموعه أو مجامیع کبیره کانت



---

۱- ۱) -للمزید من التفاصیل یراجع المصدرین السابقین.

تقطن أقصى نقطه فى شمال آسيا،و هم أناس محاربون يغيرون على الأماكن القريبه منهم (۱) .

البعض يعتقد أنّ هاتين الكلمتين عبريتين،و لكنهما فى الأصل انتقلتا من اليونانيه إلى العبريه،إذ كانتا تلفظان فى اليونانيه ب«كاك»و«ماكاك»ثمّ انتقلتا على هذا الشكل إلى كافه اللغات الأوروبيه.

ثمّه أدله تأريخيه على أنّ منطقه شمال شرقى الأرض فى نواحى «مغولستان»كانت فى الأزمنه السابقه كثيفه السكان،إذ كانت الناس تتكاثر بسرعه،و بعد أن ازداد عددهم اتجهوا نحو الشرق أو الجنوب،و سيطروا على هذه الأراضى و سكنوا فيها تدريجيا.

و قد وردت مقاطع تأريخيه مختلفه لحركه هؤلاء الأقوام و هجراتهم، و قد تمّت واحده من هذه الهجمات فى القرن الرابع الميلادى،بقياده«آتيلا»و قد قضت هذه الهجمه على حضاره الإمبراطوريه الرومانيه.

و كان آخر مقطع تأريخى لهجومهم فى القرن الثّانى عشر الميلادى بقياده جنگيزخان،حيث هاجم شرق البلاد الإسلاميه و دمّر العديد من المدن،و فى طليعتها مدينه بغداد حاضره الخلافه العباسيه،و فى عصر كورش فى حوالى عام (۵۰۰)قبل الميلاد قامت هذه الأقوام بعده هجمات،لكن موقف حكومه«ماد و فارس»إزاءهم أدّى إلى تعتبر الأوضاع و استتباب الهدوء فى آسيا الغربيه التى نجت من حملات هذه القبائل.

و بهذا يظهر أنّ يأجوج و مأجوج هم من هذه القبائل الوحشيه،حيث طلب أهل القفقاز من«كورش»عند سفره إليهم أن ينقذهم من هجمات هذه القبائل، لذلك أقدم على تأسيس السد المعروف بسدّ ذى القرنين (۲) .

ص: ۳۷۱

---

۱- ۱) -يلاحظ المجلد ۱۳،من تفسير الميزان،ص ۴۱۱.

۲- ۲) -لمزيد من التفاصيل يراجع كتاب(ذو القرنين أو كورش الكبير).

## الآيات [سوره الكهف (١٨): الآيات ٩٩ الى ١٠٢]

### اشاره

وَ تَرَكْنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَ نُفِخَ فِي اَلصُّورِ فَجَمَعْناهُمْ جَمْعاً (٩٩) وَ عَرَضْنا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكافِرِينَ عَرْضاً (١٠٠) اَلَّذِينَ كانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطاءٍ عَنْ ذِكْرِى وَ كانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً (١٠١) أَ فَحَسِبَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبادِى مِنْ دُونِى أَوْلِياءَ إِنّا أَعْتَدْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ نُزُلاً (١٠٢)

### التّفسير

### اشاره

### عاقبه الكافرين:

لقد تناولت الآيه السابقه سد يأجوج و مأجوج و انهدامه عند البعث،و هذه الآيات تستمر فى قضايا القيامه،فتقول أوّلا:إنّنا سنترك فى ذلك اليوم-الذى ينتهى فيه العالم-بعضهم يموج ببعض: وَ تَرَكْنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ .

إنّ استخدام كلمه«يموج»إمّا بسبب الكثره الكاثره للناس فى تلك الواقعه، و شبيه له ما نقوله من أنّ الناس فى القضيه الفلانيه يموجون،كنايه عن كثرتهم،أو بسبب الاضطراب الخوف الذى يصيب الناس فى ذلك اليوم،و كأنّما أجسادهم تهتز كأمواج الماء.

طبعا لا يوجد تناقض بين المعنيين،و يمكن أن يشمل تعبير الآيه كلا الحالتين.

بعد ذلك تضيف الآيات: وَ نُفِخَ فِی الصُّورِ فَجَمَعْناهُمْ جَمْعاً و بلا شک فإنّ کافه الناس سیجمعون فی تلک الساحه و لن يستثنى منهم أحد،و تعبير فَجَمَعْناهُمْ جَمْعاً إشاره إلى هذه الحقيقه.

من مجموع الآيات نستفيد أنّ ثمّه تحولان عظيمان سيحصلان عند نهايه هذا العالم و بدايه العالم الجديد:

الأوّل:فناء الموجودات و الناس بشكل آنى.

و الثّاني:إحياء الموتى بشكل آنى أيضا.

و لا نعلم مقدار الفاصل بين الحدثين،و لكنّ القرآن يعبّر عن هذين التحوّلين بعنوان(نفخ الصور)، و سنشرح ما يعينه ذلك فى نهايه الآيه(۶۸)من سوره الزمر إن شاء اللّه.

و هناک روايه ينقلها«أصبغ بن نباته»عن الإمام الصادق عليه السّلام،يبيّن فيها عليه السّلام أنّ المقصود من قوله تعالى: وَ تَرَکْنا بَعْضَهُمْ یَوْمَئِذٍ یَمُوجُ فِی بَعْضٍ هو يوم القيامه (۱) .

و قد يتصّور البعض أنّ هناک تعارضا بين الرّوايه و بين ما ذكرناه أعلاه فى تفسير الآيه،حيث قلنا:إنّها تعنى مرحله فناء الدنيا،كما يظهر من الآيات التى تسبقها و التى تليها.لكن هذا التعارض سيزول إذا التفتنا إلى ملاحظه و هى أنّه يتمّ استخدام يوم القيامه-فى بعض الأحيان-بمعناه الواسع الذى يشتمل على المقدمات)أى مقدمات القيامه)و نحن نعرف:أنّ الفناء السريع للدنيا هو أحد المقدمات.

ثمّ تتناول الآيات تفصيل حال الكافرين،حيث توضح عاقبه أعمالهم،



---

۱- ۱) -تفسير العياشى،نقلا عن الميزان فى تفسير الآيه.

و الصفات التی تقود إلی هذه العاقبه،فتقول: وَ عَرَضْنا جَهَنَّمَ یَوْمَئِذٍ لِلْکافِرِینَ عَرْضاً .

إنّ جهنّم ستظهر لهم،و تتضح لهم الأنواع المختلفه من عذابها،و هذا هو بحدّ ذاته عذاب ألیم موجع،فکیف إذا ولجوها!؟من هم الکافرون؟و لماذا یصابون بمثل هذه العاقبه؟ الآیه تعرّف هؤلاء بجمله قصیره واحده بقولها: اَلَّذِینَ کانَتْ أَعْیُنُهُمْ فِی غِطاءٍ عَنْ ذِکْرِی و بالرغم من أنّهم یمتکون آذانا،إلاّ أنّهم یفقدون القدره علی السماع: وَ کانُوا لا یَسْتَطِیعُونَ سَمْعاً .

فهؤلاء أسقطوا فی الواقع أهم وسیله لمعرفه الحق و إدراکه،و أهملوا و الوسیله الهامه فی شقاء أو سعاده الإنسان،یعنی أنّهم غطّوا أعینهم و أسماعهم بحجاب و ستار بسبب أفکارهم الخاطئه و تعصبهم و حقدهم و صفاتهم القبیحه الأخری.

الطریف فی الأمر أنّ الآیه تقول فیما یخص العین:إنّها کانت مغطاه و بعیده عن ذکری،و هذه إشاره إلی أنّهم لم یستطیعوا أن یشاهدوا آثار الخالق جلّ و علا، لأنّهم کانوا فی ستار و حجاب من الغفله،و لأنّهم لم یشاهدوا الحقائق فقد اختلفوا الأساطیر و نسوا اللّه.

نعم،إنّ الحق الواضح،و کل شیء فی هذا الوجود یتحدث مع الإنسان، و المطلوب أن تکون للإنسان عین تنظر و أذن تسمع! بعباره أخری:إنّ ذکر اللّه لیس شیئا یمکن رؤیته بالعین،فما یشاهد هو آثاره،إلاّ أنّ آثاره هی التی تذکّر الإنسان بخالقه.

الآیه التی بعدها تشیر إلی نقطه انحراف فکریه لدی هؤلاء هی أصل انحرافاتهم الأخری،فتقول: أَ فَحَسِبَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنْ یَتَّخِذُوا عِبادِی مِنْ دُونِی أَوْلِیاءَ .

هل يملك هؤلاء المعبودون-كالمسيح و الملائكه-شيئا للدفاع عن الآخرين بالرغم من مكانتهم العاليه،أو أنّ الأمر بالعكس إذ كل ما عند هؤلاء هو من اللّه،و أنّهم أنفسهم يحتاجون إلى هدايته؟ إنّ هذه حقيقه واضحه،و لكنّ هؤلاء تناسوها و تورطوا فى شراك الشرك.

فى ختام الآيه و للمزيد من التأكيد،تقول الآيه: إِنّا أَعْتَدْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ نُزُلاً .

«نزل»على وزن«رسل»بمعنى الإقامه،و تعنى أيضا الشيء الذى يهيّأ لتقديمه للضيوف،و ذهب البعض إلى أن هذه الكلمه تطلق على أوّل شيء يقدم للضيف عند وروده كالفواكه و الشراب.

ص :۳۷۵

## الآیات [سوره الكهف (۱۸): الآیات ۱۰۳ الی ۱۰۸]

### اشاره

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالاً (۱۰۳) اَلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِی اَلْحَياهِ اَلدُّنْيا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (۱۰۴) أُولئِكَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَ لِقائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ اَلْقِيامَهِ وَزْناً (۱۰۵) ذلِكَ جَزاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِما كَفَرُوا وَ اِتَّخَذُوا آياتِی وَ رُسُلِی هُزُواً (۱۰۶) إِنَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ كانَتْ لَهُمْ جَنّاتُ اَلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (۱۰۷) خالِدِينَ فِيها لا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلاً (۱۰۸)

### التّفسير

### اشاره

### أخسر الناس:

هـذه الآيات و الآيات اللاحقه-إلى نهايه السوره المباركه-فی الوقت الـذی تتحدّث فيه عن صـفات غير المؤمنين،فإنّها تعتبر نوعا من التلخيص لكافه البحوث التی وردت فی هذه السوره،خاصه البحوث المتعلقه بقصه أصحاب الكهف و موسى و الخضر و ذی القرنين،و ما بذلوه من جهود إزاء معارضيهم.

ص:۳۷۶

فالآيات تكشف أوّلا عن أخسر الناس،و لكنّها-بهدف إثاره حب الاستطلاع لدى المستمع إزاء هذه القضيه-تعمد إلى إثارتها على شكل سؤال موّجه إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،فتقول: قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمٰالاً .

ثمّ يأتی الجواب بدون أی توقف حتی لا يبقی المستمع فی حيره،فتقول:

اَلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِی الْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً

.

مفهوم الخسران لا ينطبق على خسران الأرباح و حسب،بل إنّ الخسران الواقعی هو خسران أصل رأس المال،و هل هناک رأس مال أربح و أفضل و أحسن من العقل و الذكاء و الطاقات الإلهيه الموهوبه للإنسان من عمر و شباب و صحه؟ إنّ نتاج كل هذه المواهب هی أعمال الإنسان،و أعمال الإنسان هی فی الواقع انعكاس و تجسيد لطاقاتنا و قدراتنا.

عند ما تتحوّل هذه الطاقات إلى أعمال مخرّبه أو غير هادفه،فكأنّها قد فنيت أو ضاعت،فهی كمثل الإنسان الذی يحمل ثروه عظيمه معه،و لكنّه أثناء ذهابه إلى السوق يفقد هذه الثروه و يعود بيد خاليه.

و قد لا يكون الخسران خسرانا خطيرا عند ما يتعلّم الإنسان من فقدان الثروه دروسا كبيره قد تكون فی قيمتها مساويه للثروه التی فقدها،أو أكثر قيمه منها فی بعض الأحيان،فكأنّه لم يخسر شيئا.

إلاّ أنّ الخسران الحقيقی و المضاعف هو أن يفقد الإنسان رأسماله المادی و المعنوی فی مسالک خاطئه و مجالات منحرفه و يظن أنّه أحسن العمل،فهو فی هذه الحاله لم يحصل على ثمره لعمله،و فی نفس الوقت لم يلتفت إلى ما هو فيه، فيكرّر العمل.

الجميل هنا،إنّ القرآن الكريم استخدم تعبير بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمٰالاً فی حين أنّ المفروض هو القول:«الأخسرين عملا»(لأنّ التمييز مفرد عاده)و لكن لعل

هذه الصياغه القرآنيه بسبب أنّهم لم يخسروا فى عمل معين،بل إنّ جهلهم المركب كان سببا للخسران فى جميع البرامج الحياتيه و فى جميع أعمالهم.

بعباره أخرى:إنّ الإنسان قد يربح فى تجاره معينه و يخسر فى أخرى،إلّا أنّ المحصله فى نهايه السنه هى أنّه لا توجد خساره كبيره،و لكن من سوء حظ الإنسان أن يخسر فى جميع الأعمال التى اشترك فيها.

استخدم كلمه«ضلّ»لعله إشاره إلى هذه الحقيقه؛و هى أنّ أعمال الإنسان لا تفنى فى هذا العالم بأى صوره من الصور،كما أنّ الماده و الطاقه تتبدّل و تتغيّر و لكنّها لا تفنى،و لكن قد تختفى أحيانا،لأنّه لا يمكن مشاهده آثارها بالعين، و لا يمكن الاستفاده منها بأى شكل من الاشكال و مثلها فى ذلك مثل رأس المال الضائع و الذى لا هو فى حوزتنا فنستفيد منه،و لا هو فان.

أمّا لماذا يصاب الإنسان نفسيا بمثل هذه الحالات؟فهو أمر سنبحث فيه مفصلا فى فقره البحوث.

الآيات الأخرى تذكر صفات و معتقدات هذه المجموعه من الخاسرين، حيث تبدأ بتلك الصفات التى تكون أساسا فى مصائبهم فتقول: أُولٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيٰاتِ رَبِّهِمْ .إنّهم كفروا بالآيات التى تفتح الأبصار و المسامع؛الآيات التى ترفع حجب الغرور و تجسّد الحقائق أمام الإنسان،و أخيرا فإنّها آيات النور و الضياء التى تخرج الإنسان من ظلمات الأوهام و التصورات الخاطئه و ترشده إلى عالم الحقائق.

ثمّ إنّهم بعد ذلك نسوا اللّه و كفروا بالمعاد و بلقاء اللّه وَ لِقٰائِهِ .

نعم،فما لم يكن الإيمان بالمعاد إلى جانب الإيمان بالمبدأ،و ما لم يحس الإنسان بأنّ هناك قوّه تراقب أعماله و تحتفظ بكل شىء إلى لحظه انعقاد المحكمه الكبيره الدقيقه و القاسيه،فإنّ الإنسان سوف لا يعير أهميه إلى أعماله و سوف لا يصلح نفسه.

ثمّ تضيف الآيه أنّهم بسبب من كفرهم بالمبدأ و المعاد فإنّ أعمالهم قد حبطت و ضاعت: فَحَبِطَتْ أَعْمٰالُهُمْ .و غدت تماما كالرماد فی مقابل العاصفه الهوجاء.

و لأنّهم لا يملكون عملا قيما ثمينا لذا: فَلاٰ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ وَزْناً .

لأنّ الوزن يخص الأمور الموجوده،أمّا هؤلاء فلا يملكون شيئا من الأعمال،و لذلك ليس لهم وزن و لا قيمه؟و فی إطار بيان جزاء هؤلاء،تكشف الآيه عن ثالث سبب فی انحراف و خسران هؤلاء،و هو الاستهزاء بما انزل اللّه فتقول: ذٰلِكَ جَزٰاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمٰا كَفَرُوا وَ اتَّخَذُوا آيٰاتِی وَ رُسُلِی هُزُواً (۱) .

و بذلك فإنّ هؤلاء انتهوا إلى إنكار الأصول الأساسيه الثلاثه فی الإعتقاد الدينی(المبدأ،و المعاد،و رساله الأنبياء)و الأكثر من الإنكار أنّهم استهزءوا بهذه الأمور! و الآن بعد أن عرفنا علامات الكفار و الأخسرين أعمالا،و بعد أن انكشفت عاقبه أعمالهم،تتوجه الآيات إلى المؤمنين فتبيّن عاقبتهم،و بمقايسه بين الاثنين نستطيع تشخيص كل طرف بشكل كامل.تقول الآيه: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ كٰانَتْ لَهُمْ جَنّٰاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً .

«الفردوس»بقول كبار المفسّرين(البستان)الذی يشتمل على كل النعم و المواهب اللازمه،و بذلك فالفردوس هو أفضل و أكمل البساتين فی الجنّه.

و بما أنّ كمال النعم بدوامها و أن لا تطالها يد الزوال،لذا فإنّ الآيه تقول بلا فصل: خٰالِدِينَ فِيهٰا .

و بالرغم من أنّ طبع الإنسان قائم على التغيّر و التنوّع،إلاّ أنّ سكان الجنّه

ص:۳۷۹

۱ - ۱) -هناك كلام بين المفسّرين حول تركيب جمله ذٰلِكَ جَزٰاؤُهُمْ فالبعض اعتبر«ذلك»مبتدأ و«جزاؤهم»خبرا و«جهنم»بدلا،فی حين أنّ البعض الآخر اعتبر أنّ المبتدأ محذوف و«ذلك»خبرا له،و«جزاؤهم جهنم»مبتدأ لخبر آخر تقديره:الأمر ذلك جزاؤهم جهنم.إلاّ أنّهم يظهر أنّ الرأی الأوّل أكثر تناسبا من غيره.

لا يطلبون تغيير مكانهم أو حالهم أبدا: لاٰ يَبْغُونَ عَنْهٰا حِوَلاً .ذلک لأنّهم یجدون کل ما یطلبون حتی التنوع و التکامل کما سیأتی شرح ذلک.

## بحوث

## اشاره

### ۱-من هم الأخسرون أعمالا؟

نلاحظ فی حیاتنا و حیاه الآخرین،أنّ الإنسان عنـد ما یقوم بعمل خاطئ و یعتقد أنّه صـحیح،فإنّ جهله المرکب هذا لا یدوم أکثر من لحظه أو موقف أو حتی سنه،أمّا أن یدوم علی امتداد عمره فذلک هو سوء الحظ و هو الخسران المبین.

لهذا وجدنا القرآن الکریم یسـمی مثل هؤلاء الأشـخاص بالأخسـرین،لأنّ الذی یرتکب الذنب و هو یعلم بذلک،فإنّه سیضع حدا لمـا هو فیه و یعوّض عن الـذنب بـالتوبه و العمـل الصالـح،أمّـا أولئـک الـذین یظنون أن ذنوبهم عبـاده و أعمـالهم السـیئه أعمالا صالحه،و انحرافهم اسـتقامه،فإنّ مثل هؤلاء لا یستطیعون التعویض عن ذنوبهم،بل یستمرون فیما هم فیه إلی نقطه النهایه،فیکونون کما عبّر عنهم القرآن: بِالْأَخْسَرِینَ أَعْمٰالاً .

و فی الرّوایات و الأحادیث الإسـلامیه تفاسـیر متعدّده للأخسرین أعمالا، و إنّ کل واحد منها إشاره إلی أحد المصادیق الواضحه لهذا المفهوم الواسع من دون أن تحدّده،

ففی حدیث«أصـبغ بن نباته» أنّه سأل الإمام علی علیه السّـلام عن تفسیر الآیه،فقال الإمام:«کفره أهل الکتاب،الیهود و النصاری،و قد کانوا علی الحق فابتدعوا فی أدیانهم و هم یحسبون أنّهم یحسبون صنعا» (۱) .

و

فی حدیث آخر عن الإمام علی علیه السّلام أیضا،قوله بعد ذکر الجواب الآنف:



---

۱- ۱) -یراجع نور الثقلین،ج ۳،ص ۳۱۱-۳۱۲.

«و ما أهل النهر منهم ببعيد» يعنى عليه السّلام الخوارج (1) .

و فى حديث ثالث هنا إشاره خاصّه إلى الرهبان(الرجال و النساء الذين يتركون الدنيا)و المجاميع التى ابتدعت البدع من المسلمين (2) .

و هناك قسم من الرّوايات تفسّر الآيه ب(الذين ينكرون ولايه أمير المؤمنين الإمام على عليه السّلام) (3) .

أليس الرهبان الذى يعيشون كل عمرهم فى زاويه من الزوايا(فى الدير مثلا)و يعانون أنواع الحرمان،و يمتنعون عن الزواج و الأكل و الملابس الجيده، و يفضلون سكنى الدير على كل شىء و هم يظنون أنّ هذه الحياه تقرّبهم إلى اللّه، أليس هؤلاء مصداقا واضحا للأخسرين أعمالا؟! هل هناك مذهب أو دين إلهى يمكن أن يدعو إلى خلاف قانون العقل و الفطره،أى يدعو الإنسان الاجتماعى إلى الابتعاد عن الحياه،و يعتبر هذا العمل مصدرا للتقرب إلى اللّه تعالى؟! إنّ الذين أوجدوا البدع فى دين اللّه من قبيل التثليث فى مقابل توحيد اللّه الواحد الأحد،و اعتبروا المسيح بن مريم ابن اللّه،و أدخلوا خرافات أخرى فى دين اللّه،ظنا منهم بأنّهم يحسنون صنعا،أليس هؤلاء و أمثالهم هم أخسر الناس؟! ألا يعتبر خوارج«النهروان»من أخسر الناس،و هم المجموعه الجاهله التى ارتكبت أعظم الذنوب(مثل قتل الإمام على عليه السّلام)ظنا منهم أنّ هذا الأمر سيقربهم من اللّه،بل و اعتبروا أنّ الجنّه مخصوصه لهم؟! الخلاصه:إنّ الآيه لها مفهوم واسع،إذ تشمل أقواما كثيرين فى السابق و الحاضر و المستقبل.



---

1- 1) -المصدر السّابق.

2- 2) -المصدر السّابق.

3- 3) -المصدر السّابق.

و الآن نصل إلى هذا السؤال:ما هو مصدر هذا الانحراف الخطير؟ إنّ التعصب القوى و الغرور و التكبير و حب الذات،هى من أهم العوامل التى تقود إلى مثل هذه التصورات الخاطئه.و فى بعض الأحيان يكون التملق،أو الانطواء على النفس لفتره معينه سببا لظهور هذه الحاله،حيث يتصوّر الإنسان أنّ كل أعماله الخاطئه المنحرفه هى أعمال جميله،بحيث يشعر بالفخر و الغرور و المباهاه بدلا من إحساس الخجل و الشعور بالعار بسبب أعماله القبيحه.يقول القرآن فى مكان آخر واصفا هذه الحاله: أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً (۱) و فى آيات أخرى،نقرأ أنّ الشيطان هو الذى يزيّن للإنسان سيئاته حسنات،و يمنيهم بالغلبه و النصر،كما فى قوله تعالى: وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَ قالَ لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النّاسِ وَ إِنِّي جارٌ لَكُمْ (۲) .

و يقول القرآن بعد قصّه برج فرعون المعروف: وَ كَذٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ .و الآيه تعليق على عمل فرعون عند ما طلب من هامان أن يبنى له برجا ليطّلع بزعمه إلى إله موسى كما فى الآيتين(۳۶-۳۷)من سوره غافر.

### ۲-ماذا يعنى لقاء اللّه؟

بالرغم من أنّ بعض أشباه العلماء يستفيدون من أمثال هذه الآيات إمكانيه رؤيه الخالق جلّ و علا فى العالم الآخر،و يفسّرون لقاء اللّه باللقاء الحسى،إلاّ أنّه من المعلوم بداهه أنّ اللقاء الحسى يقتضى تجسيم الخالق جلّ و علا،و التجسيم يقتضى التحديد و الحاجه،و المحدود المحتاج يكون قابلا للفناء،و الكل يعرف و يؤمن بأنّ هذه الصفات لا تنطبق على اللّه تعالى.

لذا فإنّ القصد من اللقاء أو الرؤيا فى الآيات القرآنيه ليس الرؤيه الحسيه،بل



---

۱- ۱) -فاطر،۸.

۲- ۲) -الأنفال،۴۸.

الرؤيه الباطنيه المعنويه.

يعنى أنّ الإنسان فى يوم القيامه يشاهد آثار الخالق أكثر و أفضل من أى زمان،لذا فإنّه ينظر إليه بوضوح،بعين القلب الواعى البصير. لهذا السبب-و وفقا للآيات القرآنيه-فإنّه حتى أشد الناس إنكارا للخالق و أكثرهم عنادا،سوف يقر يوم القيامه بوجود الخالق،و أنّه لا مجال لإنكاره (۱) .

بعض المفسّرين اعتبر هذا المفهوم(لقاء اللّه)مشاهده النعم و الثواب،و أيضا العذاب و العقاب الإلهى و فى ذلك تكون كلمه الثواب و العقاب مقدّره فى الآيه.

و بالرغم من أن هذان التّفسيران لا تعارض بينهما،إلاّ أنّ التّفسير الأوّل يبدو أظهر و أوضح.

### ۳-وزن الأعمال

ليس بنا حاجه إلى أن نفسّر قضيه وزن الأعمال عن طريق تجسيم الأعمال و القول بأنّ عمل الإنسان سيتحوّل هناك إلى جسم و له وزن،ذلك لأنّ الوزن له معنى واسع يشمل أيه مقايسه،فمثلا نقول للأشخاص عديمى الشخصيه أنّهم أشخاص لا وزن لهم،أو أنّهم أشخاص خفيفون،و نعنى بذلك ضعف شخصيتهم و ليس القلّه فى وزنهم الجسمى.

و الجميل هنا أنّ الايه تصف الأخسرين أعمالا بأنّنا لم نضع لهم يوم القيامه ميزانا للقياس.و لكن هل تتعارض هذه الآيه مع قوله تعالى فى الآيه(۸)من سوره الأعراف: وَ الْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ؟ طبعا لا،لأنّ الوزن يخصّ الأشخاص الذين قاموا بأعمال تستحق الوزن، أمّا الشخص الذى لا يساوى وجوده و أعماله و أفكاره حتى جناح بعوضه،فهل هو بحاجه إلى الوزن؟!



---

۱- ۱) -يمكن مراجعه سوره المؤمنون،الآيه ۱۰۶ فما فوق.

لهذا السبب نقرأ

فی روایه معروفه عن النّبی قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «إنّه لیأتی الرجل العظیم السمین یوم القیامه لا یزن جناح بعوضه» (۱)
.

لماذا؟لأنّ أعمال مثل هؤلاء و أفکارهم و شخصیتهم کانت فی الحیاه الدنیا عدیمه الأهمیه و الفائده.

و من هنا یتّضح أنّ الناس هناک علی عدّه أنواع هی:

۱-مجموعه تکون مثقله بالحسنات و الأعمال الصالحه بحیث لا تحتاج إلی الوزن و الحساب فی أعمالها،بل تدخل الجنّه بدون حساب.

۲-مجموعه ثانیه من الذین حبطت أعمالهم،أو لیس لهم أی عمل الصالح، و هذه لا تحتاج إلی وزن أیضا،بل تدخل النّار بدون حساب.

۳-أمّا المجموعه الثّالثه،فهی التی تملک السیئات و الحسنات،و هذه یشملها الوزن و الحساب.و قد یکون أکثر الناس من هذه الفئه.

## ۴-تفسیر قوله تعالی: لاٰ یَبْغُونَ عَنْهٰا حِوَلاً

(حول)علی وزن(علل)لها معنی مصدری و تعنی التحوّل و نقل المکان، و کما قلنا فی تفسیر الآیات،فإنّ الفردوس بستان الجنه توجد فیه أفضل النعم و المواهب الإلهیه،و لهذا السبب فإنّها تعتبر أفضل مناطق ذلک العالم،حیث أنّ الساکنین فیها لا یتمنون أبدا الانتقال منها إلی مکان آخر.

و قد یقول البعض:إنّ الحیاه قد تکون هناک رتیبه و راکده،و هذا بحد ذاته نقص و عیب کبیر فیها؟! فی الجواب نقول:لیس ثمه مانع من أن یکون التحوّل و التکامل فی نفس المکان،إذا توافرت أسباب التکامل و اجتمعت هناک،و هی-قطعا-متوافره.

و فی ظل الأعمال التی قام بها الإنسان فی هذه الدنیا، فإنّ الإنسان-من خلال



---

۱- ۱) -عن تفسیر مجمع البیان،فی تفسیره للآیه.

المواهب الإلهيه هناك-سوف يستمر فی طريق تكامله بشكل دائم و مستمر.

و سنقوم إن شاء اللّه بشرح أفضل لتكامل الإنسان حتی فی الجنّه،و ذلك فی نهايه الآيات التی تناسب الموضوع.

### ۵-الفردوس لمن؟

قلنا:إنّ«الفردوس» (۱) أفضل مناطق الجنه،و لا يسكنه سوی المؤمنين و ذوی الأعمال الصالحه،إذا سيكون السؤال:من يسكن الأقسام الأخری فی الجنه،إذا كانت الجنه مكانا للمؤمنين و حسب و ممنوعه علی غيرهم؟ فی الجواب نقول:إنّ الفردوس لا تشمل كل مؤمن ذی عمل الصالح،بل هی لمن بلغ درجه عاليه من الإيمان و العمل الصالح،و هذه المرتبه هی المعيار للوصول إلی الفردوس بالرغم من أنّ ظاهر الآيه مطلق،إلاّ أنّ الانتباه إلی معنی الفردوس يقيّد الإطلاق المذكور.

لذلك عند ما تتحدث سوره المؤمنون عن صفات ورثه الفردوس فإنّها تبيّن الحد الأعلی لصفات المؤمنين و الذی لا يكون موجودا عند جميع الأفراد.و هذا دليل آخر علی أنّ سكنه الفردوس يملكون صفات ممتازه بالإضافه إلی شرطی الإيمان و العمل الصالح.

لذلك رأينا رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم فی حديث سابق،يعلمنا بأنّنا عند ما نطلب الجنّه، فعلينا أن ندعو لنيل الفردوس بالخصوص، لأنّها أكمل و أفضل منازل الجنّه.

و هذه إشاره إلی ضروره أن تنصرف همه المؤمن-فی كل الأمور-إلی أعلی حد،و حتی فی الجنه عليه أن لا يقنع بمراحلها الدنيا بالرغم ممّا فی هذه المراحل



---

۱- ۱) -ذهب بعض إلی أن هذه الكلمه مأخوذه من اللغه الروميه فی الأصل،و ذهب آخرون الی أن جذورها حبشيه انتقلت الی العربيه(تفسير الفخر الرازی و تفسير مجمع البيان).

من نعم و مواهب.

و طبيعى أنّ الذى يطلب هذه المنزله من اللّه لا بدّ و أن يكون قد أعدّ نفسه لها، و عليه أن يبذل كل سعيه و جهده لكسب أفضل الصفات و أرضى الأعمال.

و من ذلـك يعلم أن من يقول بـأن المهم هو أن أدخل الجنّه حتى فى أدنى درجه منها هو شـخص يفتقـد للهمه العاليه للمؤمنين الحقيقيين.

ص :۳۸۶

## الآیتان [سوره الکهف (۱۸): الآیات ۱۰۹ الی ۱۱۰]

### اشاره

قُلْ لَوْ کٰانَ اَلْبَحْرُ مِدٰاداً لِکَلِمٰاتِ رَبِّی لَنَفِدَ اَلْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ کَلِمٰاتُ رَبِّی وَ لَوْ جِئْنٰا بِمِثْلِهِ مَدَداً (۱۰۹) قُلْ إِنَّمٰا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُکُمْ یُوحیٰ إِلَیَّ أَنَّمٰا إِلٰهُکُمْ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ فَمَنْ کٰانَ یَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ فَلْیَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً وَ لاٰ یُشْرِکْ بِعِبٰادَهِ رَبِّهِ أَحَداً (۱۱۰)

### سبب النّزول

عن ابن عباس قال:«قالت الیهود لما قال لهم النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم وَ مٰا أُوتِیتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّٰ قَلِیلاً قالوا:و کیف و قد أوتینا التوراه و من أوتی التوراه فقد أوتی خیرا کثیرا؟فنزل قوله تعالی: قُلْ لَوْ کٰانَ الْبَحْرُ مِدٰاداً لِکَلِمٰاتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ .

و قیل أیضا:قالت الیهود:إنّک أوتیت الحکمه،و من أوتی الحکمه فقد أوتی خیرا کثیرا،ثمّ زعمت-و المخاطب هنا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-أنّک لا علم لک بالروح؟ فأمره اللّه تعالی أن یجیبهم بأنّی و إن أوتیت القرآن و أوتیتم التوراه فهی بالنسبه إلی کلمات اللّه تعالی قلیله» (۱) .



---

۱- ۱) -تفسیر القرطبی،المجلد ۱۱-۱۲،صفحه ۶۸-۶۹.و کذلک تفسیر الصافی أثناء الحدیث عن الآیه.

## التّفسير

### اشاره

### الذين يأملون لقاء اللّه:

الآيات أعلاه فى نفس الوقت الذى تبحث بحثا مستقلا،إلّا أنّها متصله مع بحوث هذه السوره،حيث أنّ كل قصه من القصص الثلاث الوارده فى السوره، تكشف الستار عن مواضيع جديده و عجيبه،و كأنّما القرآن يريد أن يقول فى هذه الآيات:إنّ الاطلاع على قصّه أصحاب الكهف،و موسى و الخضر،و ذى القرنين، يعتبر لا شيء إزاء علم اللّه غير المحدود،لأنّ علمه سبحانه و تعالى و معرفته تشمل كافه الكائنات و عالم الوجود فى الماضى و الحاضر و المستقبل.

القرآن الكريم يخاطب الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى أوّل آيه نبحثها بقوله: قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّى وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً .

«مداد»تعنى الحبر،أو أى ماده ملونه تساعد فى الكتابه،و هى فى الأصل مأخوذه من«مدّ»بمعنى السحب،حيث تتوضح خطوط الكتابه بسحب القلم (۱) .

(كلمات)جمع كلمه،و هى فى الأصل تعنى الألفاظ التى يتمّ التحدّث بها،أو بعباره أخرى:الكلمه لفظ يدل على المعنى،و بما أنّ كل موجود من موجودات هذا العالم هو دليل على علم و قدره الخالق،لذا فإنّه يطلق فى بعض الأحيان على كل موجود اسم(كلمه اللّه)و يختص هذا التعبير أكثر بالموجودات المهمّه العظيمه،. فبالنسبه للمسيح عيسى عليه السّلام يقول القرآن الكريم: إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ (۲) .

ص:۳۸۸

---

۱ - ۱) -نقل الفخر الرازى فى معنى(مداد)إضافه إلى ما ذكر معنى آخر،و هو«الزيت»الذى يوضع فى المصباح و يكون سببا للنور،و الاثنان يرجعان إلى معنى واحد.

۲- ۲) -النساء،۱۷۱.

و فی الآیه التی نبحثها فإنّ(کلمه)قد استخدمت بهذا المعنی،أی إشاره إلی موجودات عالم الوجود التی تدل کل واحده فیه علی الصفات المختلفه للّه تبارک و تعالی.

و فی الحقیقه إن القرآن یلفت أنظارنا فی هذه الآیه إلی هذه الحقیقه و هی:

لا- تظنّوا أنّ عالم الوجود محدود بما تشاهدونه أو تعلمونه أو تحسّونه،بل هو علی قدر من السعه و العظمه بحیث لو أنّ البحار تتحول إلی حبر،و تکتب صفاته و خصائصه،فإنّها-أی البحار-ستجف قبل أن تحصی موجودات عالم الوجود.

و من الضروری الالتفات هنا إلی أنّ کلمه البحر یراد بها الجنس و کذلک کلمه (مثل)فی قوله: وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً فإنّه یراد بها الجنس أیضا،و هذه إشاره إلی أنّنا مهما أضفنا من أمثال هذه البحار إلیها فإنّ الکلمات الإلهیه لا تنتهی و لا تنفد.

و لهذا السبب فلیس ثمّه تعارض بین هذه الآیه و ما ورد فی سوره لقمان حیث قوله تعالی فی الآیه(٢٧): وَ لَوْ أَنَّ ما فِی الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَهٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ یَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَهُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ کَلِماتُ اللّهِ .یعنی أنّ هذه الأقلام ستتکسر و المحابر ستجف حتی آخر قطره،و مع ذلک فإنّ أسرار المخلوقات و حقائق عالم الوجود لا تنتهی.

و ینبغی الانتباه هنا إلی أنّ الآیه أعلاه فی الوقت الذی تجسّد فیه سعه عالم الوجود اللامتناهیه فی الماضی و الحاضر و المستقبل،فإنّها توضّح-أیضا-العلم المطلق و غیر المحدود للخالق جلّ و علا،لأنّنا نعلم أنّ اللّه سبحانه و تعالی یحیط علمه بما کان موجودا فی عالم الوجود،و بما سیکون موجودا.و فی الوقت الذی یعتبر فیه علم اللّه تعالی«علما حضوریا»فإنّه لا یفترق عن وجود هذه الموجودات.(فدقق فی ذلک).

إذن نستطیع أن نقول:لو أنّ جمیع المحیطات و بحار الأرض تحولت إلی

حبر و مداد،و لو أنّ کافه الأشجار تحولت إلی أقلام،فإنّ ذلک کلّه لا یستطیع الإحاطه بما موجود فی عالم الخالق جلّ و علا.

### توضیح لمفهوم اللانهایه:

یقوم القرآن الکریم بتجسید العدد اللانهائی و یقرب معنی العلم المطلق غیر المحدود للّه تعالی،و یقرب سعه عالم الوجود العظیم إلی أفکارنا.و قد استخدم القرآن فی ذلک توضیحا بلیغا للغایه،و ذکر أرقاما حیّه و ذات روح.

تری هل هناک أعداد حیّه و أخری میته؟ نعم،ففی الریاضیات إذا وضعت الأصفار إلی یمین العدد الصحیح فهی لا تعبّر فی الواقع سوی عن أعداد میته لا تستطیع أن تجسّد عظمه شیء معین.

الأشخاص الذین یهتمون بالقضایا الریاضیه و الحسابیه یعرفون أنّ العدد الواحد(کرقم واحد مثلا)لو وضع أمامه من الجهه الیمنی أصفارا بطول کیلومتر واحد،فسیکون عدد عظیم جدّا و محیّر و لا یمکن تصوّر عظمته،و لکن لمن؟ للاشخاص الریاضیین لا عامّه الناس الذین لا یستطیعون تصور العظمه فی هذا الرقم.

العدد الحی هو العدد الذی تنشغل أفکارنا به،و یجسّد الحقائق کما هی و یملک روحا و لسانا و عظمه.

و القرآن الکریم بدلا من أن یقول:إنّ مخلوقات عالم الوجود تتجاوز فی کثرتها الرقم الذی تقع علی یمینه مئات الکیلو مترات من الأصفار،یقول:إذا تحولت جمیع الأشجار إلی أقلام،و کل البحار إلی مواد و حبر،فإنّ الأقلام ستتکسر و میاه البحار ستنتهی،و لا تنتهی أسرار و رموز و حقائق عالم الوجود، هذه الأسرار التی یحیط بها جمیعا علم اللّه تعالی.

فکروا جیدا و تأملوا المقدار الذی یستطیع أن یکتبه القلم،ثمّ ما هو عدد

الأقلام التی یمکن صناعتها من غصن واحد صغیر من شجره معینه؟ و معلوم أن باستطاعتنا صناعه آلاف بل حتی ملایین الأقلام من شجره کبیره عظیمه،و لنا أن نتصوّر الکمیه من الأقلام التی یمکن صنعها من أشجار الأرض جمیعا و غاباتها! من الجهه الثّانیه لنا أن نتصوّر عدد الکلمات التی یمکن کتابتها من قطره حبر واحده،ثمّ علینا أن نتصوّر ما نستطیع کتابته من حوض واحد،فبحیره واحده،فبحر واحد،فمحیط،و من ثمّ جمیع بحار الأرض و محیطاتها! إنّ الحصیله-بلا شک-ستکون رقما عجیبا و خیالیا!! و تتوضح عظمه المثال القرآنی إذا عرفنا أنّ رقم(سبع)لیس للتحدید،بل هو إشاره للکثره،و معنی هذا الکلام أنّنا لو أضفنا لهذا العدد أضعافه من البحار،فإنّ کلمات اللّه لا تنفد.

و الآن لنتصور الحیویه و الروح الدافقه فی هذا العدد،و الشاهد الحی الذی یبعث الیقظه فی روح الإنسان،و یشغل فکره و یجعله یفکّر فی آفاق اللانهایه! إنّ العدد الذی یتضمنه المثال القرآنی یحس بعظمته الجمیع سواء کانوا ریاضیین أو أمیین.

نعم،إنّ علم اللّه تعالی هو أعلی و أوسع من هذا العدد.

علم غیر محدود و لا متناهی.

علم یشمل کل الوجود،سابقا و حاضرا و مستقبلا،و هو یضم فی طیاته کل الأسرار و الحقائق! الآیه الثّانیه فی البحث و التی هی آخر آیه فی سوره الکهف،عباره عن مجموعه من الأسس و الأصول للاعتقادات الدینیه،التی تترکز فی التوحید و المعاد و رساله الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.و الآیه فی مضمونها إشاره إلی نفس المضمون الذی ورد فی بدایه السوره المبارکه.ففی البدایه تحدّثت السوره عن اللّه و الوحی

و الجزاء و القيامه،و الآيه الأخيره هی خلاصه لمجموع ما ورد فی السوره،التی اشتملت فی قسم مهم منها علی الأصول الثلاثه الآنفه باعتبارها محاور للسوره.

و لأنّ قضیه النبوه قد اقترنت مع أشکال من الغلو و المبالغه علی طول التأریخ،لذا فإنّ الآیه تقول: قُلْ إِنَّمٰا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُکُمْ یُوحیٰ إِلَیَّ .

و هذا التعبیر القرآنی نسف جمیع الامتیازات المقرونه بالشرک التی تخرج الأنبیاء من صفه البشریه إلی صفه الألوهیه.

ثمّ تشیر الآیه إلی قضیه التوحید من بین جمیع القضایا الأخری فی و الوحی الالهی حیث تقول: أَنَّمٰا إِلٰهُکُمْ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ .

أمّا لماذا تمت الإشاره إلی هذه القضیه؟فذلک لأنّ التوحید هو خلاصه جمیع المعتقدات،و غایه کل البرامج الفردیه و الاجتماعیه التی تجلب السعاده للإنسان.

و فی مکان آخر،أشرنا إلی أنّ التوحید لیس أصلا من أصول الدین و حسب، و إنّما هو خلاصه لجمیع أصول و فروع الإسلام.

لو أردنا-علی سبیل المثال-أن نشبّه التعلیمات الإسلامیه من الأصول و الفروع علی أنّها قطع من الجواهر،عندها نستطیع أن نقول:إنّ التوحید هو السلک و الخیط الذی یربط جمیع هذه القطع إلی بعضها البعض لیتشکّل من المجموع قلاده جمیله و ثمینه.

و إذا أردنا أن نشبّه التعلیمات الإسلامیه أصولا و فروعا بأعضاء الجسم،فإنّ التوحید سیکون روح الإنسان التی تهب الحیاه لکافه الأعضاء.

و قد أثبتنا فی بحوثنا حول المعاد و النبوه أنّ هذین الأصلین لا ینفصلان عن التوحید.یعنی:عند ما نعرف الخالق بجمیع صفاته،فإنّنا نعلم أنّ مثل هذا الخالق یجب أن یرسل الأنبیاء،و تقتضی حکمته و عدالته أن توجد محکمه عادله و أن یکون هناک بعثا.

و المسائل الاجتماعیه،و کل المجتمع الإنسانی و ما یرتبط به،ینبغی أن یکون فیه شعاع من التوحید حتی یتوحد و ینتظم و یستقر.

لهذا السبب نقرأ فی الأحادیث القدسیه إن:«کلمه لا اله إلاّ اللّه حصنی فمن دخل حصنی أمن من عذابی».

و کل منّا قد سمع أیضا أن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال فی بدایه الإسلام:(قولوا لا إله إلاّ اللّه تفلحوا).

الجمله الثّالثه فی الآیه الکریمه تشیر إلی قضیه البعث و تربطها بالتوحید بواسطه(فاء التفریع)حیث تقول: فَمَنْ کٰانَ یَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ فَلْیَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً .

بالرغم من أن لقاء اللّه بمعنی المشاهده الباطنیه و رؤیه الذات المقدسه بعین البصیره هو أمر ممکن فی هذه الدنیا بالنسبه للمؤمنین الحقیقیین،إلاّ أنّ هذه القضیه تکتسب جانبا عاما یوم القیامه بسبب مشاهده الآثار الکبیره و الواضحه و الصریحه للخالق تبارک و تعالی.لذا فإنّ القرآن استخدام هذا التعبیر فی خصوص یوم القیامه.

من جانب آخر،فإنّ الإنسان الذی ینتظر أمرا معینا،و یأمل شیئا ما،فمن الطبیعی أن یهیء نفسه و یعدّها لاستقبال ذلک الأمر.أمّا الشخص الذی یدّعی و لا یستعد،و ینتظر و لا یعمل،فهو فی الواقع مدع کاذب لا غیر.

لهذا السبب فإنّ الآیه أعلاه تقول: فَلْیَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً وردت بصیغه الأمر،الأمر الذی یلازمه الرجاء و الأمل بانتظار لقاء اللّه.

و فی آخر جمله ثمّه توضیح للعمل الصالح فی جمله قصیره، هی قوله تعالی: وَ لاٰ یُشْرِکْ بِعِبٰادَهِ رَبِّهِ أَحَداً .

بعباره أخری:لا یکون العمل صالحا ما لم تتجلی فیه حقیقه الإخلاص.

فالهدف الإلهی یعطی لعمل الإنسان عمقا و نورانیه خاصّه،و یوجهه الوجهه

الصحيحه،و عند ما نفقد الإخلاص يكون العمل ذا جنبه ظاهريه حيث يشير إلى المنافع الخاصّه،و يفقد عمقه و أصالته و وجهته الصحيحه.

فی الحقيقه إنّ العمل الصالح الذی ينبع من أهداف إلهيه،و يمتزج بالإخلاص و يتفاعل معه،هو الذی يكون جوازا للقاء اللّه تبارک و تعالی.

و قد أشرنا سابقا إلی أنّ العمل الصالح له مفهوم واسع للغايه،و هو يشمل أی برنامج مفيد و بنّاء،فردی و اجتماعی،و فی أی قضيه من قضايا الحياه.

### الإخلاص أو روح العمل الصالح:

أعطت الرّوايات الإسلاميه مكانه خاصّه لقضيه«النيه»،و الإسلام فی العاده يقر بقبول الأعمال بملاحظه النيه و الهدف من العمل.

الحديث المشهور

عن النّبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم: «لا عمل إلاّ بنيه» بيان واضح لهذه الحقيقه.

و بعد(النيه)هناک(الإخلاص)،فلو اقترن العمل بالإخلاص فسيكون عملا ثمينا للغايه،و بدون الإخلاص هو لا قيمه له.و الإخلاص هو أن تكون الدوافع الإنسانيه خاليه من أی نوع من أنواع الشوائب،و يمكن أن نسمّی الإخلاص ب«توحيد النيه»يعنی التفكير باللّه و برضاه فی جميع الأمور و الحالات.

و الطريف فی الأمر هنا هو ما

ورد فی سبب نزول هذه الآيه من أنّ رجلا جاء إلی النّبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم فقال:إنّی أتصدق و أصل الرحم،و لا أصنع ذلک إلاّ للّه،فيذكر ذلک منّی،و أحمد عليه فيسرّنی ذلک،و أعجب به.فسكت رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم،و لم يقل شيئا،فنزلت الآيه: فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً (1) .

إنّ المقصود من هذه الرّوايه ليس الفرح أو السرور اللاإرادی،بل هی الحاله

ص: ۳۹۴

---

۱- ۱) -مجمع البيان فی تفسير الآيه.و كذلک تفسير القرطبی.

التی یکون فیها الفرح و السرور هدفا لعمل الإنسان،أو الحاله التی تؤدی إلی عدم خلوص النیه.

فالعمل الخالص یعتبر مهما فی الإسلام إلی الحد الذی

یقول فیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «من أخلص للّه أربعین یوما فجّر اللّه ینابیع الحکمه من قلبه علی لسانه» (۱) .

### دعاء الختام:

إلهی،اجعل نیاتنا خالصه فی جمیع أعمالنا بحیث لا نفکّر بأحد سواک،و لا نعدوک إلی غیرک...و اجعل ما نریده و ما لا نریده تبعا لطاعتک و رضاک...آمین ربّ العالمین.

نهایه سوره الکهف



---

۱- ۱) -سفینه البحار،ج ۱،ص ۴۰۸.

## سوره مریم

### اشاره

مکّیه و عدد آیاتها ثمان و تسعون آیه

ص :۳۹۷

## محتوى السوره:

لهذه السوره من جهه المحتوى عده أقسام مهمّه:

۱-يشكل القسم الذى يتحدث عن قصص زكريا و مريم و المسيح عليهم السّلام و يحيى و إبراهيم عليهما السّلام بطل التوحيد،و ولده إسماعيل،و إدريس و بعض آخر من كبار أنبياء اللّه،الجزء الأهم فى هذه السوره،و يحتوى على أمور تربويه لها خصوصيات مهمّه.

۲-الجزء الثّانى من هذه السوره-و الذى يأتى بعد القسم الأوّل من حيث الاهميه-عباره عن المسائل المرتبطه بالقيامه،و كيفيه البعث،و مصير المجرمين، و ثواب المتقين،و أمثال ذلك.

۳-القسم الثّالث،و هو المواعظ و النصائح التى تكمل-فى الواقع-الأقسام السابقه.

۴-و أخيرا،فإنّ آخر قسم عباره عن الإشارات المرتبطه بالقرآن،و نفى الولد عن اللّه سبحانه،و مسأله الشفاعه،و تشكل بمجموعها برنامجا تربويا مؤثرا من أجل دفع النفوس الإنسانيه إلى الإيمان و الطهاره و التقوى.

## فضل السوره:

روى عن الرّسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «من قرأها أعطى من الأجر بعدد من صدّق

بزكريا و كذب به،و يحيى و مريم و موسى و عيسى و هارون و إبراهيم و إسحاق و يعقوب و إسماعيل عشر حسنات،و بعدد من ادعى للّه ولدا،و بعدد من لم يدع ولدا» (۱) .

إن هذا الحديث-فى الحقيقه-دعوه إلى السعى ت و الجد فى خطين مختلفين:خط مسانده و دعم النّبى و الطاهرين و الخيرين،و خط محاربه المشركين و المنحرفين و الفاسقين،لأنا نعلم أن هذه المكافئات و العطايا الجزيله لا تعطى لمن يتلفظ كلمات السوره بلسانه فقط،و لا يعمل بأوامرها،بل إن هذه الألفاظ المقدسه مقدمه للعمل.

و نقرأ

فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السّلام: «من أدمن قراءه سوره مريم لم يمت فى الدنيا حتى يصيب منها ما يغنيه فى نفسه و ماله و ولده» (۲) .

إن هذا الغنى و عدم الاحتياج-حتما-قبس من وجود محتوى السوره و سريانها فى أعماق روح الإنسان،و انعكاسها من خلال أعماله و أقواله و سلوكه.



---

۱- ۱) -مجمع البيان الجزء ۳،ص ۵۰۰.

۲- ۲) -المصدر السابق.

## الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ١ الى ۶]

### اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ كهيعص (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيّٰا (٢) إِذْ نٰادىٰ رَبَّهُ نِدٰاءً خَفِيًّا (٣) قٰالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ اَلْعَظْمُ مِنِّى وَ اِشْتَعَلَ اَلرَّأْسُ شَيْباً وَ لَمْ أَكُنْ بِدُعٰائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (۴) وَ إِنِّى خِفْتُ اَلْمَوٰالِيَ مِنْ وَرٰائِى وَ كٰانَتِ اِمْرَأَتِى عٰاقِراً فَهَبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (۵) يَرِثُنِى وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اِجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (۶)

### التّفسير

### اشاره

### دعاء زكريا المستجاب:

مرّه أخرى نواجه الحروف المقطعه فى بدايه هذه السوره،و لما كنّا قد بحثنا تفسير هذه الحروف المقطعه بصوره مفصله فى بدايه ثلاث سور مختلفه فيما سبق-سوره البقره و آل عمران و الأعراف-فلا نرى حاجه للتكرار هنا.

و لكن ما ينبغى اضافته هنا هو وجود طائفتين من الرّوايات فى المصادر الإسلاميه تتعلق بالحروف المقطعه فى هذه السوره.

الأولى:تقول بأن كل حرف من هذه الحروف يشير إلى اسم من أسماء اللّه الحسنى،فالكاف يشير إلى الكافى،و هو من أسماء اللّه الحسنى،و الهاء تشير إلى

الهادی،و الیاء إشاره إلی الولی،و العین إشاره إلی العالم،و الصاد إشاره إلی صادق الوعد (۱) .

الثّانیه:تفسر هذه الحروف المقطعه بحادثه ثوره الإمام الحسین علیه السّلام فی کربلاء،فالکاف إشاره إلی کربلاء،و الهاء إشاره إلی هلاک عتره النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و الیاء إشاره إلی یزید،و العین إشاره إلی مسأله العطش،و الصاد إشاره إلی صبر و ثبات الحسین و أصحابه المضحین (۲) .

و کما قلنا مرارا،فإن لآیات القرآن أنوار معان مختلفه،و تبیّن أحیانا مفاهیم من الماضی و المستقبل،و مع تنوعها و اختلافها فإنّه لا یوجد تناقض بینها،فی حین أننا إذا حصرنا المعنی و فسّرناه تفسیرا واحدا،فمن الممکن أن نبتلی بإشکالات من ناحیه وضع و سبب نزول الآیه و زمانه.

و بعد ذکر الحروف المقطعه،تشرع الکلمات الأولی من قصّه زکریا علیه السّلام فتقول: ذِکْرُ رَحْمَتِ رَبِّکَ عَبْدَهُ زَکَرِیّا (۳) . و فی ذلک الوقت الذی کان زکریا علیه السّلام مغتما و متألما فیه من عدم إنجاب الولد،توجه إلی رحمه ربّه: إِذْ نادی رَبَّهُ نِداءً خَفِیًّا بحیث لم یسمعه أحد، و ذکر فی دعائه و هن و ضعف العظام باعتبارها عمود بدن الإنسان و دعامته و أقوی جزء من اجزائه: قالَ رَبِّ إِنِّی وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّی وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَیْباً .

إن تشبیه آثار الکبر بالشعله التی عمت کل الرأس تشبیه جمیل،لأنّ خاصیه شعله النّار أنّها تتسع بسرعه،و تلتهم کل ما یحیط بها.

و من جهه ثانیه فإنّ شعله النّار لها بریق و ضیاء یجلب الانتباه من بعید.

و من ناحیه ثالثه،فإنّ النّار إذا اشتعلت فی محل له،فإنّ الشیء الذی یبقی



---

۱- ۱) -نور الثقلین،الجزء ۳،ص ۳۲۰.

۲- ۲) -المصدر السّابق.

۳- ۳) -کلمه«ذکر»خبر لمبتدأ محذوف،و علیه فالتقدیر:هذا ذکر رحمه ربّک.

منه هو الرماد فقط.

لقد شبه زكريا نزول الكبر،و بياض كل شعر رأسه باشتعال النّار،و الرماد الأبيض الذى تتركه،و هذا التشبيه جميل و بليغ جدا.

ثمّ يضيف: وَ لَمْ أَكُنْ بِدُعٰائِكَ رَبِّ شَقِيًّا فقد عودتنى دائما-فيما مضى- على استجابه أدعيتى،و لم تحرمنى منها أبدا،و الآن و قد أصبحت كبيرا و عاجزا فأجدنى أحوج من السابق إلى أن تستجيب دعائى و لا تخيّبنى.

إنّ الشقاء هنا بمعنى التعب و الأذى أى إنّى لم أتعب و لم أتأذّ فى طلباتى منك،لأنّك كنت تقضيها بسرعه.

ثمّ يبيّن حاجته: وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوٰالِيَ مِنْ وَرٰائِي أى إنّى أخشى من أقربائى أن يسلكوا سبيل الانحراف و الظلم وَ كٰانَتِ امْرَأَتِي عٰاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا أى مرضيا عندك.

### بحوث

### اشاره

### ١-المراد من الإرث

لقد قدم المفسّرون الإسلاميون بحوثا كثيره حول الإجابه عن هذا السؤال، فالبعض يعتقد أنّ الإرث هنا يعنى الإرث فى الأموال،و البعض اعتبره إشاره إلى مقام النبوه،و بعض آخر احتمل أن يكون المراد معنى جامعا شاملا لكلا الرأيين السابقين.

و قد اختار كثير من علماء الشيعه المعنى الأوّل،فى حين ذهب جماعه من علماء العامّه إلى المعنى الثّانى،و البعض الآخر-كسيد قطب فى(فى ظلال القرآن)،و الآلوسى فى روح المعانى-اختاروا المعنى الثّالث.

إنّ الذين حصروا المراد فى الإرث فى المال استندوا إلى ظهور كلمه الإرث

فی هـذا المعنی،لأن هذه الکلمه إذا کانت مجرّده عن القرائن الأخری،فإنّها تعنی إرث الأموال،أمّا فی موارد استعمالها فی بعض آیات القرآن فی الأمور المعنویه، کالآیه(۳۲)من سوره فاطر: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتَابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنَا مِنْ عِبَادِنَا فلوجود القرائن فی مثل هذه الموارد.

إضافه إلی أنّه یستفاد من قسم من الرّوایات أن هـدایا و نـذورا کثیره کانت تجلب إلی الأحبار-و هم علماء الیهود-فی زمان بنی إسرائیل،و کان زکریا رئیس الأحبار (۱) .

و إذا تجاوزنا ذلک،فإن زوجه زکریا کانت من أسره سلیمان بن داود، و بملاحظه الثروه الطائله لسلیمان بن داود،فقد کان لها نصیب منها.

لقـد کـان زکریـا خائفا من وقوع هـذه الأموال بأیـدی أناس غیر صالحین، و انتهازیین،أو أن تقع بأیـدی الفساق و الفجره،فتکون بنفسـها سـببا لنشوء و انتشـار الفسـاد فی المجتمع،لـذلک طلب من ربّه أن یرزقه ولـدا صالحـا لیرث هـذه الأموال و ینظر فیهـا،و یصرفها فی أفضل الموارد.

الرّوایه المعروفه المرویه عن فاطمه الزهراء علیها السّلام،و التی استدلت فیها بهـذه الآیه من أجل استرجاع فدک،هی شاهد آخر علی هذا المدعی.

ینقل العلاّمه الطبرسی فی کتاب الإحتجاج عن سیده النساء علیها السّلام:إنّه عند ما صمم الخلیفه الأوّل علی منع فاطمه الزهراء علیها السّلام فدکا،و بلغ ذلک فاطمه،حضرت عنده و

قالت: «یا أبا بکر!أ فی کتاب اللّه أن ترث أباک و لا أرث أبی؟لقد جئت شیئا فریا!أ فعلی عمد ترکتم کتاب اللّه و نبذتموه وراء ظهورکم إذ یقول فیما اقتص من خبر یحیی بن زکریا:إذ قال رب هب لِی مِنْ لَدُنْکَ وَلِیًّا یَرِثُنِی وَ یَرِثُ مِنْ آلِ یَعْقُوبَ؟ (۲) .

ص :۴۰۴

---

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۳،ص ۳۲۳.

۲- ۲) -نور الثقلین،الجزء ۳،ص ۳۲۴(نقلا عن الإحتجاج).

أمّا الذين يعتقدون بأن الإرث هنا هو الإرث المعنوى،فقد تمسكوا بقرائن فى نفس الآيه،أو خارجه عنها،مثل:

۱-يبدو من البعيد أن نبيّا كبيرا كزكريا،و فى ذلك السن الكبير،يمكن أن تشغل فكره مسأله ميراث ثروته،خاصّه و أنّه يضيف بعد جمله يَرِثُنِى وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ جمله وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ،و لا شك أن هذه الجمله إشاره إلى الصفات المعنويه لذلك الوارث.

۲-إنّ اللّه سبحانه لما بشره بولاده يحيى فى الآيات القادمه،فإنّه ذكر صفات و مقامات معنويه عظيمه،و من جملتها مقام النبوه.

۳-إن الآيه(۳۸)من سوره آل عمران بينت السبب الذى دفع زكريا إلى هذا الطلب و الدعاء،و أنّه فكر فى ذلك عند ما شاهد مقامات مريم حيث كان يأتيها رزقها من طعام الجنّه فى محرابها بلطف اللّه: هُنالِكَ دَعا زَكَرِيّا رَبَّهُ قالَ رَبِّ هَبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّهً طَيِّبَهً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ .

۴-ورد فى بعض الأحاديث عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما يؤيد أن الإرث هنا يراد به الإرث المعنوى،و خلاصه الحديث

أنّ الإمام الصادق عليه السّلام روى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّ عيسى بن مريم مرّ على قبر كان صاحبه يعذب،و مرّ عليه فى العام الثّانى فرأى صاحب ذلك القبر لا يعذب،فسأله ربّه عن ذلك،فأوحى اللّه إليه أنّه لصاحب هذا القبر ولد صالح قد أصلح طريقا و آوى يتيما،فغفر اللّه له بعمل ولده.ثمّ قال النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«ميراث اللّه من عبده المؤمن ولد يعبده من بعده»،ثمّ تلا الإمام الصادق عند نقله هذا الحديث الآيه المرتبطه بزكريا: فَهَبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِى وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (۱) .

فإن قيل:إن ظاهر كلمه الإرث هو إرث الأموال.

فيقال فى الجواب:إن هذا الظهور ليس قطعيا،لأنّ هذه الكلمه قد استعملت



۱- ۱) -نور الثقلين،الجزء ۳،ص ۳۲۳ و ۳۲۴.

فی القرآن مرارا فی الإرث المعنوی،کالآیه(۳۲)من سوره فاطر،و الآیه(۵۳) من سوره المؤمن.إضافه إلی أنّنا لو فرضنا أنّها خلاف الظاهر،فإنّ هذا الإشکال سیزول بوجود القرائن.

إلاّ أنّ أنصار الرأی الأوّل یستطیعون أن یناقشوا هذه الاستدلالات،بأنّ ما کان یشغل فکر زکریا-نبی اللّه الکبیر-هی مسأله الأموال،و لم تکن تشغله کمسأله شخصیه،بل باعتبارها مصدرا لفساد أو صلاح المجتمع؛لأنّ بنی إسرائیل-و کما قیل أعلاه-کانوا یأتون بالهدایا و النذور الکثیره إلی الأحبار فکانت تودع عند زکریا،و ربما کانت هناک أموالا متبقیه من قبل زوجته التی کانت من أسره سلیمان،و من البدیهی أن وجود شخص غیر صالح یتولی هذه الأموال قد یؤدی إلی مفاسد عظیمه،و هذا هو الذی کان یقلق زکریا.

و أمّا الصفات المعنویه التی ذکرت لیحیی فی هذه الآیات و الآیات الأخری، فإنّها تؤید ما ذکرنا،و تنسجم معه،لأنّه أراد أن تقع هذه الثروه العظیمه بید رجل صالح یستفید منها فی سبیل المجتمع.

إلاّ أنّنا نعتقد بأنا إذا توصلنا من مجموع المباحث أعلاه إلی هذه النتیجه، و هی أن للإرث هنا مفهوما و معنی واسعا یشمل إرث الأموال کما یشمل إرث المقامات المعنویه،فسوف لا یکون هناک مورد خلاف،لأنّ لکل رأی قرائنه،و إذ لاحظنا الآیات السابقه و اللاحقه و مجموع الرّوایات،فإنّ هذا التّفسیر یبدو أقرب للصواب.

أمّا جمله إِنِّی خِفْتُ الْمَوالِیَ مِنْ وَرائِی فإنّها مناسبه لکلا المعنیین،لأنّ الأشخاص الفاسدین إذ تولوا أمر هذه الأموال،فإنّهم سیکونون مصدر قلق حقا، و إذا وقعت زمام الأمور و قیاده الناس المعنویه بید أناس منحرفین،فإنّ ذلک أیضا یثیر المخاوف،و علی هذا فإنّ خوف زکریا یمکن توجیهه فی کلا الصورتین.

و حدیث فاطمه الزهراء علیها السّلام یناسب هذا المعنی أیضا.

ص:۴۰۶

### ۲-ماذا تعنی کلمه«نادی»؟

فی قوله تعالی إِذْ نٰادیٰ رَبَّهُ نِدٰاءً خَفِیًّا طرح هذا السؤال بین المفسّرین، و هو أن«نادی»تعنی الدعاء بصوت عال،فی حین أن«خفیا»تعنی الإخفات و خفض الصوت،و هذان المعنیان لا یناسب أحدهما الآخر.

إلاـ أننا إذا علمنا أن«خفیا»لاـ تعنی الإخفات،بل تعنی الإخفاء،فسیکون من الممکن أن زکریا حین خلوته،حیث لا یوجد أحد سواه،کان ینادی و یدعو اللّه بصوت عال.

و البعض قال:إن طلبه هذا کان فی جوف اللیل حیث کان الناس یغطون فی النوم (۱) .

و البعض الآخر اعتبر قوله تعالی: فَخَرَجَ عَلیٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرٰابِ التی ستأتی فی الآیات التالیه،دلیلا علی وقوع هذا الدعاء فی الخلوه (۲) .

### ۳- وَ یَرِثُ مِنْ آلِ یَعْقُوبَ

إنّ زکریا قال: وَ یَرِثُ مِنْ آلِ یَعْقُوبَ ،و ذلک لأنّ زوجته کانت خاله مریم أو عیسی،و یتصل نسبها بیعقوب،لأنّها کانت من أسره سلیمان بن داود،و هو من أولاد یهودا بن یعقوب (۳) .



---

۱- ۱) -تفسیر القرطبی،ج ۶،ذیل الآیه مورد البحث.

۲- ۲) -تفسیر المیزان الجزء ۱۴،ذیل الآیه.

۳- ۳) -مجمع البیان،الجزء ۶،ذیل الآیه.

## الآیات [سوره مریم (۱۹): الآیات ۷ الی ۱۱]

### اشاره

یا زَکَرِیّا إِنّا نُبَشِّرُکَ بِغُلامٍ اِسْمُهُ یَحْییٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِیًّا (۷) قالَ رَبِّ أَنّی یَکُونُ لِی غُلامٌ وَ کانَتِ اِمْرَأَتِی عاقِراً وَ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ اَلْکِبَرِ عِتِیًّا (۸) قالَ کَذٰلِکَ قالَ رَبُّکَ هُوَ عَلَیَّ هَیِّنٌ وَ قَدْ خَلَقْتُکَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَکُ شَیْئاً (۹) قالَ رَبِّ اِجْعَلْ لِی آیَةً قالَ آیَتُکَ أَلاّ تُکَلِّمَ اَلنّاسَ ثَلاثَ لَیالٍ سَوِیًّا (۱۰) فَخَرَجَ عَلیٰ قَوْمِهِ مِنَ اَلْمِحْرابِ فَأَوْحیٰ إِلَیْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُکْرَةً وَ عَشِیًّا (۱۱)

### التّفسیر

### اشاره

### بلوغ زکریا أمله:

تبیّن هذه الآیات استجابه دعاء زکریا علیه السّلام من قبل اللّه تعالی استجابه ممزوجه بلطفه الکریم و عنایته الخاصّه،و تبدأ بهذه الجمله: یا زَکَرِیّا إِنّا نُبَشِّرُکَ بِغُلامٍ اسْمُهُ یَحْییٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِیًّا .

کم هو رائع و جمیل أن یستجیب اللّه دعاء عبده بهذه الصوره،و یطلعه

ص: ۴۰۸

ببشارته على تحقيق مراده،و فى مقابل طلب الولد فإنّه يعطيه مولدا ذكرا، و يسـميه أيضا بنفسه،و يضـيف إلى ذلک أنّ هذا الولد قـد تفرد بـأمور لم يسـبقه أحـد بها.لأنّ قوله: لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا و إن كـانت تعنى ظاهرا بأن أحـدا لم يسم باسـمه لحد ولادته،لكن لما لم يكن الاسم لوحده دليلا على شخصيه أحـد، فسيصـبح من المعلوم أنّ المراد من الاسم هنا هو المسـمّى،أى أحدا قبله لم يكن يمتلک هذه الامتيازات،كما ذهب الراغب الأصفهانى إلى هذا المعنى-بصراحه- فى مفرداته.

لا شک فى وجود أنبياء كبار قبل يحيى،بل و أسـمى منه،إلّا أنّه لا مانع مطلقا من أن يكون ليحيى خصوصـيات تختص به،كما ستأتى الإشاره إلى ذلک فيما بعد.

أمّا زكريا الـذى كان يرى أن الأسـباب الظاهريه لا تساعـد على الوصول إلى مثل هذه الأمنيه،فإنّه طلب توضـيحا لهذه الحاله من اللّه سبحانه: قالَ رَبِّ أَنّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَ كانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً وَ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا .

«عـاقر»فى الأصـل من لفظه«عقر»بمعنى الجـذر و النهـايه،أو بمعنى الحبس، و إنّمـا يقـال للمرأه:عـاقر،لأنّ قابليتها على الولاده قد انتهت،أو لأنّ إنجاب الأولاد محبوس عنها.

«العتىّ»تعنى الشخص الذى نحل جسمه و ضعف هيكله،و هى الحاله التى تظهر على الإنسان عند شيخوخته.

إلّا أنّ زكريا سمع فى جواب سؤاله قول اللّه سبحانه: قالَ كَذلِکَ قالَ رَبُّکَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ (۱) .

إن هذه ليست بالمسأله العجيبه،أن يولد مولود من رجل طاعن فى السن

ص: ۴۰۹

---

۱- ۱) -المعروف بين المفسّرين أن عباره(كـذلک)هى فى تقدير(الأمر كذلک).و يحتمل كذلک أن(كذلک)متعلقه بما بعدها و يصبح معناها:كذلک قال ربّک.

مثلک،و امرأه عقیم ظاهرا وَ قَدْ خَلَقْتُکَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَکُ شَیْئاً ،فإنّ اللّه قادر علی أن یخلق کل شیء من العدم،فلا عجب أن یتلطف علیک بولد فی هذا السن و فی هذه الظروف.

و لا شک أنّ المبشر و المتکلم فی الآیه الأولی هو اللّه سبحانه،إلاّ أن البحث فی أنّه هو المتکلم فی الآیه الثّالثه: قٰالَ کَذٰلِکَ قٰالَ رَبُّکَ هُوَ عَلَیَّ هَیِّنٌ .

ذهب البعض بأنّ المتکلم هم الملائکه الذین کانوا واسطه لتبشیر زکریا، و الآیه(۳۹)من سوره آل عمران یمکن أن تکون شاهدا علی ذلک: فَنٰادَتْهُ الْمَلاٰئِکَهُ وَ هُوَ قٰائِمٌ یُصَلِّی فِی الْمِحْرٰابِ أَنَّ اللّٰهَ یُبَشِّرُکَ بِیَحْییٰ .

لکن الظاهر هو أنّ المتکلم فی کل هذه الأحوال هو اللّه سبحانه، و لا دلیل-أو سبب-یدفعنا إلی تغییره عن ظاهره،و إذا کانت الملائکه وسائط لنقل البشاره،فلا مانع-أبدا-من أن ینسب اللّه أصل هذا الإعلان و البشاره إلی نفسه،خاصّه و أنّنا نقرأ فی الآیه(۴۰)من سوره آل عمران: قٰالَ کَذٰلِکَ اللّٰهُ یَفْعَلُ مٰا یَشٰاءُ .

و قد سرّ زکریا و فرح کثیرا لدی سماعه هذه البشاره،و غمر نفسه نور الأمل، لکن لما کان هذا النداء بالنسبه إلیه مصیریا و مهما جدا،فإنّه طلب من ربّه آیه علی هذا العمل: قٰالَ رَبِّ اجْعَلْ لِی آیَهً .

لا شک أنّ زکریا کان مؤمنا بوعد اللّه،و کان مطمئنا لذلک،إلاّ أنّه لزیاده الاطمئنان-کما أنّ إبراهیم الذی کان مؤمنا بالمعاد طلب مشاهده صوره و کیفیه المعاد فی هذه الحیاه لیطمئن قلبه-طلب من ربّه مثل هذه العلامه و الآیه،فخاطبه اللّه: قٰالَ آیَتُکَ أَلاّٰ تُکَلِّمَ النّٰاسَ ثَلاٰثَ لَیٰالٍ سَوِیًّا و اشغل لسانک بذکر اللّه و مناجاته.

لکن،أیه آیه عجیبه هذه!آیه تنسجم من جهه مع حال مناجاته و دعائه، و من جهه أخری فإنّها تعزله عن جمیع الخلائق و تقطعه إلی اللّه حتی یشکر اللّه

ص:۴۱۰

على هذه النعمه الكبيره،و يتوجه إلى مناجاه اللّه أكثر فأكثر.

إن هذه آيه واضحه على أن إنسانا يمتلك لسانا سليما،و قدره على كل نوع من المناجاه مع اللّه،و مع ذلك لا تكون له القدره على التحدث أمام الناس! بعد هذه البشاره و الآيه الواضحه،خرج زكريا من محراب عبادته إلى الناس،فكلّمهم بالإشاره: فَخَرَجَ عَلىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرٰابِ فَأَوْحىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا لأنّ النعمه الكبيره التى منّ اللّه بها على زكريا قد أخذت بأطراف القوم،و كان لها تأثير على مصير و مستقبل كل هؤلاء،و لهذا فقد كان من المناسب أن يهبّ الجميع لشكر اللّه بتسبيحه و مدحه و ثنائه.

و إذا تجاوزنا ذلك،فإنّ بإمكان هذه الموهبه التى تعتبر إعجازا أن تحكّم أسس الإيمان فى قلوب الناس،و كانت هذه أيضا موهبه أخرى.

## بحثان

### اشاره

### ۱-يحيى عليه السّلام النّبى المتألّه الورع

لقد ورد اسم«يحيى»فى القرآن الكريم خمس مرات-فى سور آل عمران، و الأنعام،و مريم،و الأنبياء-فهو واحد من أنبياء اللّه الكبار،و من جمله امتيازاته و مختصاته أنّه وصل إلى مقام النّبوه فى مرحله الطفوله،فإنّ اللّه سبحانه قد أعطاه عقلا و ذكاء وقّادا و درايه واسعه فى هذا العمر بحيث أصبح مؤهلا لتقبل هذا المنصب.

و من خصائص هذا النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم التى أشار إليها القرآن فى الآيه(۳۹)من سوره آل عمران،وصفه بالحصور،كما قلنا فى ذيل تلك الآيه،فإنّ«الحصور»من ماده الحصر،بمعنى وقوع الشخص فى المحاصره،و هى تعنى هنا-طبقا لبعض الرّوايات-الامتناع عن الزواج.

لقد كان هذا العمل امتيازا بالنسبه له،من جهه أنّه يبيّن نهايه العفه و الطهاره، أو أنّه كان-نتيجه ظروف الحياه الخاصّه-مضطرا إلى الأسفار المتعدده من أجل نشر الدين الإلهی و الدعوه إليه،و اضطر كذلک إلى أن يعيش حياه العزوبه كعيسى بن مريم عليه السّلام.

و هناک تفسير قريب من الصواب أيضا،و هو أن الحصور-فی الآيه المذكوره-تعنی الشخص الذی ترک شهوات الدنيا و ملذاتها،و هذا فی الواقع مرتبه عاليه من الزهد (۱) .

على كل حال،فإنّ المستفاد من المصادر الإسلاميه و المسيحيه أن يحيى كان بن خاله عيسى.

فقد صرّحت المصادر المسيحيه بأنّ يحيى غسل المسيح عليه السّلام غسل التعميد، و لذلک يسمّونه(يحيى المعمد)-و غسل التعميد غسل خاص يغسل المسيحيون أولادهم به،و يعتقدون أنّه يطهرهم من الذنوب-و لما أظهر المسيح نبوته آمن به يحيى.

لا شک أن يحيى لم يكن له كتاب سماوی خاص،و ما نقرأه فی الآيات التاليه من أنّه يَا يَحْيىٰ خُذِ الْكِتٰابَ بِقُوَّةٍ إشاره إلى التوراه،و هی كتاب موسى عليه السّلام.

و هناک جماعه يتبعون يحيى،و ينسبون له كتابا،و ربما كان(الصابئون الموحدون)من أتباع يحيى (۲) .

لقد كان بين يحيى و عيسى جوانب مشتركه،كالزهد الخارق غير المألوف، و ترک الزواج للأسباب التی ذكرت،و ولادتهما التی تحمل طابع الإعجاز،و كذلک



---

۱- ۱) -لقد بحثنا مفصلا فی أنّ ترک الزواج لا يمكن أن يكون فضيله لوحده،و أنّ قانون الإسلام يؤكّد فی هذا المجال على الزواج،فی الجزء الثّانی ذيل الآيه(۳۹)من آل عمران من هذا التّفسير.

۲- ۲) -أعلام القرآن،ص ۶۶۷.

النسب القريب جدّا.

و يستفاد من الرّوايات الإسلاميه،أن بين الحسين عليه السّلام و يحيى عليه السّلام جهات مشتركه،و لذلك

فقد روى الإمام زين العابدين على بن الحسين عليه السّلام أنّه قال:

«خرجنا مع الحسين بن على عليه السّلام،فما نزل منزلا و لا رحل منه إلاّ ذكر يحيى بن زكريا و قتله،و قال:و من هو ان الدنيا على اللّه أنّ رأس يحيى بن زكريا أهدى إلى بغى من بغايا بنى إسرائيل» (۱) .

كما أن شهاده الحسين عليه السّلام تشبه شهاده يحيى عليه السّلام من عدّه جهات أيضا، و سنذكر كيفيه قتل يحيى فيما بعد.

و كذلك فإنّ اسم الحسين عليه السّلام كاسم يحيى عليه السّلام لم يسبقه به أحد،و مدّه حملهما كانت أقل من المعتاد.

### ۲-ما معنى كلمه«المحراب»؟

«المحراب»محل خاص فى مكان العباده يجعل للإمام أو الوجهاء و المبرزين،و قد ذكروا علتين لهذه التسميه:

الأولى:أنّها من ماده«حرب»،لأنّ المحراب فى الحقيقه محل لمحاربه الشيطان و هوى النفس.

و الثّانيه:أنّ المحراب فى اللغه بمعنى مكان الصداره فى المجلس،و لما كان مكان المحراب فى صدر المعبد فقد سمى بهذا الاسم.

يقول البعض:إنّ المحراب كان عند بنى إسرائيل بعكس ما هو المتعارف عندنا،حيث كان فى مكان أعلى من سطح الأرض حيث يرتقى اليه بعدّه



---

۱- ۱) -نور الثقلين،الجزء ۳،ص ۳۲۴.

درجات.و کانوا یحیطونه بالجدران بحیث تصعب رؤیه الذین یتعبدون فی داخل المحراب،و یؤید ذلک ما ورد فی الآیه: فَخَرَجَ عَلیٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرٰابِ و التی قرأناها فی الآیات محل البحث،و مع ملاحظه کلمه«علی»التی تستعمل عاده للدلاله علی الجهه العلیا یتّضح هذا المطلب أکثر.

ص:۴۱۴

## الآيات [سوره مريم (۱۹): الآيات ۱۲ الى ۱۵]

### اشاره

يا يَحْيى خُذِ اَلْكِتابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْناهُ اَلْحُكْمَ صَبِيًّا (۱۲) وَ حَناناً مِنْ لَدُنّا وَ زَكاةً وَ كانَ تَقِيًّا (۱۳) وَ بَرًّا بِوالِدَيْهِ وَ لَمْ يَكُنْ جَبّاراً عَصِيًّا (۱۴) وَ سَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (۱۵)

### التّفسير

### اشاره

### صفات يحيى عليه السّلام البارزة:

رأينا فى الآيات السابقه كيف أنّ اللّه سبحانه منّ على زكريا عند كبره بيحيى، و بعد ذلك فإنّ أوّل ما نلاحظه فى هذه الآيات هو الأمر الإلهى المهم الذى يخاطب يحيى: يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ .

المشهور بين المفسّرين أنّ المراد من الكتاب هنا هو التوراه،حتى ادعوا الإجماع على ذلك (۱) .

إلّا أنّ البعض احتمل أن يكون له كتاب خاص كزبور داود،و هو طبعا ليس



---

۱- ۱) -يراجع تفسير القرطبى و الآلوسى فى تفسير هذه الآيه.

کتابا متضمنا لدین جدید و مذهب مستحدث (۱) .غیر أن الاحتمال الأوّل هو الأقوی کما یبدو.

و علی أی حال،فإنّ المراد من أخذ الکتاب بقوه هو إجراء و تنفیذ ما جاء فی کتاب التوراه السماوی بکل حزم و اقتدار و تصمیم راسخ،و إراده حدیدیه،و أن یعمل بکل ما فیه،و أن یستعین بکل القوی المادیه و المعنویه فی سبیل نشره و تعمیمه.

إنّ من القواعد المسلّمه أنّه لا یمکن تطبیق أی کتاب و دین بدون قوه و قدره و حزن أتباعه و أنصاره،و هذا درس لکل المؤمنین،و کل السالکین و السائرین فی طریق اللّه.

## یحیی و صفاته العشره:

ثمّ أشار القرآن الکریم إلی المواهب العشره التی منحها اللّه لیحیی و التی اکتسبها بتوفیق اللّه:

۱- وَ آتَیْنٰاهُ الْحُکْمَ صَبِیًّا .و هو أمر النّبوه و العقل و الذکاء و الدرایه.

۲- وَ حَنٰاناً مِنْ لَدُنّٰا و الحنان فی الأصل بمعنی الرحمه و الشفقه و المحبّه و إظهار العلاقه و المودّه للآخرین.

۳- وَ زَکٰاهً أی أعطیناه روحا طاهره و زکیه،و بالرغم من أنّ المفسّرین فسروا الزکاه بمعان مختلفه،فبعضهم فسّرها بالعمل الصالح،و آخر بالطاعه و الإخلاص،و ثالث ببر الوالدین و الإحسان إلیهما،و رابع بحسن السمعه و الذکر، و خامس بطهاره الأنصار،إلاّ أنّ الظاهر هو أنّ للزکاه معنی واسعا و شاملا یتضمن کل هذه الأعمال و الصفات الطاهره الصالحه.

۴- وَ کٰانَ تَقِیًّا فکان یجتنب کل ما یخالف الأوامر الالهیه.



---

۱- ۱) -یراجع تفسیر المیزان فی ذیل الآیه.

۵- وَ بَرًّا بِوالِدَيْهِ .

۶- وَ لَمْ يَكُنْ جَبّاراً فلم يكن رجلا ظالما و متكبرا و اناتيا.

۷-و لم يكن عَصِيًّا و لم يقترف ذنبا و معصيه.

۸،۹،۱۰-و لما كان جامعا لكل هذه الصفات البارزه،و الأوسمه الكبيره، فإن اللّه سبحانه قد سلّم عليه فى ثلاثه مواطن: وَ سَلاٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ،وَ يَوْمَ يَمُوتُ،وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا .

## بحوث

### اشاره

### ۱-خذ الكتاب السماوى بقوه و اقتدار!

إنّ لكلمه«قوه»فى قوله: يٰا يَحْيىٰ خُذِ الْكِتٰابَ بِقُوَّةٍ -كما تقدم-معنى واسعا جمعت فيه كل القدرات و الطاقات الماديه و المعنويه،الروحيه الجسميه، و هذا بحد ذاته يبيّن و يوضح هذه الحقيقه،و هى أنّ الدين الإلهى و الإسلام و القرآن لا يمكن أن تحفظ بالضعف و التخاذل و المهادنه اللين،بل يجب أن تصان بقوّه و تجعل فى قلعه القدره المنيعه.

إنّ المخاطب هنا و إن كان يحيى،إلّا أنّه قد ورد هذا التعبير بالنسبه إلى غيره من الأنبياء فى موارد أخرى من القرآن المجيد،ففى الآيه(۱۴۵)من سوره الأعراف أمر موسى بأن يأخذ التوراه بقوه: فَخُذْهٰا بِقُوَّةٍ .

و فى الآيه(۶۳ و ۹۳)من سوره البقره يلاحظ أنّ الخطاب موجه لجميع بنى إسرائيل: خُذُوا مٰا آتَيْنٰاكُمْ بِقُوَّةٍ و هو يوحى بأن هذا الحكم عام يشمل الجميع، و لا يخص شخصا أو أشخاصا معينين.

و قد ورد هذا المفهوم بتعبير آخر فى الآيه(۶۰)من سوره الأنفال: وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ .

ص: ۴۱۷

و علی کل حال،فإنّ هذه الآیه تعتبر جوابا لمن یظن أنّه بالإمکان تنفیذ عمل أو تحقیق غایه من موقعه الضعف،أو یرید حل المشاکل عن طریق المساومه فی کل الظروف.

### ۲-ثلاثه أیّام صعبه فی مصیر الإنسان

إنّ التعبیر ب سَلامٌ عَلَیْهِ یَوْمَ وُلِدَ وَ یَوْمَ یَمُوتُ وَ یَوْمَ یُبْعَثُ حَیًّا یبیّن أن فی تاریخ حیاه الإنسان و انتقاله من عالم إلی عالم آخر ثلاثه أیّام صعبه:یوم یضع قدمه فی هذه الدنیا: یَوْمَ وُلِدَ و یوم موته و انتقاله إلی عالم البرزخ وَ یَوْمَ یَمُوتُ و یوم بعثه فی العالم الآخر وَ یَوْمَ یُبْعَثُ حَیًّا و لما کان من الطبیعی أن تکون هذه الأیّام مرافقه للاضطرابات و القلق،فإنّ اللّه سبحانه یکتنف خاصّه عباده بسلامه و عافیته،و یجعل هؤلاء فی ظل حمایته و منعته فی هذه المراحل العسیره الثلاثه.

و بالرغم من أنّ هذا التعبیر قد ورد فی القرآن فی موردین فقط،فی حق یحیی و فی حق عیسی علیه السّلام،إلاّ أنّ التعبیر القرآن فی شأن یحیی امتیازا خاصّا، لأنّ المتکلم بهذا الکلام هو اللّه سبحانه،فی حین أنّ المسیح علیه السّلام هو المتکلم فی حق نفسه.

و من الواضح أنّ الأفراد الذین یکونون فی أوضاع و أحوال تشابه أحوال هذین العظیمین ستعمهم و تظللهم هذه السلامه.

و من البدیع أن نقرأ

فی روایه عن الإمام علی بن موسی الرضا علیه السّلام: «إنّ أوحش ما یکون هذا الخلق فی ثلاثه مواطن:یوم یلد و یخرج من بطن أمه فیری الدنیا،و یوم یموت فیعاین الآخره و أهلها،و یوم یبعث حیا فیری أحکاما لم یرها فی دار الدنیا،و قد سلم اللّه علی یحیی علیه السّلام فی هذه الثلاثه مواطن و آمن روعته،فقال:

و سلام عليه...» (۱) .

### ۳-النّبوه فی الطفوله

صحيح أنّ مرحله النضج العقلی للإنسان لها حدّ معين عاده،إلّا أنّه يوجد أفراد استثنائيون بين البشر دائما،فأی مانع من أن يختصر اللّه هـذه المرحله لبعض عباده لمصالح ما،و يجعلها تتلخص فی سـنوات أقل؟كما أن مرور سـنه أو سـنتين على الولاده أمر محتم من أجل التمكن من النطق عاده،فی حين أنّنا نعلم أنّ عيسـى عليه السّلام قـد تكلم فی أيّامه الأولى،و كان كلاما عميق المحتوى من شأنه أن يصدر-عاده عن أناس كبار فی السن،كما سيأتی فی تفسير الآيات القادمه إن شاء اللّه تعالى.

من هنا يتّضح عدم صحه الإشكال الذی طرحه بعض الأفراد حول بعض أئمه الشيعه،بأنّه كيف تسلّم بعضهم أمور الإمامه فی سن صغيره؟ نطالع

فی روايه عن علی بن أسـباط،أحد أصحاب الإمام الجواد محمّد بن علی النقی عليه السّلام أنّه قال: رأيت أبا جعفر عليه السّلام و قـد خرج علیّ،فأجـدت النظر إليه، و جعلت أنظر إلى رأسه و رجليه لأصف قامته لأصـحابنا بمصـر،فبينا أنا كـذلك قعـد فقال:«يا علیّ،إنّ اللّه احتـج فی الإمامه بمثل ما احتـج به فی النّبوه،قـد يقول وَ آتَيْنٰاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ،و قـد يقول وَ لَمّٰا بَلَغَ أَشُدَّهُ و بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً فقد يجوز أن يؤتى الحكمه و هو صبی،و يجوز أن يؤتى الحكمه و هو ابن أربعين» (۲) .

كما أنّ هذه الآيه تتضـمن جوابا مفحما لأولئك المعترضـين الذين يقولون:إنّ عليا عليه السّلام لم يكن أوّل من آمن بالنّبی صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من الرجال،لأنّه كان ابن عشر سنين فی ذلك اليوم،و لا يقبل إيمان صبی فی العاشره من عمره!



---

۱- ۱) -تفسير البرهان،ج ۳،ص ۷.

۲- ۲) -نور الثقلين،الجزء ۳،ص ۳۲۵.

و لا بأس من ذكر الرّوايه الشريفه

عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السّلام، و هى أن جماعه من الأطفال قالوا للرضا عليه السّلام أيّام طفولته:أذهب بنا نلعب،قال:«ما للعب خلقنا»و هذا ما أنزل اللّه تعالى وَ آتَيْنٰاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١) .

يجب الالتفات إلى أن اللعب هنا هو الإشتغال بما لا فائده فيه،و بتعبير آخر لا هدف يطلب منه،لكن قد يستتبع اللعب و اللهو-أحيانا-هدفا منطقيا و عقلائيا و يسعى إليه،فمن البديهى أن لهذا اللعب حكما مستثنى.

## ۴-شهاده يحيى

لم تكن ولاده يحيى عجيبه و مذهله لوحدها،بل إنّ موته أيضا كان عجيبا من عدّه جهات،و قد ذكر أغلب المؤرخين المسلمين،و كذلك المصادر المسيحيه،مجرى هذه الشهاده على هذه النحو،بالرغم من وجود اختلاف يسير فى خصوصياتها بين هذه المراجع:

لقد أصبح يحيى ضحيه للعلاقات غير الشرعيه لأحد طواغيت زمانه مع أحد محارمه،حيث تعلق«هروديس»ملك فلسطين اللاهث وراء شهواته ببنت أخته«هروديا»و هام فى غرامها،و ألهب جمالها قلبه بنار العشق،و لذلك صمم على الزواج منها! فبلغ هذا الخبر نبى اللّه العظيم يحيى عليه السّلام،فأعلن بصراحه أنّ هذا الزواج غير شرعى و مخالف لتعليمات التوراه،و سأقف امام مثل هذا العمل.

لقد انتشر صخب و ضوضاء هذه المسأله فى كل أرجاء المدينه،و سمعت تلك الفتاه(هيروديا)بذلك،فكانت ترى يحيى أكبر عائق فى طريقها،و لذلك صممت على الانتقام منه فى فرصه مناسبه لترفع هذا المانع من طريق شهواتها و ميولها،فعمقت علاقتها بخالها و وطدتها،و جعلت من جمالها مصيده له،و قد



---

١- ١) -نور الثقلين،الجزء ٣،ص ٣٢۵.

ملكت عليه كل مشاعره و أحاسيسه،إلى أن قال لها هيروديس يوما: اطلبى منّى كل ما تريدين فسأحققه لك قطعا،فقالت هيروديا:لا أريد منك إلّا رأس يحيى! لأنّه قد شوّه سمعتى و سمعتك،و قد أصبح كل الناس يعيروننا،فإنّ كنت تريد أن يهدأ قلبى و يسر خاطرى فيجب أن تقوم بهذا العمل! فسلّم هيروديس-الذى أصبح مجنونا لا يعقل من عشق هذه المرأه-لما أرادت من دون أن يفكر و يتنبه إلى عاقبه هذا العمل،و لم يمض قليل من الزمن حتى أحضر رأس يحيى عند تلك المرأه الفاجره،إلّا أنّ عواقب هذا العمل الشنيع قد أحاطت به،و أخذت بأطرافه فى النهايه (1) .

و نقرأ

فى الرّوايات أن سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السّلام كان يقول: «إنّ من هو ان الدنيا أن يهدى رأس يحيى بن زكريا إلى بغى من بغايا بنى إسرائيل» أى إن ظروفى تشابه من هذه الناحيه ظروف و أحوال يحيى،لأنّ أحد أهداف ثورتى محاربه الأعمال المخزيه لطاغوت زمانى يزيد.



---

۱- ۱) -يستفاد من بعض الأناجيل و قسم من الرّوايات أنّ هيروديس قد تزوج امرأه أخيه،و قد كان هذا الزواج ممنوعا فى قانون التوراه،و قد لامه يحيى على هذا العمل بشدّه،ثمّ أن تلك المرأه حملت هيروديس على قتل يحيى بإغرائه بجمال بنتها.إنجيل متى باب ۱۴،إنجيل مرقس باب ۶،الفقره ۱۷ و ما بعدها.

## الآیات [سوره مریم (۱۹): الآیات ۱۶ الی ۲۱]

### اشاره

وَ اُذْکُرْ فِی اَلْکِتابِ مَرْیَمَ إِذِ اِنْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَکاناً شَرْقِیًّا (۱۶) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً فَأَرْسَلْنا إِلَیْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِیًّا (۱۷) قالَتْ إِنِّی أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْکَ إِنْ کُنْتَ تَقِیًّا (۱۸) قالَ إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّکِ لِأَهَبَ لَکِ غُلاماً زَکِیًّا (۱۹) قالَتْ أَنّی یَکُونُ لِی غُلامٌ وَ لَمْ یَمْسَسْنِی بَشَرٌ وَ لَمْ أَکُ بَغِیًّا (۲۰) قالَ کَذلِکِ قالَ رَبُّکِ هُوَ عَلَیَّ هَیِّنٌ وَ لِنَجْعَلَهُ آیَةً لِلنّاسِ وَ رَحْمَةً مِنّا وَ کانَ أَمْراً مَقْضِیًّا (۲۱)

## التّفسیر

### اشاره

### ولاده عیسی علیه السّلام:

بعد ذکر قصّه یحیی علیه السّلام،حولت الآیات مجری الحدیث إلی قصّه عیسی علیه السّلام لوجود علاقه قویه و تقارب واضح جدا بین مجریات هاتین الحادثتین.

فإنّ کانت ولاده یحیی من أب کبیر طاعن فی السن و أم عقیم عجیبه،فإن ولاده عیسی من أم دون أب أعجب!

ص: ۴۲۲

و إن كان الوصول إلى مقام النّبوه و بلوغ العقل الكامل -فى مرحله الطفوله- باعثا على الحيره و معجزا،فإنّ التحدث فى المهد عن الكتاب و النّبوه أبعث على التعجب و الحيره،و أكثر إعجازا.

و على كل حال،فإنّ كلا الأمرين آيتان على قدره اللّه الكبير المتعال، إحداهما أكبر من الأخرى،و قد صادف أن تكون كلا الآيتين مرتبطتان بشخصين تربطهما أواصر نسب قويه،فكل منهما قريب للآخر من ناحيه النسب،حيث أن أم يحيى كانت أخت أم مريم،و كانت كلاهما عقيمتين و تعيشان أمل الولد الصالح.

تقول الآيه الأولى: وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَكاناً شَرْقِيًّا فقد كانت تبحث عن مكان خال من كل نوع من التشويش و الضوضاء حتى لا يشغلها شىء عن مناجاتها و يصرفها-و لو حينا-عن ذكر المحبوب، و لذلك اختارت شرقى بيت المقدس،ذلك المعبد الكبير،لعله يكون مكانا أكثر هدوءا،أو أنّه كان أنظف و أنسب من جهه أشعه الشمس و نورها.

كلمه«انتبذت»أخذت من ماده(نبذ)على قول الراغب،و هى تعنى إلقاء و إبعاد الأشياء التى لا تسترعى الانتباه،و ربّما كان هذا التعبير فى الآيه إشاره إلى أنّ مريم قد اعتزلت بصوره متواضعه و مجهوله و خاليه من كل ما يجلب الانتباه، و اختارت ذلك المكان من بيت اللّه للعباده.

فى هذه الأثناء من أجل أن تكمل مريم مكان خلوتها و اعتكافها من كل جهه،فإنّها فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً و لم تصرح الآيه بالهدف من اتّخاذ هذا الحجاب،فهل أنّه كان من أجل أن تناجى ربّها بحريه أكبر،و تستطيع عند خلو هذا المكان من كل ما يشغل القلب و الحواس أن تتوجه إلى العباده و الدعاء؟أو أنّها كانت تريد اتخاذه من أجل الغسل و الاغتسال؟الآيه ساكته من هذه الجهه.

على كل حال، فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا و الروح أحد

الملائکه العظام حیث تجسّد لمریم علی شکل انسان جمیل لا عیب فیه و لا نقص.

إنّ الحاله التی اعترت مریم فی تلک اللحظه واضحه جدّا،فمریم التی عاشت دائما نقیه الجیب،و تربّت فی أحضان الطاهرین،و کان یضرب بها المثل بین الناس فی العفه و التقوی...کم داخلها من الرعب و الاضطراب عند مشاهده هذا المنظر،و هو دخول رجل أجنبی جمیل فی محل خلوتها!و لذلک فإنّها مباشره قٰالَتْ إِنِّی أَعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْکَ إِنْ کُنْتَ تَقِیًّا و کانت هذه أوّل هزّه عمّت کل وجود مریم.

إنّ ذکر اسم الرحمان،و وصفه برحمته العامّه من جهه،و ترغیب الرجل فی التقوی و الامتناع عن المعصیه من جهه أخری،کان من أجل أن یرتدع هذا الشخص المجهول إن کانت له نیّه سیئه فی ارتکاب المعصیه،و الأهم من ذلک کله هو الالتجاء إلی اللّه،فاللّه الذی یلتجئ إلیه الإنسان فی أحلک الظروف،و لا تقف أیه قدره أمام قدرته،هو الذی سیحل المعضلات.

لقد کانت مریم تنتظر رد فعل ذلک الشخص المجهول بعد أن تفوهت بهذه الکلمات انتظارا مشوبا بالاضطراب و القلق الشدید،إلاّ أنّ هذه الحاله لم تطل، فقد کلمها ذلک الشخص،و وضّح مهمته و رسالته العظیمه قٰالَ إِنَّمٰا أَنَا رَسُولُ رَبِّکِ .

لقد کانت هذه الجمله کالماء الذی یلقی علی النار،فقد طمأنت قلب مریم الطاهر،إلاّ أنّ هذا الاطمئنان لم یدم طویلا؛لأنّه أضاف مباشره لِأَهَبَ لَکِ غُلاٰماً زَکِیًّا .

لقد اهتز کیان و وجود مریم لدی سماع هذا الکلام،و غاصت مرّه أخری فی قلق شدید قٰالَتْ أَنّٰی یَکُونُ لِی غُلاٰمٌ وَ لَمْ یَمْسَسْنِی بَشَرٌ وَ لَمْ أَکُ بَغِیًّا .

لقد کانت تفکر فی تلک الحاله فی الأسباب الطبیعیه فقط،و کانت تظن أن المرأه یمکن أن یکون لها ولد عن طریقین لا ثالث لهما:إمّا الزواج أو التلوّث بالرذیله و الانحراف،و إنّی أعرف نفسی أکثر من أی شخص آخر،فإنّی لم أختر

زوجا لحد الآن،و لم أكن امرأه منحرفه قط،و لم يسمع لحد الآن أنّ شخصا يولد له ولد من غير هذين الطريقين! إلاّ أنّ أمواج هذا القلق المتلاطمه هدأت بسرعه عند سماع كلام آخر من رسول اللّه إليها،فقد خاطب مريم بصراحه: قَالَ كَذٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ فأنت الواقفه على قدرتي و العالمه بها جيدا..أنت التي رأيت ثمر الجنّه في فصل لا يوجد شبيه لتلك الفاكهه في الدنيا جنب محراب عبادتك.أنت التي سمعت نداء الملائكه حين شهدت بعفتك و طهارتك..أنت التي تعلمين أنّ جدك آدم قد خلق من التراب،فلما ذا هذا التعجب من سماعك هذا الخبر؟ ثمّ أضاف: وَ لِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنّاسِ وَ رَحْمَةً مِنّا فنحن نريد أن نبعثه للناس رحمه من عندنا،و نجعله معجزه،و على كل حال وَ كانَ أَمْراً مَقْضِيًّا .فلا مجال بعد ذلك للمناقشه.

## بحثان

### اشاره

### ۱-ما هو المراد من روح اللّه؟

إنّ كل المفسّرين المعروفين تقريبا فسّروا الروح هنا بأنّه جبرئيل ملك اللّه العظيم،و التعبير عنه الروح لأنّه روحاني،و وجود مفيض للحياه،لأنّه حامل الرساله الإلهيه إلى الأنبياء و فيها حياه جميع البشر اللائقين،و إضافه الروح هنا إلى اللّه دليل على عظمه و شرف هذا الروح،حيث أنّ من أقسام الإضافه هي (الإضافه التشريفيه).

و يستفاد من هذه الآيه بصوره ضمنيه أنّ نزول جبرئيل لم يكن مختصا بالأنبياء،و إن كان نزوله بالوحي و الشريعه و الكتب السماويه منحصرا فيه،إلاّ أنّه لا مانع من أن يواجه غير الأنبياء من أجل تبليغ رسائل و أوامر أخرى،كرسالته المذكوره إلى مريم.

ص: ۴۲۵

### ۲-ما هو التمثل؟

«التمثل»فی الأصل من«المثول»،أی الوقوف مقابل شخص أو شیء، و یقولون للشیء الذی یظهر بصوره أخری:ممثلا،و علی هذا فإنّ قوله: فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِیًّا تعنی أن ذلک الملک قد ظهر بصوره إنسان.

و لا شک أنّ هذا الکلام لا یعنی أن جبرئیل قد تبدل إلی إنسان شکلا و سیره، لأنّ مثل هذا التحول و التبدل أمر غیر ممکن،بل المراد أنّه ظهر بصوره إنسان بالرغم من أنّ سلوکه کان نفس ذلک السلوک الملائکی،إلّا أنّ مریم التی لم تکن تعلم بالأمر فی البدایه،کانت تظن أن فی مقابلها إنسانا سیره و صوره.

و تلاحظ کثیرا فی الرّوایات و التواریخ کلمه«تمثل»بمعناها الواسع، و من جملتها:إنّ إبلیس لما اجتمع المشرکون فی«دار الندوه»و کانوا یخططون لقتل النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،ظهر بصوره شیخ کبیر حصیف الرأی،یهدف إلی الخیر و شرع بإغواء رؤساء قریش.

أو أنّ الدنیا و باطنها تمثلت للإمام علی علیه السّلام علی شکل امرأه فی غایه الجمال و الجذابیه و لم تستطع أن تنفذ إلیه،و قصتها مفصّله معروفه.

و نقرأ أیضا فی الرّوایات أنّ مال الإنسان و ولده و عمله تتجسم أمامه عند الموت بصوره مختلفه و خاصّه.

أو أنّ أعمال الإنسان تتجسم فی القبر و یوم القیامه،و یظهر کل منها بشکل خاص.

إن التمثّل فی جمیع هذه الوارد یعنی أن شیئا أو شخصا یظهر بشکل آخر من ناحیه الصوره و الشکل فقط،لا أن تتبدّل ماهیته و باطنه (۱) .

ص :۴۲۶

---

۱- ۱) -تفسیر المیزان،ج ۱۴،ص ۳۷.

## الآیات [سوره مریم (۱۹): الآیات ۲۲ الی ۲۶]

### اشاره

فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَکاناً قَصِیًّا (۲۲) فَأَجاءَهَا اَلْمَخاضُ إِلیٰ جِذْعِ اَلنَّخْلَهِ قالَتْ یا لَیْتَنِی مِتُّ قَبْلَ هٰذا وَ کُنْتُ نَسْیاً مَنْسِیًّا (۲۳) فَنادٰاها مِنْ تَحْتِهٰا أَلاّٰ تَحْزَنِی قَدْ جَعَلَ رَبُّکِ تَحْتَکِ سَرِیًّا (۲۴) وَ هُزِّی إِلَیْکِ بِجِذْعِ اَلنَّخْلَهِ تُسٰاقِطْ عَلَیْکِ رُطَباً جَنِیًّا (۲۵) فَکُلِی وَ اِشْرَبِی وَ قَرِّی عَیْناً فَإِمّٰا تَرَیِنَّ مِنَ اَلْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِی إِنِّی نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْماً فَلَنْ أُکَلِّمَ اَلْیَوْمَ إِنْسِیًّا (۲۶)

### التّفسیر

### اشاره

### مریم فی عاصفه:

و أخیرا حملت مریم،و استقر ذلک الولد الموعود فی رحمها: فَحَمَلَتْهُ و لم یتحدث القرآن عن کیفیه نشوء و تکوّن هذا المولود،فهل أنّ جبرئیل قد نفخ فی ثوبها،أم فی فمها؟و ذلک لعدم الحاجه إلی هذا البحث،بالرغم من أنّ کلمات المفسّرین مختلفه فی هذا الشأن.

و علی کل حال،فإنّ هذا الأمر قد تسبب فی أن تبتعد عن بیت المقدس فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَکاناً قَصِیًّا .

لقـد كانت تعيش فى حاله بين الخوف و الأمل،حاله من القلق و الاضـطراب المشوب بالسـرور،فهى تفكر أحيانا بأن هـذا الحمل سيفشو أمره فى النهايه، فالأفضل أن أبقى بعيـده عن أولئك الـذين يعرفوننى عدّه أيّام أو أشـهر،و أعيش فى هذا المكان بصوره مجهوله،و مـاذا سيحدث فى النهـايه؟ فمن الـذى سيقتنع بـأنّ امرأه لاـ زوج لهـا تحمل دون أن تكون قـد تلوثت بالرذيله؟فما ذا سأفعل تجاه هـذا الاتهام؟و الحق أنّ من المؤلم جدّا بالنسـبه لفتاه كانت لسـنين طويله نموذجا و قدوه للطهاره و العفه و التقوى و الورع،و مثالاـ فى العباده و العبوديه للّه، و كان زهاد بنى إسـرائيل يفتخرون بكفالتها منـذ الطفوله،و قـد تربت و ترعرعت فى ظل نبى كبير،و قـد شـاع أمر سـجاياها و قداسـتها فى كـل مكـان،أن تحس فى يوم ما أن كل هـذا الرصـيد المعنوى مهـدد بالخطر،و ستكون غرضا و مرمى لاتهام يعتبر أسوء و أقبح اتهام،و كانت هذه هى المصيبه الثّالثه التى وقعت لها.

إلاـ أنّهـا من جهه أخرى كـانت تحس أنّ هـذا المولود،نبى اللّه الموعود،تحفه سـماويه نفيسه،فـإنّ اللّه الـذى بشـرنى بمثـل هـذا الغلام،و خلقه بهـذه الصوره الإعجازيه كيف سـيذرنى وحيـده؟فهل من المعقول أن لا يـدافع عنى فى مقابل مثل هذا الاتهام؟أنا التى رأيت و جربت لطفه على الدوام،و أحسست بيد رحمته على رأسى.

و هنـاك بحث بين المفسّـرين فى مـدّه حمـل مريم،بـالرغم من أنّه ذكر فى القرآن بصوره مخفيه و مبهمه،فبعضـهم حسـبه ساعه واحده،و آخر تسع ساعات، و ثالث سـته أشـهر،و رابع سـبعه،و آخر ثمانيه،و آخر تسـعه أشهر كسائر النساء،إلاّ أن هذا الموضوع ليس له ذلك التأثير فى هدف هذه القصّه.و الرّوايات الوارده فى هذا المجال مختلفه أيضا.

و قد اعتقد الكثيرون أنّ المكان«القصى»هو مدينه«الناصره»و ربّما بقيت

فی تلک المدینه بصوره دائما و قلّما خرجت منها.

و مهما کان فقد انتهت مدّه الحمل،و بدأت لحظات تلاطم أمواج حیاه مریم، و قد دفعها ألم الولاده الشدید الذی هاج فیها إلی ترک الأماکن المعموره و التوجه إلی الصحاری الخالیه من البشر،و القاحله التی لا عشب فیها و لا ماء و لا مأوی.

و مع أن النساء یلجأن عاده فی مثل هذه الحاله إلی المعارف و الأصدقاء لیساعدوهنّ علی الولاده،إلاّ أن وضع مریم لما کان استثنائیا،و لم تکن ترید أن یری أحد وضع حملها مطلقا،فإنّها اتّخذت طریق الصحراء بمجرّد أن بدأ ألم الولاده و یقول القرآن فی ذلک: فَأَجٰاءَهَا الْمَخٰاضُ إِلیٰ جِذْعِ النَّخْلَهِ .

إنّ التعبیر بجذع النخله،و بملاحظه أن الجذع یعنی بدن الشجره،یوحی بأنّه لم یبق من تلک الشجره إلاّ جذعها و بدنها،أی إنّ الشجره کانت یابسه (۱) .

فی هذا الحال غمر کل وجود مریم الطاهر سیل من الغم و الحزن،و أحسست بأنّ اللحظه التی کانت تخشاها قد حانت،اللحظه التی مهما أخفیت فإنّها ستتضح هناک،و سیتجه نحوها سیل سهام الاتهام التی سیرشقها بها الناس.

لقد کان هذا الاضطراب و الصراع صعبا جدّا،و قد أثقل کاهلها إلی الحد الذی تکلمت فیه بلا إراده و قٰالَتْ یٰا لَیْتَنِی مِتُّ قَبْلَ هٰذٰا وَ کُنْتُ نَسْیاً مَنْسِیًّا .

إنّ من البدیهی أنّ الخوف من التهم فی المستقبل لم یکن الشیء الوحید الذی کان یعصر قلب مریم و یقلقها،و إن کان هذا الموضوع یشغل فکر مریم أکثر من أیه مسأله أخری،إلاّ أنّ مشاکل و مصائب أخری کوضع الحمل لوحدها بدون قابله و صدیق و معین فی الصحاری الخالیه،و عدم وجود مکان للاستراحه،و عدم وجود الماء للشرب،و الطعام للأکل،و عدم وجود وسیله لحفظ المولود الجدید،و غیر هذه الأمور کانت تهزّها من الأعماق بشدّه.

قد یتساءل البعض باعتراض:کیف أنّ مریم المؤمنه و العارفه بالتوحید



---

۱- ۱) -«جذع»علی وزن«ذبح»فی الأصل من ماده«جذع»علی وزن«منع»بمعنی القطع.

حيث رأت كـل ذلك اللطف و الإحسان الإلهى،أجرت مثل هـذه الجمله على لسانها و قالت: يٰا لَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هٰذٰا وَ كُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا ،إلاّ أنّ هؤلاء لم يـدركوا أبـدا حال مريم فى تلك الساعه،و لو أنّهم أصابهم شـىء قليل من هذه المشاكل فإنّهم سـينسون حتى أنفسهم.

إلاّ أنّ هذه الحاله لم تدم طويلا،فقد سـطعت ومضه الأمل التى كانت موجوده دائما فى أعماق قلبها،و طرق سمعها صوت فَنٰادٰاهٰا مِنْ تَحْتِهٰا أَلاّٰ تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا و انظرى إلى الأعلى كيف أن هـذا الجـذع اليابس قد تحول إلى نخله مثمره وَ هُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَهِ تُسٰاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا فَكُلِى وَ اشْرَبِى وَ قَرِّى عَيْناً بالمولود الجديـد فَإِمّٰا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِى إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا .و هذا الصوم هو المعروف بصوم السكوت.

و خلاصه الأمر،إنّك لا تحتاجين إلى الـدفاع عن نفسك،فإنّ الـذى وهبك هذا الوليد قد تعهد بمهمّه الدفاع عنك أيضا،و على هذا فليهدأ روعك من كل الجهات، و لا تدعى للهم طريقا إلى نفسك.

إن هذه الحوادث المتلاحقه التى سـطعت كالشـرر المضىء الوهاج فى الظلام الدامس،قد أضاءت كل أرجاء قلبها،و ألقت عليها الهدوء و الاطمئنان.

## بحوث

### اشاره

### ١-ازدياد قوه مريم عند تراكم المشاكل

إنّ الحوادث التى مرّت على مريم فى هـذه المـدّه القصـيره،و المشاهـد و المواقف التى تثير الإعجـاب،و التى حـدثت لهـا بلطف اللّه،كانت تهيؤها و تعدها من أجل تربيه نبى من أولى العزم،و لتستطيع أن تؤدى وظيفه الأمومه من خلال

هذا الأمر الخطير على أحسن وجه.

إنّ سير الأحداث صاحبها حتى آخر مرحله،بحيث لم يبق بينها و بين الموت إلاّ خطوه واحده،لكن فجأه يرجع كل شيء إلى وضعه،و يهّب كل شيء لمساعدتها،و تخطو فی محيط هادئ مطمئن من كل الجهات.

جمله وَ هُزِّی إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ التی تأمر مريم بتحريك النخله لتستفيد من ثمرها،أعطت درسا لها و لكل البشر،بأن لا يكفوا عن الجد و السعی حتی فی أشد لحظات الحياه و أصعبها.

إنّه جواب لأولئك الذين يسألون عن الحاجه بأنّ مريم التی وضعت حملها لتوها تقوم و تهزّ النخله،ألم يكن من الأولی أن يرسل اللّه-الذی-بعث عين الماء العذب قرب مريم تلك الشجره اليابسه-نسمه و ريحا تهزّ النخله و تسقط الثمر قرب مريم؟فما الذی حدث،حيث أن مريم عند ما كانت سالمه صحيحه كانت تحضر الفاكهه جنب محرابها،أمّا الآن و قد ابتليت بكل هذه المشاكل فإنّ عليها أن تقطف الثمر بنفسها؟ أجل،إن هذا الأمر الإلهی لمريم يوضح أنّه لا بركه بدون حركه،و بتعبير آخر،فإن علی كل إنسان أن يبذل قصاری جهده عند ظهور المشاكل،و ما وراء ذلك فعلی اللّه.

### ٢-لماذا طلبت مريم الموت من اللّه؟

لا شك أن طلب الموت من اللّه عمل غير صحيح،إلاّ أنّه قد تقع حوادث فی حياه الإنسان يصبح فيها طعم الحياه مرّا،و خاصّه إذا رأی الإنسان أهدافه المقدسه أو شرفه و شخصيته مهدده بالخطر،و لا يملك قدره الدفاع عن نفسه أمامها،و فی مثل هذه الظروف يتمنی الإنسان الموت للخلاص من العذاب الروحی.

لقد خطرت فی ذهن مریم فی اللحظات الأولی هذه الأفکار،و تصورت بأن کل وجودها و کیانها و ماء وجهها مهدد بالخطر أمام هؤلاء الناس الجهلاء نتیجه ولاده هذا المولود،و فی هذه اللحظات تمنت الموت،و هذا بحد ذاته دلیل علی أنّها کانت تحب عفتها و طهارتها و تهتم بهما أکثر من روحها،و تعتبر حفظ ماء وجهها أغلی من حیاتها.

إلاّ أنّ مثل هذه الأفکار ربّما لم تدم إلاّ لحظات قصیره جدّا،و لما رأت ذینک المعجزتین الإلهیتین-انبعاث عین الماء،و حمل النخله الیابسه- زالت کل تلک الأفکار عن روحها،و غمر قلبها نور الاطمئنان الهدوء.

### ۳-سؤال و جواب

یسأل البعض:إنّ المعجزه إذا کانت مختصه بالأنبیاء و الأئمّه علیهم السّلام،فکیف ظهرت مثل هذه المعجزات لمریم؟ و قد اعتبر بعض المفسّرین-حلا لهذا الإشکال-هذه المعاجز جزءا من معاجز عیسی تحققت کمقدمه،و یعبرون عن ذلک بالإرهاص.

إلاّ أنّه لا حاجه لجواب کهذا أبدا،لأنّه لا مانع مطلقا من ظهور الأمور الخارقه للعاده لغیر الأنبیاء و الأئمّه،و هذا هو الذی نسمیه بالکرامه.

إنّ المعجزه هی عمل یقترن بالتحدی،و تکون مقترنه بادعاء النّبوه و الإمامه.

### ۴-صوم الصمت

یدل ظاهر الآیات أعلاه علی أنّ مریم کانت مأموره بالسکوت لمصلحه، و أن تمتنع عن الکلام بأمر اللّه فی هذه المدّه المعینه،حیت تتحرک شفتا ولیدها عیسی بالکلام و یدافع عن عفتها،و هذا أکثر تأثیرا من کل الجهات.

و یظهر من تعبیر الآیه أن نذر السکوت کان أمرا معروفا فی ذلک المجتمع،

و لهذا لم يعترضوا عليها على هذا العمل.غير أنّ هذا النوع من الصوم غير جائز فى شريعتنا.

ورد عن على بن الحسين عليه السّلام فى حديث: «صوم السكوت حرام»

(۱)

،و ذلك لاختلاف الظروف فى ذلك الزمان عن ظروف زمن ظهور الإسلام.

إلاّ أن أحد آداب الصوم الكامل فى الإسلام أن يحفظ الإنسان لسانه من التلوّث بالمعاصى و المكروهات خلال صيامه،و كذلك يصون عينه من الزلل و الذنب،كما نقرأ ذلك

فى حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام: إنّ الصوم ليس من الطعام و الشراب وحده،إن مريم قالت:إنّى نذرت للرحمن صوما،أى صمتا، فاحفظوا ألسنتكم،و غضوا أبصاركم،و لا تحاسدوا و لا تنازعوا» (۲) .

### ۵-غذاء مولد للطاقه

استفاد المفسّرون ممّا جاء صريحا فى هذه الآيات،أنّ اللّه سبحانه قد جعل غذاء مريم حين ولاده مولودها الرطب،فهو من أفضل الأغذيه للنساء بعد وضع الحمل،و فى الأحاديث الإسلاميه إشاره صريحه إلى ذلك أيضا:

فيروى أمير المؤمنين على عليه السّلام عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «ليكن أول ما تأكل النفساء الرطب،فإن اللّه عزّ و جلّ قال لمريم عليها السّلام: وَ هُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَهِ تُسٰاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا (۳) .

و يستفاد من آخر الحديث أن تناول هذا الغذاء لا يؤثر و يفيد الأم فقط،بل إنّه سيؤثر حتى فى لبنها،و حتى أن بعض الرّوايات تؤكّد على أن أفضل غذاء و دواء للحامل هو الرطب:

«ما تأكل الحامل من شىء و لا تتداوى به أفضل من



---

۱- ۱) -وسائل الشيعه،الجزء ۷،ص ۳۹۰.

۲- ۲) -من لا يحضره الفقيه،حسب نقل تفسير نور الثقلين،الجزء ۳،ص ۳۳۲.

۳- ۳) -نور الثقلين،ج ۳،ص ۳۳۰.

الرطب». (۱)

إلاّـ أن من المسلّم أن الاعتدال و التوسط فی کل شیء یجب أن یراعی حتی فی هذه المسأله،کما یستفاد ذلک من بعض الرّوایات الوارده فی هذا المجال.

و یستفاد أیضا أنّ الرطب إن لم یکن موجودا،فلا بأس بأکل التمر المتعارف.

یقول علماء التغذیه:إنّ السکر الکثیر الموجود فی التمر من أصح السکریات و أسلمها،و حتی المبتلین بمرض السکر فإنّهم یستطیعون تناول التمر.

و یقول هؤلاء العلماء:إنّ فی التمر(۱۳)ماده حیویه،و اکتشفوا خمسه أنواع من الفیتامینات،جمعها التمر و أظهرها علی هیئه مصدر غذائی غنی (۲) ،و نحن نعلم أن النساء فی مثل هذه الأوضاع بحاجه شدیده إلی غذاء یولد الطاقه و ملیء بالفیتامینات.

لقد ثبتت أهمیه التمر بتقدم علم الطب،ففی التمر یوجد«الکالسیوم»،و هو عامل مهم فی تقویه العظام،و کذلک یوجد«الفسفور»و هو من العناصر الأساسیه فی تکوین المخ،و یمنع من ضعف الأعصاب و التعب،و کذلک یوجد «البوتاسیوم»الذی یسبب فقدانه فی قرحه المعده (۳) .

ص:۴۳۴

---

۱- ۱) -المصدر السّابق.

۲- ۲) -من کتاب أول جامعه و آخر نبی،الجزء ۷،ص ۶۵.

۳- ۳) -المصدر السابق.

## الآیات [سوره مریم (۱۹): الآیات ۲۷ الی ۳۳]

### اشاره

فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهٰا تَحْمِلُهُ قٰالُوا یٰا مَرْیَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَیْئاً فَرِیًّا (۲۷) یٰا أُخْتَ هٰارُونَ مٰا کٰانَ أَبُوکِ اِمْرَأَ سَوْءٍ وَ مٰا کٰانَتْ أُمُّکِ بَغِیًّا (۲۸) فَأَشٰارَتْ إِلَیْهِ قٰالُوا کَیْفَ نُکَلِّمُ مَنْ کٰانَ فِی اَلْمَهْدِ صَبِیًّا (۲۹) قٰالَ إِنِّی عَبْدُ اَللّٰهِ آتٰانِیَ اَلْکِتٰابَ وَ جَعَلَنِی نَبِیًّا (۳۰) وَ جَعَلَنِی مُبٰارَکاً أَیْنَ مٰا کُنْتُ وَ أَوْصٰانِی بِالصَّلاٰهِ وَ اَلزَّکٰاهِ مٰا دُمْتُ حَیًّا (۳۱) وَ بَرًّا بِوٰالِدَتِی وَ لَمْ یَجْعَلْنِی جَبّٰاراً شَقِیًّا (۳۲) وَ اَلسَّلاٰمُ عَلَیَّ یَوْمَ وُلِدْتُ وَ یَوْمَ أَمُوتُ وَ یَوْمَ أُبْعَثُ حَیًّا (۳۳)

### التّفسیر

### اشاره

### المسیح یتکلم فی المهد:

و أخیرا رجعت مریم علیها السّلام من الصحراء إلی المدینه و قد احتضنت طفلها فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهٰا تَحْمِلُهُ فلمّا رأوا طفلا حدیث الولاده بین یدیها فغروا أفواههم تعجبا،فقد کانوا یعرفون ماضی مریم الطاهر،و کانوا قد سمعوا بتقواها و کرامتها، فقلقوا لذلک بشدّه،حیث وقع شک بعضهم و تعجّل آخرون فی القضاء و الحکم

ص:۴۳۵

و أطلق العنان للسانه فی توبیخها و ملامتها،و قالوا:إن من المؤسف هـذا الانحـدار مع ذلک الماضـی المضـیء،و مع الأسف علی تلوّث سمعه تلک الأسره الطاهره قٰالُوا یٰا مَرْیَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَیْئاً فَرِیًّا (۱) .

و البعض الآخر واجهها،بالقول: یٰا أُخْتَ هٰارُونَ مٰا کٰانَ أَبُوکِ امْرَأَ سَوْءٍ وَ مٰا کٰانَتْ أُمُّکِ بَغِیًّا فمع وجود مثل هـذا الأب و الأم الطاهرین،مـا هـذا الوضع الـذی نراک علیه؟فأی سوء رأیت فی سلوک الأب و خلق الأم حتی تحیـدی عن هـذا الطریق؟ قولهم لمریم: یٰا أُخْتَ هٰارُونَ وقع مثار الاختلاف بین المفسّرین،لکن یبدو أنّ الأصح هو أنّ هارون رجل طاهر صالح إلی الدرجه التی یضرب به المثل بین بنی إسرائیل،فإذا أرادوا أن یصفوا شخصا بالطهاره و النزاهه،کانوا یقولون:

إنّه أخو أو أخت هارون،و قد نقل العلاّمه الطبرسی فی مجمع البیان هذا المعنی فی حدیث قصیر عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم (۲) .

و فی حدیث آخر ورد کتاب سعد السعود،عن المغیره،أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بعثه إلی نجران لدعوتهم الی الإسلام فقـالوا(معترضـین علی القرآن):ألسـتم تقرؤون یٰا أُخْتَ هٰارُونَ و بینهمـا کـذا و کـذا»(حیث تصـوروا أنّ المراد هو هـارون أخو موسی)فلمّا لم یستطع المغیره جوابهم ذکر ذلک للنّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

فقال: «ألا قلت لهم:

إنّهم کانوا یسمّون بأنبیائهم و الصالحین منهم» (۳) أی ینسبون الأشخاص الصالحین منهم الی الأنبیاء.

فی هـذه الساعه،سـکتت مریم بأمر اللّه،و العمل الوحید الذی قامت به،هو أنّها أشارت إلی ولیدها فَأَشٰارَتْ إِلَیْهِ .إلاّ أنّ هذا العمل جعل هؤلاء یتعجبون



---

۱- ۱) -«فریـا»بنـاء علی قول الراغب فی المفردات-جـاءت بمعنی العظیم أو العجیب،و فی الأصـل من مـاده فری،أی قص و قطع الجلد إمّا لإصلاحه أو إفساده.

۲- ۲) -نور الثقلین،الجزء ۳،ص ۳۳۳.

۳- ۳) -المصدر السّابق.

أكثر،و ربما حمل بعضها على السخريه،ثمّ غضبوا فقالوا:مع قيامك بهذا العمل تسخرين من قومك أيضا؟ قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا .

لقد بحث المفسّرون هنا و تناقشوا كثيرا فى شأن كلمه«كان»الداله على الماضى،إلاّ أنّ الظاهر هو أن هذه الكلمه تشير هنا إلى ثبوت و لزوم وصف موجود،و بتعبير أوضح:إنّ هؤلاء قالوا لمريم:كيف نكلم طفلا كان و لا يزال فى المهد؟ و الشاهد على هذا المعنى آيات أخرى من القرآن،مثل كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّهٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ سوره آل عمران ١١٠/،فمن المسلم أن«كنتم»لا تعنى الماضى هنا،بل هى بيان لثبوت و استمرار هذه الصفات للمجتمع الإسلامى.

و كذلك بحثوا حول«المهد»،فإنّ عيسى لم يكن قد وضع فى المهد،بل إنّ ظاهر الآيات هو أن مريم بمجرّد أن حضرت بين الناس،و فى الوقت الذى كان عيسى على يديها،جرى هذا الحوار بينها و بينهم.

إلاّ أنّ الالتفات إلى معنى كلمه«المهد»فى لغه العرب سيوضح جواب هذا السؤال،فإنّ كلمه المهد تعنى-كما يقول الراغب فى مفرداته-المكان الذى يهيئونه للطفل،سواء كان المهد،أو حجر الأم،أو الفراش،و المهد و المهاد ورد كلاهما فى اللغه بمعنى:المكان الممهد الموطأ،أى:للاستراحه و النوم.

على كل حال،فإنّ الناس قلقوا و اضطربوا من سماع كلام مريم هذا،بل و ربما غضبوا و قالوا لبعضهم البعض-حسب بعض الرّوايات-:إنّ استهزاءها و سخريتها أشدّ علينا من انحرافها عن جاده العفه! إلاّ أنّ هذه الحاله لم تدم طويلا،لأن ذلك الطفل الذى ولد حديثا قد فتح فاه و تكلم: قالَ إِنِّي عَبْدُ اللّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا وَ جَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ ، و مفيدا من كل الجهات للعباد وَ أَوْصانِي بِالصَّلاهِ وَ الزَّكاهِ ما دُمْتُ حَيًّا .

و كذلك جعلنى مطيعا و وفيا لأمى وَ بَرًّا بِوالِدَتِي (١) وَ لَمْ يَجْعَلْنِي جَبّاراً شَقِيًّا .

كلمه«جبار»تطلق على الشخص الذى يعتقد بأنّ له كل الحق على الناس و لا يعتقد بأنّ لأحد عليه حقا.

و كذلك يطلقونها على الذى يضرب الناس و يقتلهم إذا غضب،و لا يتبع ما يأمر به العقل،أو أنّه يريد أن يسد نقصه و يغطيه بادعاء العظمه و التكبر،و هذه كلها صفات بارزه للطواغيت المستكبرين فى كل زمان (٢) .

و«الشقى»تقال للشخص الذى يهيء أسباب البلاء و العقاب لنفسه،و بعضهم فسر ذلك بالذى لا يقبل النصيحه،و من المعلوم أن هذين المعنيين لا ينفصلان عن بضعهما.

و نقرأ

فى روايه، أن عيسى عليه السّلام يقول«قلبى رقيق و أنا صغير فى نفسى» (٣) و هو إشاره إلى أن هذين الوصفين يقعان فى مقابل الجبار و الشقى.

و فى النهايه يقول هذا المولود-أى المسيح- وَ السَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا و كما قلنا فى شرح الآيات المتعلقه بيحيى عليه السّلام، فإنّ هذه الأيّام الثلاثه فى حياه الإنسان أيّام مصيريه خطره،لا تتيسر السلامه فيها إلاّ بلطف اللّه،و لذلك جاءت هذه الآيه فى حق يحيى عليه السّلام كما وردت فى شأن المسيح عليه السّلام،مع الاختلاف بأنّ اللّه هو الذى قالها فى المورد الأوّل،أمّا فى المورد الثّانى فإنّ المسيح قد طلب ذلك.

ص:۴۳۸

---

١- ١) -البر-بالفتح-بمعنى الشخص المحسن،فى حين أن البر-بالكسر-بمعنى صفه الإنسان،و ينبغى الالتفات إلى أن هذه الكلمه فى الآيه عطف على(مباركا)لا على الصلاه و الزكاه،و المعنى فى الواقع:جعلنى برا بوالدتى.

٢- ٢) -لزياده التوضيح حول(جبار)،و جواب هذا السؤال،و هو أنّه كيف تكون إحدى صفات اللّه سبحانه أنّه جبار؟ يراجع ذيل الآيه(۵۹)من سوره هود من هذا التّفسير.

٣- ٣) -تفسير الفخر الرازى،آخر الآيه.

## بحوث

### اشاره

### ۱-أوضح تصوير عن ولاده عيسى عليه السّلام

يمكن إدراك فصاحه و بلاغه القرآن الكريم،و خاصّه في مثل هذه الموارد، و ذلك عند ملاحظه طريقه طرحه لمسأله مهمّه اختلطت بكل تلك الخرافات،في عبارات قصيره و عميقه،و حيه،و غنيه المحتوى،و ناطقه تماما،بحيث تطرح جانبا كل أنواع الخرافات.

الملفت للنظر أنّ الآيات المذكوره ذكرت«سبع صفات»ممتازه و«برنامجان»و«دعاء واحد».

فالصفات السبعه عباره عن كونه«عبدا للّه»و ذكرها في بدايه كل الصفات إشاره إلى أن أعلى و أكبر مقام يصله الإنسان هو مقام العبوديه.

و بعد ذلك،كونه«صاحب كتاب سماوي»ثمّ«مقام النبوه»(مع العلم أن مقام النبوه لا يقترن دائما بالمجيء بكتاب سماوي).

و بعد مقام العبوديه و الإرشاد،ذكر كونه«مباركا»أي مفيدا لوضع المجتمع، و في حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام نقرأ أن معنى المبارك:«النفّاع»،أي كثير المنفعه.

ثمّ ذكرت الآيات كونه«بارا بأمه»و في النهايه أنّه«لم يكن جبارا شقيا»بل كان متواضعا،عارفا بالحق،و سعيدا.

و من بين جميع البرنامج الالهي للإنسان تؤكّد الآيه على وصيه اللّه سبحانه بالصلاه و الزكاه،و ذلك للأهميه الفائقه لهذين الأمرين،لأنّهما رمز الارتباط بالخالق و الخلق،و يمكن تلخيص كل البرامج و الأهداف الدينيه و المذهبيه فيهما، لأن أحدهما يشخصّ ارتباط الإنسان بالخلق،و الآخر يشخصّ ارتباطه بالخالق.

و أمّا الدعاء الذي دعاه لنفسه،و يرجوه فيه من ربّه في بدايه عمره،فهو أن يجعل هذه الأيّام الثلاثه سلاما عليه:يوم الولاده،و يوم الموت،و اليوم الذي

يبعث فيه،و أن يمن عليه فى هذه المراحل الثلاثه بالشعور بالأمن و الطمأنينه!

### ۲-منزله الأم

بالرغم من أنّ المسيح عليه السّلام قد ولد بأمر اللّه النافذ من امرأه بدون زوج،إلاّ أنّ ما نقرأه فى الآيات-محل البحث-عن لسانه،و الذى يعدّ فيه«ضمن تعداده لميزاته و أوسمته»برّه بأمه،دليل واضح على أهميه مقام الأم،و هى توضح بصوره ضمنيه أنّ هذا الطفل الصغير-الذى نطق بالإعجاز-كان عالما و مطلعا على أنّه ولد نموذجى بين البشر،و أنّه ولد من أمه فقط دون أن يكون للأب دخل فى تكونه و ولادته.

و على كل حال،فبالرغم من أنّ ثقافه العصر الحاضر فيها الكثير من الحديث عن مقام و مكانه الأم،حتى أنّه خصص يوما و سمى ب(يوم الأم)،إلاّ أن التطور الآلى-و للأسف الشديد-يقطع بسرعه علاقه الآباء و الأمهات بالأولاد بحيث يلاحظ ضعف الروابط العاطفيه بين هؤلاء فى السنين المتقدمه من أعمارهم.

و لدينا فى الإسلام روايات تثير العجب و الحيره فى هذا الباب،توصى المسلمين بالأم و تشيد بمكانتها الفائقه الأهميه،و تأمرهم أن يسعوا عمليا- و ليس فى الكلام و حسب-فى برّ الوالدين،فنطالع

فى حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام: «إن رجلا أتى النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قال:يا رسول اللّه،من أبرّ؟قال:أمك،قال:

ثمّ من؟قال:أمك،قال:ثمّ من؟قال:أمك،قال:ثمّ من؟قال:أباك» (۱) ! و

فى حديث آخر: أن رجلا أتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للجهاد-حيث لم يكن الجهاد واجبا عينيا-فقال:«أ لك والده»؟قال:نعم،قال:«فألزمها فإنّ الجنّه تحت قدمها» (۲) .



---

۱- ۱) -وسائل الشيعه،الجزء ۱۵،ص ۲۰۷.

۲- ۲) -جامع السعادات،ج ۲،ص ۲۶۱.

لا ـ شک أنّنا إذا لاحظنا و دققنا فی المشقات و المتاعب التی تتقبلها و تتحملها الأم من حین الحمل إلی الوضع،و فی مرحله الرضاعه إلی أن یکبر الطفل، و کذلک العذاب و الأتعاب و السهر فی اللیالی،و التمریض و الرعایه،کل ذلک تقبلته بکل رحابه صدر و أنس فی سبیل ولدها..إذا لاحظنا ذلک فسنری أن الإنسان مهما سعی وجدّ فی هذا الطریق،فإنّه سیبقی مدینا للام.

و الجمیل فی الأمر نطالع فی حدیث،أن أم سلمه قالت:یا رسول اللّه،ذهب الرجال بکل خیر،فأی شیء للنساء؟

قال:النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «بلی،إذ حملت المرأه کانت بمنزله الصائم القائم المجاهد بنفسه و ماله فی سبیل اللّه،فإذا وضعت کان لها من الأجر ما لا ـ یدری أحد ما هو لعظمه،فإذا أرضعت کان لها بکل مصه کعدل عتق محرر من ولد إسماعیل،فإذا فرغت من رضاعه ضرب ملک کریم علی جنبها و قال:استأنفی العمل فقد غفر لک» (1) ! و کأن صحیفه عملک ستبدأ من جدید.

### ٣-إنجاب البکر

من جمله الأسئله التی تثیرها هذه الآیات،هو:هل یمکن من الناحیه العلمیه أن یولد ولد من دون أب؟و هل أن مسأله ولاده عیسی علیه السّلام دون أب تخالف تحقیقات العلماء فی هذا المجال،أو لا ـ؟ مما لا ـ شک فیه أنّ هذه المسأله قد تمت عن طریق الإعجاز،إلاّ أنّ العلم الیوم لا ینفی إمکان وقوع مثل هذا الأمر أیضا،بل صرح بإمکان ذلک،خاصّه و أن موضوع إنجاب البکر قد لوحظ بین کثیر من الحیوانات،و إذا علمنا أن مسأله انعقاد النطفه لا تختص بالإنسان،فإنّ هذا یثبت إمکان حدوث هذا الأمر بصوره عامّه.



---

۱- ۱) -الوسائل،الجزء ۱۵ ص ۱۷۵.

لقد کتب الدکتور«الکسیس کارل»،الفیزیائی و عالم الحیاه الفرنسی المعروف،فی کتاب«الإنسان ذلک المجهول»،عند ما نفکر فی مقدار مساهمه کل من الأب و الأم فی تکوین أمثالهما،فیجب أن نتذکر تجارب(لوب)و(باتایون) بأنّه یمکن إنتاج ضفدعه جدیده من بیضه ضفدعه غیر ملقحه بدون تدخل الحیامن،بل بواسطه أسالیب خاصّه.

و علی هذا فإنّ من الممکن أن یحل عامل کیمیاوی أو فیزیاوی محل حیمن الذکر،و لکن لا بدّ علی کل حال من وجود أحد العوامل کماده ضروریه دائما.

بناء علی هذا،فإنّ المؤکّد من الناحیه العلمیه لتکوّن الجنین هو وجود نطفه الأم(البیضه)،و إلاّ فإنّ نطفه الذکر(الحیمن)یمکن أن یقوم مقامها عامل آخر، و لهذا فإن مسأله حمل و ولاده البکر من المسائل الواقعیه التی یتقبلها و یعترف بها الأطباء فی عالمنا المعاصر،و إن کانت نادره الحدوث.

و إذا تجاوزنا ذلک،فإنّ هذه المسأله فی مقابل قوانین الخلقه و قدره اللّه،هی کما یصورها القرآن حیث یقول: إِنَّ مَثَلَ عِیسیٰ عِنْدَ اللّٰهِ کَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرٰابٍ ثُمَّ قٰالَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ (1) ،أی إنّ خرق العاده هذا لیس بأهم من خرق العاده الأوّل ذاک.

### ۴-کیف یتکلم الصبی؟

لا یخفی أنّ أی طفل حدیث الولاده لا یتکلم فی الساعات أو الأیّام الأولی لولادته حسب الوضع الطبیعی المتعارف،فإنّ النطق یحتاج إلی نمو المخ بالقدر الکافی،ثمّ تقویه عضلات اللسان و الحنجره،و انسجام أجهزه الجسم المختلفه



---

۱- ۱) -آل عمران،۵۹.

مع بعضها،و هذه الأمور عاده تستغرق عدّه أشهر حتى تتهيأ تدريجيا عند الطفل.

إلّا أنّنا فى المقابل لا نمتلك أى دليل علمى على استحاله هـذا الأمر،غايه ما فى الأمر أنّه خارق للعاده،و كل المعجزات تتصـف بهذه الصفه،أى أنّها كلها خارقه للعاده،لا أنّها مستحيله الوقوع،و قد ذكرنا تفصيل هذا الموضوع فى بحث معجزات الأنبياء.

ص :۴۴۳

## الآيتان [سوره مریم (۱۹): الآيات ۳۴ الى ۳۵]

### اشاره

ذٰلِکَ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ قَوْلَ اَلْحَقِّ اَلَّذِی فِیهِ یَمْتَرُونَ (۳۴) مٰا کٰانَ لِلّٰهِ أَنْ یَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحٰانَهُ إِذٰا قَضیٰ أَمْراً فَإِنَّمٰا یَقُولُ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ (۳۵)

### التّفسير

### اشاره

### أ يمكن أن يكون للّه ولد!؟

بعد تجسید القرآن الکریم فی الآیات السابقه حادثه ولاده المسیح علیه السّلام بصوره حیه و واضحه جدّا،انتقل إلی نفی الخرافات و کلمات الشرک التی قالوها فی شأن عیسی،فیقول: ذٰلِکَ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ خاصّه و أنّه یؤکّد علی کونه«ابن مریم»لیکون ذلک مقدمه لنفی بنوته للّه سبحانه.

ثمّ یضیف: قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِی فِیهِ یَمْتَرُونَ (۱) و هذه العباره فی الحقیقه تأکید علی صحه جمیع ما ذکرته الآیات السابقه فی حق عیسی علیه السّلام و لا یوجد أدنی ریب فی ذلک.



---

۱ – ۱) -لقد بحث المفسّرون فی ترکیب هذه الجمله کثیرا،إلاّ أن أصحها علی ما یبدو،من الناحیه الأدبیه،و بملاحظه الآیات السابقه،هو أنّ«قول الحق»مفعول لفعل محذوف،و اَلَّذِی فِیهِ یَمْتَرُونَ صفه له،و کان التقدیر هکذا:أقول قو الحق الذی فیه یمترون.

أمّا ما يـذكره القرآن من أنّ هؤلاء فى شك و تردد من هذه المسأله،فربّما كان إشاره إلى أنصار و أعداء المسيح عليه السّلام،و بتعبير آخر:إشاره إلى اليهود و النصارى، فمن جهه شككت جماعه ضاله بطهاره أمّه و عفتها،و من جهه أخرى شك قوم فى كونه إنسانا،حتى أنّ هـذه الفئه قـد انقسـمت إلى مـذاهب متعدده،فالبعض اعتقد بصراحه أن ابن اللّه-الابن الروحى و الجسمى الحقيقى لا المجازى!-و من ثمّ نشأت مسأله التثليث و الأقانيم الثلاثه.

و البعض اعتبر مسأله التثليث غير مفهومه و واضحه من الناحيه العقليه، و اعتقدوا بوجوب قبولها تعبدا،و البعض الآخر تخبط بكلام لا أساس له فى سبيل توجيه المسأله منطقيا.و الخلاصه:فإنّ هؤلاء جميعا لما لم يروا الحقيقه-أو أنّهم لم يطلبوها و لم يريدوها-سلكوا طريق الخرافات و الأساطير (1) ! و تقول الآيه التاليه بصراحه: مٰا كٰانَ لِلّٰهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحٰانَهُ إِذٰا قَضىٰ أَمْراً فَإِنَّمٰا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ و هذا إشاره إلى أن اتخاذ الولد-كما يظن المسيحيون فى شأن اللّه-لا يناسب قداسه مقام الألوهيه و الربوبيه،فهو يستلزم من جهه الجسميه،و من جانب آخر المحدوديه،و من جهه ثالثه الاحتياج، و خلاصه القول:تنزيل اللّه سبحانه من مقام قدسه إلى إطار قوانين عالم الماده، و جعله فى حدود موجود مادى ضعيف و محدود.

اللّه الذى له من القوّه و القدره ما إذا أراد فإن آلاف العوالم كعالمنا المترامى الأطراف ستتحقق بأمر و إشاره منه،ألا يعتبر شركا و انحرافا عن أصول التوحيد و معرفه اللّه بأن نجعله سبحانه كإنسان له ولد؟و ولد أيضا الولد فى مرتبه و درجه الأب،و من نفس طرازه!



---

۱- ۱) -من أجل زياده الإيضاح فى مسأله تثليث النصارى،و ما حاكوه و نسجوه من الخرافات حولها،راجع ذيل الآيه (۱۷۱)من سوره النساء.

إنّ تعبير كُنْ فَيَكُونُ الذى جاء فى ثمانيه موارد من القرآن،تجسيد حى جدّا عن مدى سعه قدره اللّه،و تسلطه و حاكميته فى أمر الخلقه،و لا يمكن تصور تعبير عن الأمر أقصر و أوجز من كُنْ و لا نتيجه أوسع و أجمع من فَيَكُونُ خاصّه مع ملاحظه«فاء التفريع»التى تعطى معنى الفوريه هنا،فإنّها لا تدل هنا على التأخير الزمانى بتعبير الفلاسفه،بل تدل على التأخير الرتبى،أى تبيّن ترتب المعلوم على العله.دققوا جيدا.

### نفى الولد يعنى نفى الاحتياج عن اللّه:

لماذا تحتاج الكائنات الحيه إلى الولد عاده؟لأنّ عمرها محدود،و لكى لا ينقرض نسلها،و من أجل أن تستمر حياتها النوعيه؟! و من الناحيه الاجتماعيه،فإنّ حاجه الأعمال الجماعيه إلى طاقه إنسانيه أكبر أدّت الى زياده علاقه الإنسان بالولد.إضافه إلى أنّ الحاجات العاطفيه و النفسيه،و إزاله و دفع وحشه الوحده،كلها تدعوه إلى هذا العمل.

لكن،هل تتصور مثل هذه الأمور فى حق اللّه الأزلى الأبدى الذى لا تنتهى قدرته،و لا سبيل لمسأله الحاجه العاطفيه إلى ذاته المقدسه أبدا؟! و هل تنج ذلك إلاّ عن أن هؤلاء الذين يقولون:إنّ للّه ولدا،قد قاسوا اللّه سبحانه على أنفسهم،و رأوا فيه ما رأوا فى أنفسهم؟فى حين أنّه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (۱) .

.

### ملاحظه تاريخيه هامه حول الهجره الأولى

إنّ أوّل هجزه وقعت فى الإسلام كانت هجره مجموعه كبيره من المسلمين-

ص :۴۴۶

---

۱- ۱) -لقد بحثنا فى معنى(كن فيكون)،و أدله نفى الولد عن اللّه المجلد الأوّل من هذا التّفسير،فى ذيل الآيتين ۱۱۶، ۱۱۷ من سوره البقره.

ضمت النساء و الرجال-إلى أرض الحبشه،فقد ترك هؤلاء مكّه للخلاص من قبضه مشركى قريش،و تنظيم أمرهم و التهيؤ بأقصى درجات الاستعداد للبرامج و المشاريع الإسلاميه المستقبليه و كما توقعوا من قبل،فإنّهم استطاعوا أن يعيشوا هناك فى طمأنينه و استقرار،و يشتغلوا بتربيه أنفسهم و تزكيتها و نشر الدين الحنيف.

لقد طرق هذا الخبر أسماع زعماء قريش،فاعتبروا هذه القضيه ناقوس خطر بالنسبه إليهم،و أحسوا بأنّ الحبشه ستكون مأوى و ملجأ للمسلمين،و ربّما يرجعون إلى مكّه بعد أن تقوى شوكتهم،و بالتالى سيخلقون للمشركين مشاكل و عراقيل عظيمه.

و بعد التشاور استقر رأيهم على انتخاب رجلين من رجال قريش النشيطين، و إرسالهما إلى النجاشى حتى يبيّنوا للنجاشى الأخطار التى تنجم عن وجود المسلمين هناك كى يطرد هؤلاء من هذه الأرض المطمئنه.فأرسلوا«عمرو بن العاص»و«عبد اللّه بن أبى ربيعه»مع هدايا كثيره إلى النجاشى و قواد جيشه.

تقول«أم سلمه»زوجه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:لما دخلنا أرض الحبشه رأينا حسن استقبال و معامله النجاشى،فلم نمنع من شعائر ديننا،و لم يكن يؤذينا أحد،إلاّ أنّ قريش بعد علمها بهذه المسأله،و إرسالها الرجلين مع الهدايا الكثيره،كانت قد أمرت هؤلاء أن يلتقوا بقاده الحبشه قبل لقائه،و أن يسلموهم هداياهم،ثمّ يقدمون هدايا النجاشى إليه،و يطلبون منه أن يسلم المسلمين إليهم قبل أن ينبسوا ببنت شفه! و قد نفذ هؤلاء هذه الخطه بدقه،و قالوا مقدما لقواد و أمراء جيش النجاشى:

إنّ جماعه من الشباب الحمقى قد لجؤوا إلى أرضكم،و قد ابتعد هؤلاء عن دينهم، و لم يعتنقوا دينكم أيضا،و قد ابتدعوا دينا جديدا لا نعرفه،و لا أنتم تعرفونه،و قد أرسلنا أشراف قريش إليكم حتى نقطع شرّهم عن هذه البلاد،و نعيدهم إلى

قومهم،فأخذوا من حاشیه النجاشی عهدا بأنّهم متی ما استشارهم النجاشی فإنّه سیؤیدون هذه الفکره و یقولون:إن قوم هؤلاء أعلم بحالهم.ثمّ أدخلوا علی الملک و کرروا ما توطئوا علیه.

لقد کانت هذه الخطه تسیر خطواتها بدقه نحو الأمام،و قد أصبحت هذه الکلمات الخداعه،مع تلک الهدایا الکثیره سببا فی أن تصدق حاشیه النجاشی هؤلاء.

و بعد أن سمع النجاشی أقوالهم غضب و قال:لا-و اللّه،لا أسلم قوما جاورونی و نزلوا بلادی و اختارونی علی من سوای حتی أدعوهم و أسألهم عمّا یقول هذا، فإن کانا صادقین سلمتهم إلیهما،و إن کانوا علی غیر ما یذکر هذان منعتهم و أحسنت جوارهم.

تقول أم سلمه:فبعث النجاشی إلی المسلمین،فتشاوروا فیما بینهم فیما یقولون،و استقر رأیهم علی أن یقولوا الحقیقه،و یشرحوا تعلیمات النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و برنامج الإسلام،و لیکن ما یکون! لقد کان ذلک الیوم الذی عیّن لهذه الدعوه یوما عصیبا،فإنّ کبار النصاری و علماءهم کانوا قد دعوا إلی ذلک المجلس،و کانت الکتب المقدسه فی أیدیهم، فاستقبل النجاشی المسلمین و سألهم:ما هذا الدین الذی فارقتم فیه قومکم و لم تدخلوا فی دینی و لا دین أحد من الملل؟ فتصدی جعفر بن أبی طالب علیه السّلام للجواب و قال:

«أیّها الملک کنّا أهل جاهلیه نعبد الأصنام و نأکل المیته و نأتی الفواحش و نقطع الأرحام و نسیء الجوار و یأکل القوی منّا الضعیف حتی بعث اللّه إلینا رسولا منّا نعرف نسبه و صدقه و أمانته و عفافه فدعانا لتوحید اللّه و أن لا نشرک به شیئا و نخلع ما کنّا نعبد من الأصنام و أمرنا بصدق الحدیث و أداء الأمانه و صله الرحم و حسن الجوار و الکف عن المحارم و الدماء،و نهانا عن الفواحش و قول الزور

و أكل مال اليتيم و أمرنا بالصلاه و الصيام».

و عـدد عليه أمور الإسـلام قال:فآمنا به و صـدقناه و حرمنا ما حرم علينا و حللنا ما أحل لنا فتعـدى علينا قومنا فعـذبونا و فتنونا عن ديننـا ليردونـا إلى عبـاده الأوثـان فلمّـا قهرونا و ظلمونا و حالوا بيننا و بين ديننا خرجنا إلى بلادك و اخترناك على من سواك و رجونا أن لا نظلم عندك أيّها الملك.

فقال النجاشي:هل معك ممّا جاء به عن اللّه شيء؟قال:نعم،فقرأ عليه سطرا من«كهيعص».

فلمّـا قرأ جعفر هـذه الآيـات بقراءته المؤثره النـابعه من صـفاء القلب،أثرت فى روح النجاشـى و علمـاء النصارى الكبار إلى الحد الـذى كـانت تنهمر دموعهم على وجوههم بـدون إراده،فتوجه إليهم النجاشـى و قـال:«إن هـذا و الـذى جاء به عيسـى يخرج من مشكاه واحده،انطلقا و اللّه لا أسلمهم إليكما أبدا».

ثمّ سعى رسولا قريش مساعى أخرى لتغيير نظره النجاشى تجاه المسلمين، إلاّ أنّها لم تؤثر فى روحه الساميه الواعيه،فرجعا يائسين من هناك،و أرجعوا إليهم هداياهم (١) .



---

۱- ۱) -اقتبس من سيره ابن هشام،المجلد الأوّل،الصفحه ۳۵۶-۳۶۱.

## الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ٣۶ الى ۴٠]

### اشاره

وَ إِنَّ اَللّٰهَ رَبِّی وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذٰا صِرٰاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٣۶) فَاخْتَلَفَ اَلْأَحْزٰابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٧) أَسْمِعْ بِهِمْ وَ أَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنٰا لٰكِنِ اَلظّٰالِمُونَ اَلْيَوْمَ فِی ضَلاٰلٍ مُبِينٍ (٣٨) وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ اَلْحَسْرَهِ إِذْ قُضِیَ اَلْأَمْرُ وَ هُمْ فِی غَفْلَهٍ وَ هُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنّٰا نَحْنُ نَرِثُ اَلْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْهٰا وَ إِلَيْنٰا يُرْجَعُونَ (۴٠)

## التّفسير

### اشاره

### يوم القيامه..يوم الحسره و الأسف:

إنّ آخر كلام لعيسی عليه السّلام بعد تعريفه لنفسه بالصفات التی ذكرت،هو التأكيد علی مسأله التوحيد،و خاصّه فی مجال العباده،فيقول: وَ إِنَّ اللّٰهَ رَبِّی وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذٰا صِرٰاطٌ مُسْتَقِيمٌ (١) .

و علی هذا فإنّ عيسی عليه السّلام بدأ بمحاربه كل أنواع الشرك و عباده الآلهه

ص: ۴۵٠

---

١- (١) -إنّ هذه الآيه من جهه التركيب،عطف علی كلام عيسی الذی مر آنفا،و الذی ابتدأ بقوله قٰالَ إِنِّی عَبْدُ اللّٰهِ و انتهی بهذه الجمله.

المزدوجه و المتعدده منذ بدايه حياته،و كان يؤكّد أينما كان على التوحيد،و بناء على هذا،فإنّ ما يلاحظ اليوم بين المسيحيين بعنوان التثليث بدعه محضه ابتدعت بعد عيسى قطعا،و قد بينا تفصيل ذلك فى آخر الآيه(١٧١)من سوره النساء (١) .

و بالرغم من أن بعض المفسّرين احتمل أن تكون هذه الجمله من كلام نبى الإسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،أى إنّ اللّه سبحانه أمره أن يدعو الناس إلى التوحيد فى العباده،و قد وصف ذلك بأنّه الصراط المستقيم،إلاّ أن آيات القرآن الأخرى شاهده على أن هذه الجمله من قول المسيح عليه السّلام و تابعه للكلام السابق،فنقرأ فى سوره الزخرف/ الآيه ۶۳-۶۴: وَ لَمّا جاءَ عِيسى بِالْبَيِّناتِ قالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَهِ وَ لِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَطِيعُونِ إِنَّ اللّهَ هُوَ رَبِّى وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ و هنا نرى نفس الجمله تقريبا نقلت عن لسان عيسى، و كذلك ورد هذا المضمون فى سوره آل عمران/الآيه ۵۰-۵۱.

غير أنّه بالرغم من كل هذه التأكيدات التى أكّد عليها المسيح عليه السّلام فى مجال التوحيد و عباده اللّه،فقد اختلفت الفئات،و أظهروا اعتقادات مختلفه،و خاصّه فى شأن المسيح فَاخْتَلَفَ الْأَحْزابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ .

إنّ تاريخ المسيحيه يشهد بوضوح على مدى الاختلاف الذى حصل بعد المسيح عليه السّلام فى شأنه،و حول مسأله التوحيد،هذه الاختلافات التى ازدادت حدتها،فشكل«قسطنطين»إمبراطور الروم مجمعا للأساقفه-علماء النصارى الكبار-و كان واحدا من المجامع التأريخيه المعروفه،و وصل عدد أعضاء هذا المجمع إلى ألفين و مائه و سبعين عضوا،و عند ما طرحت مسأله المسيح للبحث أظهر العلماء الحاضرون و جهات نظر مختلفه تماما،و كان لكل مجموعه



---

١- ١) -يراجع التّفسير الأمثل ذيل الآيه(١٧١)من سوره النساء.

عقيدتها.

فذهب البعض:إنّ المسيح هو اللّه الذى نزل إلى الأرض!فأحيى جماعه، و أمات أخرى،ثمّ صعد إلى السماء! و قال البعض الآخر:إنّه ابن اللّه! و رأى آخرون:إنّه أحد الأقانيم الثلاثه-الذوات الثلاثه المقدسه-الأب و الابن و روح القدس،اللّه الأب،و اللّه الابن و روح القدس.

و آخرون قالوا:إنّه ثالث ثلاثه:فاللّه معبود،و هو معبود،و أمّه معبوده! و أخيرا قال البعض:إنّه عبد اللّه و رسوله.

و قال آخرون أقوالا أخرى،و لم تتفق الآراء على أى من هذه العقائد،و كان أكبر عدد من الأصوات حازت عليه عقيده من العقائد المذكوره آنفا هو(۳۰۸) فرد،و قبله الإمبراطور كرأى حصل على أكثريه نسبيه،و دافع عنه باعتباره الدين الرسمى،و طرح الباقى جانبا،أمّا عقيده التوحيد فقد بقيت فى الأقليه لقلّه ناصريها مع الأسف (۱) .

و لما كان الانحراف عن أصل التوحيد يعتبر أكبر انحراف للمسيحيين،فقد رأينا كيف أن اللّه قد هدد هؤلاء فى ذيل الآيه بأنّهم سيكون لهم مصير مؤلم مشؤوم فى يوم القيامه،فى ذلك المشهد العام،و أمام محكمه اللّه العادله (۲) .

ثمّ تبيّن الآيه التاليه وضع أولئك فى عرصات القيامه،فتقول عند ما يقدمون علينا يوم القيامه فسوف تكون لهم اسماع قويه و ابصار حادّه فيسمعون و يرون جميع الحقائق التى كانت خافيه عليهم فى هذه الدنيا،و لكن الظالمين اليوم،أى فى هذه الدنيا غافلون عن هذه العاقبه: أَسْمِعْ بِهِمْ وَ أَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنٰا لٰكِنِ



---

۱- ۱) -تفسير فى ظلال القرآن،ج ۵،ص ۴۳۶،بتصرف.

۲- ۲) -يمكن أن يكون(مشهد)مصدرا ميميا بمعنى الشهود،أو أن يكون اسم مكان أو زمان بمعنى محل أو زمن الشهود،و بالرغم من اختلاف هذه المعانى،إلّا أنّها لا تختلف كثيرا من ناحيه النتيجه.

اَلظّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ

.

إنّ من الواضح أن الحجب سترتفع فى النشأه الآخره،لأنّ آثار الحق هناك أوضح من آثاره فى عالم الدنيا بمراتب و من الطبيعى أن تسلب المحكمه و آثار الأعمال نوم الغفله من العين و الأذن،و حتى عمى القلوب فإنّهم سيعون الأمر و يعلمون الحق،إلّا أن هذا الوعى و العلم لا ينفعهم شيئا.

و فسّر بعض المفسّرين كلمه(اليوم)فى جمله لٰكِنِ الظّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ بيوم القيامه،أى إن معنى الآيه:إنّهم سيصبحون ناظرين سامعين، إلّا أنّ هذا النظر و السمع سوف لا ينفعهم فى ذلك اليوم،و سيكونون فى ضلال مبين.

لكن يبدو أن التّفسير الأوّل أصح (١) .

ثمّ تؤكّد الآيه التاليه مرّه أخرى على مصير المنحرفين و الظالمين فى ذلك اليوم،فتقول: وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَهِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ هُمْ فِي غَفْلَهٍ وَ هُمْ لا يُؤْمِنُونَ .

من المعلوم أنّ ليوم القيامه أسماء مختلفه فى القرآن المجيد،و من جملتها يَوْمَ الْحَسْرَهِ حيث يتحسر المؤمنون المحسنون على قلّه عملهم،و يا ليتهم كانوا قد عملوا أكثر،و كذلك يتحسر المسيئون،لأنّ الحجب تزول،و تتضح حقائق الأعمال و نتائجها للجميع.

و اعتبر البعض جمله إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ مرتبطه بانتهاء برامج و وقائع الحساب و الجزاء و التكليف فى يوم القيامه،و اعتبرها بعضهم إشاره إلى فناء الدنيا،و على هذا التّفسير فإنّ الآيه تحذر هؤلاء و تخيفهم من يوم الحسره،ذلك الحين الذى تفنى فيه الدنيا و هم فى حاله الغفله و عدم الإيمان.



---

۱- ۱) -الألف و اللام فى كلمه(اليوم)هى ألف و لام العهد،إلا أنّه طبقا للتفسير الأوّل العهد الحضورى،و على التّفسير الثّانى العهد الذكرى.

إلّا أنّ التّفسير الأوّل هو الأصح كما يبدو،خاصّه و أنّه

قد روى فى حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام فى تفسير جمله إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ أنّه قال:«أى قضى على أهل الجنّه بالخلود فيها،و قضى على أهل النّار بالخلود فيها» (۱) .

ثمّ تحذر الآيه الأخيره-من آيات البحث-كل الظالمين و الجائرين، و تذكرهم بأن هذه الأموال التى تحت تصرفهم الآن ليست خالده،كما أن حياتهم ليست خالده،بل إنّ الوارث الأخير لكل شىء هو اللّه سبحانه: إِنّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْها وَ إِلَيْنا يُرْجَعُونَ . (۲)

إن هذه الآيه-فى الحقيقه-تتناغم مع الآيه ۱۶/سوره المؤمن،و التى تقول:

لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ فإذا آمن شخص و اعتقد بهذه الحقيقه،فلما ذا يبيح التعدى و الظلم و سحق الحقيقه،و هضم حقوق الناس،أمن أجل الأموال و اللذائذ الماديه التى أودعت فى أيدينا لعدّه أيّام و ستخرج من أيدينا بسرعه؟



---

۱- ۱) -مجمع البيان،ذيل الآيه أعلاه.

۲- ۲) -هل أن هذه الآيه إشاره إلى القيامه،أو إلى زمان فناء الدنيا،فإن كانت إشاره إلى القيامه،فإنّها لا تناسب ظاهرا جمله وَ إِلَيْنا يُرْجَعُونَ و إن كانت إشاره إلى زمان فناء الدنيا،فإنّها لا تناسب جمله وَ مَنْ عَلَيْها لأنّه لا يوجد أى حى عند فناء الدنيا حتى يصدق عليه تعبير(من عليها)و ربّما فسّر بعض المفسّرين-كالعلاّمه الطباطبائى-هذه الجمله هكذا:إنا نحن نرث عنهم الأرض،لهذا السبب.إلا أن هذا التّفسير أيضا يخالف الظاهر قليلا لأن وَ مَنْ عَلَيْها عطفت بالواو. و هنا-أيضا-احتمال آخر،و هو أن مفعول نَرِثُ تاره يكون الشخص الذى يترك الأموال،مثل: وَ وَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ ،و تاره أخرى الأموال التى بقيت للإرث،مثل: نَرِثُ الْأَرْضَ و فى الآيه أعلاه ورد كلا التعبيرين.

## الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ۴١ الى ۴۵]

### اشاره

وَ اُذْكُرْ فِى اَلْكِتابِ إِبْراهِيمَ إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا (۴١) إِذْ قالَ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا يَسْمَعُ وَ لا يُبْصِرُ وَ لا يُغْنِى عَنْكَ شَيْئاً (۴٢) يا أَبَتِ إِنِّى قَدْ جاءَنِى مِنَ اَلْعِلْمِ ما لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِى أَهْدِكَ صِراطاً سَوِيًّا (۴٣) يا أَبَتِ لا تَعْبُدِ اَلشَّيْطانَ إِنَّ اَلشَّيْطانَ كانَ لِلرَّحْمنِ عَصِيًّا (۴۴) يا أَبَتِ إِنِّى أَخافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ اَلرَّحْمنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطانِ وَلِيًّا (۴۵)

### التّفسير

#### اشاره

#### إبراهيم و منطقه المؤثر و القاطع:

انتهت قصّه ولاده المسيح عليه السّلام و قد تضمنت جانبا من حياه أمّه مريم،و بعدها تزيح هذه الآيات-و الآيات الآتيه-الستار عن جانب من حياه بطل التوحيد إبراهيم الخليل عليه السّلام،و تؤكّد على أنّ دعوه هذا النّبى الكبير-كسائر المرشدين الإلهيين-تبدأ من نقطه التوحيد،فتقول أوّلا: وَ اذْكُرْ فِى الْكِتابِ إِبْراهِيمَ إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا .

كلمه(الصدّيق)صيغه مبالغه من الصدق،و تعنى الشخص الصادق جدّا،

ص :۴۵۵

و ذهب البعض الى أنه الشخص الذى لا يكذب مطلقا،بل و أسمى من ذلك،و هو أنّه لا يملك القدره على الكذب،لأنه اعتاد طيله حياته على الصدق.و يرى آخرون أن معناها الشخص الذى يصدق عمله كلامه و اعتقاده.إلّا أن من الواضح أن جميع هذه المعانى-تقريبا-ترجع إلى معنى واحد.

على كل حال،فإنّ هذه الصفه مهمّه إلى حدّ أنّها ذكرت فى الآيه-محل البحث-قبل صفه النّبوه،و لعلها بذلك تكون ممهده لتلقى النّبوه،و إذا تجاوزنا ذلك فإنّ أبرز صفه يلزم وجودها فى كل الأنبياء و حمله الوحى الإلهى أن يوصلوا أوامر اللّه إلى العباد دون زياده أو نقصان.

ثمّ تتطرق الآيه التى بعدها إلى شرح محاورته مع أبيه آزر-و الأب هنا إشاره إلى العم،فإنّ كلمه الأب،كما قلنا سابقا،ترد أحيانا فى لغه العرب بمعنى الأب،و أحيانا بمعنى العم (۱) -فتقول: إِذْ قٰالَ لِأَبِيهِ يٰا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مٰا لاٰ يَسْمَعُ وَ لاٰ يُبْصِرُ وَ لاٰ يُغْنِى عَنْكَ شَيْئاً .

إنّ هذا البيان القصير القاطع من أحسن أدله نفى الشرك و عباده الأوثان،لأنّ أحد بواعث الإنسان فى معرفه الرب هو باعث الربح و الخساره،و الضر و النفع، و الذى يعبر عنه علماء العقائد بمسأله(دفع الضرر المحتمل).فهو يقول:لماذا تتجه إلى معبود ليس عاجزا عن حل مشكله من مشاكلك و حسب،بل إنّه لا يملك أصلا القدره على السمع و البصر.و بتعبير آخر:إن العباده يجب أن تكون لمن له القدره على حل المشاكل،و يدرك عباده و حاجاتهم،سميع بصير،إلّا أنّ هذه الأصنام فاقده لكل ذلك.

إن إبراهيم يبدأ فى دعوته العامّه بأبيه،و ذلك لأنّ النفوذ فى الأقربين أهم و أولى،كما أن نبى الإسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد أمر أولا بدعوه عشيرته الأقربين كما جاء فى ذلك فى الآيه(۲۱۴)من سوره الشعراء: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ .



---

۱- ۱) -لقد بحث هذا الموضوع مفصلا ذيل الآيه(۷۴)من سوره الأنعام.

بعـد ذلک دعاه-عن طریق المنطق الواضح-إلی اتباعه،فقال: یٰا أَبَتِ إِنِّی قَدْ جٰاءَنِی مِنَ الْعِلْمِ مٰا لَمْ یَأْتِکَ فَاتَّبِعْنِی أَهْدِکَ صِرٰاطاً سَوِیًّا فإنّی قد وعیت أمورا کثیره عن طریق الوحی،و أستطیع أن أقول باطمئنان:إنّی سوف لا أسـلک طریق الضـلال و الخطأ،و لا أدعوک أبـدا إلی هذا الطریق المعوج،فإنّی أرید سعادتک و فلاحک،فاقبل منّی لتنجو و تخلص من العذاب و تصل بطیّک هذا الصراط المستقیم إلی المحل المقصود.

ثمّ یعطف نظره إلی الجـانب السـلبی من القضـیه بعـد مـا ذکر بعـدها الایجـابی و یشـیر إلی الآثـار التی تترتب علی مخالفه هـذه الدعوه،فیقول: یٰا أَبَتِ لاٰ تَعْبُدِ الشَّیْطٰانَ إِنَّ الشَّیْطٰانَ کٰانَ لِلرَّحْمٰنِ عَصِیًّا .

من الواضح أنّ العباده هنا لا تعنی السجود و الصلاه و الصوم للشیطان،بل بمعنی الطاعه و اتباع الأوامر،و هذا بنفسه یعتبر نوعا من العباده.

روی عن النّبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم أنّه قال: «من أصـغی إلی ناطق فقـد عبـده،فإن کان الناطق عن اللّه فقد عبد اللّه،و إن کان الناطق عن إبلیس فقد عبد إبلیس» (۱) .

إن إبراهیم یریـد أن یعلّم أبـاه هـذه الحقیقه،و هی أن الإنسـان لا یمکن أن یکون فاقـدا لخط و منهـج فی حیاته،فإمّا سبیل اللّه و الصـراط المسـتقیم،و إمّا طریق الشـیطان العاصـی الضال،فیجب علیه أن یفکر بصوره صـحیحه و یصمم،و أن یختار ما فیه خیره و صلاحه بعیدا عن العصبیه و التقالید العمیاء.

ثـمّ یـذکره و ینبه مرّه أخری بعـواقب الشـرک و عبـاده الأصـنام المشـؤومه، و یقـول: یٰا أَبَتِ إِنِّی أَخٰافُ أَنْ یَمَسَّکَ عَذٰابٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ فَتَکُونَ لِلشَّیْطٰانِ وَلِیًّا .

إنّ تعبیر إبراهیم هـذا رائع جـدّا،فهو من جـانب یخـاطب عمّه دائمـا ب یٰا أَبَتِ و هـذا یـدل علی الأدب و احترام المخاطب،و من جانب آخر فإنّ قوله أَنْ یَمَسَّکَ توحی بأنّ إبراهیم کان قلقا و متأثرا من وصول أدنی أذی إلی آزر،و من



---

۱- ۱) -سفینه البحار،الجزء ۲،ص ۱۱۵ ماده(عبد).

جهه ثالثه فإنّ التعبير ب عَذابٌ مِنَ الرَّحْمنِ يشير إلى أن أمرك نتيجه هذا الشرك و عباده الأصنام قد بلغ حدّا بحيث أن اللّه-الذى عمت رحمته الأرجاء-سيغضب عليك و يعاقبك،فانظر إلى عملك الذى تقوم به كم هو خطير و كبير!و من جهه رابعه،فإنّ عملك سيؤدى بك فى النهايه أن تستظل بولايه الشيطان.

## بحوث

### اشاره

### ١-طريق النفوذ إلى الآخرين

إنّ طريقه محاوره إبراهيم لآزر-الذى كان-طبقا للرّوايات-من عبده الأصنام،حيث كان يصنعها و يبيعها،و كان يعتبر عاملا مهمّا فى ترويج الشرك- تبيّن لنا بأنّه يجب استخدم المنطق الممتزج بالاحترام و المحبه و الحرص على الهدايه،مقترنا بالحزم قبل التوسل بالقوه،للنفوذ إلى نفوس الأفراد المنحرفين، لأنّ الكثير سيذعنون للحق عن هذا الطريق،و هناك جماعه سيظهرون مقاومتهم لهذا الأسلوب،و من الطبيعى أن حساب هؤلاء يختلف،و يجب أن يعاملوا بأسلوب آخر.

### ٢-دليل اتباع العالم

قرأنا فى الآيات-محل البحث-أن إبراهيم دعا عمه آزر لاتباعه،مع كبر سنه و شهرته فى المجتمع.و يذكر دليله على دعوته هذه فيقول: إِنِّی قَدْ جاءَنِی مِنَ الْعِلْمِ ما لَمْ یَأْتِکَ .

إنّ هذا قانون عام فى أن الذين لا يعلمون يتبعون العالمين فيما يجهلونه، و هذا فى الواقع هو منهج الرجوع إلى المتخصصين فى كل فن،و من ذلك مسأله تقليد المجتهد فى فروع الأحكام الإسلاميه.

من الواضح أنّ بحث إبراهيم لم يكن فى المسائل المرتبطه بفروع الدين،بل كان يتحدث عن أهم أصل من أصول الدين،و لكن حتى فى مثل هذه المسائل أيضا يجب الاستعانه و الاستفاده من إرشادات العالم،لتحصل الهدايه إلى الصراط السوى،الذى هو الصراط المستقيم.

### ٣-سوره الرحمه و التذكير

لقد وردت جمله(و اذكر)خمس مرات عند الشروع بذكر قصص الأنبياء العظام و مريم،و لهذا السبب يمكن تسميه هذه السوره بسوره(التذكير)..ذكر الأنبياء،و الرجال و النساء العظام؛و حركتهم التوحيديه،و جهودهم فى طريق محاربه الشرك و عباده الأصنام و الظلم و الجور.

و لما كان الذكر عاده بعد النسيان،فمن الممكن أن يكون إشاره إلى أن جذور التوحيد و عشق رجال الحق و الإيمان بجهادهم من أجل إحقاق الحق حيه فى أعماق روح كل إنسان،و إن الكلام عن هؤلاء فى الحقيقه نوع من الذكر.

و قد ورد وصف اللّه ب«الرحمان»ست عشره مرّه فى هذه السوره،فإنّ السوره تبدأ بالرحمه،رحمه اللّه بزكريا،رحمه اللّه بمريم و المسيح،و كذلك تنتهى السوره بهذه الرحمه حيث تقول فى أواخرها: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا» (١) .



---

١- ١) -مريم،٩۶.

## الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ۴۶ الى ۵۰]

### اشاره

قَالَ أَ رَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَ اهْجُرْنِي مَلِيًّا (۴۶) قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (۴۷) وَ أَعْتَزِلُكُمْ وَ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ وَ أَدْعُوا رَبِّي عَسىٰ أَلاّٰ أَكُونَ بِدُعٰاءِ رَبِّي شَقِيًّا (۴۸) فَلَمّٰا اِعْتَزَلَهُمْ وَ مٰا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ وَهَبْنٰا لَهُ إِسْحٰاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ كُلاًّ جَعَلْنٰا نَبِيًّا (۴۹) وَ وَهَبْنٰا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنٰا وَ جَعَلْنٰا لَهُمْ لِسٰانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (۵۰)

### التّفسير

### اشاره

### نتيجه البعد عن الشرك و المشركين:

مرّت في الآيات السابقه كلمات إبراهيم عليه السّلام التي كانت ممتزجه باللطف و المحبّه في طريق الهدايه،و الآن جاء دور ذكر أجوبه آزر،لكلي تتضح الحقيقه و الواقع من خلال مقارنه الكلامين مع بعضهما.

يقول القرآن الكريم:إنّ حرص و تحرّق إبراهيم،و بيانه الغني العميق لم ينفذ إلى قلب آزر،بل إنّه غضب لدى سماعه هذا الكلام،و قٰالَ أَ رٰاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يٰا إِبْرٰاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَ اهْجُرْنِي مَلِيًّا .

الملفت للنظر،أنّ آزر لم يكن راغبا حتى فی أن يجری إنكار الأصنام أو مخالفتها و تحقيرها علی لسانه،بل إنّه قال:أ راغب أنت عن هذه الآلهه؟حتی لا تهان الأصنام!هذا أولا.

ثانيا:إنّه عند ما هدد إبراهيم،هدده بالرجم،ذلک التهديد المؤكّد الذی يستفاد من لام و نون التوكيد الثقيله فی«لأرجمنّک»و من المعلوم أن الرجم من أشد و أسوء أنواع القتل.

ثالثا:إنّه لم يكتف بهذا التهديد المشروط، بل إنّه اعتبر إبراهيم فی تلک الحال وجودا لا يحتمل،و قال له اُهْجُرْنِی مَلِيًّا أی ابتعد عنی دائما،و إلی الأبد(كلمه «مليا»-حسب قول الراغب فی المفردات-أخذت من ماده الإملاء،أی الإمهال الطويل،و هی تعنی هنا أن ابتعد عنی لمدّه طويله،أو علی الدوام).

و هذا التعبير المحقّر جدّا لا يستعمله إلاّ الأشخاص الأجلاف و القساه ضد مخالفيهم.

بعض المفسّرين لا يری أن جمله«لأرجمنّک»تعنی الرمی بالحجاره،بل اعتقد أنّها تعنی تشويه السمعه و الاتهام،إلاّ أن هذا التّفسير يبدو بعيدا،و ملاحظه سائر آيات القرآن-التی وردت بهذا التعبير-شاهد علی ما قلناه.

لكن،و رغم كل ذلک،فقد سيطر إبراهيم علی أعصابه،كبقيه الأنبياء و القاده الإلهيين،و مقابل هذه الغلظه و الحدّه وقف بكل سمو و عظمه،و قٰالَ سَلاٰمٌ عَلَيْکَ .

إنّ هذا السلام يمكن أن يكون سلام التوديع،و أن إبراهيم بقوله: سَلاٰمٌ عَلَيْکَ و ما يأتی بعده من كلام يقصد ترک آزر.و يمكن أن يكون سلاما يقال لفض النزاع،كما نقرأ ذلک فی الآيه(۵۵)من سوره القصص: لَنٰا أَعْمٰالُنٰا وَ لَكُمْ أَعْمٰالُكُمْ سَلاٰمٌ عَلَيْكُمْ لاٰ نَبْتَغِی الْجٰاهِلِينَ .

ثمّ أضاف: سَأَسْتَغْفِرُ لَکَ رَبِّی إِنَّهُ كٰانَ بِی حَفِيًّا .إن إبراهيم فی الواقع قابل

خشونه و تهدید آزر بالعکس،و وعده بالاستغفار و طلب مغفره اللّه له.

و هنا یطرح سؤال،و هو:لماذا وعد إبراهیم آزر بالاستغفار مع أنا نعلم أن آزر لم یؤمن أبدا،و لا یجوز الاستغفار للمشرکین طبقا لصریح الآیه(۱۱۳)من سوره التوبه؟ و قد ذکرنا جواب هذا السؤال بصوره مفصله فی ذیل تلک الآیه فی سوره التوبه.

ثمّ یقول: وَ أَعْتَزِلُکُمْ وَ مٰا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أی الأصنام وَ أَدْعُوا رَبِّی عَسیٰ أَلاّٰ أَکُونَ بِدُعٰاءِ رَبِّی شَقِیًّا .

تبیّن هذه الآیه من جهه أدب إبراهیم فی مقابل آزر الذی قال:«اهجرنی» فقبل إبراهیم ذلک.و من جهه أخری فإنّها تبیّن حزمه فی عقیدته،فإنّ ابتعادی هذا عنک لم یکن من أجل حیادی عن اعتقادی الراسخ بالتوحید،بل لأنّک لا تملک الأهلیه لتقبل الحق،و لذلک فإنی سأثبت علی اعتقادی.

و یقول بصوره ضمنیه بأنّی إذا دعوت ربّی فإنّه سیجیب دعوتی،أمّا أنتم المساکین الذین تدعون من هو أکثر مسکنه منکم،فلا یستجاب دعاؤکم مطلقا، بل و لا یسمع کلامکم أبدا.

لقد و فی إبراهیم بقوله،و ثبت علی عقیدته بکل صلابه و صمود،و کان دائما ینادی بالتوحید،بالرغم من أن کل ذلک المجتمع الفاسد فی ذلک الیوم قد وقف ضده و ثار علیه،إلاّ أنّه لم یبق وحده فی النهایه،فقد وجد أتباعا کثیرین علی مر القرون و الأعصار،بحیث أنّ کل الموحدین و عباد اللّه فی العالم یفتخرون بوجوده.

یقول القرآن الکریم: فَلَمّٰا اعْتَزَلَهُمْ وَ مٰا یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَهَبْنٰا لَهُ إِسْحٰاقَ وَ یَعْقُوبَ وَ کُلاًّ جَعَلْنٰا نَبِیًّا فالبرغم من أن الفتره التی وهب اللّه بها لإبراهیم إسحاق،ثمّ یعقوب-ابن إسحاق-قد استغرقت زمنا طویلا،إلاّ أنّ هذه

الموهبه العظيمه-حيث وهبه ولـدا كإسحاق،و حفيـدا كيعقوب،و كل منهما كان نبيّا سامی المقام-كانت نتيجه صبر إبراهيم عليه السّلام و استقامته التی أظهرها فی طريق محاربه الأصنام،و اعتزال المنهج الباطل و الابتعاد عنه.

و إضافه إلی ذلک وَ وَهَبْنا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنا تلک الرحمه الخاصّه بالمخلصين و المخلصين،و الرجال المجاهـدين فی سبيل اللّه.و أخيرا وَ جَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِيًّا .

إنّ هـذا فی الحقيقه إجابه لطلب و دعاء إبراهيم الـذی جاء فی الآيه(۸۴)من سوره الشعراء: وَ اجْعَلْ لِی لِسانَ صِدْقٍ فِی الْآخِرِينَ فـإنّ أولئـک كـانوا يريـدون طرد و إبعاد إبراهيم و أسـرته من المجتمع الإنسانی،بحيث لا يبقی لهم أی أثر أو خبر،و ينسون إلی الأبـد.إلّا أن الـذی حدث بالعكس،فإنّ اللّه سـبحانه قد رفع ذكرهم نتيجه إيثارهم و تضـحيتهم و اسـتقامتهم فی أداء الرساله التی كانت ملقاه علی عاتقهم،و جعل أسـماءهم تجری علی ألسـنه شـعوب العالم،و يعرفون كأسوه و نموذج فی معرفه اللّه و الجهاد و الطهاره و التقوی و المقارعه للباطل.

إنّ«اللسان»فی مثل هـذه الموارد يعنی الـذكر الـذی يـذكر به الإنسان بين الناس،و عند ما نضـيف إليه كلمه صدق،و نقول:«لسان صـدق»فـإنّه يعنی الـذكر الحسن و الـذكری الطيبه بين النـاس،و إذا مـا ضـممنا إليهـا«عليّـا»التی تعنی العالی و البارز،فإنّها سـتعنی الذكری الجميله جدّا التی تبقی بين الناس عن شخص ما.

و من المعلـوم أن إبراهيم لا ـ يريـد بهـذا الطلب أن يحقق أمنيه فی قلبه،بـل كـان هـدفه أن لا ـ يسـتطيع الأعـداء أن يجعلوا تـاريخ حياته،الـذی كان تربويا خارقا للعاده،فی بوتقه النسـيان،و أن يمحوا ذكره من الأذهان إلی الأبـد،و هو الأنموذج و الأسوه الدائمه للبشريه.

و نقرأ

فی روايه عن أمير المؤمنين علی عليه السّلام: «لسان الصدق للمرء يجعله اللّه

ص :۴۶۳

فی النـاس،خیر من المال یأکله و یورثه» (۱) و بغض النظر عن الجوانب المعنویه، فـإنّ حسن السـمعه و الـذکر الحسن بین الناس یمکن أن یکون أحیانا رأس مال عظیم للإنسان و لأولاده،و أمامنا شواهد حیه علی ذلک.

و هنا یمکن أن یبرز سؤال،و هو:کیف لم تذکر هنا موهبه وجود إسـماعیل، مع أن اسم یعقوب،حفید إبراهیم،قد ذکر صریحا؟و فی مکان آخر من القرآن ذکر وجود إسماعیل ضمن مواهب إبراهیم،هناک حیث تقول الآیه علی لسان إبراهیم: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِی وَهَبَ لِی عَلَی الْکِبَرِ إِسْمٰاعِیلَ وَ إِسْحٰاقَ (۲) .

الجواب أنّه بالإضـافه إلی أن اسم إسـماعیل قـد ورد مسـتقلا بعـد آیـتین أو ثلاث،و قـد ذکر فیهـا بعض صـفاته البـارزه،إلاّ أنّ المقصود هذه الآیه هو بیان استمرار النّبوه فی أسـره إبراهیم،و توضح کیف أن حسن سمعته و ذکره الحسن و تاریخه الحافل قد تحقق بواسـطه الأنبیاء من أسـرته،و الـذین جاؤوا الواحـد تلو الآخرین،و من المعلوم أن کثیرا من الأنبیاء هم من أسـره إسـحاق و یعقوب علی مر الأعصـار و القرون،و إن کـان قـد ولـد من ذریه إسـماعیل أعظم الأنبیاء،أی نبی الإسـلام صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم،إلاّ أن استمرار النبوه کان فی أولاد یعقوب،و لذلک نقرأ فی الآیه (۲۷)من سوره العنکبوت، وَ وَهَبْنٰا لَهُ إِسْحٰاقَ وَ یَعْقُوبَ وَ جَعَلْنٰا فِی ذُرِّیَّتِهِ النُّبُوَّهَ وَ الْکِتٰابَ .



---

۱- ۱) -أصول الکافی،حسب نقل تفسیر نور الثقلین،الجزء ۳،ص ۳۳۹.

۲- ۲) -إبراهیم،۳۹.

## الآیات [سوره مریم (۱۹): الآیات ۵۱ الی ۵۳]

### اشاره

وَ اُذْکُرْ فِی اَلْکِتٰابِ مُوسیٰ إِنَّهُ کٰانَ مُخْلَصاً وَ کٰانَ رَسُولاً نَبِیًّا (۵۱) وَ نٰادَیْنٰاهُ مِنْ جٰانِبِ اَلطُّورِ اَلْأَیْمَنِ وَ قَرَّبْنٰاهُ نَجِیًّا (۵۲) وَ وَهَبْنٰا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنٰا أَخٰاهُ هٰارُونَ نَبِیًّا (۵۳)

### التّفسیر

### اشاره

### موسی النّبی المخلص:

فی هذه الآیات الثلاث إشاره قصیره إلی موسی علیه السّلام-و هو من ذریه إبراهیم علیه السّلام و موهبه من مواهب ذلک الرجل العظیم-حیث سار علی خطاه.

و توجه الآیه الخطاب إلی الرّسول الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و تقول: وَ اذْکُرْ فِی الْکِتٰابِ مُوسیٰ ثمّ تذکر خمس مواهب و صفات من المواهب التی أعطیت لهذا النّبی الکبیر:

۱-إنّه وصل فی طاعته و عبودیته للّه إلی حد إِنَّهُ کٰانَ مُخْلَصاً و لا ریب أن الذی یصل إلی هذه المرتبه سیکون مصونا من خطر الانحراف و التلوث،لأنّ الشیطان رغم کل إصراره علی إضلال عباد اللّه،یعترف هو نفسه بعدم قدرته علی إضلال المخلصین: قٰالَ فَبِعِزَّتِکَ لَأُغْوِیَنَّهُمْ أَجْمَعِینَ إِلاّ عِبٰادَکَ مِنْهُمُ

الْمُخْلَصِینَ

(۱)

.

۲- وَ کٰانَ رَسُولاً نَبِیًّا فحقیقه الرساله أن تلقی مهمّه علی عاتق شخص، و هو مسئول عن أدائها و إبلاغها،و هذا المقام کان لجمیع الأنبیاء المأمورین بالدعوه.

إن ذکر کونه«نبیّا»هنا إشاره إلی علو مقام و رفعه شأن هذا النّبی العظیم،لأنّ هذه اللفظه فی الأصل مأخوذه من(النّبوه)علی وزن(نغمه)و تعنی رفعه المقام و علوه.و لها-طبعا-أصل آخر من(نبأ)بمعنی الخبر،لأنّ النّبی یتلقی الخبر الإلهی،و یخبر به الآخرین،إلاّ أن المعنی الأوّل هو الأنسب هنا.

۳-و أشارت الآیه التالیه إلی بدایه رساله موسی،فقالت: وَ نٰادَیْنٰاهُ مِنْ جٰانِبِ الطُّورِ الْأَیْمَنِ ففی تلک اللیله المظلمه الموحشه،حیث قطع موسی صحاری مدین متوجها إلی مصر،أخذ زوجته الطلق و ألم الولاده،و کان البرد شدیدا،فکان یبحث عن شعله نار،و فجأه سطع نور من بعید،و سمع نداء یبلغه رساله اللّه،و کان هذا أعظم و سام و ألذ لحظه فی حیاته.

۴-إضافه إلی ذلک وَ قَرَّبْنٰاهُ نَجِیًّا (۲) فإنّ النداء کان موهبه،و التکلم موهبه أخری.

۵-و أخیرا وَ وَهَبْنٰا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنٰا أَخٰاهُ هٰارُونَ نَبِیًّا لیکون معینه و نصیره.



---

۱- ۱) -سوره ص،۸۲-۸۳.

۲- ۲) -«النجی»بمعنی المناجی،أی الشخص الذی یهمس فی أذن الآخر،و هنا ینادی اللّه موسی من بعید،و لما اقترب ناجاه.و من المعلوم أن اللّه سبحانه لیس له لسان و لا مکان،بل یوجد الأمواج الصوتیه فی الفضاء،و یتکلم مع عبد کموسی.

### بحثان

### اشاره

### ۱-من هو المخلص؟

قرأنا فى الآيات السابقه أنّ اللّه سبحانه جعل موسى من العباد المخلصين- بفتح اللام-و هذا المقام عظيم جدّا كما أشرنا إلى ذلك،مقام مقترن بالضمان الإلهى عن الانحراف،مقام محكم لا يستطيع الشيطان اختراقه،و لا يمكن تحصيله إلّا بالجهاد الدائم للنفس،و الطاعه المستمره المتلاحقه لأوامر اللّه سبحانه.

إنّ كبار علماء الأخلاق يعتبرون هذا المقام مقاما ساميا جدّا،و يستفاد من آيات القرآن أنّ للمخلصين امتيازات و خصائص خاصّه،سنتطرق إليها إن شاء اللّه تعالى.

### ۲-الفرق بين الرّسول و النّبى

الرّسول هو الشخص الذى ألقيت على عاتقه مهمّه أو رساله ليبلغها، و النّبى-بناء على أحد التفاسير-هو الشخص المطلع على الوحى الإلهى و الذى يخبر بما يوحى إليه،و بناء على تفسير آخر هو الشخص العالى المقام و السامى المرتبه،و قد بيّنّا اشتقاق كلا الكلمتين ما مادتيهما.هذا من جهه اللغه.

أمّا من جهه التعبيرات القرآنيه و لسان الرّوايات،فالبعض يرى أن«الرّسول» صاحب شريعه و مأمور بابلاغها،أى يتلقى الوحى الإلهى ثمّ يبلغه للناس،أمّا «النّبى»فإنّه يتلقى الوحى،إلّا أنّه ليس مكلفا بإبلاغه،بل مكلف بأداء واجبه فقط،أو الإجابه على أسئله من سأله.

و بتعبير آخر فإنّ النّبى مثله كالطبيب الواعى الذى جلس فى محله مستعدا لاستقبال المرضى،فهو لا يذهب إلى المرضى،أمّا إذا راجعه مريض فإنّه لا يمتنع عن معالجته و أداء النصح إليه.أمّا الرّسول فإنّه كالطبيب السيّار،و بتعبير

الإمام

على عليه السّلام فى نهج البلاغه عن رسول الإسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «طبيب دوّار بطبه» (۱) ،فهو يدور فى كل مكان،يذهب إلى المدن و القرى،الجبال و الصحارى ليجد المرضى و يشرع بعلاجهم،فهو عين تنبع بالماء العذب و تجرى نحو العطاشى،و ليس عينا يبحث عنها العطاشى.

و يستفاد من الرّوايات التى وصلت إلينا فى هذا الباب،و أوردها العلاّمه الكلينى فى كتاب(أصول الكافى)فى باب(طبقات الأنبياء و الرسل)و باب (الفرق بين النّبى و الرسول)أنّ«النّبى»هو الشخص الذى يرى حقائق الوحى فى حال النوم فقط،كرؤيا إبراهيم،أو أنّه إضافه إلى النوم،فإنّه يسمع فى اليقظه أيضا صوت ملك الوحى.أمّا الرّسول فإنّه علاوه على تلقى الوحى فى المنام،و سماع صوت الملك،فإنّه يراه أيضا (۲) .

و لا تنافى بين ما ورد فى هذه الرّوايات و التّفسير الذى قلناه،لأن من الممكن أن يكون للمهمات و المسؤوليات المتفاوته للنبى و الرّسول تأثير فى طريقه تلقى الوحى،و بتعبير آخر فإنّ كل مرحله من المهمّه تساير مرحله خاصّه من الوحى.(دققوا جيدا).



---

۱- ۱) -نهج البلاغه،الخطبه ۱۰۸.

۲- ۲) -أصول الكافى،ج ۱،ص ۱۳۳-۱۳۴،طبعه دار الكتب الإسلاميه.

## الآيتان [سوره مريم (۱۹): الآيات ۵۴ الی ۵۵]

### اشاره

وَ اُذْكُرْ فِی اَلْكِتٰابِ إِسْمٰاعِیلَ إِنَّهُ كٰانَ صٰادِقَ اَلْوَعْدِ وَ كٰانَ رَسُولاً نَبِیًّا (۵۴) وَ كٰانَ یَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاٰهِ وَ اَلزَّكٰاهِ وَ كٰانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِیًّا (۵۵)

### التّفسیر

### اشاره

#### إسماعیل نبی صادق الوعد:

بعد ذکر إبراهیم علیه السّلام و تضحیته،و بعد الإشاره القصیره إلی حیاه موسی علیه السّلام المتسامیه،یأتی الحدیث عن إسماعیل،أكبر ولد إبراهیم،و یكمل ذكر إبراهیم بذكر ولده إسماعیل،و برامجه ببرامج ولده،و یبیّن القرآن الكریم خمس صفات من صفاته البارزه التی یمكن أن تكون قدوه للجمیع.

و یبدأ الكلام بخطاب الآیه الشریفه للنّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،فتقول: وَ اذْكُرْ فِی الْكِتٰابِ إِسْمٰاعِیلَ إِنَّهُ كٰانَ صٰادِقَ الْوَعْدِ وَ كٰانَ رَسُولاً نَبِیًّا وَ كٰانَ یَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاٰهِ وَ الزَّكٰاهِ وَ كٰانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِیًّا .

لقد عدّت هاتان الآیتان كونه صادق الوعد،نبیّا عالی المرتبه،أمره بالصلاه و الارتباط بالخالق،و أمره بالزكاه و تحكیم الروابط و العلاقات بخلق اللّه،و أخیرا

القيام بالأعمال التی تجلب رضی اللّه سبحانه من صفات هذا النّبی العظیم.

و تؤکّد الآیتان علی الوفاء بالعهد،و الاهتمام بتربیه العائله،و تشیران إلی الأهمیه الخاصّه لهذین التکلیفین،اللذین ذکر أحدهما قبل النّبوه و الأخر بعدها مباشره.

إنّ الإنسان-فی الواقع-ما لم یکن صادقا،فمن المستحیل أن یصل إلی مقام الرساله السامی،لأنّ أوّل شرط لهذه الرتبه أن یبلغ الوحی الإلهی إلی العباد بدون زیاده أو نقصان،و لذلک فحتی الأفراد المعدودون الذین ینکرون عصمه الأنبیاء فی بعض الأحوال،فإنّهم اعترفوا و أقروا بأنّ مسأله صدق النّبی شرط أساسی، الصدق فی الأخبار،و فی الوعود،و فی کل شیء.

و نقرأ

فی روایه عن الإمام الصادق علیه السّلام: «إنّما سمّی إسماعیل صادق الوعد، لأنّه وعد رجلا فی مکان فانتظره فی ذلک المکان سنه،فسمّاه اللّه عزّ و جل صادق الوعد.ثمّ قال:إنّ الرجل أتاه بعد ذلک فقال له إسماعیل:ما زلت منتظرا لک» (۱) .

من البدیهی أنّه لیس المراد أنّ إسماعیل قد ترک عمله و أمور حیاته،بل المراد أنّه فی الوقت الذی کان یمارس أعماله کان یراقب مجیء الشخص المذکور.و قد بحثنا فی مجال الوفاء بالعهد بصوره مفصله فی ذیل أوّل آیه من سوره المائده.

و من جهه أخری فإنّ المرحله الأولی لتبلیغ الرساله هی الشروع من عائله المبلغ الذین هم أقرب الناس إلیه،و لهذا فإنّ نبی الإسلام صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بدأ دعوته أیضا بزوجته الغالیه خدیجه علیها السّلام،و ابن عمّه علی علیه السّلام،ثمّ و حسب أمر وَ أَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ الْأَقْرَبِینَ (۲) توجه إلی أقربائه.

و فی الآیه(۱۳۲)من سوره طه نقرأ أیضا: وَ أْمُرْ أَهْلَکَ بِالصَّلاٰهِ وَ اصْطَبِرْ عَلَیْهٰا



۱- ۱) -أصول الکافی،ج ۲،ص ۸۶.

۲- ۲) -سوره الشعراء،۲۱۴.

.

النقطه الأخرى التى تستحق الذكر هنا،أن وصف إسماعيل بكونه مرضيا، إشاره فى الواقع إلى هذه الحقيقه،و هى أنّه قد حاز رضى اللّه فى كل أعماله،و لا توجد نعمه أجلّ من أن يرضى المعبود و المولى و الخالق عنه،و لهذا تقول الآيه (۱۱۹)من سوره المائده بعد أن بينت نعمه الجنه الخالده لعباد اللّه المخلصين:

رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

(۱)

.

ص :۴۷۱

۱- ۱) -كان لنا بحث أكثر تفصيلا حول هذا الموضوع ذيل الآيه(۱۱۹)من سوره المائده من هذا التّفسير.

## الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ٥۶ الى ۶٠]

### اشاره

وَ اُذْكُرْ فِى اَلْكِتابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا (۵۶) وَ رَفَعْناهُ مَكاناً عَلِيًّا (۵۷) أُولٰئِكَ اَلَّذِينَ أَنْعَمَ اَللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ اَلنَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ وَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْراهِيمَ وَ إِسْرائِيلَ وَ مِمَّنْ هَدَيْنا وَ اِجْتَبَيْنا إِذا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آيٰاتُ اَلرَّحْمٰنِ خَرُّوا سُجَّداً وَ بُكِيًّا (۵۸) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضٰاعُوا اَلصَّلاٰةَ وَ اِتَّبَعُوا اَلشَّهَوٰاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (۵۹) إِلاّٰ مَنْ تٰابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً فَأُولٰئِكَ يَدْخُلُونَ اَلْجَنَّةَ وَ لاٰ يُظْلَمُونَ شَيْئاً (۶٠)

## التّفسير

### اشاره

### هؤلاء أنبياء اللّه،و لكن..

فى آخر قسم من تذكيرات هذه السوره،جاء الحديث عن«إدريس»النّبى، فقالت الآيه أوّلا: وَ اذْكُرْ فِى الْكِتابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا و«الصديق»-كما قلنا سابقا-هو الشخص الصادق جدّا،و المصدق بآيات اللّه سبحانه،و المذعن للحق و الحقيقه.

ص :۴۷۲

ثمّ تشير الآيه إلى مقامه العالى و تقول: وَ رَفَعْنٰاهُ مَكٰاناً عَلِيًّا .و هناك بحث بين المفسّرين فى أن المراد هل هو عظمه مقام إدريس المعنويه،أم الارتفاع المكانى بين المفسّرين فى أنّ المراد هل هو عظمه مقام إدريس المعنويه،أم الارتفاع المكانى الحسى؟فالبعض اعتبر ذلك-كما ذهبنا إليه-إشاره إلى المقامات المعنويه و الدرجات الروحيه لهذا النّبى الكبير،و البعض الآخر يعتقد أن اللّه سبحانه قد رفع إدريس كالمسيح إلى السماء،و اعتبروا التعبير ب(مكان علىّ) إشاره إلى هذا.

إلاّ أنّ إطلاق كلمه المكان على المقامات المعنويه أمر متداول و طبيعى، فنحن نرى فى الآيه(٧٧)من سوره يوسف أنّ يوسف قد قال لإخوته العاصين:

أَنْتُمْ شَرٌّ مَكٰاناً .

و على كل حال،فإنّ إدريس واحد من أنبياء اللّه المكرمين،و سيأتى شرح حاله فى البحوث القادمه إن شاء اللّه تعالى.

ثمّ تبيّن الآيه التاليه بصوره جماعيه عن كل الامتيازات و الخصائص التى مرت فى الآيات السابقه حول الأنبياء العظام و صفاتهم و حالاتهم و المواهب التى أعطاهم اللّه إياها،فتقول: أُولٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّهِ آدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنٰا مَعَ نُوحٍ وَ مِنْ ذُرِّيَّهِ إِبْرٰاهِيمَ وَ إِسْرٰائِيلَ .

و مع أن كل هؤلاء الأنبياء كانوا من ذريه آدم،غير أنّهم لقربهم من أحد الأنبياء الكبار فقد سمّوا بذريه إبراهيم و إسرائيل،و على هذا فإنّ المراد من ذريه آدم فى هذه الآيه هو إدريس،حيث كان-حسب المشهور-جدّ النّبى نوح، و المراد من الذريه هم الذين ركبوا مع نوح فى السفينه،لأنّ إبراهيم كان من أولاد سام بن نوح.

و المراد من ذريه إبراهيم إسحاق و إسماعيل و يعقوب،و المراد من ذريه إسرائيل:موسى و هارون و زكريا و يحيى و عيسى،و الذين أشير فى الآيات

السابقه إلى حالاتهم و كثير من صفاتهم البارزه المعروفه.

ثمّ تكمل الآيه هذا البحث بذكر الأتباع الحقيقيين لهؤلاء الأنبياء،فتقول:

وَ مِمَّنْ هَدَيْنا وَ اجْتَبَيْنا إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُ الرَّحْمنِ خَرُّوا سُجَّداً وَ بُكِيًّا

(۱)

.

لقد اعتبر بعض المفسّرين جمله وَ مِمَّنْ هَدَيْنا وَ اجْتَبَيْنا.. بيانا آخر لنفس هؤلاء الأنبياء الذين أشير إليهم فى بدايه هذه الآيه.إلاّ أنّ ما قلنا أعلاه يبدو أنّه أقرب للصواب (۲) .و الشاهد على هذا الكلام

الحديث المروى عن الإمام زين العابدين على بن الحسين عليه السّلام،إذ قال أثناء تلاوه هذه الآيه:«نحن عنينا بها» (۳) .

و ليس المراد من هذه الجمله هو الحصر مطلقا،بل هى مصداق واضح لمتبعى و أولياء الأنبياء الواقعيين،و قد مرت بنا نماذج من مصاديق هذا البحث فى التّفسير الأمثل هذا.إلاّ أنّ عدم الالتفات إلى هذه الحقيقه سبب أن يقع بعض المفسّرين-كالآلوسى فى روح المعانى-فى خطأ حيث طعن فى هذا الحديث، و عدّه دليلا على كون أحاديث الشيعه غير معتبره!و هذه هى نتيجه عدم الإحاطه بالمفهوم الواقعى للروايات الوارده فى تفسير الآيات.

و ممّا يستحق الانتباه أن الحديث فى الآيات السابقه كان عن مريم،فى حين أنّها لم تكن من الأنبياء،بل كانت داخله فى جمله مِمَّنْ هَدَيْنا و تعتبر من مصاديقها،و لها فى كل زمان و مكان مصداق أو مصاديق،و من هنا نرى أن الآيه (۶۹)من سوره النساء لم تحصر المشمولين بنعم اللّه بالأنبياء،بل أضافت إليهم الصديقين و الشهداء: فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ و كذلك عبرت الآيه(۷۵)من سوره المائده عن مريم أم عيسى بالصديقه،فقالت: وَ أُمُّهُ صِدِّيقَهٌ .



---

۱- ۱) -سجد جمع ساجد،و بكى جمع باك.

۲ - ۲) -لأنّها إذا كانت إشاره للأنبياء السابقين،فإنّها لا تناسب الفعل المضارع(تتلى)الذى يتعلق بالمستقبل،إلاّ أن نقدر جمله(كانوا)و أمثالها،و هى خلاف الظاهر أيضا.

۳- ۳) -مجمع البيان،ذيل الآيه مورد البحث.

ثمّ تتحدث الآيات عن جماعه انفصلوا عن دين الأنبياء المربی للإنسان، و كانوا خلفا سيئا لم ينفذوا ما أريد منهم،و تعدد الآيه قسما من أعمالهم القبيحه، فتقول: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضاعُوا الصَّلاةَ وَ اتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا .

(خلف)بمعنی الأولاد الطالحين،و(خلف)بمعنی الأولاد الصالحين.

و هذه الجمله قد تكون إشاره إلی جماعه من بنی إسرائيل ساروا فی طريق الضلال،فنسوا اللّه،و رجحوا اتباع الشهوات علی ذكر اللّه،و ملؤوا الدنيا فسادا، و أخيرا ذاقوا و بال أعمالهم السيئه فی الدنيا،و سيذوقونه فی الآخره أيضا.

و احتمل المفسّرون احتمالات عديده فی أنّ المراد من(إضاعه الصلاه)هنا هل هو ترک الصلاه،أم تأخيرها عن وقتها،أم القيام بأعمال تضيع الصلاه فی المجتمع؟إن المعنی الأخير-كما يبدو-هو الأصح.

لماذا كان التأكيد علی الصلاه-هنا-من بين كل العبادات؟ قد يكون السبب أن الصلاه-كما نعلم-سدّ يحول بين الإنسان و المعاصی، فإذا كسر هذا السد فإن الغرق فی الشهوات هو النتيجه القطعيه لذلک،و بتعبير آخر،فكما أن الأنبياء يبدؤون فی ارتقاء مراتبهم و مقاماتهم من ذكر اللّه،و عند ما كانت تتلی عليهم آيات اللّه كانوا يخرون سجدا و يبكون،فإن هذا الخلف الطالح بدأ انحرافهم و سقوطهم من نسيانهم ذكر اللّه.

و لما كان منهج القرآن فی كل موضع هو فتح أبواب الرجوع إلی الإيمان و الحق دائما،فإنّه يقول هنا أيضا بعد ذكر مصير الأجيال المنحرفه: إِلاّ مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَأُولئِکَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّهَ وَ لا يُظْلَمُونَ شَيْئاً ،و علی هذا فلا يعنی أن الإنسان إذا غاص يوما فی الشهوات فسيكتب علی جبينه اليأس من رحمه اللّه،بل إن طريق التوبه و الرجوع مفتوح ما بقی نفس يتردد فی صدر الإنسان،و ما دام الإنسان علی قيد الحياه.

ص: ۴۷۵

## بحثان

## اشاره

### ۱-من هو إدريس؟

طبقا لنقل کثیر من المفسّرین،فإنّ إدریس جدّ سیدنا نوح علیه السّلام و اسمه فی التوراه(أخنوخ)و فی العربیه(إدریس)،و ذهب البعض أنّه من ماده(درس)لأنّه أوّل من کتب بالقلم،فقد کان إضافه إلی النّبوه عالما بالنجوم و الحساب و الهیئه، و کان أوّل من علم البشر خیاطه الملابس.

لقد تحدث القرآن عن هذا النّبی الکبیر مرّتین فقط،و بإشاره خاطفه:

إحداهما هنا فی هذه الآیات،و الأخری فی سوره الأنبیاء الآیه ۸۵-۸۶و قد ذکرت حیاته بصوره مفصله فی روایات مختلفه نشک فی صحه أکثرها،و لهذا السبب اکتفینا بالإشاره أعلاه.

### ۲-من هم الذین أَضٰاعُوا الصَّلاٰهَ

نقرأ

فی حدیث ورد فی کثیر من کتب علماء أهل السنه، أن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عند ما تلا هذه الآیه قال:«یکون خلف من بعد ستین سنه أضاعوا الصلاه و اتبعوا الشهوات فسوف یلقون غیا،ثمّ یکون خلف یقرءون القرآن لا یعدو تراقیهم،و یقرأ القرآن ثلاثه:مؤمن،منافق،و فاجر» (۱) .

ینبغی الالتفات إلی أنّنا إذا اعتبرنا هجره النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مبدأ الستین سنه،فإنّه ینطبق تماما علی الزمن الذی تربع فیه یزید علی کرسی الحکم،و استشهد فیه سید الشهداء الإمام الحسین علیه السّلام و أصحابه،و یشیر الحدیث بعد ذلک إلی بقیه فتره بنی أمیه و فتره بنی العباس الذین کانوا قد اقتنعوا من الإسلام بالاسم،و من القرآن باللفظ،و نعوذ باللّه أن نکون من هذا الخلف المنحرف.



---

۱- ۱) -تفسیر المیزان،ج ۱۴،ص ۸۴.

## الآيات [سوره مریم (۱۹): الآيات ۶۱ الى ۶۳]

### اشاره

جَنّاتِ عَـدْنٍ اَلَّتِی وَعَـدَ اَلرَّحْمٰنُ عِبٰادَهُ بِالْغَیْبِ إِنَّهُ کٰانَ وَعْدُهُ مَأْتِیًّا (۶۱) لاٰ یَسْـمَعُونَ فِیهٰا لَغْواً إِلاّٰ سَـلاٰماً وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِیهٰا بُکْرَهً وَ عَشِیًّا (۶۲) تِلْکَ اَلْجَنَّهُ اَلَّتِی نُورِثُ مِنْ عِبٰادِنٰا مَنْ کٰانَ تَقِیًّا (۶۳)

### التّفسیر

### اشاره

### بعض صفات الجنّه:

وصـفت الجنّه و نعمهـا فی هـذه الآیـات حیث جـاء ذکرها فی الآیات السابقه، فهی تصف الجنّه الموعوده بأنّها جَنّٰاتِ عَـدْنٍ الَّتِی وَعَدَ الرَّحْمٰنُ عِبٰادَهُ بِالْغَیْبِ إِنَّهُ کٰانَ وَعْدُهُ مَأْتِیًّا .

ممّا یستحق الاهتمام و یسترعی الانتباه أن الآیات السابقه التی تحدثت عن التوبه و الإیمان و العمل الصالح،جاء الوعد فیها بالجنّه بصیغه المفرد(جنه)،أمّا هنا فقد ورد بصیغه الجمع(جنات)لأنّ الجنّه فی الحقیقه متکونه من حدائق متعدده و غنیه بالنعم جدّا،و ستکون تحت تصرف المؤمنین الصالحین.

إنّ وصف الجنّه ب(عدن)التی تعنی الدوام و الخلود،دلیل علی أنّ الجنّه

ليست كحدائق و بساتين هذه الدنيا و نعمها الزائله،لأنّ الشيء الذى يقلق الإنسان فيما يتعلق بنعم هذه الدنيا الكثيره هو زوالها فى النهايه،إلّا أن مثل هذا القلق بالنسبه لنعم الجنّه لا معنى له (۱) .

كلمه(عباده)تعنى عباد اللّه المؤمنين،لا جميع العباد،و التعبير(بالغيب)الذى جاء بعدها يعنى غيبته و اختفاءه عن نظرهم إلّا أنّهم يؤمنون به.و فى الآيه(۳۰) من سوره الفجر نقرأ أيضا: فَادْخُلِی فِی عِبادِی وَ ادْخُلِی جَنَّتِی .

و يحتمل أيضا فى معنى الغيب أنّ نعم الجنّه على هيئه لم ترها عين،و لم تسمع بها أذن،و لم تخطر على فكر و قلب بشر،و بكلمه واحده:إنّها غائبه عن حسنا و إدراكنا،عالم أسمى و أوسع من هذا العالم،و نحن لا نرى منها إلا شبحا من بعيد بعين الروح و القلب.

ثمّ تشير بعد ذلك إلى نعمه أخرى من أكبر نعم الجنّه فتقول: لا یَسْمَعُونَ فِیها لَغْواً فلا كذب،و لا عداء،لا تهمه و لا جرح لسان،لا سخريه و لا حتى كلام لا فائده فيه،بل الشيء الوحيد الذى يسمعونه هو السلام إِلاّ سَلاماً .

«السلام»بالمعنى الواسع للكلمه،و الذى يدل على سلامه الروح و الفكر و اللسان و السلوك و العمل.

السلام الذى جعل ذلك الجو و تلك البيئه جنه،و اقتلع كل نوع من الأذى منها.

السلام الذى هو علامه على المحيط الآمن،المحيط الملى بالصفاء و العلاقه الحميمه و الطهاره و التقوى الصلح و الهدوء و الاطمئنان.

و فى آيات أخرى من القرآن جاءت هذه الحقيقه أيضا بتعبيرات مختلفه، ففي الآيه(۷۳)من سوره الزمر نقرأ: وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ .و فى الآيه(۳۴)من سوره ق: اُدْخُلُوها بِسَلامٍ ذلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ

ص :۴۷۸

---

۱- ۱) -(عدن)فى اللغه بمعنى الإقامه،و هنا تعطى هذا المعنى،بأن ساكنى تلك الجنان سيكونون مقيمين فيها دائما.

.

و ليست الملائكه وحدها التی تحییهم،و لیسوا لوحدهم یحیی بعضهم بعضا، بل إنّ اللّه سبحانه یحییهم أیضا،کما حیاتهم فی الآیه(۵۷)من سوره یس: سَلاٰمٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِیمٍ .فهل یوجد محیط أصفی و أجمل من هذا الجوّ الملیء بالسلام و السلامه؟ و بعد هذه النعمه تشیر الآیه إلی نعمه أخری فتقول: وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِیهٰا بُکْرَهً وَ عَشِیًّا .

إنّ هذه الجمله تثیر سؤالین:

أحدهما:هل یوجد فی الجنّه صبح و لیل؟ و قد جاء جواب هذا السؤال فی الرّوایات هکذا:إنّ الجنّه و إن کانت دائما منیره مضیئه،إلاّ أنّ أهلها یمیزون اللیل و النهار من قله النور و زیادته.

و السؤال الآخر هو:إنّه یستفاد من آیات القرآن بوضوح أن کل ما یریده أهل الجنه من الهبات و الأرزاق موجود تحت تصرفهم دائما و فی أی ساعه،فأی رزق هذا الذی یأتیهم فی الصبح و المساء فقط؟ و یمکن استخلاص جواب هذا السؤال من

حدیث جمیل روی عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حیث یقول: «و تعطیهم طرف الهدایا من اللّه لمواقیت الصلاه التی کانوا یصلون فیها فی الدنیا» (۱) . و یستفاد من هذا الحدیث أن هذه الهدایا الممتازه التی لا یمکن بیان ماهیتها حتی بالحدس و التخمین،نعم قیمه جدا،تهدی إلی هؤلاء بکره و عشیا مضافا إلی سائر نعم الجنّه.

ألا یدل تعبیر الآیه،و الحدیث الذی ذکر،علی أنّ حیاه أهل الجنّه لیست علی وتیره واحده،بل إن لهم فی کل صباح و مساء موهبه جدیده و لطف جدید یعمهم و یشملهم!؟



---

۱- ۱) -تفسیر روح المعانی،الجزء ۱۶،ص ۱۰۳.

أ ليس معنى هـذا الكلام أنّ السـير التكاملى للإنسان سيسـتمر هناك،بالرغم من أنّه لا يعمل عملا،غير أنّه سـيديم سـيره التكاملى بواسـطه معتقـداته و أعماله فى هـذه الدنيا؟! و بعد الوصف الإجمالى للجنّه و نعمها الماديه و المعنويه،تعرّف الآيه أهل الجنّه فى جمله قصيره،فتقول: تِلْكَ الْجَنَّهُ الَّتِی نُورِثُ مِنْ عِبٰادِنٰا مَنْ کٰانَ تَقِیًّا و على هذا فإن مفتاح باب الجنّه مع كل تلك النعم التى مرت ليس إلاّ«التقوى».

و بـالرغم من أنّ التعبير ب«عبادنـا»فيه إشاره إجماليه إلى الإيمان و التقوى، غير أنّ المحل هنا لا يكتفى فيه بالإشاره الإجماليه،بل لا بدّ من بيان هذه الحقيقه بصراحه،بأن الجنه محل المتقين فقط.

و نواجه هنـا مرّه أخرى كلمه الإرث،و التى تطلق عاده على الأموال التى تنتقل من شـخص إلى آخر بعـد موته،فى حين أنّ الجنّه ليست مملوكه لأحد حتى يمكن توريثها للآخرين.

و يمكن الإجابه على هذا السؤال عن طريقين:

۱-إنّ الإرث من الناحيه اللغويه جاء بمعنى التمليک،و لا ينحصر بالانتقال المالى من الميت إلى الورثه.

۲-إنّنا نقرأ

فى حـديث عن النّبى الأـكرم صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم: «ما من أحـد إلاّ و له منزل فى الجنّه و منزل فى النّار،فأمّا الكافر فيرث المؤمن منزله من النّار،و المؤمن يرث الكافر منزله من الجنّه» (۱) .

و يلزم هنـا أيضـا ذكر هـذه النكته،و هى أن الوارثه التى وردت بـذلک المعنى فى الحـديث ليست على أساس العلاقه النسبيه،بل على أساس التقوى الدينيه و العمليه.

و يستفاد هذا المعنى أيضا من سبب النّزول الذى ذكره بعض المفسّرين



---

۱- ۱) -نور الثقلين،الجزء ۲،ص ۳۱.و قد بحثنا فى هذا الباب ذيل الآيه(۴۲)من سوره الأعراف من هذا التّفسير.

للآيه،بأن أحد المشركين-و اسمه العاص بن وائل-قد منع أجيره أجره- و الظاهر أنّه كان مسلما-و قال متهكما:إن كان ما يقوله محمّد حقا فنحن أولى من غيرنا بنعم الجنّه،و سندفع أجر هذا العامل بالكامل هناك!فنزلت هذه الآيه و قالت:إنّ الجنّه مختصه بمن كان تقيا.

ص :۴۸۱

## الآیتان [سوره مریم (۱۹): الآیات ۶۴ الی ۶۵]

### اشاره

وَ مٰا نَتَنَزَّلُ إِلاّٰ بِأَمْرِ رَبِّکَ لَهُ مٰا بَیْنَ أَیْدِینٰا وَ مٰا خَلْفَنٰا وَ مٰا بَیْنَ ذٰلِکَ وَ مٰا کٰانَ رَبُّکَ نَسِیًّا (۶۴) رَبُّ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ مٰا بَیْنَهُمٰا فَاعْبُدْهُ وَ اِصْطَبِرْ لِعِبٰادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِیًّا (۶۵)

### سبب النّزول

ذکر جماعه من المفسّرین فی سبب نزول هاتین الآیتین،أنّ الوحی انقطع أیّاما،و لم یأت جبرئیل رسول الوحی الإلهی إلی النّبی،فلمّا انقضت هذه المدّه قال له:قال عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:«ما منعک أن تزورنا أکثر ممّا تزورنا»،فنزلت الآیه: وَ مٰا نَتَنَزَّلُ إِلاّٰ بِأَمْرِ رَبِّکَ (۱) .

### التّفسیر

#### اشاره

#### الطاعه التّامه:

بالرّغم من أن لهذه الآیه سبب نزول ذکر أعلاه،إلاّ أنّ هذا لا یکون مانعا من



---

۱ – ۱) -تفسیر نور الثقلین،ج ۳، ص ۳۵۲،عن مجمع البیان،و تفسیر القرطبی،الجزء ۱۱، ص ۴۱۶،و ذیل الآیه مورد البحث باختلاف یسیر.

أن يكون لهـا ارتباطا منطقيا بالآيات السابقه،لأنّها تأكيـد على أنّ كل ما أتى به جبرئيل من الآيات السابقه قـد بلغه عن اللّه بـدون زيـاده أو نقصان،و لا شـيء من عنـده،فتتحـدث الآيه الأولى على لسان رسول الوحى فتقول: وَ مٰا نَتَنَزَّلُ إِلاّ بِأَمْرِ رَبِّكَ فكل شـيء منه،و نحن عباد وضـعنا أرواحنا و قلوبنا على الأكف لَهُ مٰا بَيْنَ أَيْدِينٰا وَ مٰا خَلْفَنٰا وَ مٰا بَيْنَ ذٰلِكَ و الخلاصه:فإنّ الماضى و الحاضر و المستقبل،و هنا و هناك و كل مكان،و الدنيا و الآخره و البرزخ،كل ذلك متعلق بذات اللّه المقدسه.

و قـد ذكر بعض المفسّـرين لجمله لَهُ مٰا بَيْنَ أَيْـدِينٰا وَ مٰا خَلْفَنٰا وَ مٰا بَيْنَ ذٰلِكَ آراء عديـده بلغت أحيانا أحـد عشـر قولا ما ذكرنا أعلاه هو أنسبها جميعا كما يبدو..

ثمّ تضـيف الآـيه:إن كـل ذلك بأمر ربّك رَبُّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا فإذا كان الأمر كـذلك،و كل الخطوط تنتهى إليه فَاعْبُدْهُ عباده مقترنه بالتوحيد و الإخلاص.و لما كان هذا الطريق-طريق العبوديه و الطاعه و عباده اللّه الخالصه-ملىء بالمشاكل و المصاعب،فقد أضافت وَ اصْطَبِرْ لِعِبٰادَتِهِ ،و تقول فى آخر جمله: هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا .

و هـذه الجمله فى الواقع،دليـل على مـا جاء فى الجمله السابقه،يعنى:هل لـذاته المقـدسه شـريك و مثيل حتى تمـد يـدك اليه و تعبـده؟ إنّ كلمه(سـمى)و إن كـانت تعنى«المشترك فى الاـسم»،إلاّـ أن من الواضـح أنّ المراد هنـا ليس الاـسم فقط،بل محتوى الاسم،أى:هل تعلم أحدا غير اللّه خالقا رازقا،محييا مميتا،قادرا على كل شىء،و ظاهرا على كل شىء؟

## الآیات [سوره مریم (۱۹): الآیات ۶۶ الی ۷۰]

### اشاره

وَ یَقُولُ اَلْإِنْسٰانُ أَ إِذٰا مٰا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَیًّا (۶۶) أَ وَ لاٰ یَذْکُرُ اَلْإِنْسٰانُ أَنّٰا خَلَقْنٰاهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ یَکُ شَیْئاً (۶۷) فَوَ رَبِّکَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَ اَلشَّیٰاطِینَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِیًّا (۶۸) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ کُلِّ شِیعَهٍ أَیُّهُمْ أَشَدُّ عَلَی اَلرَّحْمٰنِ عِتِیًّا (۶۹) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِینَ هُمْ أَوْلیٰ بِهٰا صِلِیًّا (۷۰)

### سبب النّزول

الآیات الأولی-علی رأی جماعه من المفسّرین-نزلت فی شأن«أبی بن خلف»،أو «الولید بن المغیره»،حیث أخذوا قطعه من عظم منخور،ففتوه بأیدیهم و نثروه فی الهواء حتی تطایرت کل ذره منه إلی جهه،و قالوا انظروا إلی محمّد الذی یظن أن اللّه یحیینا بعد موتنا و تلاشی عظامنا مثل هذا العظم!إن هذا شیء غیر ممکن أبدا.فنزلت هذه الآیات و أجابتهم،جوابا قاطعا،جوابا مفیدا و معلما لکل البشر،و فی جمیع القرون و الأعصار.

ص:۴۸۴

### التّفسير

### اشاره

### حال أهل النّار:

مرّت فی الآیات السابقه بحوث عدیده حول القیامه و الجنّه و الجحیم، و تتحدث هذه الآیات التی نبحثها حول نفس الموضوع،فتعید الآیه الأولی أقوال منکری المعاد،فتقول: وَ یَقُولُ الْإِنْسانُ أَ إِذا ما مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَیًّا .

هذا الاستفهام استفهام إنکاری طبعا،أی إنّ هذا الشیء غیر ممکن.أمّا التعبیر بالإنسان(و خاصّه مع ألف و لام الجنس)،مع أنّه کان من المناسب أن یذکر الکافر محله-فربّما کان من جهه أن هذا السؤال مخفی فی طبع کل إنسان فی البدایه بزیاده و نقیصه،و بسماع مسأله الحیاه بعد الموت سترتسم فی ذهنه علامه الاستفهام فورا.

ثمّ یجیبهم مباشره بنفس التعبیر أَ وَ لا یَذْکُرُ الْإِنْسانُ أَنّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ یَکُ شَیْئاً . و یمکن أن یکون التعبیر ب«الإنسان»هنا أیضا إشاره إلی أن الإنسان مع ذلک الاستعداد و الذکاء الذی منحه اللّه إیّاه،یجب أن لا یجلس ساکتا أمام هذا السؤال،بل یجب أن یجیب علیه بتذکر الخلق الأوّل،و إلاّ فإنّه لم یستعمل حقیقه إنسانیته.

إنّ هذه الآیات-ککثیر من الآیات المرتبطه بالمعاد-تؤکّد علی المعنی الجسمانی،و إلاّ فإذا کان القرار أن تبقی الروح فقط،و لا وجود لرجوع الجسم إلی الحیاه،فلا مکان و لا معنی لذلک السؤال،و لا لهذا الجواب.

علی کل حال،فقد استعمل القرآن هذا المنطق لإثبات المعاد هنا،و قد جاء فی مواضع أخری من القرآن أیضا،و من جملتها فی أواخر سوره یس،حیث طرح الأمر بنفس تعبیر الإنسان: أَ وَ لَمْ یَرَ الْإِنْسانُ أَنّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَهٍ فَإِذا هُوَ خَصِیمٌ مُبِینٌ. وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَ نَسِیَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ یُحْیِ الْعِظامَ وَ هِیَ رَمِیمٌ. قُلْ

يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَهٰا أَوَّلَ مَرَّهٍ وَ هُوَ بِكَلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ

(۱)

(۲)

.

بعض المفسّرين طرح هنا سؤالا،و هو أن هذا الدليل إذا كان صحيحا،بأنّ كل شخص إذا ما عمل عملا فإنّه قادر على إعادته، فلما ذا نقوم بأعمال ثمّ نعجز عن تكرارها أحيانا؟فمثلا قد ننشد قطعه شعريه رائعه جدّا،أو نكتب بخط جميل جدّا،غير أنّنا بعد ذلك نجتهد فى الإتيان بمثله و لكن دون جدوى.

الجواب هو:صحيح أنّنا نقوم بأعمالنا بإراده و اختيار،إلاّ أن هناك سلسله من الأمور غير الإراديه تؤثر فى أفعالنا الخاصّه أحيانا،فإنّ حركه و اهتزاز يدنا غير المحسوس يؤثر أحيانا فى دقه شكل الحروف.إضافه إلى أن قدرتنا و استعدادنا ليسا متساويين دائما،فقد تعرض أحيانا عوامل تعبئ كل قوانا الداخليه،و نستطيع أن نبدع فى الأعمال و نأتى بأعلاها،إلاّ أنّ هذه الدوافع تكون ضعيفه أحيانا،فلا تستجمع كل الطاقات،و لذلك فإن العمل الثّانى لا ينفذ بدقه وجوده العمل الأوّل.

إلاّ أنّ اللّه الذى لا تنتهى قدرته،لا تثار حوله هذه المسائل،و لا تقاس قدرته على أعمالنا و قدراتنا،فإنّه إذا عمل عملا فإنّه يستطيع إعادته بعينه بدون زياده أو نقصان.

ثمّ تهدد الآيه التاليه منكرى المعاد،و المجرمين الكافرين: فَوَ رَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَ الشَّيٰاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا .

إنّ هذه الآيه توحى بأنّ محكمه الأفراد الكافرين و المجرمين قريبه من جهنم!و التعبير ب«جثيا»-مع العلم أن جثى جمع جاثى،و هو الذى يجثو على ركبتيه-ربّما كان إشاره إلى ضعف و عجز و ذله هؤلاء،حتى أنّهم لا قدره لهم على الوقوف أحيانا.



---

۱- ۱) -يس،۷۷-۷۹.

۲- ۲) -لقد بحثنا حول هذا الدليل فى ذيل الآيه(۲۹)من الأعراف تحت عنوان(أقصر دليل لإثبات المعاد).

و لهـذه الكلمه معـانی أخری أیضا،فمن جملتها أنّهم فسـروا«جثیا»بمعنی جماعه جماعه،و بعضـهم فسّرها بمعنی الکثره و ازدحام بعضهم علی بعض کتراکم التراب و الحجاره،إلاّ أنّ التّفسیر الأوّل هو الأنسب و الأشهر.

و لما کانت الأولویات تلاحظ فی تلک المحکمه العادله،فإنّ الآیه التالیه تقول: ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ کُلِّ شِیعَهٍ أَیُّهُمْ أَشَدُّ عَلَی الرَّحْمٰنِ عِتِیًّا (۱) و نبدأ بحسابهم أوّلا،فإنّهم عتوا عتوا نسوا معه کل مواهب اللّه الرحمان،و جنحوا إلی التمرد و العصیان و إظهار الوقاحه أمام ولی نعمتهم!أجل،إن هؤلاء أحق من الجمیع بالجحیم.

ثمّ تؤکّد علی هـذا المعنی مرّه أخری فتقول: ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِینَ هُمْ أَوْلیٰ بِهٰا صِلِیًّا فسنختار هؤلاء بدقه،و سوف لا یقع أی اشتباه فی هذا الإختیار.

(صلی)مصدر یعطی معنی إشعال النار و إیقادها،کما یعنی حرق الشیء بالنّار.



---

۱- ۱) -«الشیعه»فی الأصل بمعنی الجماعه التی یتعاون أفرادها للقیام بعمل ما،و انتخاب هـذا التعبیر فی الآیه یمکن أن یکون إشاره إلی أن العتاه المرده و الضالین الکافرین کانوا یتعاونون فی طریق الطغیان،و نحن سنحاسب هؤلاء أوّلا،لأنّهم أکثر تمردا و عصیانا من الجمیع.

## الآیتان [سوره مریم (۱۹): الآیات ۷۱ الی ۷۲]

### اشاره

وَ إِنْ مِنْکُمْ إِلاّ وارِدُها کانَ عَلی رَبِّکَ حَتْماً مَقْضِیًّا (۷۱) ثُمَّ نُنَجِّی اَلَّذِینَ اِتَّقَوْا وَ نَذَرُ اَلظّالِمِینَ فِیها جِثِیًّا (۷۲)

### التّفسیر

### اشاره

### الجمیع یردون جهنم!

تستمر الآیات فی بحث خصائص القیامه و الثواب و العقاب،و أشارت فی البدایه إلی مسأله یثیر سماعها الحیره و العجب لدی أغلب الناس،فتقول: وَ إِنْ مِنْکُمْ إِلاّ وارِدُها کانَ عَلی رَبِّکَ حَتْماً مَقْضِیًّا فجمیع الناس سیدخلون جهنم بدون استثناء لأنّه أمر حتمی.

ثُمَّ نُنَجِّی الَّذِینَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظّالِمِینَ فِیها جِثِیًّا

فنترکهم فیها جالسین علی الرکب من الضعف و الذّل.

و هناک بحث مفصل بین المفسّرین فی تفسیر هاتین الآیتین حول المراد من «الورود»فی جمله وَ إِنْ مِنْکُمْ إِلاّ وارِدُها .

فیری بعض المفسّرین أنّ«الورود»هنا بمعنی الاقتراب و الإشراف،أی إن جمیع الناس بدون استثناء-المحسن منهم و المسیء- یأتون إلی جانب جهنم للحساب،أو لمشاهده مصیر المسیئین النهائی،ثمّ ینجی اللّه المتقین،و یدع

الظالمين فيها.و قد استدل هؤلاء لدعم هذا التّفسير بالآيه(۲۳)من سوره القصص: وَ لَمّا وَرَدَ مٰاءَ مَدْيَنَ.. حيث أن للورود هنا نفس المعنى.

و التّفسير الثّانى الذى اختاره أكثر المفسّرين،هو أن الورود هنا بمعنى الدخول،و على هذا الأساس فإنّ كل الناس بدون استثناء- محسنهم و مسيئهم- يدخلون جهنم،إلاّ أنّها ستكون بردا و سلاما على المحسنين،كحال نار نمرود على إبراهيم يٰا نٰارُ كُونِى بَرْداً وَ سَلاٰماً عَلىٰ إِبْرٰاهِيمَ ،لأنّ النّار ليست من سنخ هؤلاء الصالحين،فقد تفر منهم و تبتعد عنهم،إلاّ أنّها تناسب الجهنميين فهم بالنسبه للجحيم كالماده القابله للاشتعال،فما أن تمسهم النار حتى يشتعلوا.

و بغض النظر عن فلسفه هذا العمل،و التى سنشرحها فيما بعد-إن شاء اللّه تعالى-فإنّ ممّا لا شك فى أنّ ظاهر الآيه يلائم و ينسجم مع التّفسير الثانى،لأنّ المعنى الأصلى للورود هو الدخول،و غيره يحتاج إلى قرينه.إضافه إلى أن جمله ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا و كذلك جمله وَ نَذَرُ الظّٰالِمِينَ فِيهٰا كلتاهما شاهدتان على هذا المعنى.علاوه على الرّوايات المتعدده الواصله إلينا فى تفسير الآيه التى تؤيد هذا المعنى،و من جملتها:

روى عن جابر بن عبد اللّه الأنصارى أنّ رجلا سأله عن هذه الآيه،فأشار جابر بإصبعيه إلى أذنيه و قال:صمتا إن لم أكن سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:

«الورود الدّخول،لا يبقى بر و لا فاجر إلاّ يدخلها،فتكون على المؤمنين بردا و سلاما كما كانت على إبراهيم،حتى أن للنّار-أو قال لجهنم-ضجيجا من بردها، ثمّ ينجى اللّه الذين اتقوا و يذر الظالمين فيها جثيا» (۱) .

و

فى حديث آخر عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «تقول النّار للمؤمن يوم القيامه:جز يا مؤمن،فقد أطفأ نورک لهبى» (۲) !



---

۱- ۱) -نور الثقلين،الجزء ۳،ص ۳۵۳.

۲- ۲) -المصدر السّابق.

و یستفاد هـذا المعنی أیضا من بعض الرّوایات الأخری.و کذلک التعبیر العمیق المعنی للصـراط،و الذی ورد فی روایات متعدده بأنّه جسر علی جهنم، و أنّه أدق من الشعره و أحد من السیف،هذا التعبیر شاهد آخر علی هذا التّفسیر (۱) .

أمّا ما یقوله البعض من أن الآیه(۱۰۱)من سوره الأنبیاء: أُولٰئِکَ عَنْهٰا مُبْعَدُونَ دلیل علی التّفسیر الأوّل،فلا یبدو صحیحا،لأن هذه الآیه مرتبطه بمحل إقامه و مقر المؤمنین الدائمی،حتی أنّنا نقرأ فی الآیه التالیه لهذه الآیه:

لاٰ یَسْمَعُونَ حَسِیسَهٰا فإذا کان الورود فی آیه البحث بمعنی الاقتراب،فهی غیر مناسبه لکلمه مُبْعَدُونَ و لا لجمله لاٰ یَسْمَعُونَ حَسِیسَهٰا .

## جواب عن سؤال:

السؤال الوحید الذی یبقی هنا،هو:ما هی الحکمه هذا العمل؟و هل أن المؤمنین لا یرون أذی و لا عذابا من هذا العمل؟ إنّ الإجابه علی هذا السؤال-التی وردت فی الرّوایات حول کلا الشقین- ستتضح بقلیل من الدقه.

إنّ مشاهده جهنم و عذابها فی الحقیقه،ستکون مقدمه لکی یلتذ المؤمنون بنعم الجنه بأعلی مراتب اللذه،لأن أحدا لا یعرف قدر العافیه حتی یبتلی بمصیبه (و بضدها تتمایز الأشیاء)فهناک لا یبتلی المؤمنون بمصیبه،بل یشاهدون المصیبه علی المسرح فقط،و کما قرأنا فی الرّوایات السابقه،فإنّ النّار تصبح بردا و سلاما علی هؤلاء،و یطغی نورهم علی نورها و یخمده.

إضافه إلی أنّ هؤلاء یمرون علی النار بکل سرعه بحیث لا یری علیهم أدنی أثر،کما

روی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قال فی حدیث: «یرد الناس ثمّ یصدون بأعمالهم،



---

۱- ۱) -تفسیر نور الثقلین،ج ۵،ص ۵۷۲ ذیل آیه إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصٰادِ الفجر،۱۴.

فأوّلهم كلمع البرق،ثمّ كمر الريح،ثمّ كحضر الفرس،ثمّ كالراكب،ثمّ كشد الرجل، ثمّ كمشيه» (۱) .

و إذا تجاوزنـا ذلک،فإنّ أهل النّار أيضا سـيلقون عـذابا أشـد من رؤيه هـذا المشـهد،و أن أهل الجنّه يمرون بتلک السـرعه و هم يبقون فی النّار،و بهذا سيتّضح جواب کلا السؤالين.



---

۱- ۱) -نور الثقلين،ج ۳،ص ۳۵۳.

## الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ٧٣ الى ٧۶]

### اشاره

وَ إِذا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آيٰاتُنٰا بَيِّنٰاتٍ قٰالَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ اَلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقٰاماً وَ أَحْسَنُ نَدِيًّا (٧٣) وَ كَمْ أَهْلَكْنٰا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثٰاثاً وَ رِءْياً (٧۴) قُلْ مَنْ كٰانَ فِي اَلضَّلاٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ اَلرَّحْمٰنُ مَدًّا حَتّٰى إِذٰا رَأَوْا مٰا يُوعَدُونَ إِمَّا اَلْعَذٰابَ وَ إِمَّا اَلسّٰاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكٰاناً وَ أَضْعَفُ جُنْداً (٧۵) وَ يَزِيدُ اَللّٰهُ اَلَّذِينَ اِهْتَدَوْا هُدىً وَ اَلْبٰاقِيٰاتُ اَلصّٰالِحٰاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوٰاباً وَ خَيْرٌ مَرَدًّا (٧۶)

### التّفسير

هـذه الآيات تتابع ما مر فى الآيات السابقه فى الحـديث عن الظالمين الـذين لا إيمان لهم،و تتعرض لجانب آخر من منطق هؤلاء الظالمين و مصيرهم.

و من المعلوم أنّ أوّل جماعه آمنت بالرّسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كانوا من المستضعفين الطاهرى القلوب،و الذين خلت أيديهم من مال الدنيا و مغرياتها..

هؤلاء المحرومون هم الذين جاءت الأديان الإلهيه من أجل إنقاذهم من قبضه

ص: ۴۹۲

الظالمين الجائرين بلال و سلمان،و عمار،و خباب،و سميه،و أمثالهم مصاديق بارزه لهؤلاء المؤمنين المظلومين.

و لما كان المعيار فى المجتمع الجاهلى فى ذلک الزمان-و كذا فى كل مجتمع جاهلى آخر-هو الذهب و الزينه و المال و المقام و المنصب و الهيئه الظاهريه، فكان الأثرياء الظالمون،كالنضر بن الحارث و أمثاله يفتخرون على المؤمنين الفقراء بذلک و يقولون:إنّ علامه شخصيتنا معنا،و علامه عدم شخصيتكم فقركم و محروميتكم،و هذا بنفسه دليل على أحقيتنا و باطلكم!كما يقول القرآن الكريم فى أول آيه من الآيات مورد البحث: وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقاماً وَ أَحْسَنُ نَدِيًّا .

خاصّه و أنّنا نقرأ فى الرّوايات الإسلاميه أن هؤلاء الأشراف المترفين كانوا يلبسون أجمل ملابسهم،و يتزينون بأبهى زينه،و يتبخترون أمام أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و كانوا ينظرون إليهم نظره تحقير و استهزاء..نعم،هذه طريقه هذه الطبقه فى كل عصر و زمان.

«النديّ»أخذت فى الأصل من(الندى)أى الرطوبه،ثمّ جاءت بمعنى الأفراد الفصحاء و الخطباء،لأن أحد شروط القدره على التكلم امتلاک القدر الكافى من اللعاب،و لذلک فإن(نديّ)تعنى المجالسه و التحدث،بل يقال للمجلس الذى يجتمعون فيه للأنس و السمر،أو يجلسون فيه للتشاور:نادى، و من هذا أخذت(دار الندوه)و هى المحل الذى كان فى مكّه،و كان يجتمع فيه زعماؤها للتشاور.

و قد يعبر عن السخاء و البذل و العطاء ب(الندى) (۱) و هذه الآيه يمكن أن تكون إشاره إلى كل هذه المعانى،أى:إنّ مجلس أنسنا أجمل من مجلسكم،و إن مالنا و ثروتنا و زينتنا و لباسنا أبهى و أروع،و إن كلامنا و أشعارنا الفصيحه و البليغه



---

۱- ۱) -مفردات الراغب،ماده(ندى).

أبلغ و أحسن! إلاّ أنّ القرآن الكريم يجيب هؤلاء بجواب منطقى و مستدل تماما،و فى الوقت نفسه قاطع و مفحم،فيقول:كأن هؤلاء قد نسوا تاريخ البشر،و لم ينظروا كم دمرنا من الأقوام السابقين عند تمردهم و عصيانهم: وَ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثاثاً وَ رِءْياً (١) فهل استطاعت أموالهم و ثروتهم،و مجالسهم الفاسقه،و ملابسهم الفاخره،و صورهم الجميله أن تمنع العذاب الإلهى و تقف أمامه؟و إذا كانت هذه الأمور دليلا على شخصيتهم و منزلتهم عند اللّه،فلما ذا ابتلوا بهذا المصير المشؤوم؟ إنّ زخارف الدنيا و بهارجها متزلزله إلى حدّ أنّها تتلاشى و تزول بمجرّد أن يهب عليها أدنى نسيم هادئ.

«القرن»-كما قلنا سابقا فى ما مرّ فى ذيل الآيه(۶)من سوره الأنعام-تعنى عاده الزمان الطويل،لكن لما كانت قد أخذت من ماده الاقتران،أى الاقتراب، فإنّها تقال أيضا للقوم و الأناس المجتمعين فى زمان واحد.

ثمّ تحذرهم تحذيرا آخر،بأن لا تظنوا أيّها الظالمون الكافرون أنّ مالكم و ثروتكم هذه رحمه،بل كثيرا ما تكون دليلا على العذاب الإلهى: قُلْ مَنْ كانَ فِي الضَّلالَهِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدًّا.حَتّى إِذا رَأَوْا ما يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذابَ وَ إِمَّا السّاعَهَ إى إمّا العذاب فى هذه الدنيا،و إمّا عذاب الآخره فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكاناً وَ أَضْعَفُ جُنْداً .

فى الحقيقه،إنّ مثل هؤلاء الأفراد الذين لا يمكن هدايتهم(و الملاحظ أن القرآن يقول: مَنْ كانَ فِي الضَّلالَهِ و هو إشاره إلى الاستمرار فى الضلال)من



---

۱- ۱) -(الأثاث)بمعنى المتاع و زينه الدنيا،و(رئى)بمعنى الهيئه و المنظر.

أجل أن يروا العقاب الإلهی الشدید،فإنّ اللّه سبحانه یجعلهم أحیانا یغوصون و یغرقون فی النعم لتصبح سببا لغرورهم،کما تکون سببا لنزول العذاب علیهم، فإنّ سلب النعم عنهم حینئذ سیجعل لوعه العذاب أشد.و هذا هو ما ذکر فی بعض آیات القرآن بعنوان عقاب«الاستدراج» (۱) .

جمله فَلْیَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمٰنُ مَدًّا و إن کانت بصیغه الأمر،إلاّ أنّها بمعنی الخبر، فمعناها:إنّ اللّه یمهل هؤلاء و یدیهم علیهم النعم.

و قد فسرها بعض المفسّرین بنفس معنی الأمر أیضا،و أنّه یعنی هنا اللعنه، أو وجوب مثل هذا العمل و المعامله علی اللّه.إلاّ أنّ التّفسیر الأوّل یبدو هو الأقرب.

و کلمه(العذاب)بقرینه وقوعها فی مقابل(الساعه)فإنّها إشاره إلی العقوبات الإلهیه فی عالم الدنیا،عقوبات کطوفان نوح،و الزلزله،و الحجاره السماویه التی نزلت علی قوم لوط.أو العقوبات التی أصیبوا بها علی ید المؤمنین و المقاتلین فی جبهات الحق،کما نقرأ فی الآیه(۱۴)من سوره التوبه: قٰاتِلُوهُمْ یُعَذِّبْهُمُ اللّٰهُ بِأَیْدِیکُمْ .

«الساعه»هنا إمّا بمعنی نهایه الدنیا،أو العذاب الإلهی فی القیامه.و یبدو لنا أن المعنی الثّانی هو الأنسب.

هذه عاقبه و مصیر الظالمین المخدوعین بزخرف الدنیا و زبرجها، أمّا أولئک الذین آمنوا و اهتدوا،فإنّ اللّه یزیدهم هدی و إیمانا وَ یَزِیدُ اللّٰهُ الَّذِینَ اهْتَدَوْا هُدیً .

من البدیهی أن للهدایه درجات،فإذا طوی الإنسان درجاتها الأولی فإنّ اللّه یأخذه بیده و یرفعه إلی درجات أعلی،و کما أنّ الشجره المثمره تقطع کل یوم



---

۱- ۱) -راجع ذیل الآیات ۱۸۲،۱۸۳ من سوره الأعراف.

مرحله جدیده إلی التکامل و الإیناع،فکذلک المهتدون یرتقون کل یوم مراق أعلی فی ظل الإیمان و الأعمال الصالحه التی یعملونها.

و فی النهایه تجیب الآیه هؤلاء الذین اعتمدوا علی زینه الدنیا السریعه الزوال،و جعلوها وسیله للتفاخر علی الآخرین،فتقول: وَ الْبٰاقِیٰاتُ الصّٰالِحٰاتُ خَیْرٌ عِنْدَ رَبِّکَ ثَوٰاباً وَ خَیْرٌ مَرَدًّا (1) .



---

۱- ۱) -«مردّ»-علی وزن نمدّ بتشدید الدال-إمّا مصدر بمعنی الرّد و الإرجاع،أو اسم مکان بمعنی محل الرجوع، و المراد منه هنا الجنّه،إلاّ أنّ الاحتمال الأوّل أوفق لمعنی الآیه.

## الآيات [سوره مریم (۱۹): الآيات ۷۷ الی ۸۲]

### اشاره

أَ فَرَأَيْتَ اَلَّذِی كَفَرَ بِآيٰاتِنٰا وَ قٰالَ لَأُوتَيَنَّ مٰالاً وَ وَلَداً (۷۷) أَطَّلَعَ اَلْغَيْبَ أَمِ اِتَّخَذَ عِنْدَ اَلرَّحْمٰنِ عَهْداً (۷۸) كَلاّٰ سَنَكْتُبُ مٰا يَقُولُ وَ نَمُدُّ لَهُ مِنَ اَلْعَذٰابِ مَدًّا (۷۹) وَ نَرِثُهُ مٰا يَقُولُ وَ يَأْتِينٰا فَرْداً (۸۰) وَ اِتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اَللّٰهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (۸۱) كَلاّٰ سَيَكْفُرُونَ بِعِبٰادَتِهِمْ وَ يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (۸۲)

### التّفسير

### اشاره

### تفكير خرافي و منحرف:

يعتقد بعض الناس أنّ الإيمان و الطهاره و التقوى لا- تناسبهم،و أنّها السبب فى أن تدبر الدنيا عنهم،أمّا إذا خرجوا من دائره الإيمان و التقوى فإنّ الدنيا ستقبل عليهم،و تزيد ثروتهم و أموالهم! إنّ هذا النوع من التفكير،سواء كان نابعا من البساطه و اتباع الخرافات،أو أنّه غطاء و تستّر للفرار من تحمل المسؤوليات و التعهدات الإلهيه،فهو تفكير خاطئ و خطير.

لقد رأينا عبده الأوهام هؤلاء يجعلون أحيانا من كثره أموال و ثروات

ص :۴۹۷

الأفراد غير المؤمنين،و فقر و حرمان جماعه من المؤمنين،دليلا لإثبات هذه الخرفه،فی حين أنّه لا الأموال التی تصل إلی الإنسان عن طريق الظلم و الكفر و ترک أسس التقوی تبعث علی الفخر،و لا الإيمان و التقوی يكونان سدا و مانعا فی طريق النشاطات المشروعه و المباحه مطلقا.

علی كل حال،فقد كان فی عصر النّبی-و كذلک فی عصرنا-أفراد جاهلون يظنون هذه الظنون و الأوهام،أو كانوا يتظاهرون بها علی الأقل،فيتحدث القرآن -كمواصله للبحث الذی بيّنه سابقا حول مصير الكفار و الظالمين-فی الآيات مورد البحث عن طريقه التفكير هذه و عاقبتها،فيقول فی أوّل آيه من هذه الآيات:

أَ فَرَأَيْتَ الَّذِی كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَ قَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَ وَلَداً

(١)

.

ثمّ يجيبهم القرآن الكريم: أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْداً فإنّ الذی يستطيع أن يتكهن بمثل هذا التكهن،و يقول بوجود علاقه بين الكفر و الغنی و امتلاک الأموال و الأولاد،مطّلع علی الغيب،لأننا لا نری أیّ علاقه بين هاتين المسألتين،أو يكون قد أخذ عهدا من اللّه سبحانه،و هذا الكلام أيضا لا معنی له.

ثمّ يضيف بلهجه حاده:إنّ الأمر ليس كذلک،و لا يمكن أن يكون الكفر أساسا لزياده مال و ولد أحد مطلقا: كَلاّٰ سَنَكْتُبُ مٰا يَقُولُ .

أجل،فإنّ هذا الكلام الذی لا أساس له قد يكون سببا فی انحراف بعض البسطاء،و سيثبت كل ذلک فی صحيفه أعمال هؤلاء وَ نَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذٰابِ مَدًّا .

هذه الجمله قد تكون إشاره إلی العذاب المستمر الخالد،كما يحتمل أيضا أن



---

١- ١) -نقل بعض المفسّرين سببا لنزول الآيه و هو:إنّ أحد المؤمنين-و اسمه خباب-كان يطلب أحد المشركين- و اسمه العاص بن وائل،فقال المدين مستهزئا:إذا وجدت مالا و ولدا فی عالم الآخره فسأؤدی دينک. إلاّ أنّ سبب النّزول هذا لا يناسب الآيه التی نبحثها ظاهرا،خاصّه و أنّ الكلام عن الولد هنا،و نحن نعلم أنّ الولد فی عالم الآخره غير مطروح للبحث.إضافه إلی أن الآيات التاليه تقول بصراحه: نَرِثُهُ مٰا يَقُولُ و يتّضح من هذا التعبير أنّ المقصود أموال الدنيا لا الأموال فی الآخره. و علی كل حال،فإنّ جماعه من المفسّرين اعتبروا هذه الآيه-بناء علی سبب النّزول هذا-إشاره إلی الآخره،إلاّ أنّ الحق ما قيل.

تکون إشاره إلی العقوبات التی تحیط بهم فی هذه الدنیا نتیجه للکفر و عدم الإیمان.و یحتمل أیضا أنّ هذه الأموال و الأولاد التی هی أساس الغرور و الضلال هی بنفسها عذاب مستمر لهؤلاء! وَ نَرِثُهُ مٰا یَقُولُ من الأموال و الأولاد وَ یَأْتِینٰا فَرْداً .

نعم،إنّه سیترک فی النهایه کل هذه الإمکانیات و الأملاک المادیه و یرحل، و یحضر فی محکمه العدل الإلهیه بأید خالیه،و فی الوقت الذی اسودت فیه صحیفه أعماله من الذنوب و المعاصی،و خلت من الحسنات..هناک،حیث یری نتیجه أقواله الجوفاء فی دار الدنیا.

و تشیر الآیه التالیه إلی علّه أخری فی عباده هؤلاء الأفراد للأصنام،فتقول:

وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ آلِهَهً لِیَکُونُوا لَهُمْ عِزًّا

و لیشفعوا لهم عند اللّه،و یعینوهم فی حل مشاکلهم،لکن،أی ظن خاطئ و خیال ساذج هذا؟! لیس الأمر کما یظن هؤلاء أبدا،فلیست الأصنام سوف لا تکون لهم عزّا و حسب،بل ستکون منبعا لذلتهم و عذابهم، و لهذا فإنّهم سوف ینکرون عبادتهم لها فی یوم القیامه: کَلاّٰ سَیَکْفُرُونَ بِعِبٰادَتِهِمْ وَ یَکُونُونَ عَلَیْهِمْ ضِدًّا .

إن هذه الجمله إشاره إلی نفس ذلک المطلب الذی نقرؤه فی الآیه(۱۴)من سوره فاطر: وَ الَّذِینَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مٰا یَمْلِکُونَ مِنْ قِطْمِیرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لاٰ یَسْمَعُوا دُعٰاءَکُمْ... وَ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ یَکْفُرُونَ بِشِرْکِکُمْ .و کذلک ما نلاحظه فی الآیه(۶)من سوره الأحقاف: وَ إِذٰا حُشِرَ النّٰاسُ کٰانُوا لَهُمْ أَعْدٰاءً .

و قد احتمل بعض کبار المفسّرین أن المراد من الآیه:إنّ عبده الأصنام عند ما ترفع الحجب فی القیامه،و تتضح کل الحقائق،و یرون أنفسهم قد فضحوا و خزوا، فإنّهم ینکرون عباده الأصنام،و سیقفون ضدها،کما نقرأ ذلک فی الآیه(۲۳)من سوره الأنعام: وَ اللّٰهِ رَبِّنٰا مٰا کُنّٰا مُشْرِکِینَ .

إلاّ أنّ التّفسیر الأوّل أنسب مع ظاهر الآیه،لأن عبّاد الأصنام کانوا یریدون

أن تكون آلهتهم و معبوداتهم عزّا لهم،إلاّ أنّهم يصبحون ضدها فى النهايه.

و من الطبيعى أن تكلم المعبودات التى لها عقل و إدراك كالملائكه و الشياطين و الجن واضح و معلوم،إلاّ أنّ الآلهه الميته التى لا روح لها،من الممكن أن تتكلم بإذن اللّه و تعلن تنفرها و اشمئزازها من عبدتها و من الممكن أن يستفاد هذا التّفسير من

حديث مروى عن الإمام الصادق عليه السّلام حيث قال فى تفسير هذه الآيه: يكون هؤلاء الذين اتخذوهم آلهه من دون الله ضدا يوم القيامه و يتبرءون منهم و من عبادتهم إلى يوم القيامه.

و الجميل فى الأمر أننا نقرأ فى ذيل الحديث جمله قصيره عميقه المحتوى حول العباده:ليس العباده هى السجود و لا الركوع،و إنّما هى طاعه الرجال،من أطاع مخلوقا فى معصيه الخالق فقد عبده» (1) .



---

۱- ۱) -نور الثقلين،ج ۳،ص ۳۵۷.

## الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ٨٣ الى ٨٧]

### اشاره

أَ لَمْ تَرَ أَنّٰا أَرْسَلْنَا اَلشَّيٰاطِينَ عَلَى اَلْكٰافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣) فَلاٰ تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمٰا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٨٤) يَوْمَ نَحْشُرُ اَلْمُتَّقِينَ إِلَى اَلرَّحْمٰنِ وَفْداً (٨٥) وَ نَسُوقُ اَلْمُجْرِمِينَ إِلىٰ جَهَنَّمَ وِرْداً (٨٦) لاٰ يَمْلِكُونَ اَلشَّفٰاعَةَ إِلاّٰ مَنِ اِتَّخَذَ عِنْدَ اَلرَّحْمٰنِ عَهْداً (٨٧)

### التّفسير

### اشاره

#### من هم الذين لهم أهليه الشفاعه؟

بملاحظه البحث فى الآيات السابقه الذى كان حول المشركين،فإنّ البحث فى هذه الآيات،إشاره إلى بعض علل انحراف هؤلاء،ثمّ تبيّن الآيات فى النهايه عاقبتهم المشؤومه،و تثبت هذه الحقيقه،و هى أنّ هذه الآلهه لم تكن سبب عزتهم بل أصبحت سبب ذلهم و شقائهم،فتقول أولا: أَ لَمْ تَرَ أَنّٰا أَرْسَلْنَا الشَّيٰاطِينَ عَلَى الْكٰافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا .

«الأزّ»فى الأصل-كما يقول الراغب فى المفردات-يعنى غليان القدر، و تقلب محتواه عند شده غليانه،و هو هنا كنايه عن مدى تسلط الشياطين على هؤلاء،بحيث أنّهم يوجهونهم بالصوره التى يريدونها،و فى المسير الذى

يشاءون،و يقلبونهم كيف يشتهون! و من البديهى-كما قلنا ذلك مرارا-أن تسلّط الشياطين على بنى آدم ليس تسلطا إجباريا،بل إنّ الإنسان الذى يسمح للشياطين بالنفوذ إلى قلبه و روحه، هو الذى يطوق رقبته بقيد العبوديه لهم،و يقبل بطاعتهم،كما يقول القرآن فى الآيه (١٠٠)من سوره النحل: إِنَّمٰا سُلْطٰانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَ الَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ .

ثمّ يوجه القرآن المجيد الخطاب إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيقول: فَلاٰ تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمٰا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا و سنسجل كل شىء لذلك اليوم الذى تشكل فيه محكمه العدل الإلهى.

و هناك احتمال آخر فى تفسير الآيه،و هو أنّ المراد من عدّ أيّام عمر-بل أنفاس-هؤلاء،أنّ مدّه بقائهم قصيره و داخله تحت إمكان الحساب و العد،لأنّ حساب الشىء و عدّه كنايه عاده عن قلته و قصره.

و نقرأ

فى روايه عن الإمام الصادق عليه السّلام فى تفسير إِنَّمٰا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا أنّه سأل أحد أصحابه،قال:«ما هو عندك؟»قال:عدد الأيّام،قال:«إنّ الآباء و الأمهات يحصون ذلك،و لكنه عدد الأنفاس» (١) .

إنّ تعبير الإمام هذا يمكن أن يكون إشاره إلى التّفسير الأوّل،أو إلى التّفسير الثّانى،أو إلى كلا التّفسيرين.

و على كل حال،فإنّ دقه محتوى هذه الآيه يهز الإنسان،لأنّها تثبيت أن كل شىء-حتى أنفاسنا-خاضعه للحساب و العد،و يجب أن نجيب يوما على كل هذه الأشياء و الأعمال.

ثمّ تبيّن المسير النهائى للمتقين و المجرمين فى عبارات موجزه،فتقول:إنّ كل هذه الأعمال جمعناها و ادخرناها له: يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْداً .



---

١- ١) -نور الثقلين،الجزء ٣،ص ٣٥٧.

«الوفـد»-علی وزن وعـد-فی الأصل بمعنی الجماعه الـذین یـذهبون إلی الکبار لحل مشاکلهم،و یکونون مورد احترام و تقدیر،و علی هـذا فـإنّ الکلمه تتضـمن معنی الاـحترام و التکریم،و ربّمـا کان ما نقرؤه فی بعض الرّوایات من أن المتقین یرکبون مراکب سریعه السیر،و یدخلون الجنه باحترام بالغ،لهذا السبب.

یقول الإمـام الصادق علیه السّـلام: «سأل علی علیه السّـلام رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم عن تفسـیر قوله عزّ و جلّ: یَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِینَ إِلَی الرَّحْمٰنِ وَفْداً فقـال:یـا علی،الوفـد لا یکون إلا رکبانا،أولئک رجال اتقوا اللّه عزّ و جلّ،فأحبّهم و اختصـهم و رضی أعمالهم فسمّاهم المتقین» (۱) .

الملفت للنظر أنّنـا نقرأ فی الآـیه:أنّ المتقین یحشـرون إلی الرحمن،فی حین أنّ الکلاـم فی الآـیه التـالیه عن سـوق المجرمین إلی جهنـم،و علی هـذا ألم یکن من المنـاسب أن یقـال:(الجنه)هنـا بـدل(الرحمن)؟ إلاّـ أنّ هـذا التعـبیر-فی الحقیقه-یشـیر إلی نکته مهمه،و هی أن المتقین یحصـلون هنـاک علی مـا هو أسـمی من الجنّه،فهم یقتربون من اللّه و تجلیاته الخالصه،و یـدرکون رضاه الـذی هو أسـمی و أغلی من الجنّه.و تعبیرات الحـدیث الذی قرأناه من قبل عن النّبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم تشـیر إلی هذا المعنی أیضا.

ثمّ تقول فی المقابـل: وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِینَ إِلیٰ جَهَنَّمَ وِرْداً کمـا تسـاق الإبـل العطشـی إلی محـل الماء،إلاّ أنّه لا ماء هناک،بل نار جهنم.

ینبغی الالتفـات إلی أن کلمه(ورد)تعنی مجمـوعه من البشـر أو الحیوانـات الـتی ترد المیـاه،و لمـا کـان هؤلاـء الجمـاعه عطاشـی حتما،فإن المفسّرین فسروا هذا التعبیر هنا بأنّهم یردونها عطاشی.

کم هو الفرق بین أولئـک الـذین یـذهبون بهم إلی الرحمن بکل عزه و احترام، تهب الملائکه لاسـتقبالهم،و یحیوهم بالسـلام، و بین أولئک الذین یساقون



---

۱- ۱) -نور الثقلین،الجزء ۳،ص ۳۵۹.

كالحيوانات العطشى إلى نار جهنم،و هم مطأطئو الرؤوس،خجلون،مفتضحون و لا أهميه و لا قيمه لهم.

و إذا كانوا يتصورون أنّهم يستطيعون الخلاص عن طريق الشفاعه،فإنّهم يجب أن يعلموا أن هؤلاء الذين يرجونهم لاٰ يَمْلِكُونَ الشَّفٰاعَةَ فلا أحد يشفع لهؤلاء،فمن طريق أولى أن لا يقدروا على الشفاعه لأحد إِلاّٰ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْداً فهؤلاء هم الوحيدون الذين تنفعهم و تشملهم شفاعه الشافعين،أو أن مقامهم أعلى من هذه الرتبه أيضا،و لهم القدره و الصلاحيه لأن يشفعوا للعاصين الذين يستحقون الشفاعه.

### ما معنى العهد؟

لقد بحث المفسّرون بحوثا كثيره فى المراد من العهد فى الآيه الشريفه التى تقول: لاٰ يَمْلِكُونَ الشَّفٰاعَةَ إِلاّٰ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْداً .

فقال بعضهم:إنّ العهد هو الإيمان باللّه،و الإقرار بوحدانيته،و تصديق أنبياء اللّه.

و قال البعض الآخر:إنّ العهد هنا يعنى الشهاده بوحدانيه الحق تعالى، و البراءه ممن يعتقد بقدره غير اللّه،و كذلك لا يرجو الا اللّه تعالى.

و

عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال فى جواب سؤال أحد أصحابه عن تفسير هذه الآيه:«من دان بولايه أمير المؤمنين و الأئمّه من بعده فهو العهد عند اللّه» (۱) .

و

فى روايه أخرى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: «من أدخل على مؤمن سرورا فقد سرنى،و من سرنى فقد اتّخذ عند اللّه عهدا» (۲) .

و

فى حديث آخر عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّ المحافظه على العهد هى المحافظه



---

۱- ۱) -نور الثقلين،ج ۳،ص ۳۶۲.

۲- ۲) -الدر المنثور(حسب نقل الميزان فى ذيل الآيه مورد البحث).

على الصلوات الخمس (۱) .

و من تحقيق الرّوايات أعلاه،و التى وردت فى المصادر الإسلاميه المختلفه، و كذلک كلمات كبار المفسّرين المسلمين،نحصل على هذه النتيجه،و هى أن للعهد عند اللّه-كما يستفاد ذلک من معناه اللغوى-معنى واسعا جمع فيه كل نوع من أنواع الارتباط باللّه و معرفته و طاعته،و كذلک الارتباط بمذهب أولياء الحق، و كل عمل صالح،و إن كان كل روايه قد أشارت إلى جانب من ذلک،أو إلى مصداق معين.

و لذلک نقرأ فى حديث آخر ورد عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى بيان كيفيه الوصيه، و قد جمعت فيه كل المسائل الاعتقاديه تقريبا،حيث

قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

«إذا حضرته-أى المسلم-الوفاه و اجتمع الناس إليه قال:اللهم فاطر السماوات و الأرض،عالم الغيب و الشهاده،الرحمن الرحيم،إنى أعهد إليک فى دار الدنيا،أنى أشهد أن لا إله إلّا أنت وحدک لا شريک لک،و أن محمّدا عبدک و رسولک،و أن الجنه حق،و أن النار حق،و أن البعث حق،و الحساب حق،و القدر و الميزان حق، و أن الدين كما وصفت،و الإسلام كما شرعت،و أن القول كما حدثت، و أن القرآن كما أنزلت،و أنک أنت اللّه الحق المبين.جزى اللّه محمّدا عنا خير الجزاء، و حيا اللّه محمّدا و آله بالسلام.

اللهم يا عدتى عند كربتى،و يا صاحبى عند شدتى،و يا ولى نعمتى،إلهى و إله آبائى،لا تكلنى إلى نفسى طرفه عين،فإنّک إن تكلنى إلى نفسى أقرب من الشر،و أبعد من الخير.و آنس فى القبر وحشتى،و اجعل لى عهدا يوم ألقاک منشورا.ثمّ يوصى بحاجته.و تصديق هذه الوصيه فى سوره مريم فى قوله:



---

۱- ۱) -المصادر السابقه.

لاّ يَمْلِكَونَ الشَّفّاعَهَ إِلاّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْداً

،فهذا عهد الميت و الوصيه حق...» (۱) .

و من البـديهى أنّ المراد ليس هو قراءه أو كتابه هذه المطالب المذكوره أعلاه بالعربيه أو بغيرها من اللغات،بل المراد الإيمان بها من صميم القلب لتبدو آثاره واضحه فى كل نشاطات حياه الإنسان.

ص :۵۰۶

---

۱- ۱) -مجمع البيان،ذيل الآيه مورد البحث.

## الآيات [سوره مريم (١٩): الآيات ٨٨ الى ٩٥]

### اشاره

وَ قٰالُوا اِتَّخَذَ اَلرَّحْمٰنُ وَلَداً (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا (٨٩) تَكٰادُ اَلسَّمٰاوٰاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ اَلْأَرْضُ وَ تَخِرُّ اَلْجِبٰالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَداً (٩١) وَ مٰا يَنْبَغِي لِلرَّحْمٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ إِلاّٰ آتِي اَلرَّحْمٰنِ عَبْداً (٩٣) لَقَدْ أَحْصٰاهُمْ وَ عَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَ كُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ اَلْقِيٰامَهِ فَرْداً (٩٥)

### التّفسير

لما كان الكلام فى الآيات السابقه عن الشرك،و عاقبه عمل المشركين،فقد أشارت هذه الآيات فى نهايه البحث إلى فرع من فروع الشرك،أى الاعتقاد بوجود ولد للّه سبحانه،و تبيّن مرّه أخرى قبح هذا الكلام بأشد و أحدّ بيان،فتقول:

وَ قٰالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَداً

فليس المسيحيون لوحدهم كانوا يعتقدون بأنّ «المسيح»هو الابن الحقيقه للّه سبحانه،بل إن اليهود كانوا يعتقدون أيضا مثل هذا الإعتقاد فى(عزير)،و كذلك عبده الأصنام فى(الملائكه)فكانوا يظنون أنّها

بنات اللّه (۱) .

عنـد ذلک قالت الآیه بلهجه شدیـده: لَقَدْ جِئْتُمْ شَـيْئاً إِدًّا و الإدّ-علی وزن ضد-معناه فی الأصل الصوت القبیح المضـطرب الذی یصل الأذن نتیجه الاضطراب الشدید للأمواج الصوتیه فی حنجره البعیر،ثمّ أطلق علی الأعمال القبیحه و الموحشه جدا.

و لما کانت مثل هذه النسـبه غیر الصـحیحه مخالفه لأصل التوحید-لأنّ اللّه سبحانه لا شبیه له و لا مثیل،و لا حاجه له إلی الولد،و لا هو جسم و لا تعرض علیه العوارض الجسـمیه-فکأنّ کل عالم الوجود،الذی بنی علی أساس التوحید،قد اضـطرب و تصدع إثر هذه النسبه الکاذبه، و لذلک تضیف الآیه التالیه:

تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا

! و من أجل تأکید و بیان أهمیه الموضوع فإنّها تقول:إن کل ذلک من أجل أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَداً .

إنّ هؤلاء-فی الحقیقه-لم یعرفوا اللّه قط،لأنّه: وَ مَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً فإنّ الإنسان یطلب الولد لواحد من عدّه أشیاء:

إمّا لأنّ عمره ینتهی فیحتاج لولد مثله یحمل صفاته لیبقی نسله و ذکره.

أو لأنّه یطلب الصدیق و الرفیق لأنّ قوته محدوده.

أو لأنّه یستوحش من الوحده،فیبحث عن مؤنس لوحدته.

أو لأنّه یحتاج عند کبره و عجزه إلی مساعد و معین شاب.

لکن أیّا من هذه المعانی لا ینطبق علی اللّه سبحانه،و لا یصح،فلا قدرته محدوده،و لا حیاته تنتهی،و لا یعتریه الضعف و الوهن،و لا یحس بالوحده و الحاجه،إضافه إلی أن امتلاک الولد دلیل علی الجسمیه،و وجود الزوجه،و کل



---

۱- ۱) -لقد تمّ الحدیث عن«عزیر»فی الآیه(۳۰)من سوره التوبه،و عن(الملائکه)فی ذیل الآیه(۱۹)من سوره الزخرف.

هـذه المعـانى بعيـده عن ذاته المقـدسه. و لـذلك قـالت الآيه الأخرى: إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ إِلاّ آتِي الرَّحْمٰنِ عَبْداً ،فمع أن كـل العبـاد مطيعـون له،و قـد وضـعوا أرواحهم و قلـوبهم على الأـكف طـاعه لأـمره،فهـو غير محتـاج لطـاعتهم،بـل هم المحتاجون.

ثمّ تقول الآيه التاليه: لَقَدْ أَحْصٰاهُمْ وَ عَدَّهُمْ عَدًّا أى لا تتصور بأنّ محاسـبه كل هؤلاء العباد غير ممكن،و عسـير عليه سـبحانه،فإنّ علمه واسع إلى الحد الذى ليس يحصى عدد هؤلاء و حسب،بل إنّه عالم و مطلع على كل خصوصياتهم،فلا هم يستطيعون الفرار من حكومته،و لا يخفى عليه شىء من أعمالهم.

وَ كُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ فَرْداً

و بناء على هـذا فإنّ المسيح و عزير و الملائكه و كل البشـر يشـملهم حكمه و لا يسـتثنى منه أحـد،و مع هذه الحال فما أقبح أن نعتقـد و نقـول بوجـود ولـد لـه،و كم ننقص من قـدر ذاته المقـدسه و ننزلهـا من أوج العظمه و قمتهـا،و ننكر صـفاته الجلاـليه و الجماليه حينما ندعى أن له ولدا (۱)

## ملاحظتان

### اشاره

### ۱-إلى الآن يظنون أنّه ابن اللّه!

إنّ مـا قرأنـاه فى الآيات السابقه ينفى الولـد عن اللّه بكل جزم و قطع،و إنّ هـذه الآيات مرتبطه بزمان مرّ عليه أربعه عشـر قرنا،فى حين أنّنا لا نزال نرى اليوم كثيرا من المسـيحيين-و نحن فى عصـر العلم-يعتقدون أنّ المسيح ابن اللّه،لا نبوه مجازيه،بل هو الابن الحقيقى!و إذا مـا ذكر فى بعض الكتابـات التى لهـا صـفه التبشـير،و كتبت بصوره خـاصّه للأوسـاط الإسـلاميه،إن هـذا الابن ابن مجازى،



---

۱- ۱) -بحثنا حول نفى الولد عن اللّه فى الجزء الأوّل ذيل الآيه(۱۱۶)من سوره البقره،ذيل الآيه(۶۸)من سوره يونس.

فإنّه لا يناسب و لا يوافق المتون الأصليه لكتبهم الاعتقاديه بأى وجه من الوجوه.

و لا ينحصر هذا الأمر فى كون المسيح عليه السّلام أبنا،فإنّهم فيما يتعلق بمسأله التثليث التى تعنى الأرباب الثلاثه(هى جزء من الإعتقادات الأساسيه لهم)و لما كان المسلمون يتنفرون من هذا الكلام الممتزج بالشرك،غيرّوا نبرتهم فى الأوساط الإسلاميه،و وجهوا كلامهم بأنّه نوع من التشبيه و المجاز.و من أجل زياده التوضيح راجع قاموس الكتاب المقدس فى شأن المسيح و الأقانيم الثلاثه.

## ٢-كيف تفنى السماوات و تتلاشى؟

ما قرأناه فى الآيه: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا إمّا أن يكون إشاره إلى أن مجموعه عالم الوجود-على أساس مفاهيم القرآن المجيد-تمتلك نوعا من الحياه و الإدراك و الشعور،و الآيات، كالآيه(٧۴)من سوره البقره: وَ إِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ ،و الآيه(٢١) من سوره الحشر: لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ شاهده على ذلك،فيكون المراد أنّ هذه النسبه غير الصحيحه إلى الساحه الإلهيه المقدسه،قد أرعبت و أقلقت كل العالم.

أو أن يكون كنايه عن شده قبح هذا القول،و نظائر هذه الكنايه ليست قليله فى لسان العرب،و سنبحث-إن شاء اللّه تعالى-عن ذلك فى ذيل الآيات المناسبه.

## الآيات [سوره مريم (١٩)]: الآيات ٩٦ الى ٩٨

### اشاره

إِنَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ اَلرَّحْمنُ وُدًّا (٩۶) فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ اَلْمُتَّقِينَ وَ تُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا (٩٧) وَ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً (٩٨)

### التّفسير

### اشاره

### الإيمان و المحبوبيه:

هـذه الآيات الثلاث نهايه سوره مريم،و الكلام فيها أيضا عن المؤمنين، و الظالمين الكافرين،و عن القرآن و بشاراته و انـذاراته،و هي-في الحقيقه- عصاره البحوث السابقه بملاحظات و نكات جديده.

تقول أوّلا: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا .

لقد اعتبر بعض المفسّرين هذه الآيه خاصّه بأمير المؤمنين عليه السّلام،و البعض اعتبرها شامله لكل المؤمنين.

و قـال آخرون:إنّ المراد أنّ اللّه سـبحانه يلقى محبّه هؤلاـء فى قلوب أعـدائهم، و تصـبح هـذه المحبّه رباطـا و لجامـا فى رقـابهم تجرهم إلى الإيمان.

و ذهب البعض بأنّها تعنى محبه المؤمنين بعضهم لبعض،و التى تكون سببا

فی قوتهم و زیاده قدرتهم،و وحده کلمتهم.

و اعتبرها بعضـهم إشاره إلی محبّه المؤمنین و إخوتهم لبعضهم فی الآخره، و قالوا:بأنّ هؤلاء سیعیشون نوعا من العلاقه فیما بینهم بحیث یکونون فی أعلی درجات السعاده و السرور.

غیر أننا إذا فکرنا و تدبرنا بسعه نظر فی المفاهیم الواسعه للآیه،فسنری أن جمیع هذه التفاسیر قد جمعت فی معنی الآیه بدون أن تتضاد مع بعضها.

و النقطه الرئیسـیه للآیه،هی أنّ للإیمان و العمل الصالـح جاذبیه خارقه،فإنّ الإعتقاد بوحدانیه اللّه،و الإیمان بدعوه الأنبیاء،و الذی یتجلی نوره فی روح الإنسان و فکره،و قوله و عمله،بصوره أخلاق إنسانیه عالیه،و کذلک یتجلی فی التقوی و الطهاره،و الصدق و الأمانه،و الشجاعه و الإیثار،فیها قوه مغناطیسیه عظیمه جاذبه و خاطفه.

و حتی الأفراد الملوثون،فإنّهم یرتاحون للطاهرین الصالحین،و یتنفرون من القـذرین أمثالهم،و لـذلک فإنا نراهم-مثلا-إذا أقدموا علی الزواج فإنّهم یؤکّدون علی توفر جانب العفه و الطاهره و الأمانه و الصدق فی الزوجه.

و هذا أمر طبیعی،و هو فی الحقیقه أوّل مکافأه یعطیها اللّه للمؤمنین و الصالحین فی هذه الدنیا و تصحبهم إلی عالم الآخره أیضا.

لقد رأینا بأم أعیننا کثیرا من هؤلاء الأتقیاء عند ما یحین أجلهم و یرتحلون عن هذه الدنیا،فإنّ الناس یبکونهم،بالرغم من أنّهم لم یکن لهم منصب و لا مرکز اجتماعی،و لکن الناس یشعرون یفقدهم،و یعتبرون أنفسهم شرکاء فی مصاب هؤلاء و عزائهم.

أمّا ما اعتقده البعض من أنّ ذلک فی شأن أمیر المؤمنین علیه السّلام،و قد أشیر إلی ذلک فی روایات عدیده،فإنّ الدرجه العالیه و المرحله السامیه منه مختصه بإمام المتقین-و سنبحث بعض هذه الرّوایات مفصلا فی الملاحظات الآتیه-إلاّ أنّ هذا

لاـ يكون مانعا من أن يذوق و يتمتع كل المؤمنون و الصالحون فى المراتب الأخرى بطعم المحبّه هذا،و يحظون به لدى عامّه الناس،و أن يفوزوا بسهم من هذه المودّه الإلهيه.و سوف لاـ يكون مانعا من أن يضمر الأعداء-أيضا-فى داخلهم المحبّه و الاحترام تجاه هؤلاء.

و هناك نكته لطيفه نقرؤها

فى حديث عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «إنّ اللّه إذا أحبّ عبدا دعا جبرئيل،فقال:يا جبرئيل،إنّى أحب فلانا فأحبّه،قال:فيحبّه جبرئيل،ثمّ ينادى فى أهل السماء:إن اللّه يحب فلانا فأحبّوه،قال:فيحبّه أهل السماء،ثمّ يوضع له القبول فى الأرض.

و إن اللّه إذا أبغض عبدا دعا جبرئيل،فقال:يا جبرئيل،إنّى أبغض فلانا فابغضه، قال:فيبغضه جبرئيل،ثمّ ينادى فى أهل السماء:إنّ اللّه يبغض فلانا فأبغضوه،قال:

فيبغضه أهل السماء،ثمّ يوضع له البغضاء فى الأرض» (۱) .

إنّ هذا الحديث العميق المحتوى يبيّن أن للإيمان و العمل الصالح نورا و ضياء بسعه عالم الوجود،و يعم نور المحبه الحاصل منهما كل أرجاء عالم الخلقه،و إن الذات الإلهيه المقدسه تحب أمثال هذا الفرد،فهم محبوبون عن كل أهل السماء،و تقذف هذه المحبّه فى قلوب أهل الأرض.

حقا،أى لذه أكبر من أن يحس الإنسان بأنّه محبوب من قبل كل الطاهرين و الصالحين فى عالم الوجود؟و أى عذاب أشد من أن يشعر الإنسان بأن الأرض و السماء و الملائكه و المؤمنين جميعا متنفرون و مشمئزون منه؟! ثمّ تشير الآيه التاليه إلى القرآن الذى هو منبع و مصدر تنميه الإيمان و العمل الصالح،فتقول: فَإِنَّمٰا يَسَّرْنٰاهُ بِلِسٰانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَ تُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا .

«اللّد»-بضم اللام و تشديد الدال-جمع ألدّ-على وزن معدّ-بمعنى العدو

ص:۵۱۳

---

۱- ۱) -لقد ورد هذا الحديث فى كثير من المصادر الحديثيه المعروفه،و كذلك فى كثير من كتب التّفسير،إلاّ أنّنا اخترنا المتن الذى نقل فى تفسير(فى ظلال القرآن)،ج ۵،ص ۲۵۴ عن أحمد و مسلم و البخارى.

الشدید العداوه،و تطلق علی المتعصب العنود فی عداوته،و لا منطق له.

و تقول الآیه الأخیره کتهدئه لخاطر النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و المؤمنین،و تسلیه لهم، خاصّه مع ملاحظه أنّ هذه السوره نزلت فی مکّه،و کان المسلمون یومذاک تحت ضغط شدید جدّا.و کذلک تقول بنبره التهدید و التحذیر لکل الأعداء اللجوجین العنودین: وَ کَمْ أَهْلَکْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِکْزاً .

«الرکز»بمعنی الصوت الهادیء،و یقال للأشیاء التی یخفونها تحت الأرض:

«رکاز»،أی إنّ هؤلاء الأقوام الظالمین،و أعداء الحق و الحقیقه المتعصبین،قد تمّ تدمیرهم و سیحقهم الی حدّ لا یسمع صوت خفی منهم.

## بحثان

### اشاره

### ۱-محبّه علی علیه السّلام فی قلوب المؤمنین

لقد صدرت روایات عدیده عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی سبب نزول قوله تعالی: إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ سَیَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا فی کثیر من کتب الحدیث و تفسیر السنه و الشیعه،و هی تبیّن أنّ هذه الآیه نزلت لأول مرّه فی حق علی علیه السّلام،و من جمله من یمکن ذکرهم:العلاّمه الزمخشری فی الکشاف،و سبط ابن الجوزی فی التذکره،و الکنجی الشافعی،و القرطبی فی تفسیره المشهور، و محب الدین الطبری فی ذخائر العقبی،و النیسابوری فی تفسیره المعروف، و ابن الصباغ المالکی فی الفصول المهمه،و السیوطی فی الدر المنثور،و الهیثمی فی الصواعق المحرقه،و الآلوسی فی روح المعانی.و من جمله الأحادیث:

-۱

یروی الثعلبی فی تفسیره عن البراء بن عازب:إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال لعلی علیه السّلام: «قل:اللّهم اجعل لی عندک عهدا،و اجعل لی فی قلوب المؤمنین مودّه»،

فأنزل اللّه تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا (۱) .

و قد وردت نفس هذه العباره باختلاف يسير فى كثير من الكتب الأخرى.

۲-و قد نقل عن ابن عباس-فى كثير من المصادر الإسلاميه-أنّه قال:

نزلت فى على بن أبى طالب: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا قال:محبه فى قلوب المؤمنين (۲) .

۳-روى فى كتاب«الصواعق»عن محمّد بن الحنفيه فى تفسير هذه الآيه:

لا يبقى مؤمن إلّا و فى قلبه ودّ لعلى و لأهل بيته (۳) .

۴-و ربّما روى لهذا السبب

عن أمير المؤمنين على عليه السّلام نفسه فى روايه صحيحه معتبره أنّه قال: «لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفى هذا على أن يبغضنى ما أبغضنى،و لو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على أن يحبنى ما أحبنى،و ذلك أنّه قضى فانقضى على لسان النّبى الأمى أنّه قال:لا يبغضك مؤمن،و لا يحبّك منافق» (۴) .

۵-و نقرأ

فى حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام: «و دعا رسول اللّه لأمير المؤمنين فى آخر صلاته،رافعا بها صوته ليسمع الناس:«اللّهم هب لعلى الموده فى صدور المؤمنين،و الهيبه و العظمه فى صدور المنافقين،فأنزل اللّه:إن الذين آمنوا...»الآيه (۵) .

على كل حال-و كما قلنا فى تفسير الآيات أعلاه-فإنّ نزول هذه الآيه فى



---

۱- ۱) -نقلا عن إحقاق الحق،الجزء ۳،ص ۸۳-۸۶.
۲- ۲) -المصدر السّابق.
۳- ۳) -المصدر السابق.
۴- ۴) -روح المعانى الجزء ۱۶،ص ۱۳۰،و مجمع البيان الجزء ۶،ص ۵۳۳،و كذلك نهج البلاغه،الكلمات القصار، الكلمه ۴۵.
۵- ۵) -نور الثقلين،الجزء ۳،ص ۳۶۳.

على عليه السّلام لأنّه المصداق الأتم و الأكمل،و لا يمنع من تعميمها فى شأن كل المؤمنين على اختلاف المراتب.

### ۲-تفسير جمله: يَسَّرْناهُ بِلِسانِکَ .

«يسّرناه»،من ماده التيسير،أى التسهيل،و اللّه سبحانه يقول: فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِکَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَ تُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا ،فيمكن أن يكون هذا التسهيل من جوانب مختلفه:

۱-من جهه أن القرآن عربى فصيح،عذب سلس العباره،و له نغمه تفرح القلب،و تلاوته سهله على اللسان.

۲-من جهه أن سبحانه قد سلط نبيّه و مكنه من آيات القرآن،بحيث كان يستفيد منها بكل بساطه فى كل مكان،و لحل أيه مشكله،و كان يتلوها دائما على المؤمنين،و بلا انقطاع.

۳-من جهه المحتوى،برغم عمق معانيه و كثره ما يستنبط منه،فإن إدراكه سهل و بسيط فى الوقت نفسه،و لا ريب أن كل هذه الحقائق الكبيره و المهمه التى صبت فى قالب هذه الألفاظ المحدوده،سهله الإدراک،و هى بذاتها دليل على إعجاز القرآن.و قد تكررت هذه الجمله فى عده آيات من سوره القمر: وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ .

إلهنا،نوّر قلوبنا بنور الإيمان،و وجودنا بنور العمل الصالح،و اجعلنا من محبى المؤمنين و الصالحين،و خاصّه إمام المتقين،و أمير المؤمنين على عليه السّلام، و ألق محبتنا فى قلوب كل المؤمنين.

اللّهم،اجمع شمل مجتمعنا الإسلامى الكبير الذى وقع فى قبضه»الأعداء- مع كل ماله من كثره العدد وسعه الإمكانيات الماديه و المعنويه-و الضعف و العجز

الذی اعتراه نتیجه تبعثر و تفرقه الصفوف...اللهم ألف شمله و اجمعه حول مشعل الإیمان و العمل الصالح.

ربّنـا،کمـا أهلکت الجبارین المتمردین السابقین حتی لا یسـمع لهم حس و لا صوت،فامـح جبابره زماننا أیضا،و ادفع شـرّهم عن المستضعفین،و منّ بالنصر النهائی علی المؤمنین فی ثورتهم ضد المستکبرین.

آمین یا رب العالمین

ص :۵۱۷

سوره طه مكّيه و عدد آياتها مائه و خمس و ثلاثون آيه

ص: ۵۱۹

«سوره طه»

## اشاره

## فضل سوره طه

وردت روايات عديده حول عظمه و أهميه هذه السوره فى المصادر الإسلاميه.

فعن النّبى الأكرم اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «إن اللّه تعالى قرأ طه و يس قبل أن يخلق آدم بألفى عام،فلمّا سمعت الملائكه القرآن قالوا:طوبى لأمّه ينزل هذا عليها،و طوبى لأجواف تحمل هذا،و طوبى لألسن تكلّم بهذا» (1) .

و

فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السّلام: «لا تدعوا قراءه سوره طه،فإنّ اللّه يحبّها،و يحبّ من قرأها،و من أدمن قراءتها أعطاه اللّه يوم القيامه كتابه بيمينه،و لم يحاسبه بما عمل فى الإسلام،و أعطى فى الآخره من الأجر حتى يرضى» (2) .

و

فى حديث آخر عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «من قرأها أعطى يوم القيامه ثواب المهاجرين و الأنصار» (3) .

و نرى من اللازم أن نكرر هذه الحقيقه،و هى أنّ كل هذه المكافئات و الهبات العظيمه التى وصلت إلينا عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الأئمّه عليهم السّلام مقابل تلاوه سور القرآن، لا تعنى و لا تريد أن كل هذه النتائج تعود على الإنسان بالتلاوه فقط،بل المراد أن



---

۱- ۱) -مجمع البيان،الجزء ۷،ص ۱.
۲- ۲) -تفسير النور الثقلين،الجزء ۳،ص ۳۶۷.
۳- ۳) -مجمع البيان،ج ۷،ص ۱.

تکون التلاوه مقدمه للتفکر و التدبر،التفکر الذی تتجلی آثاره فی کل أعمال و أقوال الإنسان،و إذا أخذنا المحتوی الإجمالی لهذه السوره بنظر الإعتبار،فإننا سنری أنّ للرّوایات تناسبا کاملا مع محتوی هذه السوره.

## محتوی السّوره

إنّ سوره(طه)برأی جمیع المفسّرین نزلت فی مکّه،و أکثر ما یتحدث محتواها عن المبدأ و المعاد کسائر السور المکّیه،و یذکر نتائج التوحید و تعاسات الشرک.

فی القسم الأوّل،تشیر هذه السوره إشاره قصیره إلی عظمه القرآن،و بعض صفات اللّه الجلالیه و الجمالیه.

أمّا قسم الثّانی الذی یتضمّن أکثر من ثمانین آیه-فیتحدث عن قصه موسی علیه السّلام،من حین بعثته،إلی نهوضه لمقارعه فرعون الجبار و أعوانه،إلی مواجهه السحره و إیمانهم.ثمّ إغراق اللّه فرعون و أتباعه بصوره إعجازیه،و نجاه موسی و الذین آمنوا به.

ثمّ تبیّن حادثه عباده بنی إسرائیل للعجل،و المواجهه بین هارون و موسی و بین بنی إسرائیل.

و فی القسم الثّالث جاءت بعض المسائل حول المعاد،و جانب من خصوصیات القیامه.

و فی القسم الرّابع الحدیث عن القرآن و عظمته.

و فی القسم الخامس تصف الآیات قصّه آدم و حواء فی الجنّه،ثمّ حادثه وسوسه إبلیس،و أخیرا هبوطهما إلی الأرض.

و فی القسم الأخیر،تبیّن السوره المواعظ و النصائح،لکل المؤمنین،مع توجیه الخطاب فی کثیر من الآیات إلی نبی الإسلام صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

ص:۵۲۲

## الآیات [سوره طه (۲۰): الآیات ۱ الی ۸]

### اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ طه (۱) مٰا أَنْزَلْنٰا عَلَیْکَ اَلْقُرْآنَ لِتَشْقیٰ (۲) إِلاّٰ تَذْکِرَهً لِمَنْ یَخْشیٰ (۳) تَنْزِیلاً مِمَّنْ خَلَقَ اَلْأَرْضَ وَ اَلسَّمٰاوٰاتِ اَلْعُلیٰ (۴) اَلرَّحْمٰنُ عَلَی اَلْعَرْشِ اِسْتَویٰ (۵) لَهُ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ وَ مٰا بَیْنَهُمٰا وَ مٰا تَحْتَ اَلثَّریٰ (۶) وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ یَعْلَمُ اَلسِّرَّ وَ أَخْفیٰ (۷) اَللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ لَهُ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنیٰ (۸)

### سبب النّزول

وردت روایات کثیره فی سبب نزول الآیات الأولی من هذه السوره،یستفاد من مجموعها أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بعد نزول الوحی و القرآن کان یعبد اللّه کثیرا،و خاصّه أنّه کان یکثر القیام و الوقوف فی العباده حتی تورمت قدماه،و کان من شدّه التعب أحیانا یستند فی وقوفه علی أحدی قدمیه،ثمّ یستند علی الأخری حینا آخر، و حینا علی کعب قدمه،و آخر علی أصابع رجله (۱) ،فنزلت الآیات المذکوره و أمرت النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن لا یحمل نفسه کل هذا التعب و المشقّه.



---

۱- ۱) -لمزید الاطلاع علی هذه الرّوایات،راجع:تفسیر نور الثقلین،و الدر المنثور،بدایه سوره طه.

### التّفسير

### اشاره

### لا تجهد نفسك إلى هذا الحد:

مرّه أخرى نواجه الحروف المقطعه فى بدايه هذه السوره،و التى تثير حبّ الاستطاع لدى الإنسان:

لقد بحثنا فى تفسير الحروف المقطعه فى القرآن فى بدايه ثلاث سور بحثا كافيا (۱) ،غير أنّنا نرى أن من اللازم أن نضيف هنا هذا المبحث،و هو أن من الممكن أن يكون لكل هذه الحروف المقطعه-أو على الأقل لقسم منها-معان و مفاهيم خاصّه،تماما كالكلمه الواحده التى تتضمّن محتوى معينا.

إنّنا نلاقى فى كثير من الرّوايات و كلمات المفسّرين فى بدايه هذه السوره و سوره«يس»هذا البحث،و هو أن«طه»تعنى:يا رجل،و نرى كلمه«طه»فى بعض شعر العرب أيضا،و لها معنى شبيه ب(يا رجل)أو قريب منه،و يمكن أن تعود هذه الأشعار إلى بدايه ظهور الإسلام،أو إلى ما قبل الإسلام (۲) .

و قد نقل لنا أحد المطلعين أن بعض علماء الغرب الملمين بالدراسات الإسلاميه،يعممون هذه النظريه على كل الحروف المقطعه فى القرآن،و يعتقدون أن الحروف المقطعه فى بدايه كل سوره هى كلمه لها معنى خاص،أصبح بعضها متروكا مع مرور الزمن،و وصل إلينا البعض،و إلاّ فإنّ من المستبعد أن مشركى العرب يسمعون الحروف المقطعه و لا يفهمون منها شيئا،و لا يدركون لها معنى، ثمّ لا نراهم يسخرون و لا يستهزءون منها،فى حين أنّه لا يرى و لا يلاحظ فى أى من التواريخ أنّ هؤلاء الحمقى المتتبعين للعيوب و الهفوات قد اتخذوا الحروف المقطعه وسيله للقيام بردود فعل ضدها و ضد الإسلام.

و طبعا من الصعب قبول هذا الرأى بصوره عامّه،و بالنسبه إلى كل حروف



---

۱- ۱) -بدايه سوره البقره و آل عمران و الأعراف من التّفسير الأمثل.

۲- ۲) -تفسير مجمع البيان،ذيل الآيه مورد البحث.

القرآن المقطعه،إلّا أنّه يمكن قبوله فى البعض منها،و قد بحث هذا الموضوع أيضا فى الكتب الإسلاميه.

و ممّا يلفت النظر،و هو أنّنا نقرأ

فى حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام: «إنّ طه من أسماء النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و معناه:يا طالب الحق الهادى إليه» و يظهر من هذا الحديث أنّ طه مركب من حرفين رمزيين، فالطاء إشاره إلى طالب الحق،و الهاء إلى الهادى إليه،و نحن نعلم أن استعمال الحروف الرمزيه و علامات الاختصار فيما مضى و فى يومنا هذا أمر طبيعى و كثير الاستعمال،خاصّه فى عصرنا الحاضر فإنّه كثير التداول و الاستعمال جدّا.

و آخر كلام فى هذا الباب هو أنّ(طه)ك(يس)قد أصبحت تدريجيا و بمرور الزمان اسما خاصا للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،حتى أنّهم يسمون آل النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم آل طه أيضا، و عبّر عن الإمام المهدى عجل اللّه فرجه فى دعاء الندبه ب(يا بن طه).

ثمّ تقول الآيه: مٰا أَنْزَلْنٰا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقىٰ فصحيح أن العباده و التقرب إلى اللّه عن طريق مناجاته من أفضل العبادات،إلّا أنّ لكل عمل حسابا و مقدارا، و للعباده أيضا مقدارها،فلا يجب أن تجهد نفسك بالعباده حتى تتورم قدماك، و بالتالى ستضعف قوتك و تعجز عن التبليغ و الجهاد.

و ينبغى الالتفات إلى أن«تشقى»مأخوذه من ماده الشقاء ضد السعاده،إلّا أنّ هذه الماده،و كما يقول الراغب فى المفردات،تأتى أحيانا بمعنى المشقّه و التعب،و المراد فى الآيه هذا المعنى،كما يحكون ذلك أيضا فى أسباب النّزول.

ثمّ تبيّن الآيه الأخرى الهدف من نزول القرآن فتقول: إِلاّٰ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشىٰ .

إنّ التعبير ب«تذكره»من جهه،و ب«من يخشى»من جهه أخرى يشير إلى واقع لا يمكن إنكاره،و هو:إن التذكره توحى بأن أسس و مقومات كل التعليمات الإلهيه موجوده فى أعماق روح الإنسان و طبيعته،و تعليمات الأنبياء تجعلها مثمره،و توصلها إلى حد النضج،كما نذكّر أحيانا بمطلب و أمر ما.

ص :۵۲۵

لاـ نقول:إنّ الإنسان كان يعلم كل العلوم من قبل و زالت من ذاكرته،و إن أثر التعليم فی هذا العالم هو التذكير فحسب-كما ينقلون ذلک عن أفلاطون-بل نقول:إنّ مادتها الأصليه قد أخفيت فی طينه الآدمی(دققوا ذلک).

إنّ تعبير«من يخشى»يبيّن أن نوعا من الإحساس بالمسؤوليه،و الذی سمّاه القرآن بالخشيه،إذا لم يكن موجودا فی الإنسان،فسوف لاـ يقبل الحقائق،لأنّ قابليه القابل شرط فی حمل و نمو كل بذره و حبه.و هذا التعبير فی الحقيقه شبيه بما نقرؤه فی أوّل سوره البقره: هُدىً لِلْمُتَّقِينَ .

ثمّ تتطرق الآيات إلى التعريف باللّه تعالى المنزل للقرآن،لتتضح عظمه القرآن من خلال معرفته،فتقول: تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَ السَّمٰاوٰاتِ الْعُلىٰ (۱) .

إنّ هذا التعبير فی الحقيقه إشاره إلى ابتداء و انتهاء نزول القرآن،انتهاؤه إلى الأرض و ابتداؤه من السماوات،و إذا لم تصف هنا كلمه«و ما بينهما»-كما فی بعض الآيات الأخرى من القرآن-فربّما كان لهذا السبب،و هو أنّ الهدف كان بيان الابتداء و الانتهاء.

على كل حال،فإنّ من المعلوم أنّ اللّه الذی عمت قدرته و تدبيره و حكمته كل أرجاء الأرض السماء، إذا أنزل كتابا،فكم سيكون غنی المحتوى،و جنیّ الثمر؟! ثمّ تستمر فی تعريف اللّه المنزل للقرآن فتقول: اَلرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ و كما قلنا سابقا فی تفسير الآيه: ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ (۲) ،فإنّ كلمه عرش تقال للشیء الذی له سقف،و أحيانا تطلق على نفس السقف،أو على الأسره المرتفعه القوائم كأسره و كراسی السلاطين،و فی قصه سليمان نقرأ:

ص: ۵۲۶

---

۱- ۱) -هناک بحث بين المفسّرين فی محل(تنزيلا)من الإعراب،غير أن الأصح أنّها مفعول مطلق لفعل مجهول محذوف،و كان التقدير:نزل تنزيلا ممن خلق الأرض.

۲- ۲) -الأعراف،۵۴.

أَيُّكَمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهٰا

(۱)

.

من البـديهى أنّ اللّه سـبحانه ليس له عرش،و لا ـ محكومه كحكـام البشـر،بـل المراد من عرش اللّه كـل عـالم الوجود الـذى يعتبر عرشه،و بنـاء على هـذا فـإنّ قوله تعـالى: اِسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ كنـايه عن تسـلط اللّه،و إحاطته الكامله بعالم الوجود،و نفوذ أمره و تدبيره فى جميع أنحاء العالم.

و أساسا فإنّ كلمه«عرش»فى لغه العرب،كنايه عن القدره غالبا،فنقول مثلا:إن فلانا قد أنزلوه من العرش،أو أزاحوه عنه،فهذا يعنى أنّهم قد أنهوا حكمه و قدرته،أو نقول:ثل عرشه.

و على كل حال،فإنّ من السخف أن يتوهم الإنسان من هذا التعبير جسميه اللّه سبحانه.

ثمّ تتحدث عن مالكيه اللّه بعد حاكميته فتقول: لَهُ مٰا فِى السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِى الْأَرْضِ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا وَ مٰا تَحْتَ الثَّرىٰ .

«الثرى»فى الأصل بمعنى التراب الرطب،و لما كانت قشـره الأرض-فقط- هى التى تجف نتيجه لأشـعه الشمس و هبوب الرياح،و تبقى الطبقه السـفلى-غالبـا -رطبه،فـإنّه يقـال لهـذه الطبقه:ثرى،و على هـذا فإن وَ مٰا تَحْتَ الثَّرىٰ تعنى أعماق الأرض و جوفها،و كلها مملوكه لمالك الملك و خالق عالم الوجود.

إلى هنا بينت ثلاثه أركان من أركان صفات اللّه:الركن الأوّل:«خالقيته»، و الثّانى:«حاكميته»،و الثّالث:«مالكيته».

و أشـارت الآـيه التـاليه إلى الرّكن الرّابع،أى:«العالميه»،فقالت:« وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفىٰ .و هناك نقاش و بحث بين المفسّرين فى المراد من «أخفى»هنا:

فذهب بعضهم إلى أنّ السر هو أن يتحدث إنسان مع آخر بصوره خفيه،



---

۱- ۱) -النمل،۳۸.

و أخفی:هو أن یحتفظ الإنسان بذلک القول و الأمر فی قلبه و لا یحدث به أحدا.

و ذهب آخرون:إن«السر»هو ما أضمره الإنسان فی قلبه،و«أخفی»هو الذی لم یخطر علی باله،إلاّ أنّ اللّه سبحانه مطلع علیه و عالم به.

و قال ثالث:إنّ«السر»هو ما یقوم به الإنسان من عمل فی الخفاء،و أخفی:

هی النیه التی فی قلبه.

و قال رابع:إن(السر)یعنی أسرار الناس،و(أخفی)هی الأسرار التی فی ذات اللّه المقدسه.

فی حدیث عن الإمامین الباقر و الصادق علیهما السّلام: «السر ما أخفیته فی نفسک، و أخفی ما خطر ببالک ثمّ أنسیته» (1) . إنّ هذه الحدیث یمکن أن یکون إشاره إلی أن ما یتعلمه الإنسان یودع فی مخزن الحافظه،غایه الأمر أن ارتباط الإنسان قد ینقطع أحیانا مع زاویه من هذا المخزن،فتنتج حاله النسیان،و لذلک فإنّه إذا ما تذکر ذلک المنسی بطریقه ما،فسیری هذا المطلب واضحا و معروفا لدیه،و بناء علی هذا فإن ما ینساه الإنسان هو أخفی أسراره التی أخفیت فی زوایا الحافظه، و قطع ارتباطه بها بصوره مؤقته،أو دائمه.

و لکن لا مانع علی کل حال من أن تجمع کل هذه التفاسیر التی ذکرت أعلاه فی مفهوم الکلمه و معناها الواسع.و علی هذا فقد رسمت صوره واضحه عن علم اللّه اللامتناهی،و عرف منزل القرآن من مجموع الآیات أعلاه معرفه إجمالیه فی الأبعاد الأربعه:الخلقه،و الحکومه،و المالکیه،و العلم.

و الآیه التالیه ربّما تشیر إلی ما ذکرنا: اَللّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنی .

و کما قلنا فی تفسیر الآیه(80)من سوره الأعراف،فإنّ التعبیر بالأسماء الحسنی قد ورد مرارا و تکرارا فی الآیات القرآنیه،و فی کتب الحدیث و من البدیهی أن کل أسماء اللّه حسنه،و لکن لما کانت لبعض أسماء اللّه و صفاته أهمیه أکبر، فقد



---

1- 1) -مجمع البیان،ذیل الآیه مورد البحث.

سمّيت بالأسماء الحسنى.

و نقرأ فى كثير من الرّوايات التى وصلتنا عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الأئمّه عليهم السّلام أن للّه (۹۹)اسما،و كل من دعاه بهذه الأسماء يستجاب دعاؤه،و كل من أحصاها فهو من أهل الجنّه.و يلاحظ هذا المضمون أيضا فى مراجع الحديث المعروفه عند أهل السنه أيضا.

و يبدو أنّ المراد من إحصاء هذه الأسماء هو التخلق بصفاتها،لا مجرّد ذكر ألفاظها،و لا شك أن من تخلق بصفه العالم و القادر،أو الرحيم و الغفور و أمثالها، و سطعت فى وجوده أشعه و قبسات من هذه الصفات الإلهيه العظيمه،فإنّه من أهل الجنه،و ممن يستجاب دعاؤه.

و لمزيد الإيضاح راجع الآيه(۱۸۰)من سوره الأعراف من هذا التّفسير.

ص :۵۲۹

## الآیات [سوره طه (۲۰): الآیات ۹ الی ۱۶]

### اشاره

وَ هَلْ أَتٰاکَ حَدِیثُ مُوسیٰ (۹) إِذْ رَأیٰ نٰاراً فَقٰالَ لِأَهْلِهِ اُمْکُثُوا إِنِّی آنَسْتُ نٰاراً لَعَلِّی آتِیکُمْ مِنْهٰا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَی اَلنّٰارِ هُدیً (۱۰) فَلَمّٰا أَتٰاهٰا نُودِیَ یٰا مُوسیٰ (۱۱) إِنِّی أَنَا رَبُّکَ فَاخْلَعْ نَعْلَیْکَ إِنَّکَ بِالْوٰادِ اَلْمُقَدَّسِ طُویً (۱۲) وَ أَنَا اِخْتَرْتُکَ فَاسْتَمِعْ لِمٰا یُوحیٰ (۱۳) إِنَّنِی أَنَا اَللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ أَنَا فَاعْبُدْنِی وَ أَقِمِ اَلصَّلاٰهَ لِذِکْرِی (۱۴) إِنَّ اَلسّٰاعَهَ آتِیَهٌ أَکٰادُ أُخْفِیهٰا لِتُجْزیٰ کُلُّ نَفْسٍ بِمٰا تَسْعیٰ (۱۵) فَلاٰ یَصُدَّنَّکَ عَنْهٰا مَنْ لاٰ یُؤْمِنُ بِهٰا وَ اِتَّبَعَ هَوٰاهُ فَتَرْدیٰ (۱۶)

### التّفسیر

### اشاره

#### نار فی الجانب الآخر من الصحراء!

من هنا تبدأ قصّه نبی اللّه الکبیر موسی علیه السّلام،و تفصیل الجوانب المهمّه من هذه القصه الملیئه بالأحداث سیأتی فی أکثر من ثمانین آیه،لتکون تهدئه و مواساه و تسلیه لخاطر النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و المؤمنین الذین کانوا یعانون خلال تلک الفتره فی

ص: ۵۳۰

مکّه ضغوطا شدیده من الأعداء،لیعلموا أن هذه القوی الشیطانیه لا طاقه لها فی مقاومه قدره اللّه،و أنّ کل هذه الخطط و المؤامرات رسم علی الماء.

و کذلک لیعتبروا بهذه الواقعه الملیئه بالعبر و المواعظ،و یستمروا فی طریقهم فی توحید اللّه و عبادته،و محاربه فراعنه و سحره کل عصر و زمان،و کذلک مجاهده الانحرافات الداخلیه و الرغبات المنحرفه..تلک العبر التی تستطیع أن یکون دلیلا و مرشدا لهم فی مسیرتهم الجهادیه.

و یمکن تقسیم مجموع الآیات التی تحدثت عن موسی و بنی إسرائیل و الفراعنه فی هذه السوره إلی أربعه أقسام:

القسم الأوّل:یتحدث عن بدایه نبوه موسی و بعثته،و أوّل و مضات الوحی، و بتعبیر آخر:فإنّ البحث یدور حول مرحله قصیره المده غنیه المحتوی و قضاها موسی فی الوادی المقدس فی تلک الصحراء المظلمه المقفره.

القسم الثّانی:یتحدث عن دعوه موسی و أخیه هارون لفرعون-و ملئه-إلی دین التوحید،ثمّ اشتباکهما بالأعداء.

القسم الثّالث:یبحث عن خروج موسی و بنی إسرائیل من مصر،و کیفیه نجاتهم من قبضه فرعون و أتباعه،و غرق هؤلاء و هلاکهم.

القسم الرّابع:و یتحدث حول الاتجاهات الانحرافیه الشدیده لبنی إسرائیل عن دین التوحید إلی الشرک،و قبول وساوس السامری،و مواجهه موسی الحازمه لهذا الانحراف.

و نعود الآن إلی الآیات مورد البحث،و التی ترتبط بالقسم الأوّل.فهذه الآیات تقول بتعبیر رقیق و جذاب: وَ هَلْ أَتٰاکَ حَدِیثُ مُوسیٰ ؟و من البدیهی أن هذا الاستفهام لیس هدفه تحصیل الخبر،فهو سبحانه مطلع علی جمیع الأسرار، بل هو«استفهام تقریری»،و بتعبیر آخر فإنّ هذا الاستفهام،مقدمه لبیان خبر مهم، کما نقول فی مکالماتنا الیومیه حینما نرید أن نبدأ بذکر خبر مهم:أسمعت هذا

الخبر الذی...؟ ثمّ تقول: إِذْ رَأىٰ نٰاراً فَقٰالَ لِأَهْلِهِ امْکُثُوا إِنِّی آنَسْتُ نٰاراً لَعَلِّی آتِیکُمْ مِنْهٰا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَی النّٰارِ هُدیً فبملاحظه أن«القبس»یعنی الشعله القلیله التی تؤخذ من النار،و بملاحظه أن مشاهده النار فی الصحاری تدل عاده علی أن جماعه قد اجتمعوا حولها،أو أنّهم وضعوها علی مرتفع حتی لا تضل القوافل الطریق فی اللیل،و أیضا بملاحظه أن«مکثوا»-من ماده مکث- تعنی التوقف القصیر،فمن مجموع هذه التعابیر یستفاد أن موسی و زوجته و ابنه کانوا یقطعون الصحراء فی لیله ظلماء..لیله کانت مظلمه و بارده کان موسی قد ضل الطریق فیها،فجلبت انتباهه شعله نار من بعید،و بمجرد رؤیتها قال لأهله:قفوا هنا قلیلا فقد رأیت نارا سأذهب إلیها حتی آتیکم منها بقبس،أو أجد الطریق بواسطه النار أو من اجتمع حولها.

و نقرأ فی التواریخ أنّ موسی علیه السّلام عند ما انتهت مدّه عقده مع«شعیب»فی «مدین»،حمل زوجته و ابنه و أغنامه و سار من مدین إلی مصر،فضلّ الطریق، و کانت لیله مظلمه،فتفرقت أغنامه فی الصحراء،فأراد أن یشعل نارا فی ذلک اللیل البارد لیتدفأ هو و أهله،و حاول إشعال النار فلم یفلح،و فی هذه الأثناء عصفت بزوجته آلام الوضع! لقد حاصره سیل من الحوادث الصعبه..و فی هذه الأثناء لاح لعینیه ضیاء من بعید،إلاّ أنّه لم یکن نارا،بل کان نورا إلهیا،و ظن موسی أنّه نار،فسعی نحوها علّه یجد من یهدیه فی تلک الصحراء إلی الطریق،أو یأخذ لأهله جذوه منها (1) .

و الآن لنسمع بقیه الحادثه من القرآن الکریم:

فَلَمّٰا أَتٰاهٰا نُودِیَ یٰا مُوسیٰ إِنِّی أَنَا رَبُّکَ فَاخْلَعْ نَعْلَیْکَ إِنَّکَ بِالْوٰادِ الْمُقَدَّسِ طُویً

.و یستفاد من الآیه(۳۰)من سوره القصص،أن موسی قد سمع هذا النداء



---

۱- ۱) -مجمع البیان،ذیل الآیه مورد البحث.

من جهه شجره كانت هناك: نُودِىَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِى الْبُقْعَهِ الْمُبَارَكَهِ مِنَ الشَّجَرَهِ أَنْ يَا مُوسىٰ إِنِّى أَنَا اللّٰهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يستفاد من مجموع هذين التعبيرين أن موسى لما اقترب شاهد النار فى داخل الشجره-و يقول المفسّرون أنّها كانت شجره العناب-و هذا بنفسه كان قرينه واضحه على أن هذه النار ليست نارا عاديه،بل إنّ هذا النور الإلهى الذى ليس لم يحترق الشجره و حسب،بل إنّه منسجم معها و معروف،ألا و هو نور الحياه! و قد هام موسى لدى سماعه هذا النداء المحيى للروح: إِنِّى أَنَا رَبُّکَ و أحاطت بكل وجوده لذه لا يمكن وصفها،فمن هذا الذى يتحدث معى؟إنّه ربّى الذى جللنى بالفخر الكلمه رَبُّکَ ليعلمنى بأنّى قد تربيت و ترعرعت منذ نعومه أظفارى و إلى الآن فى ظل رحمته و عنايته،و أصبحت مهيئا لرحمه عظيمه.

لقد أمر أن يخلع نعليه،لأنّه قد وضع قدمه فى أرض مقدسه..الأرض التى تجلى فيها النور الإلهى،و يسمع فيها نداء اللّه،و يتحمل مسئوليه الرساله،فيجب أن يخطو فى الأرض بمنتهى الخضوع و التواضع،و هذا هو سبب خلعه النعل عن رجله.

بناء على هذا،فإنّ البحث المفصل الذى بحثه بعض المفسّرين حول خلع النعل-و نقلوا أقوالا عن المفسّرين-يبدو زائدا.طبعا لقد نقلت روايات فى باب تأويل هذه الآيه سنبحثها فى مقطع البحوث.

إنّ التعبير ب(طوى)إمّا لأنّ اسم تلك الأرض كان أرض طوى،كما قال ذلك أغلب المفسّرين،و لأن«طوى»فى الأصل بمعنى الإحاطه،و هنا كنايه عن أن البركات المعنويه التى أحاطت هذه الأرض من كل جانب،و لهذا عبر عنها فى الآيه(٣٠)من سوره القصص بأنّها«البقعه المباركه».

ثمّ سمع هذا الكلام من نفس المتكلم: وَ أَنَا اخْتَرْتُکَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحىٰ و من بعدها تلقى موسى أوّل جمله من الوحى على شكل ثلاثه أمور: إِنَّنِى أَنَا

اللّهُ لآ إِلَهَ إِلاّ أَنَا فَاعْبُدْنِی وَ أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِکْرِی

شرعت هـذه الآـیه فی بیـان أهم أصـل لـدعوه الأنبیـاء فی هـذه الآیه،ألا و هو مسأله التوحیـد،و بعـدها ذکرت موضوع عباده اللّه الواحـد کثمره لشجره الإیمان و التوحید،ثمّ أصدرت له أمر الصـلاه بعد ذلک،و هی تعنی أکبر عباده و أهم ارتباط بین الخلق و الخالق،و أکثر الطرق تأثیرا فی عدم الغفله عن الذات المقدسه.

إنّ هذه الأوامر الثلاثه،مع أمر الرساله الذی ورد فی الآیه السابقه،و مسأله المعاد التی تأتی فی الآیه التالیه،تشکّل مجموعه کامله و مضغوطه من أصول الدین و فروعه،و تکملها بالأمر بالاستقامه الذی سیأتی فی آخر الآیات مورد البحث.

و لمـا کـان المعـاد هو الأصـل و الأسـاس الثّـانی،فبعـد ذکر التوحیـد و أغصانه و فروعه،أضافت الآیه التالیه: إِنَّ السّاعَهَ آتِیَهٌ أَکادُ أُخْفِیها لِتُجْزی کُلُّ نَفْسٍ بِما تَسْعی .

فی هذه الجمله نقطتان یجب الالتفات إلیهما:

الأولی:إن معنی جمله أَکادُ أُخْفِیها :یقرب أن أخفی تاریخ قیـام القیـامه، و لاـزم هـذا التعبیر أنّی لم أخفه من قبل،و نحن نعلم بصریح کثیر من آیات القرآن، أن أحدا لم یطلع علی تاریخ القیامه،کما فی الآیه(۱۸۷)من سوره الأعراف حیث نقرأ: یَسْئَلُونَکَ عَنِ السّاعَهِ أَیّانَ مُرْساها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّی .

لقد بحث المفسّرون هذا الموضوع،فالکثیر منهم یعتقد أن هذا التعبیر نوع من المبالغه و معناه:إن وقت بدء و قیام القیامه مخفی و مجهول إلی الحد الذی أکاد أخفیه حتی عن نفسی.و قد وردت فی هذا الباب روایه أیضا،و یحتمل أن هذه الفئه من المفسّرین قد اقتبسوا رأیهم من تلک الرّوایه.

و التّفسیر الآـخر هو أن مشتقات(کاد)لاـ تعنی دائمـا الاـقتراب،بـل تـأتی أحیانـا بمعنی التأکیـد،و لـذلک فإنّ بعض المفسّرین فسر(أکاد)ب(أرید)و قد جاء

هذا المعنی صریحا فی بعض متون اللغه (۱) .

و النقطه الأخری:إنّ علّه إخفاء تاریخ القیامه حسب الآیه،هی: لِتُجْزیٰ کُلُّ نَفْسٍ بِمٰا تَسْعیٰ و بتعبیر آخر:فإنّ کون الساعه مخفیه سیوجد نوعا من حریه العمل للجمیع.و من جهه أخری فإن وقتها لما لم یکن معلوما بدقه،و یحتمل أن یکون فی أی وقت و ساعه،فإنّ نتیجه هذا الخفاء هی حاله الاستعداد الدائم و التقبل السریع للبرامج التربویه،کما قالوا فی فلسفه إخفاء لیله القدر:إن المراد أن یحیی الناس کل لیالی السنه،أو کل لیالی شهر رمضان المبارک،و یتوجهوا إلی اللّه سبحانه.

و أشارت الآیه الأخیره إلی أصل أساس یضمن نتفیذ کل البرامج العقائدیه و التربویه،فتقول: فَلاٰ یَصُدَّنَّکَ عَنْهٰا مَنْ لاٰ یُؤْمِنُ بِهٰا وَ اتَّبَعَ هَوٰاهُ و الاّ فسوف ثملک فَتَرْدیٰ فأصمد فی مقابل الکافرین و وساوسهم و عراقیلهم،و لا تدع للخوف من کثرتهم و مؤامرتهم و خططهم الخبیثه إلی قبلک سبیلا،و لا تشک مطلقا فی أحقیه دعوتک و أصاله دینک نتیجه هذه الضوضاء.

الملفت للنظر أنّ جمله«لا یؤمن»وردت هنا بصیغه المضارع،و جمله «و اتبع هواه»بصیغه الماضی،و هی فی الحقیقه أشارت إلی هذه النکته،و هی أن عدم إیمان منکری القیامه ینبع من أتباع هوی النفس،فهم یریدون أن یکونوا أحرارا و یفعلون ما تشتهی أنفسهم،فأی شیء أحسن من أن ینکروا القیامه حتی لا تخدش حریه میولهم و أهوائهم!

ص: ۵۳۵

---

۱- ۱) -نقرأ فی قاموس اللغه،ماده کاد:و تکون بمعنی أراد،أکاد أخفیها:أرید.

### بحوث

### اشاره

### ۱-المراد من قوله تعالى: فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ

و كما قلنا،فإن ظاهر الآيه أنّ موسى عليه السّلام قد أمر بخلع نعليه احتراما لتلك الأرض المقدسه،و أن يسير بكل خضوع و تواضع فى ذلك الوادى ليسمع كلام الحق،و أمر الرساله.

إلاّ أنّ بعض المفسّرين قالوا تبعا لبعض الرّوايات:إنّ سبب ذلك هو أن جلد ذلك النعل كان من جلد حيوان ميت.

إنّ هذا الكلام إضافه إلى أنّه يبدو بعيدا بحد ذاته،لأنّه لا دليل على أن موسى عليه السّلام كان يستعمل مثل هذه الجلود و النعال الملوثه،فإن الرّوايه التى رويت عن الناحيه المقدسه،صاحب الزمان-أرواحنا له الفداء-تنفى هذا التّفسير نفيا شديدا (۱) .و يلاحظ فى التوراه الحاليه أيضا،سفر الخروج،الفصل الثّالث،نفس التعبير الذى يوجد فى القرآن.

البعض الآخر من الرّوايات يشير إلى تأويل الآيه و بطونها:«فاخلع نعليك:

أى خوفيك:خوفك من ضياع أهلك،و خوفك من فرعون» (۲) .

و

فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السّلام فيما يتعلق بهذا الجانب و الزمن من حياه موسى عليه السّلام حيث يقول: «كن لما لا ترجوا أرجى منك لما ترجو،فإن موسى بن عمران خرج ليقبس لأهله نارا فرجع إليهم و هو رسول نبى» (۳) ! و هى إشاره إلى أن الإنسان كثيرا ما يأمل أن يصل إلى شيء لكنه لا يصل إليه،إلاّ أن أشياء أهم لا أمل له فى نيلها تتهيأ له بفضل اللّه.

و قد نقل هذا المعنى أيضا عن أمير المؤمنين على عليه السّلام (۴) .



---

۱- ۱) -تفسير نور الثقلين،ج ۳،ص ۳۷۳.

۲- ۲) -المصدر السابق،ص ۳۷۴.

۳- ۳) -المصدر السابق.

۴- ۴) -سفينه البحار،الجزء الأول،ص ۵۱۳.

### ۲-جواب عن سؤال،

يطرح بعض المفسّرين هنا سؤالا،و هو:كيف و من أين علم موسى أنّ الصوت الذى يسمعه صادر من اللّه سبحانه و تعالى؟و من أين تيقن أن اللّه كلّفه بهذه المهمّه؟ و هذا السؤال يمكن طرحه فى شأن سائر الأنبياء أيضا،و يمكن الإجابه عنه بطريقين:

الأوّل:إنّه يحصل للأنبياء فى تلك الحاله نوع من المكاشفه الباطنيه و الإحساس الداخلى تبلغهم و توصلهم إلى القطع و اليقين الكامل،و تزيل عنهم كل أنواع الشک و الشبهه.

و الثّانى:إنّ من الممكن أن تكون بدايه الوحى مقترنه بأمور خارقه للعاده، لا يمكن أن تقع و تتمّ إلا بقوه اللّه،كما أن موسى عليه السّلام شاهد النار فى الشجره الخضراء،و من هذا فهم أن المسأله إلهيه و إعجازيه.

و ينبغى أن نذكّر بهذا الموضوع أيضا،و هو أن سماع كلام اللّه سبحانه و بلا واسطه،لا يعنى أن للّه حنجره و صوتا،بل إنّه يخلق بقدرته الكامله أمواج الصوت فى الفضاء،و يتكلم مع أنبيائه عن هذا الطريق،و لما كانت نبوه موسى عليه السّلام قد بدأت بهذه الكيفيه،فقد لقب ب(كليم اللّه).

### ۳-الصلاه أفضل وسيله لذكر اللّه

أشير فى الآيات-محل البحث-إلى واحده من أهم أسرار الصلاه،و هى أن الإنسان يحتاج فى حياته فى هذا العالم-و بسبب العوامل المؤديه إلى الغفله-إلى عمل يذكّره باللّه و القيامه و دعوه الأنبياء و هدف الخلق فى فترات زمنيه مختلفه، كى يحفظه من الغرق فى دوامه الغفله و الجهل،و تقوم الصلاه بهذه الوظيفه المهمّه.

إنّ الإنسان يستيقظ فى الصباح من النوم...ذلک النوم الذى عزله عن كل

موجودات العالم،و يريد أن يبدأ نشاطه الحياتى،فقبل كل شىء يتوجه إلى الصلاه،و يصفى قلبه و روحه بذكر اللّه،و يستمد منه القوّه و المدد،و يستعد للجد و السعى الممتزج بالصدق و الموده.

و عند ما يغرق فى زحمه الأعمال اليوميه،و تمضى عده ساعات و قد نسى ذكر اللّه،و فجأه يحين الظهر،و يسمع صوت المؤذن:اللّه أكبر!حى على الصلاه! فيتوجه إلى الصلاه و يقف بين يدى ربّه و يناجيه،و إذا كان غبار الغفله قد استقر على قلبه فإنّه يغسله بهذه الصلاه،و من هنا يقول اللّه سبحانه لموسى فى أوّل الأوامر فى بدايه الوحى: وَ أَقِمِ الصَّلاٰهَ لِذِكْرِی .

و ممّا يجلب الانتباه أنّ هذه الآيه تقول: وَ أَقِمِ الصَّلاٰهَ لِذِكْرِی أمّا الآيه (۲۸)من سوره الرعد فتقول: أَلاٰ بِذِكْرِ اللّٰهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ و الآيات(۲۷-۳۰) من سوره الفجر تقول: یٰا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ ارْجِعِی إِلیٰ رَبِّكِ رٰاضِيَهً مَرْضِيَّهً فَادْخُلِی فِی عِبٰادِی وَ ادْخُلِی جَنَّتِی و إذا جعلنا هذه الآيات الثلاثه جنبا إلى جنب فسنفهم جيدا أن الصلاه تذكر الإنسان باللّه،و ذكر اللّه يجعل نفسه مطمئنه،و نفسه المطمئنه ستوصله إلى مقام العباد المخلصين و الجنّه الخالده.

ص :۵۳۸

## الآيات [سوره طه (۲۰): الآيات ۱۷ الی ۲۳]

### اشاره

وَ مٰا تِلْکَ بِیَمِینِکَ یٰا مُوسیٰ (۱۷) قٰالَ هِیَ عَصٰایَ أَتَوَکَّؤُا عَلَیْهٰا وَ أَهُشُّ بِهٰا عَلیٰ غَنَمِی وَ لِیَ فِیهٰا مَآرِبُ أُخْریٰ (۱۸) قٰالَ أَلْقِهٰا یٰا مُوسیٰ (۱۹) فَأَلْقٰاهٰا فَإِذٰا هِیَ حَیَّةٌ تَسْعیٰ (۲۰) قٰالَ خُذْهٰا وَ لاٰ تَخَفْ سَنُعِیدُهٰا سِیرَتَهَا الْأُولیٰ (۲۱) وَ اُضْمُمْ یَدَکَ إِلیٰ جَنٰاحِکَ تَخْرُجْ بَیْضٰاءَ مِنْ غَیْرِ سُوءٍ آیَةً أُخْریٰ (۲۲) لِنُرِیَکَ مِنْ آیٰاتِنَا الْکُبْریٰ (۲۳)

### التّفسير

### اشاره

### عصا موسى و اليد البيضاء:

لا شک أنّ الأنبياء يحتاجون إلى المعجزه لإثبات ارتباطهم باللّه،و إلاّ فإنّ أی واحد يستطيع أن يدعی النّبوه،و بناء علی هذا فإن معرفه الأنبياء الحقيقيين من المزيفين لا يتيسر إلاّ عن طريق المعجزه.و هذه المعجزه يمكن أن تكون بذاتها دعوه و كتابا سماويا للنّبی،و يمكن أن تكون أمورا أخری من قبيل المعجزات الحسيه و الجسميه،إضافه إلی أن المعجزه مؤثره فی نفس النّبی،فهی تزيد من عزيمته و إيمانه و ثباته.

علی كل حال،فإن موسی عليه السّلام بعد تلقيه أمر النّبوه،يجب أن يتلقی دليلها

ص:۵۳۹

و سندها أیضا،و هکذا تلقّی موسی علیه السّلام فی تلک اللیله الملیئه بالذکریات و الحوادث معجزتین کبیرتین من اللّه،و یبیّن القرآن الکریم هذه الحادثه فیقول:

وَ مٰا تِلْکَ بِیَمِینِکَ یٰا مُوسیٰ

؟ إنّ هذا السؤال البسیط المقترن باللطف و المحبه،إضافه إلی أنّه بثّ الطمانینه فی نفس موسی علیه السّلام الذی کان غارقا حینئذ فی دوامه من الاضطراب و الهیجان فإنّه کان مقدمه لحادثه مهمّه.

فأجاب موسی: قٰالَ هِیَ عَصٰایَ و لما کان راغبا فی أن یستمر فی حدیثه مع محبوبه الذی فتح الباب بوجهه لأوّل مرّه،و ربّما کان یظن أیضا أن قوله: هِیَ عَصٰایَ غیر کاف،فأراد أن یبیّن آثارها و فوائدها فأضاف: أَتَوَکَّؤُا عَلَیْهٰا وَ أَهُشُّ (۱) بِهٰا عَلیٰ غَنَمِی أی أضرب بها علی أغصان الشجر فتتساقط أوراقها لتأکلها الأغنام وَ لِیَ فِیهٰا مَآرِبُ (۲) أُخْریٰ .

من المعلوم ما للعصا لأصحابها من فوائد،فهم یستعملونها أحیانا کسلاح للدفاع عن أنفسهم أمام الحیوانات المؤذیه و الأعداء،و أحیانا یصنعون منها مظله فی الصحراء تقیهم حرّ الشمس،و أحیانا أخری یربطون بها وعاء أو دلوا و یسحبون الماء من البئر العمیق.

عل کل حال،فإنّ موسی غط فی تفکیر عمیق:أی سؤال هذا فی هذا المجلس العظیم،و أی جواب أعطیه؟و ماذا کانت تلک الأوامر؟و لماذا هذا السؤال؟ و فجأه قٰالَ أَلْقِهٰا یٰا مُوسیٰ فَأَلْقٰاهٰا فَإِذٰا هِیَ حَیَّهٌ تَسْعیٰ .«تسعی»من ماده السعی أی المشی السریع الذی لا یصل إلی الرکض.



---

۱- ۱) -«أهش»من ماده هشّ-بفتح الهاء-أی ضرب أوراق الشجر و تساقطها.

۲- ۲) -«مآرب»جمع مأربه،أی الحاجه و المقصد.

و هنا صدر الأمر لموسى قٰالَ خُذْهٰا وَ لاٰ تَخَفْ سَنُعِيدُهٰا سِيرَتَهَا الْأُولىٰ (۱) .

و فى الآيه(۳۱)من سوره القصص نقرأ: وَلّى مُدْبِراً وَ لَمْ يُعَقِّبْ يٰا مُوسىٰ أَقْبِلْ وَ لاٰ تَخَفْ .

و بالرغم من أن خوف موسى هنا قد أثار التساؤل لدى بعض المفسّرين بأن هذه الحاله كيف تناسب موسى مع الشجاعه التى عهدنا لدى موسى،و أثبتها عمليا طوال عمره عند محاربته الفراعنه؟إضافه إلى صفات و شروط الأنبياء بصوره عامّه.

إلاّ أنّ الجواب عن هذا السؤال يتّضح بملاحظه نكته واحده،و هى أن من الطبيعى أن كل إنسان،مهما كان شجاعا و غير هياب،إذا رأى فجأه قطعه خشب تتحول إلى حيه عظيمه و تتحرك بسرعه،فلا بدّ أن يرتبك و يخاف و لو لمدّه قصيره و يسحب نفسه جانبا توقيا،إلاّ أن يكون هذا المشهد قد تكرر أمامه مرارا،ورد الفعل الطبيعى هذا لا يكون نقطه ضعف ضد موسى أبدا.و لا تنافى الآيه(۳۹)من سوره الأحزاب حيث تقول: اَلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسٰالاٰتِ اللّٰهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لاٰ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللّٰهَ فإن هذا الخوف طبيعى و مؤقت و سريع الزوال أمام حادثه لم تحدث من قبل قط،و خارق للعاده.

ثمّ أشارت الآيه التاليه إلى المعجزه المهمّه الثّانيه لموسى،فأمرته: وَ اضْمُمْ يَدَكَ إِلىٰ جَنٰاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضٰاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرىٰ (۲) .

و بالرغم من أنّ للمفسّرين فى تفسير جمله وَ اضْمُمْ يَدَكَ إِلىٰ جَنٰاحِكَ...

أقوالا مختلفه،إلاّ أنّه بملاحظه الآيه(۳۲)من سوره القصص،و التى تقول:

اُسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ و الآيه(۱۲)من سوره النمل،و التى تقول:



---

۱ – ۱) -«السيره»-كما يقول الراغب فى المفردات-بمعنى الحاله الباطنيه،سواء غريزيه أو اكتسابيه و البعض فسرها هنا بمعنى الهيئه و الصوره.

۲– ۲) -آيه منصوبه على أنها اسم حال محل الحال،و الحال لضمير مستتر فى(تخرج).

وَ أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ سيستفاد أن موسى كان مأمورا أن يدخل يده فى جيبه و يوصلها إلى تحت إبطه،لأنّ الجناح فى الأصل جناح الطير،و يمكن أن تكون هنا إشاره إلى تحت الإبط.

كلمه(بيضاء)من البياض،و جمله مِنْ غَيْرِ سُوءٍ إشاره إلى أن بياض يدك ليس نتيجه مرض البرص و أمثاله،بدليل أن لها لمعانا و بريقا خاصا يظهر فى لحظه و يختفى فى لحظه أخرى.

إلاّ أنّه يستفاد من بعض الرّوايات أنّ يد موسى قد صارت فى تلك الحاله نورانيه بشكل عجيب،و إذا كان كذلك فيجب أن نقبل أن لجمله مِنْ غَيْرِ سُوءٍ معنى آخر غير الذى قلناه،أى إن لها نورانيه لا عيب فيها،فلا تؤذى عينا، و لا يرى فيها بقعه سوداء،و لا غير ذلك.

و تقول الآيه الأخيره،و كنتيجه لما مر بيانه فى الآيات السابقه: لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى و من المعلوم أن المراد من الآيات الكبرى هو تلكما المعجزتان المهمتان اللتان وردتا أعلاه،و ما احتمله بعض المفسّرين من أنّها إشاره إلى المعجزات التى سيضعها اللّه سبحانه تحت تصرف موسى فيما بعد يبدو بعيدا جدا.

## بحوث

### اشاره

### ۱-معجزتان كبيرتان

لا شك أنّ ما ذكر أعلاه من تبدل عصا موسى إلى حيه عظيمه تسعى،و قد عبرت الآيه(۱۰۷)من سوره الأعراف عنها ب(ثعبان)و كذلك البريق الخاص لليد فى لحظه قصيره ثمّ رجوعها إلى الحاله الأولى،ليس أمرا طبيعيا،أو نادرا، أو قليل الوقوع،بل إن كلا الأمرين يعتبر خارقا للعاده لا يمكن أن يقع بدون

الاستناد إلى قوه فوق قوه البشر،أى قوه اللّه عزّ و جلّ.

إنّ من يؤمن باللّه،و يعتقد أن علمه و قدرته غير محدوده،لا يقدر على إنكار هذه الأمور،أو ينسبها إلى الخرافه كالماديين.

المهم فى المعجزه هو عدم استحالتها عقلا،و هذا الأمر يصدق هنا كاملا،فلا يوجد أى دليل عقلى على نفى تبدل العصا إلى ثعبان عظيم.

أليس العصا و الحيه العظيمه كانتا ترابا فى الماضى السحيق؟من الطبيعى أن المده قد استغرقت ملايين أو مئات الملايين من السنين حتى ظهرت على شكل هذه الموجودات.لا تفاوت فى هذه المسأله سواء قلنا بتكامل الأنواع أو ثبوتها، لأن أخشاب الأشجار و الحيوانات قد خلقت جميعا من التراب على كل حال.

غايه ما فى الأمر أن العمل الإعجازى هنا اختصر كل تلك المراحل التى كان يجب أن تطوى خلال سنين طويله فى لحظه واحده،و فى مدّه قصيره جدّا،فهل يبدو مثل هذا الأمر محالا؟ من الممكن أن أكتب باليد كتابا ضخما فى سنه،فإذا وجد شخص يستند و يعتمد على الإعجاز و يؤدى هذا العمل فى ساعه أو أقل،فإنّ هذا ليس محالا عقليا،بل هو خارق للعاده.(دققوا ذلك).

على كل حال،فإنّ القضاء العجول حول المعجزات،و نسبتها-لا سمح اللّه- إلى الخرافات أمر بعيد عن المنطق و العقل.الشىء الوحيد الذى يحفز و يثير هذه الأفكار أحيانا،هو أنّنا قد اعتدنا على العلل و المعلولات الطبيعيه،إلى الحد الذى اعتقدنا أنّها من الضروريات،و كل ما يخالفها فهو مخالف للضروره،فى حين أن هذه العلاقه بين العله و المعلول أمر طبيعى،و ليس له صفه الضروريه،و لا مانع من أن يظهرها عامل أقوى من الطبيعه بشكل آخر (۱) .



---

۱- ۱) -تحدثنا أيضا حول هذا الموضوع ذيل الآيه(۱۰۷)من سوره الأعراف.

### ۲-قابلیات الأشیاء الخارقه

من المسلّم أن موسی الذی اختار لنفسه عصا الرعی تلک،لم یکن یصدق أن هذا الموجود البسیط یستطیع القیام بمثل هذا العمل العظیم بأمر اللّه،و یحطم قوّه الفراعنه،إلاّ أنّ اللّه سبحانه قد أراه أن نفس هذه الآله البسیطه تستطیع أن توجد مثل تلک القوه الخارقه.

إنّ هذا-فی الواقع-درس لکل البشر بأن لا یستصغروا أی شیء،فإن کثیرا من الموجودات التی ننظر إلیها باحتقار تحتوی فی باطنها علی قدرات عظیمه نحن غافلون عنها و غیر مطلعین علیها.

### ۳-ماذا تقول التوراه حول هذا الموضوع؟

فی الآیات أعلاه قرأنا أنّ موسی علیه السّلام عند ما أخرج یده من جیبه کانت بیضاء مضیئه لا عیب فیها،و یمکن أن تکون هذه الجمله من أجل نفی التعبیر الذی یلاحظ فی التوراه المحرفه،فقد ورد فی التوراه:(و قال اللّه له أیضا:الآن ضع یدک إلی جنبک،فوضع ید إلی جنبه،و أخرجها فإذا یده مبروصه کالثلج) (۱) .

إن کلمه«المبروص»مأخوذه من البرص،و هو نوع من الأمراض،و من المسلم أن استعمال هذا التعبیر هنا خطأ و غیر مناسب.



---

۱- ۱) -التوراه،سفر الخروج،الفصل الرابع،الجمله ۶.

## الآیات [سوره طه (۲۰): الآیات ۲۴ الی ۳۶]

### اشاره

اِذْهَبْ إِلیٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغیٰ (۲۴) قٰالَ رَبِّ اِشْرَحْ لِی صَدْرِی (۲۵) وَ یَسِّرْ لِی أَمْرِی (۲۶) وَ اُحْلُلْ عُقْدَهً مِنْ لِسٰانِی (۲۷) یَفْقَهُوا قَوْلِی (۲۸) وَ اِجْعَلْ لِی وَزِیراً مِنْ أَهْلِی (۲۹) هٰارُونَ أَخِی (۳۰) اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِی (۳۱) وَ أَشْرِکْهُ فِی أَمْرِی (۳۲) کَیْ نُسَبِّحَکَ کَثِیراً (۳۳) وَ نَذْکُرَکَ کَثِیراً (۳۴) إِنَّکَ کُنْتَ بِنٰا بَصِیراً (۳۵) قٰالَ قَدْ أُوتِیتَ سُؤْلَکَ یٰا مُوسیٰ (۳۶)

### التّفسیر

### اشاره

#### موسی و طلباته القیمه:

إلی هنا وصل موسی إلی مقام النبوه،و تلقی معاجز مهمّه تسترعی الانتباه، إلاّ أنّه من الآن فصاعدا صدر له أمر الرساله..رساله عظیمه و ثقیله جدّا..

الرساله التی تبدأ بإبلاغ أعتی و أخطر شخص فی ذلک المحیط،فتقول الآیه:

اِذْهَبْ إِلیٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغیٰ

.

أجل..فمن أجل إصلاح بیئه فاسده،و إیجاد ثوره شامله یجب البدء برؤوس الفساد و أئمّه الکفر..أولئک الذین لهم تأثر فی جمیع أرکان المجتمع، و لهم حضور فی کل مکان،بأنفسهم أو أفکارهم أو أنصارهم..أولئک الذین

تركزت كـل الوسائـل و المنظمات الإعلاميه و الاقتصاديه و السياسـيه فى قبضـتهم، فإذا ما أصـلح هؤلاء،أو قلعت جـذورهم عند عدم التمكن من إصلاحهم،فيمكن أن يؤمن خلاص و نجاه المجتمع،و إلاّ فإنّ أى إصلاح يحدث فإنّه سطحى و مؤقت و زائل.

و الملفت للنظر أن دليل وجوب الابتداء بفرعون ذكر فى جمله قصيره: إِنَّهُ طَغىٰ حيث جمع فى كلمه(طغيان)كل شيء..الطغيان و تجاوز الحدود فى كل أبعاد الحياه،و لذلك يقال هؤلاء الأفراد:طاغوت.

و مضافا إلى أنّ موسى عليه السّلام لم يستوحش و لم يخف من هذه المهمّه الثقيله الصـعبه،و لم يطلب من اللّه أى تخفيف فى هـذه المهمه،فإنّه قـد تقبلها بصدر رحب، غايه ما فى الأمر أنّه طلب من اللّه أسـباب النصـر فى هذه المهمه.و لما كان أهم و أول أسباب النصر الروح الكبيره،و الفكر الوقاد،و العقل المقتدر،و بعباره أخرى:رحابه الصدر،فقد قٰالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي .

نعـم إنّ أوّل رأسـمال لقائـد ثـورى هـو رحـابه الصـدر،و الصـبر الطويـل،و الصـمود و الثبـات،و الشـهامه و تحمـل المشاكـل و المصاعب،و لذلك فإنّنا نقرأ

فى حديث عن أمير المؤمنين عليه السّلام: «آله الرياسه سعه الصدر» (1) . و قد بحثنا الصدر و معناه فى ذيل الآيه(١٢٥)من سوره الأنعام.

و لمـا كان هـذا الطريق مليئا بالمشاكل و المصاعب التى لا يمكن تجاوزها إلاّ بلطف اللّه، فقـد طلب موسـى من اللّه فى المرحله الثّانيه أن تيسر له أموره و أعماله، و أن تذلل هذه العقبات التى تعترضه،فقال: وَ يَسِّرْ لِي أَمْرِي .

ثمّ طلب موسـى أن تكون له قـدره على البيان بأعلى المراتب فقال: وَ احْلُلْ عُقْـدَهً مِنْ لِسٰانِي فصـحيح أن امتلاك الصدر الرحب أهم الأمور و الأسس،إلاّ أنّ بلوره هذا الأساس تتمّ إذا وجدت القدره على إراءته و إظهاره بصوره كامله،



---

١- ١) -نهج البلاغه،الكلمات القصار،الحكمه ١٧۶.

و لذلک فإنّ موسی بعد طلب انشرح الصدر،و رفع الموانع و العقبات،طلب من اللّه حل العقده من لسانه.

خاصّه و أنّه بیّن عله هذا الطلب فقال: یَفْقَهُوا قَوْلِی فهذه الجمله فی الحقیقه تفسیر للآیه التی قبلها،و منها یتّضح أنّ المراد من حلّ عقده اللسان لم یکن هو التلکؤ و بعض العسر فی النطق الذی أصاب لسان موسی علیه السّلام نتیجه احتراقه فی مرحله الطفوله-کما نقل ذلک بعض المفسّرین عن ابن عباس-بل المراد عقد اللسان المانعه من إدراک و فهم السامع،أی أرید أتکلم بدرجه من الفصاحه و البلاغه و التعبیر بحیث یدرک أی سامع مرادی من الکلام جیدا.

و الشاهد الآخر علی هذا التعبیر هی الآیه(۳۴)من سوره القصص: وَ أَخِی هٰارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّی لِسٰاناً .و اللطیف فی الأمر أن«أفصح»من ماده فصیح، و هی فی الأصل کون الشیء خالصا من الشوائب،ثمّ أطلقت علی الکلام البلیغ المعبر الخالی من الحشو و الزیادات.

و علی کل حال،فإنّ القائد و القدوه و الموفق و المنتصر هو الذی یمتلک إضافه إلی سعه الفکر و قدره الروح،بیانا أخاذا بلیغا خالیا من کل أنواع الإبهام و القصور.

و لما کان إیصال هذا الحمل الثقیل-حمل رساله اللّه،و قیاده البشر و هدایتهم، و محاربه الطواغیت و الجبابره-إلی المحل المقصود یحتاج إلی معین و مساعد، و لا یمکن أن یقوم به إنسان بمفرده،فقد کان الطلب الرابع لموسی من اللّه هو:

وَ اجْعَلْ لِی وَزِیراً مِنْ أَهْلِی

.

«الوزیر»من ماده الوزر،و هی فی الأصل تعنی الحمل الثقیل،و لما کان الوزراء یتحملون کثیرا من الأحمال الثقیله علی عاتقهم،فقد أطلق علیهم هذا الاسم،و کذلک تطلق کلمه الوزیر علی المعاون و المساعد.

أمّا لماذا طلب موسی أن یکون هذا الوزیر من أهله؟فسببه واضح،لأنّه

يعرفه جيدا،و من جهه أخرى فإنّه أحرص من غيره،فكم هو جيد و جميل أن يستطيع الإنسان أن يتعاون مع شخص تربطه به علائق روحيه و جسميه؟! ثمّ يشير إلى أخيه،فيقول: هٰارُونَ أَخِي و هارون-حسب نقل بعض المفسّرين-كان الأخ الأكبر لموسى،و كان يكبره بثلاث سنين،و كان طويل القامه،جميلا بليغا،عالى الإدراك و الفهم،و قد رحل عن الدنيا قبل وفاه موسى بثلاث سنين (1) .

و قد كان نبيّا مرسلا كما يظهر من الآيه(45)من سوره المؤمنون: ثُمَّ أَرْسَلْنٰا مُوسىٰ وَ أَخٰاهُ هٰارُونَ بِآيٰاتِنٰا وَ سُلْطٰانٍ مُبِينٍ .و كذلك كانت له بصيره بالأمور و ميزانا باطنيا لتمييز الحق من الباطل،كما ورد فى الآيه(48)من سوره الأنبياء:

وَ لَقَدْ آتَيْنٰا مُوسىٰ وَ هٰارُونَ الْفُرْقٰانَ وَ ضِيٰاءً .و أخيرا فقد كان نبيّا وهبه اللّه لموسى من رحمته: وَ وَهَبْنٰا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنٰا أَخٰاهُ هٰارُونَ نَبِيًّا (2) ،فقد كان يسعى جنبا إلى جنب مع أخيه فى أداء هذه الرساله الثقيله.

صحيح أن موسى عليه السّلام عند ما طلب ذلك من اللّه فى تلك الليله المظلمه فى الوادى المقدس حيث حمّل الرساله،كان قد مضى عليه أكثر من عشر سنين بعيدا عن وطنه،إلاّ أنّ ارتباطه-عاده-بأخيه لم يقطع بصوره كامله،بحيث أنّه يتحدث بهذه الصراحه عنه،و يطلب من اللّه أن يشاركه فى هذا البرنامج الكبير.

ثمّ يبيّن موسى عليه السّلام هدفه من تعيين هارون للوزاره و المعونه فيقول: اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِي و«الأزر»أخذت فى الأصل من ماده الإزار،أى اللباس،و تطلق خاصّه على اللباس الذى يشد و يعقد وسطه،و لذلك قد تطلق هذه الكلمه على الظهر أو القوّه و القدره لهذا السبب و يطلب،من أجل تكميل هذا المقصد و المطلب: وَ أَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي



---

1- 1) -مجمع البيان ذيل الآيه.

2- 2) -مريم،53.

فیکون شریکا فی مقام الرساله،و فی إجراء و تنفیذ هذا البرنامج الکبیر،إلاّ أنّه یتبع موسی علی کل حال،فموسی إمامه و مقتداه.

و فی النهایه یبیّن نتیجه هـذه المطالب فیقول: کَیْ نُسَبِّحَکَ کَثِیراً وَ نَذْکُرَکَ کَثِیراً إِنَّکَ کُنْتَ بِنٰا بَصِیراً و تعلم حاجاتنا جیـدا،و مطّلع علی مصاعب هـذا الطریق أکثر من الجمیع،فنحن نطلب منک أن تعیننا علی طاعتک،و أن توفقنا و تؤیـدنا فی أداء واجباتنا و مسئولیاتنا الملقاه علی عاتقنا.

و لما کان موسی لم یهدف من طلباته المخلصه هذه إلاّ الخدمه الأکثر و الأکمل،فإنّ اللّه سبحانه قد لبی طلباته فی نفس الوقت قٰالَ قَدْ أُوتِیتَ سُؤْلَکَ یٰا مُوسیٰ .

إنّ موسی فی الواقع طلب کل ما کان یلزمه فی هـذه اللحظات الحساسه الحاسـمه التی یجلس فیها لأوّل مرّه علی مائـده الضـیافه الإلهیه و یطأ بساطها،و اللّه سبحانه کان یحب ضیفه أیضا،حیث لبّی کل طلباته و أجابه فیها فی جمله قصیره تبعث الحیاه،و بدون قیـد و شـرط ثمّ و بتکرار اسم موسی أکمـل له الاستجابه و حلاوتهـا و أنزال کل إبهام عن قلبه،و أی تشویق و افتخار أن یکرر المولی اسم العبد؟

## بحوث

### اشاره

### ۱-شروط قیاده الثوره

لاـ شک أنّ تبـدیل البنیه فی نظام المجتمعات البشـریه،و تغییر القیم المادیه و الملحـده إلی القیم المعنویه و الإنسانیه،و خاصّه إذا کان الطریق یقع فی طریق الفراعنه العنودین،لیس بالعمل الهین،بل یحتاج إلی استعداد روحی و جسمی، و قـدره علی التفکیر،و قوه فی البیان،و استمرار الإمدادات الإلهیه،و وجود

ص :۵۴۹

الصاحب الذی یطمأن إلیه.و هذه هی الأمور التی طلبها موسی علیه السّلام فی بدایه الرساله من ربّه.

إن هذه المطالب تبیّن بنفسها أنّ موسی علیه السّلام کان یمتلک روح الوعی و الاستعداد حتی قبل النّبوه،و تبیّن أیضا هذه الحقیقه،و هی أنّه کان واقفا علی أبعاد مسئولیته جیدا،و کان یعلم بأنّه ماذا یجب أن یستعمل فی الساحه فی تلک الظروف،و أی سلاح هو الأمضی،لیمتلک القدره علی مقارعه الاجهزه الفرعونیه،و هذا نموذج و قدوه لکل القاده الربانیین فی کل عصر و زمان،و لکل السائرین فی هذا الطریق.

#### ۲-مقارعه الطغاه

لا شک أنّ لفرعون نقاطا و صفات منحرفه کثیره،فقد کان کافرا،عابدا للأصنام،ظالما،مستبدا و و...إلاّ أنّ القرآن طرح من بین کل هذه الانحرافات مسأله الطغیان إِنَّهُ طَغیٰ لأن روح الطغیان و التمرد فی مقابل أمر الحق عصاره و خلاصه کل هذه الانحرافات و جامع لها.

و یتّضح بصوره ضمنیه أنّ هدف الأنبیاء فی الدرجه الأولی هو مقارعه الطواغیت و المستکبرین،و هذا فی الواقع عکس التحلیل الذی یذکره المارکسیون حول الدین تماما،حیث زعموا أنّ الدین فی خدمه الطغاه و المستعمرین الماضین.

إنّ کلام هؤلاء قد یصح فی شأنه المذاهب المصطنعه التخدیریه،إلاّ أنّ تاریخ الأنبیاء الحقیقیین ینفی بصراحه تامه ظنون هؤلاء الواهیه فی شأن الأدیان و المذاهب،خاصّه و إن ثوره موسی بن عمران شاهد ناطق فی هذا المجال.

ص :۵۵۰

### ۳-کل عمل یحتاج إلی تخطیط و وسائل

الدرس الآخر الذی نستفید من حیاه موسی و جهاده العظیم،هو أنّه حتی الأنبیاء،و مع امتلاکهم للمعجزات،کانوا یستعینون بالوسائل العادیه الطبیعیه،من البیان البلیغ و المؤثر،و من طاقات المؤمنین بهم الفکریه و الجسمیه،فی سبیل تقدم عملهم و تطوره،فلیس صحیحا أن ننتظر المعاجز فی حیاتنا دائما،بل یجب تهیئه البرامج و أدوات العمل،و الاستمرار فی التقدم بالطرق و الوسائل الطبیعیه، فإذا ما واجهتنا عقده و معضله،فیجب أن ننتظر اللطف الإلهی هناک.

### ۴-التسبیح و الذکر

لقد جعل موسی الهدف النهائی من طلباته-کما فی الآیات محل البحث- هو: کَیْ نُسَبِّحَکَ کَثِیراً وَ نَذْکُرَکَ کَثِیراً و معلوم أنّ التسبیح یعنی تنزیه اللّه عن تهمه الشرک و النواقص الإمکانیه،و معلوم أیضا أنّ مراد موسی علیه السّلام لم یکن تکرار جمله«سبحان اللّه»مرارا،بل کان الهدف إیجاد حقیقه التسبیح فی ذلک المجتمع الملوث فی ذلک الزمان،فیقتلعوا الأصنام،و یهدموا معابد الأوثان،و تغسل الأدمغه من أفکار الشرک،و ترفع النواقص المادیه و المعنویه.

و بعد تنزیه المجتمع عن هذه المفاسد،علیهم أن یحیوا فی القلوب ذکره تعالی و ذکر صفاته، و یجعلون الصفات الإلهیه تشع فی أرجاء المجتمع،و التأکید علی کلمه«کثیرا»توحی بأنّه کان یرید أن یجعل هذا الأمر عاما،و أن یخرجه من الإختصاص بدائره محدوده.

### ۵-الرّسول الأعظم یکرر مطالب موسی

یستفاد من الرّوایات الوارده فی کتب أهل السنه و الشیعه أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قد طلب من اللّه نفس تلک المطالب التی طلبها موسی علیه السّلام من اللّه من أجل تقدم عمله،

مع فارق،هو أنّه وضع اسم على علیه السّلام مكان اسم هارون،و قال:«اللهم إنّی أسألك بما سألك أخی موسی أن تشرح لی صدری،و أن تیسر لی أمری،و أن تحل عقده من لسانی،یفقهوا قولی،و اجعل لی وزیرا من أهلی،علیا أخی،أشدد به أزری، و أشركه فی أمری،كی نسبحك كثیرا،و نذكرك كثیرا».

و قد نقل هذا الحدیث السیوطی فی تفسیر«الدر المنثور»،و العلاّمه الطبرسی فی«مجمع البیان»،و كثیرون و غیرهم من كبار علماء الفریقین باختلاف فی العبارات.

و هذا الحدیث یشبه حدیث المنزله،حیث

قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لعلی علیه السّلام: «ألا ترضی أن تكون منّی بمنزله هارون من موسی إلاّ أنّه لا نبی بعدی».

و هذا الحدیث قد ورد فی كتب العامّه المعتمده،و كما قال المحدث البحرانی فی كتابه«غایه المرام»؛إنّ هذا الحدیث قد ورد بمائه طریق عن أهل السنه، و بسبعین طریق من طرق الشیعه»،فهو معتبر إلی الحدّ الذی لا یدع أی مجال للشك فیه،أو لإنكاره.

و قد بحثنا حول حدیث المنزله بحثا ضافیا فی ذیل الآیه(۱۴۲)من سوره الأعراف،و الذی نعتبر ذكره ضروریا هنا،هو أن بعض المفسّرین-كالآلوسی فی «روح المعانی»-مع قبوله أصل الرّوایه،إلاّ أنّه أشكل فی دلالتها،و قالوا:إن جمله أَشْرِكْهُ فِی أَمْرِی لا تثبت غیر الاشتراك فی أمر إرشاد و دعوه الناس إلی الحق! إلاّ أنّ من الواضح أن مسأله الاشتراك فی الإرشاد،و بتعبیر آخر:الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر،و نشر الدین،واجب علی كل فرد من المسلمین، و هذا لم یكن شیئا یطلبه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لعلی علیه السّلام..إن هذا توضیح للواضحات، و لا یمكن تفسیر دعاء النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بذلك مطلقا.

و من جهه أخری،فإنّا نعلم أن الأمر لم یكن الاشتراك فی النّبوه،و بناء علی

هذا نخلص إلی هذه النتیجه،و هی أن المطلوب مقام خاص غیر النّبوه،و هل یمکن أن یکون إلاّ الولایه الخاصّه؟!ألیس ذلک هو الخلافه بالمفهوم الخاص الذی تقول به الشیعه؟و جمله«وزیرا»أیضا تؤید و تقوی ذلک.

و بتعبیر آخر،فإنّ هناک واجبات لا یقوم بها کل الأفراد،و هی حفظ دین النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من کل أنواع التحریف و الانحراف،و تفسیر أی إبهام یبدیه البعض فی محتوی الدین،و قیاده الأمّه فی غیبه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و بعده،و المساعده المؤثره جدا فی تحقیق أهدافه.

إن هذا هو الشیء الذی طلبه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

بقوله: «أشرکه فی أمری» لعلی علیه السّلام من اللّه سبحانه.

و من هنا یتّضح أن وفاه هارون قبل موسی لا توجد إشکالا فی هذا البحث، لأنّ الخلافه و النیابه تکون أحیانا فی زمان غیبه القائد کما تولاها هارون عند غیاب موسی،و تکون أحیانا بعد وفاته کما کان علی علیه السّلام بعد وفاه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و کلاهما لهما نفس القدر المشترک و الجامع الواحد،و إن کانت المصادیق متفاوته.

(دققوا ذلک).

ص :553

## الآيات [سوره طه (۲۰): الآيات ۳۷ الی ۴۱]

### اشاره

وَ لَقَـدْ مَنَنّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرىٰ (۳۷) إِذْ أَوْحَيْنا إِلىٰ أُمِّكَ ما يُوحىٰ (۳۸) أَنِ اقْـذِفِيهِ فِى اَلتّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِى اَلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ اَلْيَمُّ بِالسّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِى وَ عَدُوٌّ لَهُ وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّى وَ لِتُصْـنَعَ عَلىٰ عَيْنِى (۳۹) إِذْ تَمْشِى أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْناكَ إِلىٰ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُها وَ لاٰ تَحْزَنَ وَ قَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْناكَ مِنَ اَلْغَمِّ وَ فَتَنّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِـنِينَ فِى أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلىٰ قَدَرٍ يا مُوسىٰ (۴۰) وَ اِصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى (۴۱)

### التّفسير

#### اشاره

#### الربّ الرحيم:

يشير اللّه سبحانه فى هذه الآيات إلى فصل آخر من فصول حياه موسى عليه السّلام، و الذى يرتبط بمرحله الطفوله و نجاته من قبضه الفراعنه.و هذا الفصل و إن كان من ناحيه التسلسل التاريخى قبل فصل الرساله و النّبوه،إلاّ أنّه ذكر كشاهد على شمول عنايه اللّه عزّ و جل لموسى عليه السّلام من بدايه عمره،و هى فى الدرجه الثّانيه من

الأهميه بالنسبه إلى الرساله،فيقول أوّلا: وَ لَقَدْ مَنَنّا عَلَيْكَ مَرَّةً أَخْرىٰ (١) .

و بعد ذكر هذا الإجمال تتطرق الآيات إلى الشرح و التفصيل،فتقول: إِذْ أَوْحَيْنا إِلىٰ أُمِّكَ ما يُوحىٰ و هو إشاره إلى أنّنا قد علّمنا أمّه كل الطرق التى تنتهى إلى نجاه موسى عليه السّلام من قبضه الفراعنه،لأنّه يستفاد من سائر آيات القرآن أن فرعون شدّد ارهابه على بنى إسرائيل للتصدّى لقوتهم و عصيانهم المحتمل،أو أنّه-على رأى بعض المفسّرين و المؤرخين-كان قد أمر بقتل أبنائهم و إبقاء البنات للخدمه،لكى يمنع ولاده ولد من بنى إسرائيل كان قد أخبره المنجمون أنّه يثور عليه و يزيل ملكه.

من الطبيعى أن جواسيس و عيون فرعون كانوا يراقبون بشده محلات بنى إسرائيل و بيوتهم،و كانوا لا يدعون ذكرا يولد إلاّ و قتلوه.

و ذهب بعض المفسّرين إلى أن فرعون كان يريد تحطيم قوّه بنى إسرائيل من جهه،و كان من جهه أخرى غير راغب فى انقراض نسلهم تماما،لأنّه كان يعتبرهم عبيدا يصلحون للخدمه،و لذلك كان قد أمر بأنّ يتركوا الأولاد سنه و يذبحونهم سنه أخرى،فكان أن ولد موسى فى العام الذى يقتل فيه الأولاد! على كل حال،فإنّ هذه الأم أحسّت بأن حياه وليدها فى خطر،و إخفاؤه مؤقتا سوف لا يحل المشكله..فى هذه الأثناء ألهمها اللّه-الذى رشّح هذا الطفل لثوره كبيره-أن أودعيه عندنا،و انظرى كيف سنحافظ عليه،و كيف سنرده إليك؟ فألقى فى قلب الأمّ: أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ .

«اليم»هنا يعنى نهر النيل العظيم الذى يطلق عليه أحيانا اسم البحر لسعته و كثره مياهه.



---

۱- ۱) -كما قلنا سابقا أيضا فإنّ«المنه»فى الأصل من المن،و هو يعنى الأحجار الكبيره التى كانوا يزنون بها،و لذلك فإن كل نعمه كبيره و نفيسه يقال عنها:إنّها منه.و المراد فى الآيه هو هذا المعنى،و هذا المعنى مفهوم جميل و ايجابى للمنّه،إلاّ أنّ الإنسان إذا عظّم عمله الصغير بكلامه،و ذكرّ الطرف الآخر به،فإنّه مصداق حى للمنه السلبيه المذمومه.

و التعبير ب اِقْذِفِیهِ فِی التّٰابُوتِ ربما كان إشاره إليها أن ارفعی ولدک بكل شجاعه و بدون أی خوف أو ارتياب،و ضعيه فی الصندوق،و ألقيه فی نهر النيل، و لا تدعی للخوف سبيلا إلی نفسک.

كلمه«التابوت»تعنی الصندوق الخشبی،و لا يعنی دائما الصندوق الذی توضع فيه الأموات كما يظن البعض،بل إنّه له معنی واسعا،حيث تطلق أحيانا علی الصناديق الأخری أيضا،كما قرأنا ذلک فی قصه طالوت و جالوت فی ذيل الآيه(۲۴۸)من سوره البقره (۱) .

ثمّ تضيف: فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسّٰاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِی وَ عَدُوٌّ لَهُ و الملفت أن كلمه«عدو»قد تكررت هنا،و هذا فی الحقيقه تأكيد علی عداء فرعون للّه، و لموسی و بنی إسرائيل،و أشارت إلی أن الشخص الذی انغمس إلی هذا الحد فی العداء هو الذی سيتولی فی النهايه تربيه موسی ليعلم البشر الضعيف أنّه ليس عاجزا عن التمرد علی أمر اللّه و حسب،بل إنّ اللّه سيربيه علی يد عدوه و فی أحضانه!و عند ما يريد أن يفنی المتمردين الظالمين فسيفنيهم و يبيدهم بأيديهم، و يحرقهم بالنار التی يوقدونها بأنفسهم،فأی قدره عجيبه قدرته تعالی؟! و لما كان موسی عليه السّلام يجب أن يحفظ فی حصن أمين فی هذا الطريق الملیء بالمخاطر،فقد ألقی اللّه قبسا من محبّه عليه،إلی الحد الذی لم ينظر إليه أحد إلا و يعشقه،فلا يكف عن قتله و حسب،بل لا يرضی أن تنقص شعره من رأسه،كما يقول القرآن فی بقيه هذه الآيات: وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْکَ مَحَبَّةً مِنِّی فأی درع عجيب هذا الحب!إنّه لا يری بالعين،و لكنه أقوی من الحديد و الفولاذ!! يقولون:إنّ قابله موسی كانت من الفراعنه،و كانت مصممه علی رفع خبر ولادته إلی فرعون،إلاّ أنّه لما وقعت عينها علی عين المولود الجديد،فكأن ومضه برقت من عينه و أضاءت أعماق قلبها،و طوّقت محبته رقبتها،و ابتعدت



---

۱- ۱) -راجع المجلد الثّانی من التّفسير الأمثل ذيل الآيه(۲۴۸)من سوره البقره.

عن رأسها كل الأفكار السيئه.

و نقرأ

فی حديث عن الإمام الباقر عليه السّلام فی هذا الباب: «فلمّا وضعت أم موسی موسی نظرت إليه و حزنت عليه و اغتمت و بكت و قالت:تذبح الساعه،فعطف اللّه الموكله بها عليه،فقالت لأم موسی:مالك قد اصفر لونك؟فقالت:أخاف أن يذبح ولدی،فقالت:لا تخافی و كان موسی لا يراه أحد إلا أحبه» (۱) ، و كان درع المحبه هذا هو الذی حفظه تماما فی بلاط فرعون.

و تقول الآيه فی النهايه: وَ لِتُصْنَعَ عَلیٰ عَيْنِی فلا شك فی أنّه لا تخفی ذره عن علم اللّه فی السماء و لا فی الأرض،و كل شیء حاضر بين يديه،إلّا أنّ هذا التعبير إشاره إلی العنايه الخاصّه التی أولاها اللّه سبحانه لموسی و تربيته.

و بالرغم من أنّ بعض المفسّرين اعتقد أنّ جمله وَ لِتُصْنَعَ عَلیٰ عَيْنِی مقصوره علی مرحله رضاعه موسی و أمثالها،إلاّ أنّ من المعلوم أن لهذه الجمله معنی واسعا،تدخل فيه كل أنواع التربيه و العنايه،و صنع موسی عليه السّلام من أجل حمل رايه الرساله مع عنايه اللّه الخاصّه.

و يستفاد بوضوح من القرائن الموجوده فی هذه الآيات،و الآيات المشابهه لها فی القرآن،و ممّا جاء فی الرّوايات و التواريخ،أنّ أمّ موسی عليه السّلام قد ألقت الصندوق الذی كان فيه موسی و هی فی حاله من الخوف و القلق،و حملته أمواج النيل،و أخذ قلب أم موسی يخفق من مشاهده هذا المنظر،إلّا أنّ اللّه قد ألهم قلبها أن لا يدع للهم و الحزن إليه طريقا،فهو سبحانه سيعيده إليها فی النهايه سالما.

و كان قصر فرعون قد بنی علی جانب شط النيل،و يحتمل أن فرعا من هذا النهر العظيم كان يمر داخل قصره،فحملت أمواج المياه الصندوق إلی ذلك الفرع الصغير،و بينما كان فرعون و زوجته علی حافه الماء ينظرون إلی الأمواج،و إذا بهذا الصندوق الغريب يلفت انتباههما،فأمر جنوده أن يخرجوا الصندوق من



---

۱- ۱) -نور الثقلين،ج ۳،ص ۳۷۸.

الماء،فلمّا فتحوا الصندوق شاهدوا بكامل العجب مولودا جميلا فيه،و هو شیء لم یکن بالحسبان.

و هنا تنبه فرعون إلی أن هذا الولید ینبغی أن یکون من بنی إسرائیل،و إنما لاقی هذا المصیر خوفا من جلاوزته،فأمر بقتله،إلاّ أنّ زوجته-التی کانت عقیما -تعلقت جدّا بالطفل،فقد نفذ النور الذی کان ینبعث من عینی الطفل إلی زوایا قلبها،و جذبها إلیه، فضربت علی ید فرعون و طلبت منه أن یصرف النظر عن قتله، و عبرت عن هذا الطفل بأنّه قُرَّتُ عَیْنٍ ،بل و تمادت فی طلبها،فطلبت منه أن یتخذاه ولدا لیکون مبعث أمل لهما،و یکبر فی أحضانهما،و أصرّت علی طلبها حتی أصابت سهامها،و حققت ما تصبو إلیه.

غیر أن الطفل جاع،و أراد لبنا،فأخذ یبکی و یذرف الدموع،فرق قلب امرأه فرعون لهذه الدموع و البکاء و اهتز،و لا محیص من أن یبحث الخدم عن مرضعه له،إلاّ أنّهم کلما جاؤوه بمرضعه لم یقبل ثدیها،لأن اللّه سبحانه کان قد قدر أن یعیده إلی أمّه،فهب المأمورون للبحث من جدید،و کانوا یطرقون الأبواب بحثا عن مرضع جدیده.

و الآن نقرأ بقیه القصه علی ضوء الآیات الشریفه:

نعم یا موسی،فإنّا کنّا قدرنا أن تتربی بأعیننا و علمنا إِذْ تَمْشِی أُخْتُکَ بأمر أمک لتراقب مصیرک،فرأت جنود فرعون: فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّکُمْ عَلیٰ مَنْ یَکْفُلُهُ و ربّما أضافت بأن هذه المرأه لها لبن نظیف،و أنا مطمئنه بأن هذا الرضیع سیقبلها.

فاستبشر الجنود علی أمل أن یجدوا ضالتهم عن هذا الطریق،فذهبوا معها، فأطلعت أخت موسی-و التی کانت تظهر نفسها بمظهر الشخص الغریب و المجهول-أمّها علی الأمر،فجاءت أمّه إلی بلاط فرعون،من دون أن تفقد سیطرتها علی أعصابها،بالرغم من أن أمواجا من الحب و الأمل کانت قد أحاطت بکل قلبها،و احتضنت الطفل،فلمّا شم الطفل رائحه أمّه،و کانت رائحه

مألوفه لديه،التقم ثديها كأنّه تضـمن لذه الروح و حلاوتها،و اشـتغل الطفل بشرب اللبن بلهفه و عشق شديدين،فانطلقت صرخات الفرح من الحاضرين،و بدت آثار الفرح و السرور على زوجه فرعون.

يقول البعض:إنّ فرعون تعجب من هـذه الحادثه،و قال:من أنت إذ قبل هـذا الطفل لبنك فى حين أنّه ردّ جميع الأخريات؟فقالت الأـم:إنّى امرأه طيبه الريـح و اللبن،و لاـ يرفض لبنى أى طفل! عل كل حال فقـد أمرها فرعون بالاهتمام بالطفل،و أكـدت زوجته كثيرا على حفظه و حراسته،و أمرت أن يعرض عليها الطفل بين فتره و أخرى.

هنـا تحقق مـا قـاله القرآن: فَرَجَعْنٰاكَ إِلىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهٰا وَ لاٰ تَحْزَنَ و لتسـتطيع تربيته بـدون خوف من جلاـوزه فرعون.و يسـتفاد من هـذه العبـاره أن فرعون أودع الطفـل أمه لتـذهب به إلى بيتها،إلاّ أنّ من الطبيعى أن ابن عائله فرعون!الـذى تعلقت به امرأته و أحبته حبا شديدا،يجب أن يعرض عليها بين فتره و أخرى.

و مرّت السنون و الأعوام،و تربى موسى عليه السّلام وسط هاله من لطف اللّه و محبته، و فى محيط آمن،و شيئا فشيئا أصبح شابا.و كـان ذات يـوم يمر مـن طريـق فرأى رجليـن يتشـاجران،أحـدهما من بنى إسـرائيل و الآـخر من الأقبـاط-(و هم المصـريون قـوم فرعون)-و لما كان بنو إسـرائيل يعيشون دائما تحت ضـغط الأقباط الظالمين و أذاهم،هبّ موسـى لمعونه المظلوم الـذى كان من بنى إسرائيل، و من أجل الدفاع عنه وجه ضربه قاتله إلى ذلك القبطى، فقضت عليه.

فتأثر موسى مما حدث و قلق،لأن حراس فرعون علموا فى النهايه من الذى قام بعمليه القتل هذه،فنشطوا للبحث عنه و مطاردته.إلاّ أنّ موسـى،و حسـب إشـاره بعض أصـدقائه عليـه،خرج متخفيـا من مصـر،و تـوجه إلى مـدين،فوجـد محيطـا و جـوا آمنـا فى ظل النّبى«شعيب»،و الذى سيأتى شرح حاله فى تفسير

سوره القصص إن شاء اللّه تعالى هنا حيث يقول القرآن الكريم: وَ قَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنٰاکَ مِنَ الْغَمِّ وَ فَتَنّٰاکَ فُتُوناً فبعد حادثه القتل اختبرناک کثیرا و القینا بک فی اتون الحوادث و الشدائد فَلَبِثْتَ سِنِینَ فِی أَهْلِ مَدْیَنَ و بعد اجتیاز هذا الطریق الطویل،و الاستعداد الروحی و الجسمی،و الخروج من دوامه الأحداث بشموخ و انتصار فقد جِئْتَ عَلیٰ قَدَرٍ یٰا مُوسیٰ .أی حیث لاستلام مهمّه الرساله فی زمان مقدّر إلی هذا المکان.

إن کلمه«قدر»-برأی کثیر من المفسّرین-تعنی الزمان الذی قدر فیه أن ینتخب موسی للرساله.إلاّ أنّ البعض اعتبرها بمعنی المقدار،کما جاء هذا المعنی فی بعض الآیات القرآنیه،الآیه(۲۱)من سوره الحجر،و طبقا لهذا التّفسیر سیکون معنی الآیه:یا موسی إنّک قد نشأت و أصبحت-بعد تحمل هذه المصاعب و الامتحانات و عشت سنین فی بیت نبی کبیر کشعیب-ذا قدر و مقام و شخصیه،و حصلت علی استعداد لتلقی الوحی.

ثمّ یضیف: وَ اصْطَنَعْتُکَ لِنَفْسِی فمن أجل مهمّه تلقی الوحی الصعبه،و من أجل قبول الرساله، و من أجل هدایه العباد و إرشادهم ربّیتک و اختبرتک فی الحوادث الصعبه و مشاقّها،و منحتک القوه و القدره،و الآن حیث ألقیت هذه المهمّه الکبری علی عاتقک،فإنّک مؤهل من جمیع الجوانب.

«اصطناع»من ماده«صنع»بمعنی الإصرار و الاقدام الأکید علی إصلاح شیء(کما یراه الراغب فی مفرداته).و یعنی إنّنی قد اصلحتک من کل الجهات و کأنّنی أریدک لی و هذا الکلام هو أکثر ما یمکن أن یقال فی تصویر محبّه اللّه لهذا النّبی العظیم،و ذهب البعض أنّه یشبه ما قاله الحکماء من:إنّ اللّه إذا أحبّ عبدا تفقده کما یتفقد الصدیق صدیقه.

نهایه المجلد التّاسع

ص :۵۶۰

ص :

ص :

ص :

## تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ۹

المقدمة:
تأسّس مرکز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراکز القائمة بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیة وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیة وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الکترونیة من الکتب والمقالات العلمیة والدراسات المفیدة وهی منظمة فی برامج إلکترونیة وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.
وتحاول المؤسسة تقدیم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمیة البحتة البعیدة من التعصبات الشخصیة والاجتماعیة والسیاسیة والقومیة وعلی أساس خطة تنوی تنظیم الأعمال والمنشورات الصادرة من جمیع مراکز الشیعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامیة وتعالیم القرآن وآل بیت النبیّ علیهم السلام
تحفیز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدینیة
تنزیل البرامج المفیدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثین والمحققین فی الحوازت العلمیة والجامعات
توسیع عام لفکرة المطالعة
تهمید الأرضیة لتحریض المنشورات والکتّاب علی تقدیم آثارهم لتنظیمها فی ملفات الکترونیة

السیاسات:
مراعاة القوانین والعمل حسب المعاییر القانونیة
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراکز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتینیة وتکرار المحاولات السابقة
العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( (sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣۴۴٩٠١٢۵

هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.